خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠



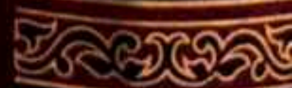




١٣٨٤هـ



مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع



خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت : ٣٥٨٦٤٢٤٠



الهدى النبوي
مجلة دينية علمية
العدد الأول
المجلد ٢٩
تصدرها
المحرم
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٠ صلاة المسافر . . . . . « للدكتور تقي الدين الهلالي
١٥ نظرات في التصوف . . . « الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٢٢ أيام مشهودة في سوهاج . . . . :. . .
٢٤ غربة الإسلام (محاضرة) للأستاذ الدكتور محمد خليل هراس
٣١ الإسلام دين الفطرة . . . . « محمد صالح سعدان
٣٨ حول صلاة ظهر الجمعة . . . « عبد الرحمن دهب
٣٩ يوم العروبة . . . . . . « عبد اللطيف حسين
٤٤ البحيرة الحمراء . . . . . للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا
٥٠ إن تنصروا الدين (قصيدة) . . . للأستاذ نجاتي عبد الرحمن

إلى السادة المشتركين

بمناسبة دخول السنة الهجرية الجديدة فإننا نذكر السادة المشتركين بأن يتفضلوا مشكورين بسداد قيم اشتراكاتهم عن السنة الجديدة .

كما أننا نرجو من السادة المتعهدين بأن يتفضلوا فيرسلوا إلينا ماتحت أيديهم من ذممات المجلة . ولهم شكرنا .

ترسل اشتراكات المجلة باسم ~~السيد سليمان محمود مدير المجلة~~

٨ شارع قوله بعابدين القاهرة

ملحوظة : تغير رقم تليفون المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

إلى ٩١٥٥٧٦

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز: ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشدي محمد

الاشتراك السنوى
قرش
٣٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ١ | المحرم سنة ١٣٨٤ | المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جلَّ ذكره : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ، فكانتْ لِمَسَاكِينَ يعملونَ فى البحْرِ ، فأردْتُ أَنْ أَعِيبَها ، وكان وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سفينةٍ غَصْبًا . وأمَّا الغُلامُ ، فكان أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْن ، فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وكُفْراً . فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا — الكهف : ٧٩ — ٨١ ﴾ .

معانى المفردات

« مساكين » : قال ابن الأثير عن أصل الكلمة : « وكلها يدور معناها على الخضوع والذلة وقلة المال والحال السيئة . والمسكين هو الذى لاشىء له ، أو هو الذى له بعض الشىء » .

« يعملون فى البحر » : قال الراغب : العمل : كل فعل يكون من الحيوان بقصدٍ ، فهو أخص من الفعل ؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التى يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب إلى الجمادات . والعمل يستعمل فى الأعمال الصالحة والسيئة .

« أعيبها » : قال الراغب : العيْب والعـاب : الأمر الذى يصير به الشى عيبةً أى مقراً للنقص ، وعبته جعلته معيباً إما بالفعل كما قال : فأردت أن أعيبها ، وإما بالقول، وذلك إذا ذممته .

« غصباً » : الغصب أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً .

« يرهقهما » رهقه الأمرُ غَشِيَه بقهر . يقال : رهِقه ، يرهقه أى غشيه ، وأرهقه : أى أغشاهُ إيَّاه .

« طغياناً » : أصل الطغيان تجاوز الحد المقبول ، وأكثر ما يقال عن تجاوز الحد فى الشر والمعصية ، وطغا فلانٌ تجبر وأسرف فى الظلم .

« زكاة » : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، وهى الطهارة والنماء والبركة والمدح .

« رُحْمًا » أصل الكلمة مأخوذ من رحم المرأة ، ثم استعير الرحم للقرابة ، لكونهم خارجين من الرحم الواحدة . والكلمة تدل على رقة وعطف ورأفة . والرُّحم والمرحمة بمعنى واحد . ويقول ابن الأثير : ذووا الرحم هم الأقارب . ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب .

« المعنى »

بلغت القصة غايتها ، وبدأ العبد الصالح يفسر لموسى الأمور التى بدت فى مقاييسه مخالفة لما يجب ، وينبغى أن يكون ، وقد بدأ بمسألة خرق السفينة ، وهى أول ما أنكره موسى ـ عليه السلام ـ على صاحبه . فأخبره أن هذه السفينة يملكها بعض المساكين[1]

---

(١) يزعم بعض المفسرين أنهم كانوا عشرة منهم خمسة زمنى ، وخمسة يؤجرونها ويكتسبون منها . ولا دليل يشهد لهذا التحديد ، ولكن قد يفيدنا جمع « مساكين » أنهم كانوا أكثر من عشرة ؛ لأنه جمع كثرة .

الذين يعملون فى البحر ، فيحملون الناس ومتاعهم بأجر يتعيشون به ، ولم يكن لهؤلاء المساكين حرفة أخرى . بدليل « يعملون فى البحر » وأن هناك ملكاً طاغياً[1] كان يجوب البحر ليغتصب السفن الصالحة ، أى يستولى عليها دون رضا أهلها ودون أن يعوضهم عنها .

وقد ذكر القرآنُ عن الملك أنه : « يأخذ كل سفينة غصباً » دون تقييد لها بأنها صالحة . . غير أن عمل العبد الصالح ، وقوله المذكور فى القرآن : « فأردت أن أعيبها » يحدد لنا المقصود ، وهو أن الملك كان لا يأخذ إلا السفينة الصالحة ، ولهذا أحدث العبد الصالح العيب للسفينة لكيلا يأخذها الملك الغاصب .

وفى قول العبد الصالح : « أردت أن أعيبها » إسنادُ الإرادة إلى نفسه ، مع أنه قال بعد ذلك ـ كما قص القرآن ـ : « وما فعلته عن أمرى » وهذا يكشف لك عن تأدب هذا العبد الصالح مع ربه ؛ إذ أسند إرادة العيب إلى نفسه دون أن يسندها إلى الله سبحانه . وهذا أدب تعرفه النبوة ، فقد قال إبراهيم ـ كما قص الله فى القرآن ـ : « وإذا مرضتُ ، فهو يشفين » فأسند المرض إلى نفسه ، والشفاء إلى الله تأدباً تعطر به النبوةُ أرواح المؤمنين « وكان وراءهم ملك » الواضح جداً من سياق الآية هو أن هذا الملك أو جنوده كانوا يركبون البحر لاغتصاب كل سفينة صالحة ، وأنهم كانوا خلف المساكين ، أى كانوا بحيث لم يبلغوا بعدُ مكان المساكين من البحر ، أعنى من ذلك كله أنه ليس لكلمة « وراء» سوى دلالتها الواضحة ، ولكنْ هناك رأى يقول : إن كلمة «وراء» يقصد بها معنى كلمة « أمام » ؛ إذ تقول لما بين يديك : هو ورائى ؛ لأنك من ورائه ، فأنت ملاقيه ، كما هو ملاقيك ، فصار إذ كان ملاقيك ، كأنه من ورائك وأنت أمامه .

وبهذا الفهم تختلف الصورة ؛ إذ يكون قصد العبد الصالح من إحداث العيب ، هو تعطيل أصحاب السفينة عن السير بها فى البحر ، كيلا يدركوا مكان الملك الغاصب

---

(١) قيل اسمه : هدد بن بدد والله أعلم .

الذى هو أمامهم ، وفى بعض الروايات : « فأردت إذا هى مرت به أن يدعها لعيبها ، فإذا جاوزوا أصلحوها » ولكننا نسأل : كيف تسير السفينة فى البحر ، وبها خرق يُغْرِق ؟ فموسى يقول : « لتغرق أهلها » وهذا يفيد أن الخرق الذى أحدثه العبد الصالح يؤدى إلى الغرق .

إن الذى يتبادر إلى الفهم دون تعقيد ، أو احتمال أو التواء هو أن الملك كان خلف المساكين ، وأن العبد الصالح أحدث العيب فى السفينة ؛ ليحمل الملك الغاصب إذا أدركهم على تركها ؛ لما فيها من خرق . فليس فى الآيات ما يحملنا على صرف لفظ كلمة « وراء » عن ظاهرها ، أو معناها الأصلى ، وبهذا التفسير الذى فسر به العبد الصالح سبب ما أحدثه فى السفينة تبين لموسى مدى الخطأ الذى وقع فيه باتهامه لرجل مؤمن تقى ، بأنه جاء بمنكر . فتطامنت نفسه ، وسكنت ، وأيقن أن العبد الصالح لم يقترف إمْراً ، وإنما فعل خيراً . وهكذا يؤكد واقع الإنسانية حتى ـ وهى فى قمتها السامقة ـ صدق قول الله سبحانه ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعلَ الله فيه خيراً كثيراً : النساء : ١٩ ﴾ وهى حقيقة تصدم غرور العقل البشرى وإعجابه الآثم بنفسه ، وتبدو قيمة هذه الصدمة فى تدبر طرفى المقابلة ، فالكره لا يقابله خير فقط ، وإنما يقابله خير كثير . وهذا معناه أن العقل قد يظن الشر فى أمرٍ هو فى حقيقته خير عظيم وفير . وأنه قد يحكم على الشىء بنقيضه ؟ ! .

ألم تر إلى موسى العظيم كيف حكم على الخير العظيم بأنه شر كبير ؟ ! .

« وأما الغلام ، فكان أبواه مؤمنين . . . » من قصة الغلام فى الآية نفهم أنه كان يطوى نفسه على دخَل وطبع لئيم ، وأنه كان يتفتح لأخس ما فى المدينة من آثام وشرور ، وأن أباه وأمه كانا مؤمنين . وإذا قابلنا بين قصة الغلام الذى نشأ فى بيت إيمان ، وبين قصة إبراهيم الذى نشأ فى بيت شرك ووثنية جاحدة ، تبين لنا خطأ أولئك الذين يظنون أن البيئة قدر غالب قاهر لا يمكن الانتصار عليه ، وأن الإنسان ابن بيئته الأولى[1] .

---

(١) أى يرث معتقداتها وأخلاقها وتقاليدها وأعرافها .

فهذا إبراهيم ــ عليه السلام ــ ينشأ فى بيت يجعل من الأحجار آلهة ! ومن الكواكب والنجوم أرباباً ، ومع ذلك يأبى ــ فى شبابه ــ إلا أن يوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفا . فمن علمه ؟ تدبر قصته تجد فطرة الله ألذى فطر الناس عليها ، وقد أبى إبراهيم أن تستعبدها التقاليد الموروثة ، وتستبد بها البيئة الخائنة ، وهذا محمد عليه الصلاة والسلام أيضاً ينشأ فى بيتٍ وبيئةٍ للصنم آصالُها وأسحارها وعشاياها وأبكارها ! ! ومع ذلك لم يسجد وجهه لصنم قط . وهذا الغلام ينشأ فى بيت إيمان ، ومع ذلك يخشى اللهُ على أبويه منه أن يحملهما على الطغيان والكفر .

وابن نوح ينشأ فى بيت واحد من أولى العزم من الرسل ، فلا تشده البيئة المنزلية ، ولكن يشده هوى آثم ، فيصير من الكافرين .

فأضرع إلى الله أن يسدد منا فطرنا ، وأن يهب لنا السداد والرشاد .

« نخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً » أسند الفعل إلى الله وإلى نفسه ، لأن الخشية هنا خير . وخشية العبد الصالح تناسب عبوديته ، وخشية الله تناسب ربوبيته ، فليست خشية العبد كخشية الرب ؛ لأن الصفة على قدر الموصوف . وقد خشيا أن يغشى الغلام أبويه المؤمنين بصفتين يمقتهما الله مقتاً شديداً . هما الطغيان والكفر ، وقد بين الله عاقبة الطاغين بقوله : ﴿ هذا ، وإنَّ للطَّاغينَ لَشَرَّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ، فبئسَ المِهادُ . هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيم وغَسَّاقٌ . وآخرُ من شَكْلِهِ أزواج ــ ص : ٥٥ ــ ٥٨ ﴾ ومصير الكفار معروف . هذا ؛ لأن الطغيان فيه قضاء على حرية الفرد وحرية الجماعة ، وحرية الأمة ، واستعلاء بالشهوة الفردية التى تقضى على قِيَم الأمة ، ومُقوِّماتها ، وقِيَمِ الخلقِ الفاضل ومُثُله العليا . واستعباد لمن فرض الله عليهم أن يكونوا لله وحده عباداً ، وخلقهم من أجل هذا أحراراً ، وقضاء على سعى الأمة فى سبيل رقيها وحضارتها ، وعلى النبوغ والعبقرية التى لا يترك لها الطغيان مجالاً لسعيٍ ، أو ظهور ، أو عمل بإرادة . ﴿ فأردنا أن يُبْدِلها ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحما ﴾ . أسند الإرادة هنا ــ بعكس الأمر فى عيب

السفينة ـ إلى الله وإلى نفسه ؛ لأنها إرادة خير ، ولأنه أحب أن يبين أنه يحب ما يريد الله سبحانه[١] . غير أنه نسب فعل . « يبدل » إلى الله وحده ؛ لأنه هو وحده القادر على هذا ، وفى ختام الآية ما يؤكد أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فقد أمر العبد الصالح بقتل الغلام ؛ ليعوض هذين الأبوين[٢] المؤمنين عن غلامهما نسلا آخر يكون أوضأ وأجمل ، وأزكى نفساً ، وأجل رحمة ! ! .

وفى الآية أيضاً تحذير للوالدين من أن يفتنهما حب الولد فيصرفهما عن طاعة الله وحبه سبحانه ، وتخويف لهما من هذه الفتنة الطاغية الضارية التى تتراءى فى شغوف من الحنان والعطف ! ، .

ولقد قال مطرف أو قتادة كلمة طيبة عن مسألة الغلام : « فرح به أبواه حين ولد ، وحزنًا عليه حين قتل ، ولو بقى لكان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى ؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره ، خير له من قضائه فيما يحب » .

أما ما يروى عن الكلبى وغيره من أن الله سبحانه أبدلهما جارية ، فتزوجها نبى ، فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة ، وما يروى عن جعفر من أن الله أبدلهما جارية وولدت سبعين نبياً ، أما هذا ، فلا سند له ، وإنما هو مخترعات تستهدف إرضاء تشوف النفس إلى الغيب والمجهول . حتى قول من قال : إن الله أبدلهما بغلام

---

(١) أو لأن التبديل يحدث بأمرين أولهما : إهلاك الغلام ، وهذا من العبد الصالح ، وآخرهما : الإتيان ببدل وهذا من الله وحده ، فجاء فأردنا لهذا .

(٢) هنا تغليب للذكور على الإناث ، فما قال « كان أماه » وإنما قال « أبواه » فما بال الذين يسوون بين الرجل والمرأة فى كل شىء ؟ ولا يدفع الفضل أن كلمة أب تقال على كل من كان سبباً فى إيجاد شىء أو إصلاحه أو ظهوره ، فإن كلمة أم أيضاً تقال بهذا المعنى فلم اختار كلمة أبوين بدلا من أمين ؟ .

مسلم ، وإن كان هذا له أثارةُ آصرة . الذى يجب أن نؤمن به ، هو أن الله أبدلها خيراً منه زكاة وأقرب رحما . والإبدال جعل شيء مكان آخر[١] ، وقد يقال للتغيير مطلقاً ، وإن لم يأت ببدل . ولـكن هنـا نفهم أنه حدث بدل ؛ لأن الغلام قُتِل ، فلا بد من بدل ؛ لأن من كان يمكن تغيير حاله قد هلك . وليس من شرط البدل أن يكون مثيلاً للأول فى كل شيء . وآمن موسى أن العبد الصالح لم يقترف جريمة ، وإنما قام بطاعة تحتاج إلى جهاد شاق للعاطفة البشرية . وأى عاطفة تلك التى يستثيرها فى نفسك غلام جميل وضيء يُراد منك قتله ؟ ! وقدَّم أيضاً بأمر الله خيراً عظيماً للوالدين .

هذا موقف الدين من فرد يعمل على إفساد فردين ، فما بالك بمن يعمل على إفساد أمة أو أمم وشعوب ؟ لقد حدد الله جزاءهم فى القرآن بأ يُقَتَّلوا ، أو يُصَلَّبوا ، أو تقطَّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض .

هذا موقف الدين من ابن يعمل على حمل والديه على الطغيان والـكفر ، فما بالك بمن ليس هو ابنا لك ، ويعمل على صرف ألوف الألوف عن هدى الله سبحانه إما بقوة غاشمة ، أو دعوة مارقة خاطئة افتراها الهوى ؛ ليصرف المسلمين عن القرآن .

ما بالك بالشيوخ الذى يهلـكون ألوفاً بما يفتون ، وبما يبيحون لهم من شرك وحرام ؟ .

ما بالك بهؤلاء الـكتاب الذين يكتبون ما يدمرون به أخلاق أُمَم ؟ .

إن فى أمتنا من هؤلاء كثير ، وهم عدو الله ، غير أنه يرتدى عمامة ، أو يمسك بمسبحة ، أو قلم يغمسه فى مداد الخطيئة . والله من ورائهم محيط .

﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا ﴾ .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) الإبدال أعم من العوض . لأن العوض هو أن يصير لك الثانى بإعطاء الأول .

الصبح السافر
فى حكم صـــلاة المسافر
— ٢ —

الفصل الثانى فى مسافة القصر

قال مؤلف هذه الرسالة : متى انفصل المسافر البدوى عن حيه ، أى مجموعة الخيام التى يسكنها قومه ، أو عن قريته وبساتينها المحيطة بها ، إن كان قروياً ، وعن مدينته إن كان من سكان المدن ، وإن كانت كبيرة كلندن ونيويورك ، متى انفصل على نية أن يسير ثلاثة أميال [الميل اثنا عشر ألف قدم ، وقيل ألف باع] صلى الرباعية ركعتين حتما ، وأفطر فى رمضان إن شاء ، ويسمى ذلك سفراً لغة وشرعاً .

قال ابن قدامة فى المغنى ج ٢ / ص ٢٥٦ / بعد ما ذكر اختلاف السلف فى مسافة القصر : وروى عن جماعة من السلف ما يدل على جواز القصر فى أقل من يوم ، فقال الأوزاعى ، كان أنس يقصر فيما بينه وبين خمسة فراسخ . وكان قبيصة بن ذؤيب وهانىء بن كلثوم وابن محيرز يقصرون فيما بين الرملة وبيت المقدس . وروى عن على أنه خرج من قصره بالكوفة حتى أتى النخيلة فصلى بها الظهر والعصر ركعتين ، ثم رجع من يومه فقال : أردت أن أعلمكم سننكم ، وعن جبير بن نفير قال : خرجت مع شرحبيل ابن السمط إلى قرية على رأس سبعة عشر ميلا ، أو ثمانية عشر ميلا فصلى ركعتين ، فقلت له[1] ، فقال ، رأيت عمر بن الخطاب يصلى بالحليفة ركعتين ، وقال ، إنما فعلت كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، رواه مسلم . وروى أن دحية الكلبى خرج من قرية من دمشق مرة إلى قدر ثلاثة أميال فى رمضان ، ثم أنه أفطر وأفطر معه أناس ، وكره آخرون أن يفطروا ، فلما رجع إلى قريته قال ، والله لقد رأيت اليوم أمراً ما كنت

---

(١) أى سألته عن ذلك — الهدى .

أظن أنى أراه ، إن قوماً رغبوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ذلك للذين صاموا ، رواه أبو داود . وروى سعيد ، حدثنا هاشم عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فرسخاً قصر الصلاة . وقال أنس ، كان رسول الله (ص) إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال ، أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين ، شعبة الشاك ، رواه مسلم وأبو داود . ثم قال ابن قدامة ج ٢ / ص ٢٦٧ / ولا أرى لما صار إليه الأئمة حجة ، لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة ولا حجة فيها مع الاختلاف . وقد روى عن ابن عباس وابن عمر ما احتج به أصحابنا . ثم لو لم يوجد ذلك لم يكن فى قولهم حجة مع قول النبى (ص) وفعله . وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذى ذكروه لوجهين : أحدهما أنه مخالف لسنة النبى (ص) التى رويناها ولظاهر القرآن ، لأن ظاهره إباحة القصر لمن ضرب فى الأرض لقوله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) . وقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلى بن أمية ، فبقى ظاهر الآية متناولا كل ضرب فى الأرض . وقول النبى (ص)« يمسح المسافر ثلاثة أيام » جاء لبيان أكثر مدة المسح . فلا يصح الاحتجاج به هاهنا ، وعلى أنه يمكنه قطع المسافة القصيرة فى ثلاثة أيام ، وقد سماه النبى (ص) سفراً ، فقال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم » والثانى أن التقدير بابه التوقيف ، فلا يجوز المصير إليه برأى مجرد . سيما وليس له أصل يرد إليه ولا نظير يقاس عليه ، والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر . انتهى .

وقد اختلف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فى مسافة القصر اختلافاً كثيراً ، أكثره يزيد على مائة وخمسين (١٥٠) ميلا ، وأقله ميل واحد . ولا نريد أن نطيل بذكر الأقوال المخالفة لما نختاره ، لذلك نقتصر على ذكر الأقوال التى توافق اختيارنا . وقد اختلفت الروايات عن مالك رحمه الله من ثمانية وأربعين ميلا إلى ثلاثة أميال . قال الإمام ابن حزم فى المحلى ج ٥ / ص ٥ / ناقلا عن إسماعيل القاضى صاحب

المبسوط عن مالك أنه رأى لأهل مكة خاصة أن يقصروا الصلاة إذا ساروا إلى منى ، وبينها وبين مكة أربعة أميال . وروى عنه ابن القاسم أنه قال فيمن خرج ثلاثة أميال — كالرعاة وغيرهم — فتأول فأفطر فى رمضان فلا شىء عليه إلا القضاء فقط . وروى ابن حزم بعده إلى عاصم بن عبد الله بن عمر أنه خرج معه إلى ذات النصب وهى على ثمانية عشر ميلا من المدينة فصلى ركعتين ، وروى أيضاً فى الجزء نفسه ، ص ٧ الخبر المتقدم عن النزال بن سبرة أن علياً خرج إلى النخيلة فصلى بها الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، ثم رجع من يومه وقال : أردت أن أعلمكم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم روى عن أنس بن سيرين قال : خرجت مع أنس بن مالك إلى أرضه ببذق سيرين — وهى على رأس خمسة فراسخ — فصلى بنا العصر فى سفينة ، وهى تجرى بنا فى دجلة قاعداً على بساط ركعتين ثم سلم ، ثم صلى بنا ركعتين ثم سلم .

قال تقى الدين الهلالى مؤلف هذه الرسالة : الفرسخ ثلاثة أميال ، وقد وجدت فى كلام السلف ما يدل على أن الميل ألف وخمسمائة متر (١٥٠٠) لأنهم نصوا على أن المسافة بين جدة ومكة أربعون ميلا ، وهى محصاة الآن ومعلومة فهى ستون كيلو متراً . تقطعها السيارة فى أقل من ساعة بدون استعجال . وكانت تقطعها الإبل فى الزمان الماضى فى ليلتين ، وهى محملة بالحجاج وأثقالهم . وكان يقطعها الحمار الفاره فى أقل من ليلة ، يبدأ سيره بعد العشاء فيصبح فى مكة . وهذه المسافة من المسافات المنصوص عليها ، أنها مسافة القصر عند المالكية والشافعية ومن وافقهم كالليث بن سعد وغيره ، مع أنهم حدوها بثمانية وأربعين ميلا ، وليس فيها إلا أربعون ميلا كما علمت .

وقال صاحب فتح العلام فى شرح بلوغ المرام ، وهذا الشرح نسخة من سبل السلام للامام محمد بن إسماعيل الصنعانى تقريباً تحت حديث أنس ؛ قال ، كان رسول الله (ص) إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ صلى ركعتين رواه مسلم . المراد من قوله إذا خرج ، إذا كان قصد مسافة هذا القدر ، لا أن المراد أنه كان إذا أراد سفراً طويلا فلا يقصر إلا

بعد هذه المسافة ، وقوله أميال أو فراسخ شك من الراوى ، وليس التغيير فى أصل الحديث . قال الخطابى : شك فيه شعبة . قيل فى حد الميل أن ينظر إلى الشخص فى أرض مستوية فلا يدرى أهو رجل أو امرأة أو غير ذلك . وقال النووى : هو ستة آلاف ذراع ، والذراع أربعة وعشرون اصبعا معترضة متعادلة . والاصبع ست شعيرات معترضة متعادلة . وقيل هو اثنا عشر ألف قدم بقدم الإنسان ، وقيل هو أربعة آلاف ، ذراع ، وقيل ألف خطوة للجمل ، وقيل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمى ، وهو اثنان وثلاثون إصبعا ، وهو الذراع العمرى المعمول عليه فى صنعاء وبلادها . وأما الفرسخ ، فهو ثلاثة أميال ، وهو فارسى معرب . واعلم أنه قد اختلف العلماء فى المسافة التى تقصر فيها الصلاة على نحو عشرين قولا ، حكاه ابن المنذر . فذهبت الظاهرية إلى العمل بهذا الحديث ، فقالوا : مسافة القصر ثلاثة أميال ، وأجيب عليهم بأنه مشكوك فيه فلا يحتج به على التحديد بالثلاثة الأميال . نعم يحتج به على التحديد بالثلاثة الفراسخ ، إذ الأميال داخلة فيها ، فيؤخذ بالأكثر احتياطاً . نعم يصح الاحتجاج للظاهرية بما أخرجه سعيد بن منصور من حديث أبى سعيد أنه قال ، كان رسول الله (ص) إذا سافر فرسخاً يقصر الصلاة . وقد عرفت أن الفرسخ ثلاثة أميال . وأقل ما قيل فى مسافة القصر ما أخرجه ابن أبى شيبة من حديث ابن عمر موقوفا أنه كان يقول : إذا خرجت ميلا قصرت الصلاة . وإسناده صحيح . وقد روى هذا فى البحر عن داوود . ويلحق بهذين القولين قول الباقر والصادق وغيرهما ، أنه يقصر فى مسافة بريد فصاعداً ، مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة مرفوعا « لا يحل لامرأة تسافر بريداً إلا ومعها محرم » أخرجه أبو داوود . وقالوا : فسمى مسافة البريد سفراً . قلت ، ولا يخفى أنه لا دليل على أنه لا يسمى أقل من هذه المسافة سفراً ، وإنما هذا التحديد للسفر الذى يجب فيه المحرم . ولا تلازم بين مسافة القصر وبين مسافة وجوب المحرم لجواز التوسعة فى إيجاب المحرم تخفيفاً على العباد . وقال ابن القيم فى زاد المعاد ج ١ / ص ١٣٣ / ولم يحد صلى الله عليه وسلم لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر ، بل أطلق لهم ذلك فى مطلق السفر والضرب فى

الأرض ، كما أطلق لهم التيمم فى كل سفر . وأما ما يروى عنه من التحديد باليوم أو اليومين أو الثلاثة ، فلم يصح عنه منها شيء البتة ، والله أعلم .

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فى الفتاوى فى الاختيارات العلمية ص ٤٣ / وتقصر الصلاة فى كل ما يسمى سفراً ، سواء قل أو كثر ، ولا يقدر عده ، وهو مذهب الظاهرية ، ونصره صاحب المغنى فيه ، وسواء كان مباحاً أو محرماً ونصره ابن عقيل فى موضع . وقاله بعض المتأخرين من أصحاب أحمد والشافعى ، وسواء نوى إقامة أكثر من أربعة أيام أو لا . وروى هذا عن جماعة من الصحابة . وقرر أبو العباس قاعدة نافعة ، وهى ما أطلقه الشارع بعمل يطلق مسماه ، ووجوده ، ولم يجز تقديره وتحديده بمدة .

قال مؤلف هذه الرسالة : توضيح ذلك ، أن ما شرعه الله ورسوله مطلقاً لا يجوز تقييده إلا بنص من الوحى صريح ، لأن التقييد شرع ، والشرع خاص بالله تعالى ، وتبليغه خاص بالنبى (ص) ، وقد أطلق الله ورسوله القصر فى صلاة السفر ولم يقيد مسافته ولا نهايته بإقامة طارئة فى أثنائه ، فلا يجوز لأحد أن يقيد ذلك برأيه ولا برأى غيره . وقال القنوجى فى شرح الدرر البهية للشوكانى ما نصه : وإيجاب القصر على من خرج من بلده قاصداً للسفر ، وإن كان دون بريد . ووجهه أن الله تعالى قال : (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) والضرب فى الأرض يصدق على كل ضرب ، لكنه خرج الضرب ، أى المشى لغير السفر لما كان يقع منه صلى الله عليه وسلم من الخروج إلى بقيع الغرقد ونحوه ، ولا يقصر . ولم يأت فى تعين قدر السفر الذى يقصر فيه المسافر شيء . فوجب الرجوع إلى ما يسمى سفراً لغة وشرعاً . ومن خرج من بلده قاصداً إلى محل يعد فى مسيره إليه مسافراً قصر الصلاة ، وإن كان ذلك المحل دون البريد . ولم يأت من اعتبر البريد واليوم واليومين والثلاثة وما زاد على ذلك بحجة نيرة . وغاية ما جاءوا به حديث « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثة أيام بغير ذى محرم . » وفى رواية ، يوما وليلة . وفى رواية ، بريدا . وليس فى هذا الحديث ذكر القصر ولا هو فى سياقه . والاحتجاج به مجرد تخمين .

يتبع

الدكتور تقى الدين الهلالى

نظرات في التصوف

(٣١)

« التوحيد فى القرآن »

نقلت لك رأى التصوف فى التوحيد عن كبار طواغيت الصوفية الذين يوصفون بأنهم أرباب التصوف العملى المعتدل ، ولم ننقل عن أمثال ابن عربى وابن الفارض فهؤلاء ـ إذا أمد الله لنا فى الأجل ـ لهم مكان آخر . وكان أهم صوفى نقلت عنه هو أبو حامد الغزالى .

ويحسن أن نقارن بين ما يكتبه الصوفية عن التوحيد ، وبين ما يكتبه الذين يأخذ القرآن بقلوبهم . وإليك ما كتبه ابن القيم عن التوحيد[1] : « التوحيد نوعان : نوع فى العلم والاعتقاد ، ونوع فى الإرادة والقصد . ويسمى الأول : التوحيد العلمى ، والثانى : التوحيد القصدى الإرادى . لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثانى : بالقصد والإرادة ، وهذا الثانى أيضاً نوعان : توحيد فى الربوبية ، وتوحيد فى الإلهية . فأما توحيد العلم ، فمداره على إثبات صفات الكمال ، وعلى نفى التشبيه والمثال ، والتنزيه عن العيوب والنقائص » ويقول أستاذه ابن تيمية : « ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شىء إلا ما يناسب المخلوق . فقد ضل فى عقله ودينه . والعلم بكيفية الصفة مسبوق بالعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته ؟ وإنما نعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى . . . وهذه الروح التى فى بنى آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها . أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام فى كيفية الله تعالى ؟ » .

---

(١) اخترته هو وأستاذه ابن تيمية ؛ لأنهما فى الطرف المقابل للتصوف .

ثم يتكلم عن سبيل المؤمنين فى الإيمان بصفات الله ، فيقول : « الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التى وصف بها نفسه ، وسمى بها نفسه فى كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله ، من غير زيادة عليها ، ولا نقص منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ، ولا سمات المحدثين بل أَمَرُّوها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها » .

ويتكلم تلميذه ابن القيم عن وجوب الإيمان بأن لأسماء الله معانى يجب الإيمان بها ، فيقول : « إن أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهى مشتقة من الصفات ، فهى أسماء وأوصاف وبذلك كانت حسنى ، إذ لو كانت ألفاظاً لا معانى فيها لم تكن حسنى ، ولا كانت دالة على مدح ، ولا كمال . ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب فى مقام الرحمة ، وبالعكس ، ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ، ويوصف بها ، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها ، وأثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله كقوله تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ٥١ : ٥٨) فعلم أن القوى من أسمائه ، ومعناه الموصوف بالقوة ، وكذلك قوله : (فلله العزة جميعا ٣٥ : ١٠) فالعزيز من له العزة ، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قوياً ، ولا عزيزاً . وأيضاً لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسنح أن يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال : يسمع ويرى ويعلم ويقدر ، ويريد ، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها . وأيضاً لو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف ، لكانت جامدة كالأعلام المحضة التى لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها ، وهذا مكابرة صريحة ، وبهت بيّن فإن من جعل اسم القدير هو معنى اسم السميع . فقد كابر العقل واللغة والفطرة . فنفى معانى أسمائه من أعظم الإلحاد فيها . . . فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب ، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة . ويقول عن صفات الله : « وصفات الجلال والجمال أخصّ باسم الله » ، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر

والنفع والعطاء والمنع وتفرد المشيئة ، وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب .

وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم الرحمن .

وصفات العدل والقبض والبسط والخفض والرفع والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال والقهر والحكم ونحوها أخص باسم الملك »

ويتكلم عن توحيد القصد والطلب فيقول : « مثل ما تضمنته سورة (قل : يا أيها الكافرون) وقوله : (قل يأهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألَّا نَعْبُدَ إلَّا اللهَ ، ولا نشركَ به شيئاً ، ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون اللهِ ، فإن تَوَلَّوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون ٣ : ٦٤) وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها ، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها . بل نقول قولا كليا : إن كل آية فى القرآن فهى متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو التوحيد العلمى الخبرى ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يُعتبر من دونه ، فهو التوحيد الإرادى الطلبى ، وإما أمرٌ ونهىٌ وإلزام بطاعته فى نهيه وأمره ، فهى حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم فى الدنيا ، وما يكرمهم به فى الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فُعِل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العُقبى من العذاب ، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله فى التوحيد[1] وحقوقه وجزائه ، وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم » .

ويقول أستاذه ابن تيمية : « والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان : أحدهما ألا يُعْبَد إلا الله . والثانى ألا يعبده إلا بما أمر وشرع ، لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ١٨ : ١١٠)

---

(١) قارن بين هذا وبين زعم الغزالى ، وهو أن حقيقة التوحيد أمر كشفى لا ينال بالقرآن !!

فالعمل الصالح هو الإحسان ، وهو فعل الحسنات ، والحسنات هى ما احبه الله ورسوله ، وهو ما أَمَرَ به أَمْرَ إيجاب أو استحباب ، فما كان من البدع فى الدين التى ليست فى الكتاب ، ولا فى صحيح السنة ، فإنها — وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل — ليست مشروعة ، فإن الله لا يحبها ولا رسوله . وأما قوله : ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » فهو إخلاص الدين لله وحده » .

ويقول — رضى الله عنه — باسطاً هـذه الحقائق الرائعات العاليات : « والدين الإسلامى مبنى على أصلين ، على أن يُعْبَد الله وحده ، ولا يشرك به شىء ، وعلى أن يعبَد بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . وهذان هما حقيقة قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمـداً عبده ورسوله ، فالإله هو الذى تألهه القلوب عبادةً واستعانةً ومحبة وتعظيما وخوفا ورجاء وإجلالا وإكراماً : والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره ، فلا يعبد إلا الله ، ولا يدعى إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يطاع إلا الله . والرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله وتحريمه ، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه . والرسول صلى الله عليه وسلم واسطة بين الله وخلقه فى تبليغ أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وتحليله وتحريمه وسائر ما بلغه من كلامه وأما فى إجابة الدعاء ، وكشف البلاء ، والهداية والإغناء ، فالله تعالى هو الذى يسمع كلامهم ويرى مكانهم ، ويعلم سرهم ونجواهم وهو سبحانه قادر على إنزال النعم ، وإزالة الضر والسقم ، من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده ، أو يعينه على قضاء حوائجهم ، والأسباب التى بها يحصل . ذلك هو خلقها وسيرها ، فهو مسبب الأسباب ، فهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) فأهل السموات يسألونه وأهل الأرض يسألونه وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا عن سمع كلام هذا ، ولا يغلطه اختلاف أصواتهم ولغاتهم ، بل يسمع ضجيج الأصوات ، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، بل يحب الإلحاح فى الدعاء . . . وهو سبحانه فوق سماواته على عرشه

بائن من خلقه ، ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته ، ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته ، وهو سبحانه غنى عن العرش ، وعن سائر المخلوقات ، لا يفتقر إلى شىء من مخلوقاته بل هو الحامل بقدرته العرش وحملة العرش » .

دعاء الرسول وغيره من دون الله : ثم يقول — رحمه الله —

« وأما دعاء الرسول وطلب الحوائج منه وطلب شفاعته عند قبره أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف ، ومعلوم أنه لو كان قصد الدعاء عند القبر مشروعاً لفعله الصحابة والتابعون ، وكذلك السؤال به ، فكيف بدعائه وسؤاله بعد موته ؟ فدل ذلك على أن فى الحكاية المنقطعة من قوله « استقبله واستشفع به » كذب على مالك مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التى يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء إذ كان منهم من لم يستقبل القبر للدعاء نفسه فضلا على أن يستقبله ويستشفع به يقول له : يا رسول الله اشفع لى أو ادع لى ، أو يشتكى إليه المصائب فى الدين والدنيا أو يطلب منه أو من غيره من الموتى من الأنبياء أو الصالحين أو من الملائكة الذين لا يراهم ، أن يشفعوا له ، أو يشتكى إليهم المصائب ، فإن هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة ، ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان » .

السفر لزيارة القبور : ثم يقول رحمه الله ناصحاً مخلصاً : « وأما السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فلا يجب بالنذر عند أحد منهم[1] ، لأنه ليس بطاعة ، وهذا مالك : كره أن يقول الرجل : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعظمه ؛ لأن لفظ زيارة القبر مجمل يدخل فيها الزيارة البدعية التى هى من جنس الشرك ، فإن زيارة قبور الأنبياء ، وسائر المؤمنين على وجهين : زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية يقصد بها السلام عليهم ، والدعاء لهم كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات ، فيصلى عليه

---

(١) يعنى أئمة المذاهب .

صلاة الجنازة ، فهذه الزيارة الشرعية ، والثانى أن يزورها كزيارة المشركين ، وأهل البدع لدعاء الموتى وطلب الحاجات منهم ، أو لاعتقاده أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء فى المساجد والبيوت ، أو أن الإقسام على الله وسؤاله سبحانه بهم أمر مشروع يقتضى إجابة الدعاء ، فمثل هـذه الزيارة بدعة منهى عنها » ص ٦٧ ثم يقول : « فمن قصد قبور الأنبياء والصالحين لأجل الصلاة والدعاء عندها ، فقد قصد نفس الحرام الذى سد الله ورسوله ذريعته » .

الاستغاثة بالمخلوق :

ثم يقول : « ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشـايخ الغائبين ولا الميتين ، مثل أن يقول : يا سيدى فلاناً أغثنى وانصرنى وارفع عنى ، أو أنا فى حسبك . ونحو ذلك ، بل هذا من الشرك الذى حرم الله ورسوله ، فتعليمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم ويغريهم كما يضل الأصنام ويغريهم » .

الوسـيلة الشرعية :

ويقول عن الوسيلة « والوسيلة التى أمرنا الله أن نبتغيها إليه هى التقرب إلى الله بطاعته ، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله ، وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبى صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وطاعته ، وهـذا التوسل فرض على كل أحد » .

إنك تشعر — وأنت تقرأ هذا الـكلام — بصدق الإيمان ، والتقوى ، وهيمنتهما على روحى الـكاتبين ، وقلميهما . تشعر بروح إسلامية نورانية صافية ترف من كل كلمة . تشعر أن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يتـكلمان عن الله . لا عن إله صنعه التصوف من شتى نفايات إلحاد وزندقة . وقارن بين ما كتبا وبين ما كتب الغزالى ، فستشعر تماماً أنك مع الإمامين تسمع كلمة الإسلام من مسلم ، وأنك مع الغزالى تسمع كلمة التصوف من

موبذان !! فكل ما قاله الإمامان الجليلان[1] مؤيد بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، وما شذت حقيقة واحدة كتباها عن هذه القاعدة .

أما الغزالى فزمزمات ، لا يبش لها قلب مسلم ، ولا يحنو عليها سمع مسلم ، ولا تصادق حقاً من الكتاب والسنة ، وحين يصل الغزالى إلى حيث يضج نعيق المروق تراه يحاول أن يصرفك عن نقده والصراخ فى وجهك بقوله مثلا : وهذه أسرار ملكوتية ممتزجة بجبروتية ، أو هى أسرار ربوبية ، والسر يُطوى ولا يُروى ، لأن إفشاء سر الربوبية كفر ! !

ومعاذ الله رب العالمين ؟

« للنظرات — إن شاء الله بقايا »　　　　عبد الرحمن الوكيل

(١) النصوص على التوالى من : مدارج السالكين جـ ١ ص ٠٠ وعن العقيدة الحموية ، وطبعاتها كثيرة وعن ص ٢ نقض المنطق و ص ٣ جـ ٢ مدارج السالكين ، ص ٣٣ جـ ١ مدارج ، ص ٤٢٩ جـ ٣ مدارج ، وعن ص٥٠ العبودية ، وعن التوسل والوسيلة ص١٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ص ١٤٩ ، ٧٥

تحيـــة إلى « كلاى »

الزنجى المسلم

تحت هذا العنوان أرسل إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ عمرو محمد حسن التندى ، إمام وخطيب المسجد المجيدى بملوى قصيدة عامرة الأبيات ضمنها رأيه فى إسلام « كلاى » بطل العالم فى الملاكمة ، وانحى باللائمة على التميز العنصرى وما يأتيه الأمريكيون وغيرهم فى هذا الشأن ، وبين ما امتاز به الإسلام فى عدم التفرقة بين الناس وأنه لا فضل لأسود على أبيض إلا بالتقوى .

والقصيدة فى قرابة خمسين بيتاً سننشرها إن شاء الله فى العدد القادم .

أيام مشهودة في سوهاج

قام فضيلة النائب العام لرئيس جماعة السنة المحمدية الدكتور محمد خليل هراس ، ومعه رفقة كريمة من إخوانه أعضاء أنصار السنة فرع طنطا ، بزيارة لإخوانهم فى سوهاج . تلبية لدعوة كريمة،ورغبة فى إنماء روح التعارف بين العاملين فى حقل دعوة التوحيد والسنة .

وما إن وصل بهم القطار إلى محطة سوهاج فى الصباح الباكر من يوم الأربعاء ـ ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٨٣ الموافق ٢٩ من إبريل سنة ١٩٦٤ ـ حتى وجدوا جماً غفيراً من إخوانهم قد خفوا لاستقبالهم على المحطة ، وعلى رأسهم الشاب المخلص والداعية المجاهد الأستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش نائب رئيس فرع سوهاج ومأمور الشهر العقارى بالمحافظة . وما أن التقت الأعين حتى هرع كل أخ إلى أخيه فى شوق المؤمن يتبادلون التحيات الحارة الصادرة عن قلوب برأها الله من عصبية الجاهلية وملأها سكينة وإيماناً ، فكانوا كما قال الله عز وجل (أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقد ساروا جميعاً فى موكب مهيب إلى دار الأخ الكريم الأستاذ مصطفى درويش حيث لحق بهم كل إخوانهم ممن فاتتهم فرصة الاستقبال على المحطة . وكان صاحب الدار قد أعد لإخوانه نزلاً كريماً وهيأ لهم من أسباب الراحة ما جعلهم ينسون مشقة الطريق .

وفى مساء هذا اليوم ذهبوا إلى المسجد الجامع لفرع سوهاج الذى أنشىء فى عهد فضيلة الرئيس السابق الشيخ أبى الوفاء رحمه الله ، وهو مسجد فخم يمتاز بحسن موقعه على النيل ، وقد ألحق به مكتبة عامرة ودار لعلاج المرضى بأجر رمزى .

وقد تقدم فضيلة الدكتور هراس فصلى بالحاضرين صلاة المغرب ثم ابتدأ فى إلقاء درس دينى حافل شرح فيه الآيات الكريمة من سورة الأنفال من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون إلى قوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) .

ثم خرجوا جميعاً بعد صلاة العشاء إلى مكتب الأستاذ ضياء نجل فضيلة الشيخ أبى الوفاء درويش لزياته ، فكان مثال الوفاء وعنوان الأدب ، وما ترك أحداً من ضيوفه إلاعانقه وقبله . وجلس الجميع بين أسئلة تلقى ومناقشات تدور فى جو من الأخوة الصادقة . ثم ودع المزور الكريم إخوانه بمثل ما استقبلهم به . وهذه خلال غرسها فيه والده الكبير رحمه الله .

وفى اليوم التالى تناول الدكتور هراس ورفقاؤه طعام الغداء فى بيت أحد شباب الفرع النابهين . وبعد صلاة العصر فى مسجد الغرابلى ، وهو أحد مساجد الجماعة ، ذهبوا لزيارة مؤسسة الأحداث التى أنشأها وبذل فيها كل جهد مشكور فضيلة الرئيس السابق الشيخ أبو الوفاء ، ثم شاء الله أن تفتح بعد موته . وقد تفقد الضيوف المؤسسة ودخلوا عنابرها وشاهدوا دقة النظام فيها وما أعده الأخ مصطفى من ألوان الرعاية لهؤلاء الأحداث حتى ينشأوا نشأة سوية تقيهم من الانحراف وتؤمنهم على مستقبلهم .

وبعد صلاة العشاء كان قد حان موعد إلقاء المحاضرة العامة التى دعا إليها الفرع أهل مدينة سوهاج جميعاً ، وكان فناء المؤسسة قد غص بالحاضرين . فتقدم فضيلة الدكتور هراس وألقى محاضرة ضافية عن غربة الإسلام ، جمع فيها كل العناصر التى قامت عليها دعوة الإسلام الأولى ، ثم بين ما شابها بعد ذلك وعكر صفوها من الأهواء الجامحة والآراء المنحرفة ، وما دخلها من ألوان البدع والمحدثات . وما إن فرغ الدكتور من إلقاء محاضرته التى قوبلت ببالغ الإعجاب والتقدير ، نهض أحد علماء فرع سوهاج « الشيخ عبد الرحيم الخطيب » فعقب بكلمة ثناء راجياً نشر المحاضرة على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء .

وفى يوم الجمعة خرج الدكتور وإخوانه إلى المسجد الجامع حيث ألقى خطبة الجمعة فى تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وبعد الفراغ من الصلاة ذهب الجميع لتناول طعام

الغداء فى منزل الأخ الكريم الشيخ عبد الرحيم . وقد استمع الدكتور هراس إلى رغبات إخوانه من شباب أنصار السنة بسوهاج ، وهى تدور حول النهوض بالمجلة وإفساح صدرها لما يرد إليها من كتابات الفروع ، والعمل على كثرة تبادل الزيارات بين الفروع ، وبذل الجهد فى نشر كتب فضيلة الشيخ أبى الوفاء التى لا تزال فى مسوداتها حتى لا تضيع وتندثر . فوعدهم بتحقيق ذلك كله جهد الطاقة ، وحملوه تحياتهم إلى إخوانهم بالمركز العام . ثم ودعوه ورفاقه بأكثر مما استقبلوهم به من مظاهر الأخوة الإيمانية التى تفوق كل تعبير .

وهذه هى المحاضرة :

غربة الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد : فمحاضرتنا الليلة عن موضوع من موضوعات الساعة وهو (غربة الإسلام) :

أيها الإخوة الكرام

إن الكلام عن غربة الإسلام فى هذا العصر بين بنيه وأهله والمنسوبين زوراً إليه ، يتطلب منا أولا أن نعرف الإسلام فى صورته الأولى التى نزل بها من عند الله ، وأن نتبين القسمات والملامح المميزة لتلك الصورة . وذلك بأن نقف على جملة الحقائق الأصيلة المقومة لهذا الدين قبل أن يطرأ عليها هذا الركام الهائل من البدع والمحدثات الدخيلة ، ثم نقارن بينها وبين تلك الصورة الشوهاء المخلوطة التى يحسبها كثيراً من المسلمين أنها هى الدين ، لنرى إلى أى حد بلغ بالمسلمين الجهل بأصول دينهم وحقائقه الأولى ، وإلى أى مدى وصل المسخ والتشويه لصورته الأولى التى نزل بها حتى انعدمت أو كادت الصلة بين الصورتين فى نظر المقارن الحصيف .

ولا بد لكى نرسم للإسلام صورة حقيقية مطابقة للأصل أو على الأقل مقاربة له ، أن نرجع إلى المنبع الأصلى لهذا الدين ، وهو الوحى السماوى الذى يتمثل فى الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة . إذ أن كل فهم صحيح للإسلام يجب أن يقوم على الاستضاءة بذينك النورين وحدهما ، والاستقاء من نبعهما الصافى ، وإلا تشعبت بنا السبل والتوت علينا المسالك وضللنا فى متاهات الأهواء والآراء .

ولا بد كذلك لكى يكون استمدادنا من الكتاب والسنة قائماً على نهج سوى أن نعلم أن الوحى بقسميه من كتاب وسنة قد نزل بلسان عربى مبين ، لا مجال فيه لتعمية أو إلغاز ولا محل لاستعارة أو مجاز فيجب أن تصان نصوصه عن العبث وأن تفسر ألفاظها بمعانيها التى تدل عليها بحسب الوضع اللغوى لها . فلا نحرف كلمها عن مواضعه ، ولا نستكره ألفاظها للدلالة على معان بعيدة لم توضع فى الأصل لها ، ولا نتكلف تأويلها بما يصرفها عن معانيها المقصودة منها ، وإلا كان ذلك تلاعباً بالنصوص وتحكيماً للهوى فى دين الله ، وفتحا لباب فتنة كبرى تأتى على الدين من قواعده ، حيث يعمد كل مبتدع وملحد إلى كل آية أو حديث لا يوافق مذهبه وهواه فيصرفها بالتأويل إلى ما يعتقده هو .

وهذا فى نظرنا أمر جوهرى فإنه ما فرق الأمة فى الماضى بل والحاضر وجعلها شيعاً حتى بلغت نيفاً وسبعين فرقة ، إلا فتح باب التأويل للنصوص الصريحة الواضحة وتفسيرها بالميول الزائغة والنحل الفاسدة .

وهو فى نظرنا أيضاً محط الخلاف بين أهل السنة وأهل البدعة ، فإن الأولين وقفوا عند حدود الوحى المنزل وفهموه كما ينبغى أن يفهم ، فلم يسموه تأويلا ولا أوسعوه تحريفاً وإبطالاً . وأما الآخرون فجعلوه على ما استقر فى عقولهم من معتقدات فاسدة لما وجدوا ظواهره لا توافق هذه المعتقدات ، بل زعموا وبئس ما زعموا ، أن ظواهر هذه النصوص محال ، وحكموا بأن ظاهر القرآن والسنة ضلال .

ونرجع بعد هذه المقدمة إلى ما نحن بسبيله من رسم صورة صادقة للإسلام ثم بيان

ما طرأ على هذه الصورة من زيادات وإضافات وتحريف وتبديل أدى إلى مسخها وتشويهها فنقول :

إن الدين الإسلامى الذى بعث الله به عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ليهدى به البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور بإذن ربهـا ، يقوم أساساً على هذه القواعد الآتية :

القاعدة الأولى : التوحيد المطلق الكامل لله ، الذى يشمل توحيد الربوبيـة وهو اعتقاد أنه سبحانه هو رب كل شىء وخالقه ومليكه ، فالملك كله بيده وهو المتصرف فى خلقه كما يشاء ، يدبر أمورهم بحكمته ، وكلهم مقهورن فى قبضته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الخلق والأمر ، وبيده الضر والنفع ويحكم لا معقب لحكمه ويقضى لا راد لقضائه . ولا يستطيع أحد من الخلق أن يرده عن إرداته ولا أن يكرهه على خلاف ما يريد ، ولا أن يفسخ ما أمضاه ، ولا أن يحل ما أبرمه . فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، ومن ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له ، و (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وأن كل ما يجرى فى الكون من شئون وأحداث قد سبق به الكتاب وجرى القلم ، فما أصاب أحداً لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

ويشمل توحيد الإلهية وهى أن العبادة كلها لا تنبغى إلا الله ، فهى حقه الواجب له على العباد . فلا يجوز أن يجعل له ند من خلقه يكون مستحقاً للعبادة معه ، بل يجب أن تخلص له العبادات كلها ، عبادة القلب : من المحبة والتعظيم والخوف والرجاء والذل والخضوع والرغبة والرهبة والتقوى والخشية والتوكل والاستعانة والتوبة والإنابة والصبر والشكر والتسليم والرضى . وعبادة اللسان : من الذكر بكل أنواعه تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً وتكبيراً وتلاوة قرآن ، ومن التسمية والاستعاذة والدعاء والنداء والاستغاثة والحلف . وعبادة الأبدان : من الصلاة والصيام والحج والجهاد وغيرها ، وعبادة الأموال من الصدقات والنذور ، والكفارات : الذبح والنذر وأنواع البر المختلفة التى ندب إليها الشرع . فهذه كلها

وغيرها عبادات لا يجوز لأحد أن يتقرب بها إلا إلى المعبود الحق، وهو الله عز وجل . فمن فعل شيئاً منها لأحد من الخلق أياً كان فقد وقع فى الشرك الأكبر الذى لا يغفر ، وقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

ويشمل كذلك توحيد الأسماء والصفات الذى يقوم على إثبات كل ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . فنثبت له سبحانه ما أثبت من الأسماء والصفات ، وننفى عنه مشابهة المخلوقات . فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التى لا تنبغى إلا له ، والتى لا يشبهه فيها أحد من خلقه ، إذ ليس كمثله شىء ، ولا ينبغى أن يعول فى هذا الباب إلا على الكتاب والسنة وحدهما ، فلا نتحاشى إثبات كل صفة ورد بها النص الصريح من الكتاب والسنة مع تنزيهه سبحانه عن مماثلة المخلوقين ، فنثبت له الوجه والعين واليد والاستواء والنزول والمجىء والإتيان والنداء والتكليم والسمع والبصر والرحمة والغضب والرضى والسخط والمحبة والكراهية . ولا ننفى عنه إلا ما نفاه هو عن نفسه من العجز والسفه والجهل والظلم والجور والضلال والنسيان والبخل والفقر والسِّنة والنوم والموت والفناء إلخ .

القاعدة الثانية : أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله لهذه الأمة ، المبلغ عنه أمره ونهيه ، وأنه خاتم النبيين لا نبى بعده . وأن كل من ادعى النبوة بعده قد ظهر كذبه وافتضح أمره ، وأنه هو وحده المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ولا يكذب على الله عز وجل ولا يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه . ومن سواه يجوز أن يخطىء ويصيب ويجوز عليه الكذب والكتمان ، فليس لأحد أن يعدل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أحد ولا أن يعارض قوله بقول أحد ، ولا أن يخالف عن أمره أو يقدم بين يديه برأى أو حكم ، بل يجب على كل مسلم أن يتبعه ظاهراً وباطناً ، وأن يأخذ عنه دينه كله ، عقيدته وعمله ، فيصدقه فى كل ما أخبر عنه من شئون الغيب التى لا سبيل إلى العلم بها إلا من جهته ، ويطيعه فى كل ما أمر به معتقداً أن الرشد كله والهدى والفلاح

فى امتثال أمره ، ويجتنب كل ما نهى عنه من الفواحش والمنكرات وسوء الأعمال ورذائل الأخلاق . فليس للخلق وسيلة إلى الله عز وجل توصلهم إليه وتنجيهم من عذابه وتقربهم إليه زلفى ، إلا اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به ، كما قال تعالى (فالذين آمنوا به وعزّروه ونصره واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) والطرق كلها إلى الله مسدودة على الخلق إلا طريق من اقتفى أثره واتبع هداه ، فهى وحدها الطريق الموصلة إلى الله .

وينبغى أن يعلم مع ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر من الناس ليس إلهاً ولا ابن إله ، وأنه كان يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وينكح النساء وتصيبه الأمراض والجراحات ، وتنزل به الهموم والأحزان .

وأنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، كما قال من سورة الأنعام (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى مَلَك ، إن أتبع إلا ما يوحي إلى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) ؟

وكما قال من سورة الأعراف (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ناصحاً لأمته (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وقال « لا تتخذوا قبرى عيداً وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى) . وروى مالك فى الموطأ عنه أنه قال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وصح عنه أنه قال لابنته فاطمة وهى أحب الناس إليه « اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

وأنه لا يجوز لأحد أن يطلب منه شيئاً بعد موته ، أو أن يستقبل قبره الشريف فى صلاة أو دعاء بل للتسليم فقط ، وأن الصحابة رضى الله عنهم وهم أعرف الناس بقدره وأشدهم له تعظيماً ومحبة ، لم يكونوا يجيئون عند قبره فيشكون إليه أحوالهم أو يسألون أن يدعو الله لهم ليكشف ما نزل بهم ، بل لما قحطوا عام الرمادة وأرادوا السقيا قدموا عمه العباس بن عبد المطلب ليستسقى لهم .

وأما شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الآخرة فهى حق ثابت بالأحاديث الصحيحة ، وله شفاعات متعددة فهو يشفع فى عموم الخلق أن يصرفهم الله من هول الموقف ، وهذه الشفاعة هى المقام المحمود الذى وعده الله عز وجل . ويشفع فى أهل الكبائر من أمته ، وأسعد الناس بشفاعته يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه .

القاعدة الثالثة : إن الإسلام وهو دين الحنيفية السمحة والتوحيد الخالص ، قد حارب الوثنية فى جميع صورها ، وعمل على اجتثاث جذورها وسد ذرائع الشرك كلها . فنهى عن الغلو فى تعظيم المخلوقين ومدحهم بغير حق وإحاطتهم بجو من التأليه والقداسة يخرجهم عن دائرة البشر . ونهى عن رفع القبور وتشييدها وإقامة القباب عليها والمقاصير حولها وفرشها بالبسط وإيقادها بالسرج ، كما نهى عن العكوف عليها والطواف بها والصلاة والدعاء عندها وتقديم النذور والقرابين للمقبورين فيها ، ونهى عن الاستغاثة بهم ودعائهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وأخبر أنهم لا يسمعون من دعاهم ولا يجيبون من ناداهم . قال تعالى من سورة النحل (والذين يدعون من دون الله لا يَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلَقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) وقال من سورة الإسراء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) .

وقال من سورة فاطر (ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون

من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير) .

ونهى الإسلام عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة الكبار التى هى : المسجد الحرام والمسجد الأقصى الذى بالشام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وإذا كانت المساجد وهى بيوت الله التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، لا يجوز شد الرحال إليها للصلاة فيها ، فكيف يجوز شد الرحال إلى المشاهد لزيارتها أو إلى الموالد التى تشبه أعياد الجاهلية لإحيائها وإقامتها . إن هذه وثنية لا يعرفها الإسلام . ونهى الإسلام أن يعتقد أن فى بعض الأمكنة أو الأشخاص أو الآثار سراً وبركة به تشفى الأمراض أو تقضى الحاجات أو تخصب العقيم أو تتزوج العرائس ، فهذه كلها أوهام لا يقرها دين الإسلام .

ونهى الإسلام كذلك عن السحر والطلاسم ، وعن الرقى والتمائم ، وعن التطير والتشاؤم وعن الكهانة والعرافة وعن محاولة النفوذ إلى ضمير الغيب بواسطة قراءة الكف أو ضرب الرمل أو زجر الطير أو قراءة الفنجان أو تسخير الجان أو غير ذلك مما أولع به النسوان فى هذا الزمان ، ونهى عن اتخاذ الصور والتماثيل لإنسان أو حيوان وهكذا احتاط الإسلام للتوحيد أشد الحيطة ، ومع ذلك فقد خالفت أمة التوحيد أصول التوحيد كما سنبينه بعد إن شاء الله .

(الهدى النبوى) : انتهى الجزء الأول من هذه المحاضرة القيمة وسننشر إن شاء الله فى العدد القادم مايتسع له المقام منها .

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مَثَلُ البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر الله فيه ، مثل الحى والميت » .

رواه البخارى ومسلم

الإسلام دين الفطرة لا الخوارق

إن من حقائق دين الإسلام — دين الفطرة — أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم .وهو أفضل الخلق على الإطلاق ، بشر ليس له من أمر الكون ، ولا من سنن الله تعالى فيه ، ولا من أمر العباد شيء ، وإنما أرسله الله تعالى معلماً للناس الخير ، وأسوة حسنة للناس جميعاً — (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً)[1] والأمر كله لله ، وأن سنن الله تعالى سارية فى الكون على قواعد ثابتة ، وطرق قويمة اقتضتها حكمته تعالى ، واقتضاها النظام العام الذى سير عليه الكون ، وليس الأمر أُنُفاً كما تزعم القدرية ، أو الجاهلون بسنن الله تعالى من أمثال من كتبنا فى الرد عليهم هذا المقال .

والقرآن الكريم يبين فى وضوح أن مشيئة الله تعالى وإرادته فى خلقه إنما تنفد على سنن حكيمة وطرق قويمة ، وأن الأسباب التى ربطها الله تعالى بالمسببات لا بد منها للانسان ، إذ لا يمكنه أن يخرج عن سنن الله تعالى بحال من الأحوال .

إن الله تبارك وتعالى هو واضع الأسباب والسنن ، فاعتقاد أن لأحد من البشر قدرة ، أو أن الله أعطاه قدرة تجعله يخالف سنن الله تعالى فى البشر ، أو أن لأحد من الناس تأثيراً غيبياً وراء السنن الإلهية والأسباب ، إن ذلك كله وهم باطل وعقيدة من عقائد الشرك بالله ، وباطل من القول وزور ، مهما ادعى القائلون ، وزور المبطلون .

***

دعانى لهذه التقدمة فى الأسباب والمسببات مقال نشرته مجلة (منبر الإسلام) العدد — ١٠ — شوال سنة ١٣٨٣ تحت عنوان — هل حدثت معجزة فى قرية بنى صالح — أورد فيه كاتبه كثيراً مما يخالف العقل والدين معاً .

وإذا كان لإحدى الجرائد اليومية أن تنشر مثل هذا المقال — كما أشارت المجلة إلى

---

(١) سورة الاعراف .

ذلك — فلها عذرها ، لأن محرريها ليسوا ذوى اختصاص فى فهم مسائل الدين ، وإذا كنا كذلك نعذر كاتب المقال بالمجلة لجهله بعض حقائق الدين ، فكيف يكون الحال مع هؤلاء الذين يشرفون على هذه المجلة الواسعة الانتشار ، الكبيرة المصدر ؟

إن (منبر الإسلام) تترجم نفسها بنفسها فى صفحتها الأولى بأنها « مجلة الثقافة الإسلامية » وأنها تصدر عن « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » فهل نشر مثل هذه الخرافات والأضاليل التى حواها المقال المذكور مما يعد ثقافة إسلامية ، أو مما يصح صدورها عن « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » ؟

أغلب الظن أن نشر هذا المقال بالمجلة جاء عفواً من القائمين عليها ، ودون تنبه لما حواه من إفك وشرك وباطل وزور ، وأنا أربأ بهم أن يكونوا من مروجى الخرافات ، وأنصار الأساطير والشعوذات . فإن الإسلام — كما قدمت — دين الفطرة ، يبرأ من كل ما يخالف العقل والمنطق . وإلى القارىء بعض تلك الافتراءات كما يذكره الكاتب :

***

قرية بنى صالح تتحدث عن معجزة ، والمعجزة رجل اسمه — عبد الوهاب ضيف الله — ثم يقول الكاتب عن شيخه عبد الوهاب هذا الذى يصنع المعجزات ! ! !

ذهبت إلى قرية — بنى صالح — وقابلت أحد أبنائها وهو إبراهيم محمد إبراهيم فقال لى : إن عبد الوهاب يكون معنا فى أحد الأيام بالقرية . ثم يأتى أحد من إخواننا ليقول إنه التقى بعبد الوهاب بالقاهرة فى نفس اليوم وتركه هناك وعاد وحده بالقطار ، ونذهب إلى بيت عبد الوهاب فنجده فيه . متى ذهب ، وكيف عاد ؟ لا أحد يعلم . وقد حدث فى إحدى المرات أن تتبعناه اليوم كله ، رأيناه يدخل المسجد وبقينا نرصده فى الخارج حول المسجد ، ولكنه لم يخرج فدخلنا المسجد فلم نجده ، وفوجئنا به بعد ذلك خارج المسجد . مع أن المسجد لا يوجد له غير باب واحد » .

ثم يقول : وهذا النوع الذى وقع من الشيخ عبد الوهاب ، إن صح وقوعه ، ليس

بعجيب ولا غريب فقد وقع ما هو أعظم منه بشهادة الثقاة الأثبات . . . إلى أن يقول : وقد أورد السيد عبد الوهاب الشعرانى طرفاً من ذلك فى أثناء حديثين له عن شيخه الدشطوطى فيقول « عرفت شيخى عبد القادر الدشطوطى وأنا غلام وصحبته عشرين عاماً . ثم يقول : إن الدشطوطى كان يسمى بين الأولياء صاحب مصر ! ! حتى كان السلطان قايتباى يقبل قدميه ويمرغ عليهما وجهه . وأن الدشطوطى كان يرى مرة فى القاهرة وأخرى فى الجيزة دون أن يعبر النيل إليهما . وأن رجلين حلفا بالطلاق أن الدشطوطى نام عند كل منهما إلى الصباح فى ليلة واحدة فى مكانين مختلفين ، وأنه قد رفع أمرهما إلى الشيخ جلال الدين السيوطى فأفتى بصدقهما وعدم وقوع الطلاق » ! !

ثم يقول : ويحدثون أن الدشطوطى تغطى ذات مرة بملاءة عند صلاة الظهر ، وغاب من تحتها ساعة ، ثم تحرك فقال : إن الناس معذورون يقولون عنا : لا نصلى ، والله ما تركت الصلاة منذ جذبت ولكن لنا أماكن نصلى فيها ! ! قال الشعرانى : فأخبرت بذلك الشيخ محمد ابن عنان فقال : صدق الشيخ ، إنه يصلى بالجامع الأبيض برام الله ، بفلسطين »[1] إلى آخر ما أورده فى مقاله من أضاليل وأباطيل .

* * *

هذه بعض الغرائب والأساطير التى أوردها الكاتب فى مقاله ، ونقول : إن كل ذلك مخالف لسنن الله تعالى فى البشر ، ولا جدال فى أن للانسان طاقة محدودة فى قوته وقدرته واستطاعته لا يتجاوزها — أياً كان ذلك الإنسان — فلا هو بذى جناحين فيطير ، ولا هو مَلَك أو جنى له من القدرة ما يخترق به الحواجز والسدود ، ولا له قوة غيبية يفعل بها المعجزات وخوارق العادات ، كما يعتقد ذلك جهلة الناس فى بعض الأشخاص ممن يسمونهم بالأولياء ، ظانين أن لهم فوق سنن الله تعالى فى الأسباب والمسببات سنناً تخالف سنن الله تعالى . ولذا فإنك ترى كثيراً من الناس يعتقدون فيهم ، ويلجأون إليهم فى الشدائد

---

(١) وكان تغطى الشيخ بالملاءة بمصر .

والملمات ، فيدعونهم مع الله ، أو من دون الله . وصدق الله إذ يقول (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) .

* * *

إن القول بأن أحداً من الناس يحصل له مثل هذه الخوارق التي ينسبونها إلى المسمى عبد الوهاب ، فى عصر العلم والمعرفة ، وتقدم الإنسان فى المدنية والثقافة — عصر النور — كما يقولون — عصر أخذ الإنسان بالأسباب فى كل شيء ، حتى بلغ به ذلك أن طار فى أجواز الفضاء ، ودار حول الكرة الأرضية والأفلاك السماوية ، إن اعتقاد صحة تلك الخوارق وحصولها فى هذا العصر جهل فاضح من معتقده .

فإن هؤلاء الذين ذهبوا فى الفضاء كل مذهب ، وداروا حول الكرة الأرضية ، لم يبلغوا ما بلغوه إلا بأخذهم بالأسباب ، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه .

فهلا أخبرنا ذلك الكاتب عما يزعمه لشيخه عبد الوهاب كيف يكون موجوداً فى منزله وهو فى الوقت نفسه موجود فى أماكن أخرى متعددة ، يرى الناس ويرونه فى تلك الأماكن ، ويخاطبهم ويخاطبونه ؟ وإذا كان ذلك صحيحاً — وهو غير صحيح أصلا — فهل هو جنى أو إنسى ؟

أغلب الظن أنه جنى أراد أن يضل من الناس جبلا كثيراً . فتزيا وتشكل بشكل الأناسى .

* * *

وإذا كان السلطان قايتباى قد قبل قدمى الدشطوطى ومرغ عليهما وجهه — كما يقول الكاتب — فإن ذلك جهل منه وسفه ، وحطة لكرامة المؤمن وعزته ، والله تعالى كرم المؤمن وجعل عزته من عزته ، قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

إن تقبيل يد الغير ذلة من فاعله ، إلا إذا كان ذلك للوالدين ، ولا أعلم فيما قرأته من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من عمل صحابته رضوان الله عليهم شيئاً من

ذلك ، إلا ما كان منهم فى إحدى الغزوات حين تمسحوا بفضل وضوئه ، وأين هؤلاء النكرات من رسول الله ؟

إن تقبيل اليد ذلة ومهانة — كما قدمت — ولذا يقول ابن الوردى فى لاميته المشهورة :

أنا لا أرضى بتقبيل يد قطعها أفضل من تلك القبل

هذا فى تقبيل اليد ، فكيف بتقبيل الأرجل وتمريغ الوجه عليهما ؟

* * *

رأى أعرابى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول مرة فارتاع من هيبته ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال مهدئًا من روعه :

« هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع لله ، وخفضه الجناح للمؤمنين ، فهلا كان شىء من ذلك ممن تسمونهم أولياء ؟

إنى أقول لمروجى تلك الأساطير ، ويرونها دلائل على ولاية أصحابها وصلاحهم : إرجعوا إلى سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما حصل له فى غزوة الأحزاب ، لتجدوا بعد ذلك أنكم قد أضفيتم على أوليائكم ما لم يصل إلى بعضه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أتدرون ماذا كان من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق — الأحزاب — حين تألب عليه كفار قريش واليهود وتحزبوا ضده ، وأراد هو أن يحاربهم ؟

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرى من قوة عدوه ولا عددهم شيئًا، فأراد أن يعرف حقيقة ذلك[1] — وهو من هو فى علو درجته ومكانته ومنزلته عند الله تعالى — فنادى فيمن معه من المسلمين : « مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ » ثلاث مرات

---

(١) وكان الوقت ليلا والظلام حالكا والريح عاصفاً .

يقول فيها « أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة » ثم لا يقوم أحد ، إلى أن نادى حذيفة ابن اليمان — باسمه —

يقول حذيفة : فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا » قال فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم وتفعل ، لا تقر لهم قراراً ، ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان يقول : يا معشر قريش ، لينظر كل امرىء من جليسه[١] ؟ فقال حذيفة رضى الله عنه ، فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبي فقلت من أنت ؟ فقال فلان بن فلان . . . إلى آخر ما كان من شأن حذيفة ورجوعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وما تم بعد ذلك فى هذه الغزوة .

أقول : إذا جاز أن يكون لأحد مثل تلك الحالات التى ذكرها الكاتب عن الشعرانى والدشطوطى وعبد الوهاب وغيرهم ، من تعدى الحدود واختراق الحجب والسدود ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وأولى بأن يعلم حال جيش الكفار وقوتهم وعددهم ، حتى يأخذ لذلك أهبته واستعداده . وهو الذى يحارب لنصر دين الله وإعلاء كلمته .

أما ورسول الله لا يعلم من أمره عدوه شيئاً . وهو قريب منه ، ويرسل العيون والأرصاد ليعلم حال ذلك العدو ، فأولى بأن لا يكون لهؤلاء النكرات شىء مما تضفونه عليهم ، مما لا يقبله العقل أو المنطق .

* * *

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بأن تكون له مثل تلك الشخصيات المتعددة المزدوجة ، والتى توجد فى أكثر من مكانين فى وقت واحد ، لتكون الفائدة للمسلمين ، وليكون النصر لهم من وراء تعدد شخصيته ، فلا يرسل أحداً يستخبر

---

(١) خوفاً من أن يدخل عليهم أحد من جيش المسلمين فى هذا الظلام .

به حال العدو ، كما كان الحال فى غزوة الأحزاب ، ولا يرسل العيون والأرصاد كما فعل فى كثير من الغزوات .

***

ألا فليعلم الكاتب المحبذ لتلك الخرافات ، الداعى إلى اعتناقها واعتقاد صحتها ، مما أورده عن الشعرانى — استشهاداً على صحة ما يرويه عن شيخه عبد الوهاب — إن الإسلام يبرأ من كل ما يخالف الفطرة والعقل ، لأن القرآن الكريم جاء يخاطب العقول والأفهام فيقول (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ، أفلا تعقلون) ؟ وليس فيما أنزله الله تعالى فى كتابه الإشارة إلى شىء من مثل الأباطيل التى أوردتها عن المدعو عبد الوهاب أو غيره ممن ذكر عنهم الشعرانى مما ينافى العقل ، ويجافى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فإن القرآن الكريم ينبه المؤمنين إلى ما أودع الله فيهم من العقول والأفهام ليستعملوها فيقول (فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا — إن فى ذلك لآيات لأولى النهى — فاعتبروا يا أولى الأبصار — إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون — إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

وهكذا ترى — أيها القارىء الكريم — أن دين الله هو دين الفطرة لا الخوارق وأن القرآن الكريم إنما جاء يخاطب العقل ، وينحى باللائمة على الذين لا يستعملون ما وهبهم الله من عقول وأفهام . ويجرون وراء الأوهام والخرافات .

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) صدق الله العظيم

محمد صالح سعدالله

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول : كان أبى

حول فتـــوى

من فاتته صلاة الجمعة

صاحب الفضيلة الأخ الأستاذ محمد خليل هراس .

السلام عليـكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فأمامى مجلة (الهدى النبوى) عدد ذى القعدة سنة ١٣٨٣ وإيماء إلى ماقاله الأخ ميرغنى عمر بخصوص صلاة الظهر لمن لم يدرك الجمعة فى المسجد ، بودى ـ لو رأيتم ذلك مجدياً ـ أن أسأل الأخ ميرغنى فأقول له : وهل عثرت على أثر من آثار الرسول عليه صلوات الله وسلامه . انه أمر النساء والمرضى الذين لايستطيعون الحضور للمسجد ـ وهم أصحاب الأعذار ـ أن يصلوها فى بيوتهم ركعتين ؟ .

الأمر واضح لا يحتمل الجدل ، وإنمـا أردت أن أبين أن أنصار السنة فى مدن السودان وحتى فى الخرطوم ، كل فرد منهم مستقل بفهمه فى الأحكام الفقهية ، فى حدود الـكتاب والسنة ، مع الاستنارة بأقوال الأئمة والسلف الصالح .

ومن هنا كان امتياز أنصار السنة على غيرهم ، سواء فى السودان أو فى غير السودان . وإذا فرض وجود فئة من الناس اجتمعت على فهم معين فى قضية معينة ، فليس من حق أى فرد أن يفرض فهمه على غيره .

هذا : وأرجو أن تسمحوا لى أن اتقدم إلى فضيلتـكم بعظيم الشـكر على نصيحتـكم القيمة بالبعد عن التمسك بشواذ الآراء بدون دليل ، والرجوع إلى الحق إذا تبين . ونحن هنا فى السودان فى أشد الحاجة إلى مثل هذه النصيحة ، وسوف نحافظ عليهـا . ولـكن ربما نحتاج إلى زمن حتى نروض أنفسنا التخلق بهذا الخلق النبيل .

إن بعضاً من انصار السنة ـ ولا أبرىء نفسى ـ تمتد بهم ثورة المراهقة الفـكرية إلى زمن طويل ، ولهذا نجد النتائج عكسية أحياناً والفائدة قليلة (عبد الرحمن دهب)

الـوكى ـــ الـسودان

(الهدى النبوى) جاءتنا هذه الكلمة من الأخ صاحب التوقيع تعليقاً ما جاء بسؤال الأخ ميرغنى عمر بالخرطوم ، ومع أننا نرى أن فيما أفتى به فضيلة الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس بعدد ذى القعدة سنة ١٣٨٣ من (الهدى) فيه الكفاية بخصوص صلاة الظهر لمن فاتته الجمعة ، إلا أن البعض رأى أن نعيد نشر مقال (يوم العروبة) للأستاذ عبد اللطيف حسين ، لما حواه من أدلة فى الموضوع ، مع إضافات أخرى جديدة من آثار الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم ـ ألحقها بذلك المقال زيادة فى البيان :

يوم العروبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وبعد : فقد نشرت (الهدى) فى أول عدد لسنة ١٣٨٠ كلمة تحت عنوان (يوم العروبة) وكان ذلك بناء على محادثات ومناقشات كثيرة حول صلاة الجمعة ، ومتى فرضت وكم يصلى من تخلف عنها ، ولما كان إغراء فكرة عدم التقليد والتزام متابعة النص شديداً قوياً تخرج البعض أحياناً إلى ابتكار آراء شاذة ، وأقوال مستحدثة لم يعرفها سلفنا الصالح ، وخصوصاً فى القرون الثلاثة الفاضلة المشهود لها بالفضل والخيرية ، فقد رأينا إعادة ما سبق نشره فى هذا الموضوع مضافاً إليه بعض ما نقل عن أئمة الهدى وحملة الدين . والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

* * *

إن الواضح من الأدلة الشرعية والنصوص الثابتة أن المسلمين لم يعرفوا صلاة الجمعة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى المدينة ، مع أن المتفق عليه أن الصلاة إنما فرضت قبل الهجرة بثلاث سنوات تقريباً .

وكان أول الأمر فى شأن الجمعة أن الأنصار ـ وكانوا أهل أسفار واتصالات بأهل الكتاب من النصارى واليهود ، كثر عددهم قبل مقدمه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ـ

اجتمعوا وتداولوا ، وقال قائل إن كلا من اليهود والنصارى لهم فى كل أسبوع يوم يجتمعون فيه للعبادة وذكر الله ، فليت لنا أيضاً يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى .

وقد أورد الحافظ بن حجر فى فتح البارى قصة الأنصار هذه ، وهى التى توجت بعد بفرض الجمعة ونزول قول الله (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) .

قال الحافظ بن حجر : روى عبد الرازق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال (جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه ، فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة ، واجتمعوا عند أسعد ابن زرارة فصلى بهم يومئذ ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة)

وقد كان يوم الجمعة قبل ذلك يسمى يوم العروبة ، فلما اجتمع المسلمون فيه للصلاة والذكر سمى الجمعة لذلك ، وقد جزم ابن حزم أن اسم الجمعة اسم إسلامى لم يعرفه العرب قبل الإسلام .

وكان كعب بن مالك صاحب رسول الله عليه السلام يترحم على أسعد بن زرارة كلما سمع الأذان يوم الجمعة ، فسأله ابنه عن ذلك ؟ فقال : إنه أول من جمّع بنا فى هزم حرة بنى بياضة .

وبذلك صح أن أول من سن صلاة الجمعة وخطبتها هو أسعد بن زرارة وصحبه من الأنصار ، ولم يكن ذلك معهوداً ولا معروفاً من قبل ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر ما صنعوا ، وبذلك فرضت الجمعة .

ومن لطائف الموافقات تكرر كلمة ذكر الله فى مداولة الأنصار إذ ذاك ، وفى آيات سورة الجمعة التى نزلت بعد ذلك وثبت بنزولها فرضية صلاة الجمعة وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله) .

وربما كان الشأن فى فرض الجمعة كما حدث عند ما شرع الأذان ، إذ أن الصحابة تداولوا فى كيفية النداء للصلاة فعرض بعضهم إتخاذ ناقوس أو نفير أو إيقاد نار ، ورفض ذلك كله لأنها شعارات لغير المسلمين ، ثم شرع الأذان المعروف برؤيا منامية أقرها النبي عليه الصلاة والسلام .

* * *

كم يصلى المتخلفون عن الجمعة ؟

لا جدال فى أن « صلاة الجمعة » اسم عَلَم على صلاة بذاتها وتفاصيلها وكيفياتها ، فإذا ذكرت تمثل وارتسم فى ذهن السامع صورة تلك الصلاة بجميع تفاصيلها التى واظب عليها النبي عليه السلام طول حياته بالمدينة لم يخالف شيئاً منها أبداً وهو مقيم ، ولكن الله تعالى رخص لبعض الناس فى التخلف عنها ، فما موقف المتخلفين تجاه هذه الفريضة ؟ .

المتفق عليه بين جمهور علماء سلف هذه الأمة أن من لم يدرك الجمعة مع الإمام فعليه أن يصليها أربع ركعات ظهراً .

وقد روى الإمام مالك رضى الله عنه فى الموطأ عن بن شهاب أن من أدرك ركعة مع الإمام يوم الجمعة فليضم إليها أخرى . قال ابن شهاب : إن هذا هو السنة . وقال مالك (وعلى هذا أدركت أهل بلدنا) يعنى شيوخه من أهل المدينة .

وإيراد هذا النص بهذه الصورة ووصف ابن شهاب له بأنه السنة ، يقطع بأن ذلك ميراث عملى توارثه علماء المدينة خلفاً عن سلف .

أما من لم يدرك شيئاً من صلاة الجمعة مع الإمام فلا شك أن شأنه كان مختلفاً ، إذ لو كان المتخلف يصلى ركعتين كما يفعل من يدرك ركعة مع الإمام ، لما كان هناك أى معنى لإيراد هذا النص ووصفه بأنه السنة .

* * *

ومن المعلوم أن علماء السلف كانوا يقفون بالمرصاد لكل صاحب بدعة فى الدين ، ولا يقبلون التحول قيد شعرة عما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان . وإذا حدث شىء من ذلك بادروا بالإنكار الشديد حتى يرجع الأمر إلى ما كان عليه العمل فى عهد التنزيل .

ألم تر إلى مروان بن الحكم عند ما حاول تقديم الخطبة على الصلاة يوم العيد ، خلافاً لما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكيف ردوه إلى الجادة حتى جاذبوه من ثوبه يردونه تجاه المنبر ليخطب قبل أن يصلى ، وذلك رغم تحصن مروان بالخلافة والإمارة ؟ .

وإذا كان هذا شأن المسلمين مع الخليفة فى سنَّة من السنن فكيف يصح فى الذهن أنهم سكتوا سكوت الأموات على من زاد ركعتين فى فريضة ؟ وفى أى عام زيدت هاتان الركعتان ، إذا كان المتخلفون يصلونها ركعتين ؟ وكما أن صلاة الجمعة معروفة بتفاصيلها وكيفياتها ــ كما قدمنا فكذلك سائر الصلوات الأخرى .

فإذا قال أحد إنى صليت الظهر ، علم السامع بالفطرة أنه إذا كان مقيماً فقد صلى أربعا ، وإذا كان مسافراً فقد صلى ركعتين .

وقد جاء فى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم صلى يوم الجمعة فى حجة الوداع الظهر والعصر جمعا ، وهكذا علم أنه إنما صلاها ظهراً ، ولم يصلها جمعة ، وذلك ما يفيده الحديث الصحيح . فإذا صح أنه إنما صلى الظهر، علم بالضرورة أن حكم الظهر أربع ركعات للمقيم وركعتان للمسافر .

وقد نقل ابن حزم فى كتابه (المحلى) ، عن عمرو بن شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (الخطبة موضع الركعتين ، من فاتته الخطبة صلى أربعا) . وعن مجاهد أنه يقول (إذا لم تدرك الخطبة يوم الجمعة فصل أربعاً) .

وعن حنظلة بن أبي سفيان قال : سمعت عطاء وطاوساً يقولان : من لم يدرك الخطبة صلى أربعا .

وروى السختيانى عن نافع عن ابن عمر قال : إذا أدرك الرجل ركعة يوم الجمعة صلى إليها أخرى ، وإن وجد القوم جلوساً صلى أربعاً .

وعن الثورى بسند عن ابن مسعود : (من أدرك الركعة فقد أدرك الجمعة ومن لم يدرك الركعة فليصل أربعاً) .

واحتج مالك والشافعى بما روى عن ابن شهاب : (من أدرك ركعة مع الإمام يوم الجمعة فليضم إليها أخرى) لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أدرك ركعة مع الإمام فقد أدرك الصلاة[1] » .

ومن مجموع هذه الآثار والأخبار يتضح لنا أنهم جميعاً يتفقون على أن من لم يدرك الجمعة مع الإمام فعليه أن يصلى أربع ركعات ظهراً . ولا نعرف أحداً على الإطلاق من السلف الصالح أو غيرهم أفتى بإيجاب ركعتين لمن لم يدرك من الجمعة شيئاً مع الإمام .

والله الموفق ، وهو الهادى إلى الصراط المستقيم .

عبد اللطيف صبحى

العام الهجري الجديد

نهنىء العالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها بالعام الهجرى الجديد . جعل الله عام خير وبركة على المسلمين وعلى العالم أجمع .

---

(١) وفى رواية « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة »

البحيرة الحمراء

هبطنا على درجات عديدة حتى وصلنا ساحل البحيرة الحمراء وهى بحيرة مستطيلة صغيرة تحيط بها أشجار الصفصاف . تتدلى أغصانها الباهتة المرسلة كالشعر فى مائها الشفاف ، يحيط بها طريق ضيق تظلله الأشجار من الجانبين وتتعانق فوقه الأغصان . ثم تحيط بالبحيرة ، وفى هذا الطريق جبال صغيرة تكسوها الغابات . مشينا فى هذا الطريق البديع ، بين الأشجار الكثيفة الظلال المنعكس اخضرارها على صفحة البحيرة الصافية ، تبدو لنا من خلال شتى الأغصان تلمع خضراء كالزمرد . فنرى اخضراراً لامعاً يتخلل اخضراراً زاهياً . تقدمنا تحت الغصون وبين صخور تراكمت على جانبى الطريق ، وقد نبتت فوقها حشائش وبرزت من شقوقها أزهار ، وتدلت الأغصان فوق رؤوسنا وتراكمت حتى حجبت ضوء الشمس ، وصرنا فى ظلال خضراء أجمل من النور ، فيا للجمال ، الأغصان تتعانق فوق رؤوسنا وتتدلى لتداعب أكتافنا . والأزهار تطل من شرفاتها الصخرية محملقة إلينا وقد ارتدت ألواناً بديعة . وجذوع الأشجار قد اتكأت متكاسلة على أرائك من كتل الصخور المكسوة بمخمل أخضر لامع من حشائش مبتلة . وهكذا ظللنا نتقدم فى هذه الإسطوانة الخضراء حتى تعبنا وعدنا من حيث أتينا . فوجدنا فى الناحية المقبلة (شلالا) تتفجر مياهه وتنحدر من أعلى الجبل بين جذوع الشجر وتستقر فى حوض صخرى مستدير . ثم تنصب من ثغرة فيه إلى الأرض مندفعة إلى الأمام فى قوة ، ثم تجرى فى غدير تحت الأشجار حتى ترتمى فى أحضان البحيرة . يبدو هذا الماء أبيض كاللبن راقصاً متلوياً فوق الصخور . ويبدو وهو ينطلق من الثغرة إلى الأمام كالبلور ، يشف عما تحته من حصى و أحجار ورمال ، وهو فى طريقه إلى البحيرة . جلسنا بجانب هذا النبع نمتع أنظارنا بجمال منظره ، وهو يتدفق ويمر تحت أقدامنا . ونمتع آذاننا بخريره الرتيب المتواصل وهمسه الخافت . تظللنا أشجار باسقة ممتدة الأغصان إلى السماء وإلى الأرض حتى تلامس أطرافها المتدلية صفحة البحيرة ، وتضم

تحتها شجيرات من نوعها صفوفاً مصطفة على الساحل ، لا يزيد طول بعضها عن مترين . فكأنها دجاجة قد بسطت جناحيها فوق فراخها . وما زاد جمال المنظر هو أن الشمس كانت ملثمة بلثام من السحب الخفيفة الشفافة فكان ينبعث منها ضوء خافت وديع أبيض ، يزيد فى لمعة وزهاء اخضرار الأغصان . وكأن هذه الأغصان تكوّن فوقنا سماء خضراء من أوراق مستديرة كالريالات ، رقيقة ناعمة تشف عن ضوء الشمس الضئيلة ، كأنها بلور أخضر (مصنفر) فما أجمل هذه الغصون المتكاثفة الحريرية الناعمة التى كانت تعلونا وتحيط بنا من كل النواحى ، فلا نرى السماء إلا قليلا من بعض الفروج التى بين تلك الغيوم . ولا نرى زرقة البحيرة إلا من خلال الغصون الممتدة إلى داخل الماء ، المدلاة فى رهبة صامتة على صفحة البحيرة النائمة . فيا لله من منظر جميل ، وضوء ضئيل ، ونسيم بليل ، فسبحانك يارب سبحانك .

وعلى سطح البحيرة الحمراء (وهى فى الحقيقة خضراء لا حمراء لما ينعكس عليها) يعوم بط أبيض وأسود ، ونوع يشبه البط أبيض الصدر بنى الظهر أصفر الرأس كبير المنقار ، يعوم ثم يغوص فى الماء ، وينطلق تحته فى سرعة كالغواصة ويظل كذلك بضع دقائق ، يدل عليه مايبدو على سطح الماء من شريط لامع . ثم يخرج لحظة ليستنشق الهواء ثم يغوص ثانية فنرى على سطح الماء الشريط اللامع ، يطول ويمتد إلى أن يطفو مرة أخرى هذا الطير العجيب ، وفى يوم آخر أوصلتنا الباخرة فى البحيرة إلى محطة (ستان) ثم أقلنا القطار المعاق الذى أسميه (الجار والمجرور) فصعد بنا بين غابات من شجر (السابان) حتى توقف أمام بسطة حجرية فنزلنا منه إلى غيره وصعدنا حتى اجتاز القطار كل الغابات وخرج منها إلى (جازون) لا تعكر صفو اخضراره الزاهى اللامع شجرة واحدة حتى توقف على بسطة أخرى فنزلنا منه إلى ثالث ، فعلا بنا ثم علا فوق انحدار شديد الانتصاب يكاد يكون رأسياً ، وقد أبطأ فى الصعود وهو يسمع له قرقعة رتيبة كأنه يلهث تعباً ، فيسمع له شهيق وزفير . وكلما علونا كلما زادت القمة انتصاباً ونحولا ، وزاد المنظر رهبة وروعة ، إذ أشرفنا على جميع أفرع البحيرة فبدت كأنها زهرة زرقاء قد

امتدت حولها بتلالها الطويلة المدببة الأطراف ، ورأينا إلى يسارنا جبل (بيلاتوس) تلمع رأسه الصلعاء وقرناه المنتصبان . ورأينا أمامنا وتحتنا سهولا مزركشة مزخرفة مرقطة ، ثم رأينا جبل (ريجى) يشمخ بأنفه المدبب ويمتاز بظهره المحدودب ، ثم رأينا جبل (برجنستوك) يجثم بطوله ويمد فمه الطويل المدبب كأنه كلب كث الشعر بما يكسوه من شجر كثيف متلاصق . وهالنا هذا الهرم الهائل الذى نعتليه والقمة المدببة التى نزحف إليها ، معلقين بحبل من الصلب ، وكيف يبرز نصفه الأعلى المخملى من نصفه الأسفل الكث ، ويمتد فى نحول حتى ينتهى بقمة دقيقة . علونا ثم علونا ثم علونا حتى دخلنا فى نفق (فإنهم لم يستطيعوا الصعود إلى القمة لشدة انتصابها فثقبوا الجبل حتى وصلوا إليها) ثم توقفنا على بسطة فى آخره فنزلنا إليها ، وخرجنا من ظلام النفق إلى النور فوجدنا قمة هذا الجبل (ستانسرهورن) وصغيرة مستديرة يمتد منها ويعلو خلفها بروز ضيق له درجات فشابهت بذلك العقرب بذيلها المنتصب المعقد . يصعد الناس على هذه الدرجات لترى الثلوج المتراكمة فوق القمم الخلفية . ووجدنا فوق هذه القمة البديعة فندقاً فاخراً تشرف قاعة مائدته على كل ماوصفت ، إذ أقاموها على ناحية القمة وأحاطوها بجدران من الزجاج ، ايرى الجالس فيها ماحوله من بديع صنع الله . وللفندق ساباط هائل يشرف على ما خلف القمة وما بها من وديان وأغادير وهضبات كسيت كلها (بالجازون) الأخضر زخرفت وزركشت بشجر السابان . فمنها الهضبات المنحدرة والمنبسطة . ومنها المستديرة كالقباب . ومنها سهول تمتد متموجة كأنها بحر هائج من مخمل أخضر . وكان ذلك يحليه ويزينه من هنا ، وهناك وشاح شفاف أبيض من الضباب ، والسحاب يبدو من خلفه اخضرار الجبال وبياض الثلوج وزرقة السماء . فتبارك الله أحسن الخالقين .

والآن فلأصف (الفنوكلير) الذى صعدنا به علواً يزيد على ألف متر . فهو قاطرة مكونة من عدة غرف تعلو بعضها عن بعض كأنها درجات ، وتسع كل غرفة منها ثمانية أشخاص . يدخل الناس إليها من درجات على جانبيها لأنها منحدرة . وتصعد هذه القاطرة إلى أعلى مجرورة بحبل من الصلب يمر على بكرات مثبتة فى الأرض تدور بمرور الحبل

عليها لتمنع احتكاك الحبل بالأرض ولتحصره فى اتجاه مستقيم . وما يرفع القاطرة الصاعدة هو ثقل قاطرة أخرى هابطة فتجرها بهذا الحبل الذى يربطهما حتى تتقابلا فى منتصف الطريق تماماً ، فيتوقف الجار والمجرور على قضيبين ، ثم يعاود الجار الهبوط ويعاود المجرور الصعود حتى يصلا إلى النهاية . فعند مايصــل المجرور إلى القمة يصل الجار إلى السفح ثم ينقلب الجار مجروراً والمجرور جاراً ، وهكذا كل يجر الآخر بدوره ويرفعه بثقله ويساعد على رفع القاطرة الصاعدة غير ثقل الهابطة بكرة كبيرة جداً فى أعلى القضيب وآخره تدور بالحبل بآلة كهربية تصعد بواحدة وتهبط بالأخرى كأنها بكرة الدلو . ظللت أنظر إلى صف البكرات التى بين القضيبين ونحن صاعدون ، فــكانت تدور بمرور الحبل الذى يجر فوقها حتى إذا حاذتنا القاطرة الهابطة فى منتصف الطريق وقفت كلتاهما برهة ثم أخذت كل واحدة منهما طريقها هذه هابطة وتلك صاعدة ، فرأيت عندئذ حبلين يجريان على صفين من البــكرات ، الحبل الذى يجرنا ويرفعنا ، والحبــل الذى تتدلى به القاطرة الهابطة . وعند هبوطنا رأيت كذلك هــذين الحبلين . حبلا نتدلى به يجرى فوق البــكرات التى بين القضيبين . وحبلا آخر يجرى فوق البكرات التى بجانب القضيبين حتى وصلنا منتصف المسافة فبدت لنا القاطرة الصاعدة المجرورة بنا ثم تركتنا صاعدة بعد توقفنا برهة كما قلنا ، وتركناها هابطين فاختفى أحد الحبلين ولم يبق إلا الحبل الذى نتدلى به .

والآن فلأصف رحلتنا إلى مساقط نهر (الرَيْن) أقلنا قطار الرحلات الخاص الملقب بالسهم الأحمر . وهو أحمر اللون ذو مقاعد وثيرة ينطلق كالسهم فى سرعة هائلة ولا يقف فى المحطات بل يقف حيث يريد وفى المكان الذى يشرف على منظر جميل كما لو كان المرء فى سيارته الخاصة . وما يزيد فى مزية هذا القطار هو أنه لا يدخله إلا مشتركو الرحلة ، فتراه هادئاً لا يزدحم بالمسافرين كسواه ، فيجلس كل من فيه وحده على أريكة ويصعد إليه ويهبط منه فى راحة وهدوء ، بل يترك حوائجه وبعض ملابسه ، لو أراد ، حتى يعود إليه ، ولا يخشى سرقة إذ يوصد القطار كالسيارة تماماً . بعد قليل من قيام القطار

سمعنا صوت الدليل من المكرفون يحيينا بالإنجليزية ، ثم ظل طوال الطريق يشرح لنا ما نراه على الجانبين من بحيرات وجبال ومعامل ومطارات . مررنا على ضفة البحيرة الحمراء ثم عدة بحيرات أخرى ، ثم خرجنا من الجبال العالية إلى بطاح ومروج خضر تمتد إلى الآفاق متموجة كأنها بحر أخضر تنتثر فوقه كتل الغابات المختلطة الأشكال والأحجام كأنها جزر . وفى بعض النواحى تكثر هذه الجزر صغيرة وكبيرة وعالية ومنخفضة فتبدو كأرخبيل . وفى بعض النواحى تمتد جبال خضر قد زين انحدارها وسفحها بمربعات مختلفة الألوان ، بما زرع فوقها من قمح وغيره . وهكذا كان يمرق السهم الأحمر بين مروج وجبال وبحيرات وغابات حتى وصلنا (زيوريخ) ومررنا على ضفة بحيرتها المستطيلة حتى اجتزناها ثم ظل السهم الأحمر يعدو بنا فى آفاق خضر حتى وصلنا حدود ألمانيا وحاذينا نهر الرين ، ثم أبطأ القطار فى سيره ثم توقف أمام منظر دعا كل من بالقطار أن يقف مأخوذاً ويصرخ مبهوراً . إذ رأى النهر بعرضه يسقط مزبداً بين صخور عالية ودانية . وبعد قليل أوصلنا القطار حتى محطة ... فنزلنا منه ثم هبطنا فى طريق ضيق منحدر إلى أسفل يمتد بين أشجار كثيرة متكاثفة ، حتى وصلنا إلى شرفة صخرية مسورة بالحديد قد نحتت فى صخور ضفة النهر الجبلية فى الزاوية التى تنتصب عالية مدببة كأنها بؤبؤ سفينة ، والتى ينعرج أمامها النهر إلى اليسار ويسقط منحدراً إلى مجرى منخفض ، مصطدماً بالزاوية وبالصخور العالية التى تعترض مياهه الغزيرة فتمر من بينها منحصرة فى ضيق ، مرغية مزبدة وتسقط فى عنف فيتناثر رذاذها كالدخان الأبيض ، ويتطاير كالضباب ، فيحجب جزءاً من النهر عن الأنظار ويسمع لها هدير يصم الآذان . وقفنا فى هذه الزاوية الصخرية التى ترتطم بها المياه الغزيرة المتدفقة المزبدة مأخوذين مبهوتين ، يصلنا بعض رذاذها المتطاير . ننظر إليها وهى تهجم علينا ساقطة من عل ثم تجرى منعرجة إلى يسارنا وهى تغلى وتفور بيضاء كاللبن . فيا للمنظر العجيب . فإن ماء النهر ينحدر أولا على صخور بعضها كأنه درجات فيتموج فوقها هابطاً . وبعضها يعلو قليلا تكسوه الخضرة فينحصر بينها مزبداً صاخباً . وبعضها ينخفض فيقفز فوقها راقصاً .

وما يزيد فى غليان هذه المياه وغضبها هو مايعترض طريقها ويعرقل سرعة انطلاقها وعدوها لغزارتها وكثرتها . فإن فى موضع انحدارها وانعراجها معـاً بالقرب من الضفة اليمنى، تبرز صخرة مكسوة بالأغصان كجزيرة صغيرة، وتعلو فى نحول كمأذنة ، ثم صخرة أخرى ناتئة بعدها تمـاثلها شكلا وحجما ، فتمر المياه من فرج ضيق بينهما وحولها ثم تندفع بقية المياه فى عنف إلى ناحيتنا وتقذف بنفسها هابطة وقد انحصرت فى مسالك ضيقة فأرغت وأزبدت وهدرت وزمجرت ، تتزاحم وتتسـابق إلى المرور فى عجلة ، وتتطلاطم وتتصادم فى شدة وعنف وغلظة . فيا لجمـال المياه جارية وساكنة . وجامدة وثائرة، ومتساقطة ومتلاطمة .

هرم الدكتور محمد رضا

دعوة أنصار السنة المحمدية

تقوم جماعة أنصار السنة المحمدية بالدعوة إلى العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبتطبيق أحكامهما ، فمن زعم أن دعوة أنصار السنة لاتعدو محاربة الشرك فقد وهم ولم يفهم .

فإن العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يتضمن تنفيذ جميع أحكام الإسلام .

ولما كان التوحيد هو ذروة سنام الإسلام وهو الذى دعا إليه الرسول بمكة طيلة ثلاث عشرة سنة كاملة ، فإنه لذلك ينال أكبر العناية من أنصار السنة المحمدية وجل اهتمامهم ، ولا يغفلون شيئاً من شريعة الإسلام وأحكامه ، بل يدعون إلى الإسلام بصفته ديناً كاملا ، فيه نبأ ماقبلهم وخبر مابعدهم وحكم مابينهم .

والعجب ممن ينقمون من أنصار السنة شدتهم فى محاربة أنواع الوثنيات والبدع الباطلة، التى ألصقت بالإسلام وشوهت من جماله ، وما هى إلا بقايا من الجاهلية الاولى ، أحياها أعداء الإسلام، بعد أن هدمه بمعاول التوحيد بأيدى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تبعهم باحسان .

ألا إن أنصار السنة إنما اشتدوا فى محاربة الشرك ، لليقين الذى يملأ أفئدتهم وقلوبهم بأن التوحيد الذى يشوبه من أعمال الجاهلية شىء . لايصلح أساساً يبنى عليه سائر الشعائر الإسلامية من صلاة وصوم وزكاة وإقامة حدوده، والإيمان الصحيح هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

وليت شعرى هل ذاق أولئك الناقمون حلاوة الاتصال بالله تعالى والتقرب إليه بالتوحيد الخالص ؟ ؟ ؛ لا أظن .

إن تنصروا الدين ينصركم الله

ما بال دمعك لا يزال هتونا ... وأراك ترسل زفرةً وأنينا
إنى لأشفق أن أراك مسهّدًا ... حيران مما قد دهاك حزينا
وتنمّ عن لهفٍ بنفسك عِزّةٌ ... حتى غدوت لدى الأسى مرهونا
وأصاب جسمك ما أصاب كأنما ... غاض الوفا وجفا الأنام حنينا
أجفاك قومك أم تركت منازلاً ... كانت لآى المكرمات عيونا ؟
أم بتّ ليلك ساهداً متحسراً ... وغدوت صباً هالعاً مفتونا ؟
ما أنت إلا الدين باكٍ فى الورى ... خوفاً عليه أن يصير دفينا
والدين إن يند به صبٌّ إنما ... حكم الشريعة أن تكون أمينا

* * *

خفف من الويلات إنك آمنٌ ... واقصد حمى كريم تجده حصينا
ما بين قومك للفضائل أمة ... حملت إليك الفرض والمسنونا
فابسط لهم أسباب أمرك واصطبر ... والله خير حافظاً ومعينا
قل : قوم فيم بكاى فيم تحسُّرى ... وعلام أتخذ الدموع خدينا ؟
إن تنصروا الدين الحنيف فإننا ... نرقى إلى حيث العلا يرضينا
لولا التحلىِّ بالفضائل والتُّقى ... ما نال فخراً ثابتاً ماضينا
هى كل شىء فانصحوا وِلْدانكم ... فى مهدهم أن يجعلوها دينا
قولوا لهم إن الفضيلة والتقى ... سبب الرسالة والنُّبوة فينا
سعد الذين تنافسوا فى نيلها ... أن مكَّنوها بينهم تمكينا

* * *

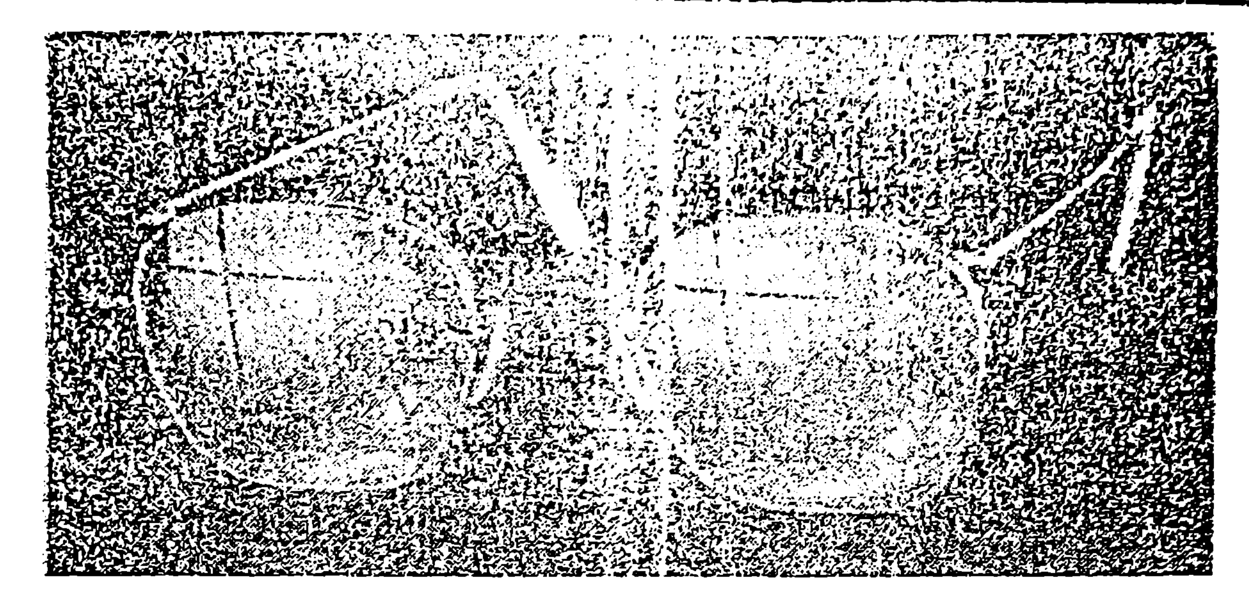
إنَّا نؤمل فى الحياة بأن نرى ... دين الشريعة فى القلوب مكينا
ماذا عليكم لو رفعتم صرحه ... وجعلتموا حبل الإله متينا
فالدين أوشك أن يقوَّض ركنه ... لما تركنا حكمه المكنونا
ما الدين إلا أن تكون قلوبنا ... مهد المعارف للهدى تدنينا
ما الدين إلا بالصلاح وبالتقى ... إن الصلاح مع النهى يغنينا
إن تطلبوا كنزاً فهذا كنزكم ... من فاته حتماً يلاقى الهونا
إن تنصروا دين السلام يؤاتكم ... نصراً عزيزاً فى الحياة مبيناً
ردُّوا إلى الدين الحنيف أصوله ... وتبيَّنوا أحكامه تبيينا
صونوه من بدعٍ عليه تتابعت ... وتجمَّعت بالمسلمين سنينا
من يأت فى الدين الحنيف ببدعةٍ ... أضحى مضلاً جاهلاً مأفونا
تخذ الضلالة والغواية والهوى ... ديناً وكان منافقاً ماعونا
فتخلَّقوا بالصالحات لتسعدوا ... ولتنهلوا ماء الحياة معينا
وترسَّموا سبل الكمال جليَّة ... إن الشريعة للعلا تهدينا

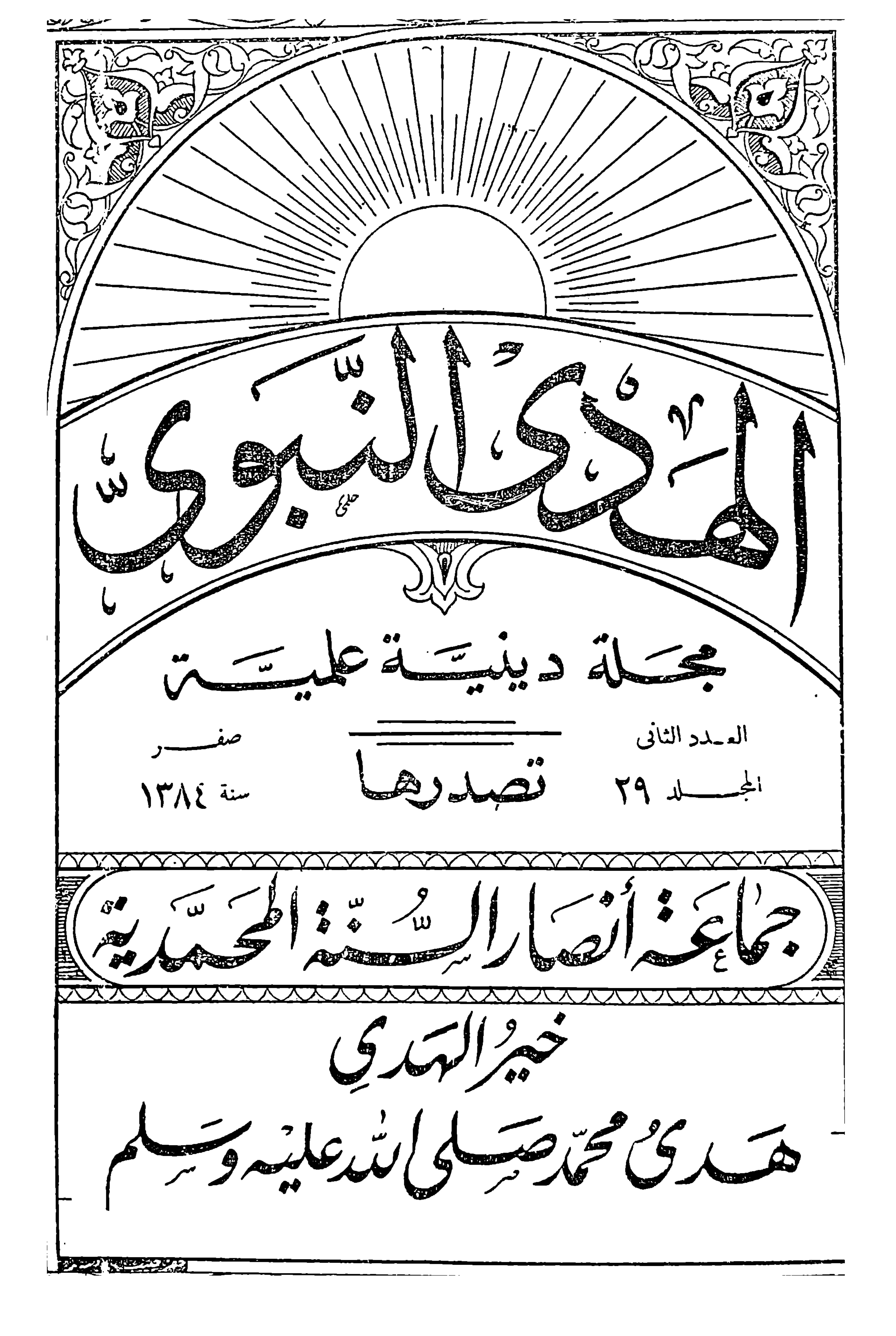
« الجيزة »

نجاتي عبد الرحمن

محاضرات المركز العام

تبتدىء محاضرات المركز العام مساء السبت والأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة المغرب — والدعوة عامة .




الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثانى
المجلد ٢٩
تصدرها
صفر
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

١٤ غربة الإسلام (محاضرة) « الدكتور محمد خليل هراس

٢٤ صلاة المسافر . . . . . . « « تقى الدين الهلالى

٢٨ نظرات فى التصوف . . . . « الشيخ عبد الرحمن الوكيل

٣٥ تحية إلى كلاى (قصيدة) . . . « « عمرو محمد حسن التندى

٣٨ من أحسن ما قرأت . . . .

٣٩ غزوات الرسول . . . . للأستاذ سعد صادق محمد

إلى السادة المشتركين

بمناسبة دخول السنة الهجرية الجديدة فإننا نذكر السادة المشتركين بأن يتفضلوا مشكورين بسداد قيم اشتراكاتهم عن السنة الجديدة .

كما أننا نرجو من السادة المتعهدين بأن يتفضلوا فيرسلوا إلينا ماتحت أيديهم من ذممات المجلة . ولهم شكرنا .

ترسل اشتراكات المجلة باسم السيد/ محمد رشدى خليل

٨ شارع قوله بعابدين القاهرة

تنبيه : تغير رقم تليفون المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

إلى ٩١٥٥٧٦



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ٢ صفر سنة ١٣٨٤ المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جلّ ذكره : ﴿ وأمَّا الجدارُ ، فكان لغلامين يتيمين فى المدينةِ ، وكان تحتَهُ كَنزٌ لهما ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ، وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عليه صَبْرًا — الكهف : ٨٠ — ٨٢ ﴾ .

معانى المفردات

« كنز » : قال ابن الأثير : الكنز فى الأصل : المالُ المدفون تحت الأرض . وقال الراغب : الكنز جعل المال بعضه على بعض ، وحفظه ، وأصله من كنزت التمر فى الوعاء .

« يبلغا أشدهما » : أصل كلمة شد يدل على قُوَّة فى الشىء . ويقول ابن فارس : الأَشُدُّ : العشرون ، ويقال : أربعون سنة ، وبعضهم يقولون : لا واحد لها ، ويقال : بل واحدها شَدٌّ . والأَشُدُّ الاكتمالُ . والمقصود . أن يدركا شدتهما ، وقوتهما ، ويعقلا ،

« المعنى »

تدل الآية على أن الجدار كان ملكا لغلامين مات أبوهما ، وأن أباهما كان صالحاً ، ورغم هذا الوضوح المشرق من الآية يزعم بعضهم : أنه كان بين الغلامين وبين الأب الصالح سبعة آباء ! ! ليقولوا بعدها : « إنه يُحفظ بصلاح العبد ولده ، وولد ولده ، وعشيرته ، وأهل دُوَيْرات حوله ، فلا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم » ! ! .

من أين جاءوا بسبعة الآباء ؟ من الهوى والشهوة ، ثم إنهم يتناسون السبب المذكور فى القرآن ، والذى حرك العبد الصالح إلى إقامة الجدار ، وهو الواضح من قوله سبحانه : « رحمة من ربك » .

ترى لِمَ لم يحفظ الله من الغرق ابن نوح ، ونوح من أولى العزم من الرسل[1] ؟ ولم لم يحفظ الله والد إبراهيم ، وإبراهيم خليل الله . وقال المفسرون : إن اسم الوالد : كاشح ، واسم الولدين : أصرم وصريم ، وهو قول بغير علم ! ! .

ومجىء كلمة « المدينة » يدل على جواز إطلاق هذه الكلمة على القرية ؛ فقد قال الله من قبل « حتى إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها » وهنا يقول جل شأنه :

« لغلامين يتيمين فى المدينة » ويبدو أنها كانت قرية كبيرة متحضرة .

« وكان تحته كنز لهما » لقد جعل أبوهما الصالح هذا الكنز تحت الجدار حرصاً منه على ثروة ولديه من بعده ، ولعله كان قد شعر بدنو أجله ، ففعل مافعل . ويمكن أن نفهم أنه لم يكن لهما أم ، أو أنه كانت لهما أم سيئة لا يثق فيها الوالد ، وأنه لم يكن لهما أهل يمكن أن يطمئن الوالد الصالح إليهم ، كما تستطيع أن تلمح أن الرجل وهو يضع المال تحت

---

(١) لما قال الله لإبراهيم : « إنى جاعلك للناس إماماً » قال إبراهيم : « ومن ذريتى » فرد الله سبحانه : « لا ينال عهدى الظالمين » ثم تدبر قول الله : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم . وما ألتناهم من عملهم من شىء ، كل امرىء بما كسب رهين » فالإيمان هو مصدر النجاة .

الجدار ، كان متوكلا على الله مستسلماً إليه ، موقناً أن الله سيرزق ولديه بمن سيعينهما على أمر الكنز[١] . والكنز مال مدفون قد يكون ذهباً وفضة ، وقد يكون أحدهما ، وقد جاء فى الترمذى : أنه كان ذهباً وفضة .

ولا بأس من الإشارة إلى ماقال المفسرون ؛ لنعلم مدى ما تعرض له كتاب الله ، ومدى سطوة الهوى وبطشه بأصحابه ، حتى لينسيهم جلال الكتاب ، وقدسيّته مقابل أن يشتروا من الناس مصمصة الشفاه إعجاباً بكلمة ساحرة البيان .

قال بعضهم عن الكنز : إنه كان صحفاً فيها علم ، وقال آخرون : إنه لوح مكتوب فى أحد جانبيه مايأتى : « عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ . عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يغضب ؟ عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب ؟ عجباً لمن أيقن بالحساب كيف يغفل ؟ عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهاها كيف يطمئن إليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله » ومكتوب على الجانب الآخر : « أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن خلقته للخير ، وأجريته على يديه ، والويل كل الويل لمن خلقته للشر ، وأجريته على يديه » .

والقصة تحمل فى ثناياها الدليل على أنها موضوعة مفتراة من صوفى يحب أن تظل هذه الأمة خاملة خامدة لا تسعى ، ولا تعمل .

ويحاول أن يخدعنا عن كذبه بقوله « محمد رسول الله » فما كان محمد مخلوقاً حينئذ . ولكنه وضعها ليشترى من الناس — كما يتخيل — إعجابهم بحبه لمحمد صلى الله عليه وسلم .

أعترف أن مع القطعة سحراً من البيان ، وبهذا السحر البيانى استطاع الضالون

---

(١) وفى هذا دليل قوى - غير ما فى القرآن من أدلة أخرى - على جواز ترك ثروة للأولاد بعد أداء ماعلى الإنسان من حقوق لله سبحانه . فهل يفهم دعاة الإلحاد الشيوعى الذين يزعمون أنهم مسلمون .

صرف المسلمين عن هدى الله ، ولقد كان سحر البيان أمضى سلاح تستعمله الصوفية ، لماذا بسط « إحياء علوم الدين » للغزالى سلطانه على النفوس ؟ لماذا فرضت « حكم ابن عطاء الله السكندرى » سيطرتها على عشاق الأدب ؟ إنه البيان الساحر .

نضرع إلى الله أن يرزقنا البيان الذى يصرف الناس عن الباطل إلى الحق .

وللكلمة المطبوعة سحر صارف رهيب ، وأعجب العجب أنه لا يكون لها سلطانها القوى على النفوس ، وهى فى المصحف ! ! .

والواعظ المخدوع ، أو الصوفى الذى يعثر بمثل الكلمات الماضية المخترعة تراه يعكف عليها حفظاً ، ويتشدق بها فى كل ملحمة وعظية ، أو ردغة صوفية ، معتداً معتزاً بأنه قرأها فى كتب التفسير ، وسيهطع السامعون ، ويذعنون ؛ لأنه أخذها عن كتب تفسير القرآن ، ولكنهم لا يفعلون هذا إذا ذكرهم بالقرآن نفسه ! ! .

وبهذه الكلمات المفتريات صرف أعداء الله الناسَ عن القرآن وتدبره إلى التدبر فى جمال أسلوبها وروعته ، وأسراره البلاغية ! ! .

(وكان أبوهما صالحاً) تكشف هذه الآية كلها عن السبب الذى من أجله حقق الله للأب رجاءه ، وأفاض عليه ، وعلى اليتيمين الصغيرين رحمته . ويبدو من نسق الآيات أن اليتيمين كانا غير مكلفين ، وأنهما كانا لم يبلغا أشدهما ، وأنهما لم يقترفا ما يعاقبان عليه من الله ، وبهذا استحقا رحمة الله ، وبصلاح الأب استحق الأب رحمة الله .

وقارن بين هذين الغلامين وبين الغلام الذى قتله العبد الصالح ، فقد أمر الله بقتله ؛ لكيلا يرهق أبويه طغياناً وكفراً ، وهنا يريد الله للغلامين أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما . فسبحان علام الغيوب ، وهو وحده الذى يعلم ماسيكون[1] .

---

(١) ولهذا ابتلى الله الملائكة بالأسماء بعد أن قالوا مايوحى بأنهم يعرفون الغيب فى قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وقد أقروا صادقين : (سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم) . فكيف نصدق من يزعم أنه يعرف لك =

« فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزَهما رحمةً من ربك » . هنا ينسب الإرادة إلى الله وحده ؛ لأنه لايقدر على مابعدها أحد غير الله سبحانه ؛ فتأمل فى تصرف العبد الصالح فى أسلوبه .

« فأردت أن أعيبها — فأردنا أن يبدلهما — فأراد ربك » .

ولا أزعم أنى عرفت الحكمة كلها من وراء هذه التعبيرات فى إسناد الإرادة ، غير أنى أردت أن أدفع قالة سوء يلمح إليها الصوفية ، وهى أن التعبير فى إسناد الفعل « أراد » جاء نتيجة لاختلاف حال العارف فى الالتفات إلى الوسائط ! ؛ أو للتنبيه على أن الخضر من العلماء العظماء فى علم الباطن ، وعلوم الحكمة ، ولهذا جاء بقوله :

« فأردنا أن يبدلهما ربهما » إشارة إلى أنه عظيم ، لأنه عبر عن نفسه بضمير الجمع ! ! .

أما الأولى ، فمرادهم منها أن الخضر — وهو يفعل كان أحياناً يشهد الله وحده . فيقول : أراد ، وأحياناً يشهد الله ، ويشهد نفسه . فيقول : أردنا ، وهو تفسير صوفى لا إسلامى ! ! إذ هو مبنى على أساس الشهود المزعوم ، والمسلم يشهد قدرة الله وآيات وجوده وحكمته ورحمته وعلمه ! ولكنه لايشهد ذاته ! ! ، أى يشهد ما يدل على الصفة والموصوف ، ولكنه لا يشهد الموصوف نفسه ! ! .

وأما الأخرى : فليست من خلق هذا العبد الصالح كما نرى فى الآيات ، ثم ماعلم الباطن الصوفى سوى أسطورة ! ! .

وقد تعلقت إرادة الله سبحانه بأمرين . أولهما « أن يبلغا أشدهما » وآخرهما : « ويستخرجا كنزهما » وتقديم الأول على الآخر يبين أن هذا هو الخير وأن هذا هو

= المستقبل ! ! . وهذا غلام فتى وضىء قوى له أبوان يظن كل من كان يراه أنه سيكون فى مستقبل عظيم . وهذا غلامان يتيمان فى قرية شحيحة ليس لهما من معين ، كنزهما تحت جدار يريد أن ينقض ، يظن من كان يراهما أنهما ضائعان لا محالة ، وأن مستقبلهما ضائع أو خائب أو مظلم ، ولكن تدبر ماذا صنع الله للغلامين ، وماذا صنع بالغلام ، فكيف أخطأ موسى فى معرفة مستقبل الغلام ! ! ، وما عرفه العبد الصالح إلا من الله سبحانه .

الترتيب الصحيح[1] ، فما كان يجديهما استخراح الكنز ، وهما لا يحسنان تصرفاً ، أو : وهما غير مكتملين فى القوة الجسمية والعقلية التى تعينهما على التصرف فى أموالهما .

وفى الآية مايوحى بأن هذا قد حدث ، ووقع .

ولكن كيف عرف الغلامان بأمر الكنز ؟ .

إن طرق المعرفة متعددة ، أن يكون الأب مثلا قد أخبرهما بشأن الكنز قبل أن يموت . أو ترك لهما مكتوباً ، وتستطيع أن تفهم أيضاً أنهما — حين بلغا أشدهما — نقضا الجدار لإصلاح ، فعثرا على الكنز ، وحسبنا أن نؤمن بما ذكر القرآن وحده ، دون أن نحدد طريقاً خاصا للمعرفة .

« رحمة من ربك » فى هذا بيان لحكمة الإرادة الإلهية وسببها ، أى أراد ربك ماأراد رحمة من عنده سبحانه ، فكيف يجوز — والسبب معروف من الآية — البحث عن سبب آخر ؟ .

« وما فعلته عن أمرى » الضمير المذكور فى « فعلته » يراد به جميع مافعلته . يقول : مافعلت كل ما رأيتنى أفعله عن أمرى أنا ، وإنما فعلته عن أمر الله سبحانه . والله يأمر بالقسط ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولك أن تتصور مبلغ ندم موسى عليه السلام حين تبين له أنه اعترض على أمر الله ، ولكن يطمئنه أن الله غفر لآدم حين نسى ، ولم يجد الله له عزما .

إذن مافعله العبد الصالح لم يكن عن أمره ، ولم يكن فاحشة ، ولم يكن حقيقة تخالف الشريعة ـ كما تزعم الصوفية ـ فالله لايأمر بنقيضين أبدا ، والله لايأمر إلا بالعدل والإحسان . وتعجبنى كلمة قالها البيضاوى فى تعقيبه على عمل العبد الصالح : « ومبنى ذلك على أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما ، وهو أصل ممهَّد غير أن

---

(٢) ونستطيع أن نفهم أيضاً أنهما لم يستخرجا كنزهما إلا بعد أن بلغا أشدهما .

الشرائع فى تفاصيله مختلفة » هذا قول رجل يعطف على الصوفية ، يقرر أن ما فعله العبد الصالح أمر مقرر فى الشرائع ، أى ليس حقيقة تخالف الشريعة . ونسأل من يحرفون الكلم عن مواضعه فى هذه القصة ، فيستدلون بها على أنه يجوز للولى أن يخالف الشريعة ، أو أن العارف قد يأتى بما يخالف الشريعة: نسألهم : ماذا فى عمل العبد الصالح من مخالفة لما أمر الله به سبحانه ، وهو يقول وما فعلته عن أمرى ؟ ولو كان مخالفاً ماسكت عنه موسى أبداً فإن موسى آمن بما قال العبد الصالح ، وأيده فى عمله . وهل شيوخ الطرق يوحى إليهم كما أوحى الله إلى العبد الصالح ؟ أما هذه ، فيفترونها ؛ إذ يزعمون أن الله يوحى إلى أوليائهم وحدهم ! !

إن ما فعله العبد الصالح مباح فى كل شريعة . بل قد يكون واجبا ، فهو ليس محرما من كل وجه ؛ فالشرع يبيح إتلاف بعض المال للإبقاء على البعض الآخر ، والشرع يوجب قتل المرتدين والمفسدين فى الأرض ، والغلام الصائل . والعمل بدون أجر غير منكر. لو أتى العبد الصالح بما وصفه الشرع بأنه منكر فى كل حال ، لقامت للصوفية شبهة ! ! ولكنه قام بعمل قد يكون حراما من جهة ، وحلالا أو واجبا من جهة أخرى . فالله - مثلا - حرم قتل النفس المؤمنة ، ولكنه أحل القصاص ، وأوجب قتل المفسدين فى الأرض ، ولم يقل أبدا : إن القتل حرام ! ! هكذا دون قيد أو شرط . ولكن تعال إلى الزنا ، وإتيان الغلمان والدواب . تلك الأمور التى جعلها الشعرانى من كرامات أوليائه ، ويؤكد لك أنه أخذ علينا العهد ألا نعترض !! هل الزنا كالقتل يوصف بأنه حرام مرة ، وواجب مرة أخرى ؟ إنه كما بين الشرع - محرم تحريما ذاتيا ، فلا ينفك عنه أبدا حكم : أنه حرام . بعكس فعل العبد الصالح . فليتق الله أولئك الذين يحسبون أنهم من هذه الأمة ، وهم أعداؤها ! !

« ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا » إشارة إلى مافسر به العبد الصالح عمله . وفى قوله وَخْزَةٌ لموسى تحمله على الندم ، وتعلمه أن يلوذ بالصبر الجميل ؛ ولهذا قيل فى حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله موسى ! لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما » .

حياة الخضر مرة أخرى : يقول البغوى وغيره فى التفسير : واختلفوا فى أن الخضر حى ، أم ميت . قيل : إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم . وقيل : ميت. وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة ، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة ، وكان الخضر على مقدمته ، فوقع الخضر على العين ، فنزل ، واغتسل ، وشرب وصلى شكرا لله عز وجل ، وأخطأ ذو القرنين الطريق ، فعاد .

وذهب آخرون إلى أنه ميت ، لقوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلْدَ) وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — بعد ما صلى العشاء ليلةً : « أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حى على ظهر الأرض أحد » ولو كان الخضر حياً ، لكان لا يعيش بعده » انتهى كلام البغوى .

ويقول الخازن عن حياة الخضر : « قيل : إنه حى ، وهو قول الأكثرين من العلماء ، وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية ، وأهل الصلاح والمعرفة ، والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ، ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى » .

ثم نقل الخازن عن أبى عمرو بن الصلاح رأيه ، وهو : أن الخضر حى ! ! .

أما ابن كثير فيقول فى تفسيره : « وذكر ابن قتيبة فى المعارف أن اسم الخضر بليا ابن مَلكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرنخشد ، بن سام بن نوح عليه السلام . قالوا : وكان يكنى أبا العباس ، ويلقب بالخضر ، وكان من أبناء الملوك . ذكره النووى فى تهذيب الأسماء ، وحكى هو وغيره فى كونه باقياً إلى الآن ، ثم إلى يوم القيامة قولين . وقال هو وابن الصلاح إلى بقائه ، وذكروا فى ذلك حكايات وآثاراً عن السلف[1] ، وغيرهم ، وجاء ذكره فى بعض الأحاديث ، ولا يصح شىء من ذلك ، وأشهرها حديث التعزية ، وإسناده ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وبقول النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر :

---

(١) لا يقول سلفى مؤمن بما يخالف كتاب الله أبدا .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » . وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حضر عنده ، ولا قاتل معه ، ولو كان حياً لـكان من أتباع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ لأنه — عليه السلام — كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، وقد قال : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى » وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف ، إلى غير ذلك من الدلائل » انتهى كلام ابن كثير . وقد نقلت لك كل هذا ؛ لنتبين معاً ضخامة ذلك التراث أو الركام الذى جمعه أعداء الله ؛ ليحاربوا به كتاب الله ، إن حياة الخضر الباقية خرافة ، ويقف دون هذه الخرافة أناس قدسهم التاريخ ، وجعل منهم قمماً فى العلم والحـكمة ، وعلى رأس هؤلاء الغزالى ، فهو يردد فى كتبه أن الخضر حى ، وأن الشيخ الفلانى لقيه ، وتعلم منه وناقشه ، وهذا النووى — على جلال بعض مآثره — وأبو عمرو بن الصلاح . فـكلاهما مع هذه الخرافة . وبهذا تـكون مهمة الذائدين عن الحق صعبة شاقة ؛ لأنه مضطر إلى مجالدة هذه القمم الشامخة فى التاريخ[1] . والذى يكشف لنا عن جانب الخطورة فى كيد الصوفية للإسلام ، أنها تفترى الخرافة ، ثم تقذف بها محاطة بتهاويل وأحاديث موضوعة ، وآراء منسوبة إلى شيوخ كبار ، فإذا بالخرافة تخدع عن حقيقة الـكثير من الشيوخ ، بل إنها لتضطر الذين لا تفتنهم إلى بيان أنها خرافة ! ! فتضل قوماً ، وتشغل بحربها آخرين .

هذه خرافة حياة الخضر الباقية لا تستند مطلقاً إلى دليل عقلى أو نقلى ، بل كل الدلائل تدمغها بأنها بهتان هوًى ، وأسطورة شهوة ، ومع هـذا استطاعت الصوفية أن تجعل منها مشكلة كبرى تدور حولها الأقلام طعناً أو انتصاراً ، وتؤلف الـكتب

---

(١) يجعلون من قيمة الأشخاص دليلا ، وحينئذ سيقارن هؤلاء بين عابد الخرافة وهادمها ، فيجدون للعابد ضخامة فى اللقب وذكراً مدوياً فى التاريخ ، ولا يجدون لهادم الخرافة هذا ، فيؤمنون بالخرافة وعابدها .

فى قرون عديدة ! ! ، مع أنها لا تستحق شيئاً مطلقاً من هـذا كله ، ولـكنك تراها تستميل الغزالى والنووى ، وابن الصلاح وغيرهم وتجعل منهم أولياء لها يدافعون عنها ، فتدفع المؤمنين الصادقين إلى التصدى لها لتـكذيبها وحشد الأدلة للقضاء عليها ، وبيان أنها فرية ملعونة وقد شغلت هذه الخرافة الناس أكثر من عشرة قرون ! ! .

هذا هو مكمن الخطر الصوفى فى بثه للخرافات ، فهو يشطر الناس شطرين ، شطراً يواليها ، وشطراً يقاتلها ، وتقف هى — أى الصوفية — فى حقدها الطاغى ، وكراهيتها المقيتة للإسلام ، وشمـاتتها الصماء مسرورة البغى ، لأنها جعلت أبناء الأمة يقتتلون حول خرافة ! ! .

والعجيب أن هذه الخرافة تضطر أعداءها إلى حشد أدلة كثيرة(١) ضدها مع أنها فتنة واهية . أليست هذه أسطورة باغية ؟ ! .

فهى فى حقيقتها وهم تخيله مأفون ، وتلقفه عدو الله ، وجعل منه مشكلة كبرى .

لقد قالت الرافضة بالإمام الخالد الباقى على تطاول القرون ! ! فأبى الذين يزعمون أنهم سُنِّيُّون إلا أن يقولوا بالخضر الخالد الباقى على الدهر ، وكانت خرافة بقاء الخضر أوقح ؛ لأن الرافضة لاتزعم أن إمامها الغائب سيظل حيا إلى قيام الساعة ، بل إلى أن يتمكن من من الظهور ، وقتل أبى بكر وعمر ومعاوية وغيرهم بعد أن يبعثهم الله من أجله ؛ ليقتلهم . أما أحلاف الخضر الخالد ، فيزعمون أنه دائم إلى قيام الساعة ! ! ويغَشُّون قوله سبحانه « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » بالهوى المعربد ، على نوره وجلاله ويقينه . تدبر مجىء كلمة « بشر » نـكرة فى سياق النفى بكلمة « ما » فإن مجيئها كذلك يفيد الشمول والعموم . ومع هذا لايؤمن الناس !! إن أحلاف الخرافة لايستندون إلى شىء ما أبدا !!

---

(١) لأن الذين أيدوها ويؤيدونها من كبار الأحبار والشيوخ الذين دوى فى التاريخ صيتهم . وهؤلاء عند الناس أعظم من الله ورسوله . لأن الله لم يقلها ، ورسوله لم يقلها ، ورغم هذا يصدق الناس الشيوخ ، ولا يصدقون الله ورسوله ! ! .

وأعداء هذه الخرافة يستدلون بالقرآن ، ومع هذا يصدق الناس الوهم ، ويكفرون بالحقيقة ؛ لأن الغزالى وغيره يدينون بهذه الخرافة . أما كتاب الله أما رسول الله ، أماهدى أحدهما ، فلا يجد سبيلا إلى قلوب هؤلاء ، فالغزالى أبر صدقا ، وأزكى !! هكذا أيضا جعلني الخرافة أستنفد وقتا وورقا ، لبيان أنها خرافة ، أليس هذا محزنا ملفتا للنظر[1] ؟ !

« ربنا لاتُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لَدُنْكَ رحمة إنك أنت الوهاب »

عبد الرحمن الوكيل

---

(1) ذكر الطبرى فى تفسيره مايبين به سبب ذكر قصة موسى والعبد الصالح فى هذه السورة ، وإليك ماقال : « وهذه القصص التى أخبر الله عز وجل نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - بها عن موسى وصاحبه تأديب منه له ، وتقدم إليه ، بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه ، واستهزءوا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجرى مثله أحياناً لأوليائه ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى ؛ إذ لم يكن عالماً بعواقبها ، وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآيلة إلى الصواب فى العاقبة ، ينبىء عن صحة ذلك قوله : (وربك الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه - جل جلاله - تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظراً منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا ، واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخزى الدائم » .

فى المنصورة

جاءنا من جماعة أنصار السنة المحمدية بالمنصورة — عاصمة محافظة الدقهلية — أن جمعيتها العمومية اجتمعت ، وبعد عرض الأعمال التى قامت بها الجماعة خلال السنة الماضية ، وعرض ميزانية الجماعة . أجريت الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الإدارة للعام الجديد ، وسننشر إن شاء الله فى العدد القادم أسماء السادة أعضاء المجلس .

بقية محاضرة :

غربة الإسلام

التى ألقاها فضيلة الدكتور محمد خليل هراس بسوهاج

القاعدة الرابعة :

إن الدين الإسلامى دين سماحة ويسر ، لا مشقة فيه ولا عسر قد وضع الله عن أهله الآصار والأغلال التى كانت على من قبلهم ، ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج ، فشرع لهم من الطهارات الحسية والمعنوية مافيه تنظيف لثيابهم وأبدانهم وأرواحهم من غير أن يكلفهم فى ذلك مايشق عليهم . فرخص لهم فى استعمال التراب بدلا من الماء عند فقده أو تعذر استعماله فى الحدث الأكبر والأصغر جميعاً ، ووضع عنهم شطر الصلاة فى السفر ورخص لهم فى الفطر فيه ، وأذن لهم فى المسح على الجبائر والخفين والعمائم والجوارب وشرع لهم ضروباً من العبادات السهلة لتكون تعبيراً عملياً عن خضوع المسلم لربه ولتكون رمز الولاء والحب والعرفان والشكر لنعمه ، ولتكون كذلك كالا للتوحيد وعنواناً على الإخلاص . وهى كذلك تجدد ذكر الله فى القلب حتى يظل العبد موصولا به يتمثل عظمته وجبروته ويسارع فى مرضاته ، وفضلا عن ذلك فإن العبادات ذات أثر بالغ فى تقوية مشاعر الأخوة بين المسلمين وتوثيق أواصر المودة بينهم حيث يقومون بها جميعاً لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين أمير وسوقة فيشعرون بالمساواة التامة بين يدى الله عز وجل ، وتنمحى بينهم تلك الفوارق العارضة التى ولدتها ظروف الحياة . ولهذه العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، المكان الأول فى نظر الإسلام بعد التوحيد . فلا يجوز لمسلم أن يتهاون بها أو يقصر فى أدائها كما يجب على الدولة أن ترعى ذلك وأن توليه جل اهتمامها وأن تهيىء للناس كل الوسائل التى تمكنهم من القيام بشعائر تلك العبادات .

القاعدة الخامسة :

إن الدين الإسلامى نظام إلهى كامل أنزله الله وافياً بحاجات البشرية كلها فى العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق وأحكام البيوع والمعاملات وأنواع الحدود والجنايات وشئون القضاء والخصومات ، ونظام الأسر وآداب المجتمعات وأحكام الحرب والسلم وعقود الصلح والذمة إلى غير ذلك مما حفل به الفقه الإسلامى المستمد من الكتاب والسنة ، فليس الدين الإسلامى كما يزعم المغرضون دين عبادة وزهادة فحسب ، ولا صلوات تؤدى فى المساجد وأعمال تقصد بها الآخرة ، ولكنه دين ينتظم شئون الحياتين ويتغلغل إلى كل مظاهر الوجود . فهو دين فى طبيعته أن يقود ويهيمن ، لا أن يتوارى ويختفى وهو يفرض على أتباعه أن يأخذوا به كله وأن يدخلوا فيه كافة ، فليس لأحد أن يأخذ بشيء من الدين ويدع شيئاً ، بل إما أن يؤخذ كله أو يترك كله . وليس فى القرآن سورة تؤثر وأخرى تهدر ، ولا حكم يتبع وآخر يهجر ، بل الدين كل لا يتجزأ . وليس لأحد كذلك أن يزعم أن هذا الدين ناقص يحتاج إلى تكميل أو تحسين ، فيضيف إليه من البدع ما شاء له هواه ويفترى على الله الكذب ، بل الواجب هو الوقوف عندما حده الله ورسوله بلا زيادة أو نقصان . فإن النقص تفريط وجفاء والزيادة ظلم واعتداء ، ودين الله وسط بين الجافى عنه والغالى فيه .

ومن الجرم الفظيع والجناية الكبرى أن يزعم أحد أن دين الله منقسم إلى حقيقة وشريعة ، وأن لكل منهما أهلها ، فالحقيقة للخواص والشريعة للعوام ويجوز لأرباب الحقيقة مخالفة الشريعة لأنهم ليسوا مكلفين بها ، فإن هذا القول كفر بالشريعة وبالدين كله . فإن الشريعة هى ماشرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه فهى تنتظم الدين كله فى جملته وتفصيله ، وتشمل الأعمال الظاهرة التى تفعل بالخارج والأعمال الباطنة التى تتعلق بالقلوب ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

القاعدة السادسة :

إن الإسلام حرر العقل الإنسانى من سلطان الخرافة والوهم ، ومن كل ما يشمل حركته ويعطل موهبته ، ورفع الحجر الذى كان مضروباً عليه ورد إليه اعتباره المهدد . فدعاه إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ليستنتج ويعتبر ، ووضع له المعايير الصحيحة للتفكير السليم . فنهاه أن يقفو ماليس له به علم ، أو أن يصدق بما لم يقم عليه الدليل ، أو أن يجرى وراء سخافات وضلالات قد أسماها أصحابها فلسفات ورثتها الإنسانية عن قرونها الأولى من غير أن يمتحن صدقها ليعرف ما فيها من حق فيأخذه ، وما فيها من باطل فيرفضه . وحرر الإسلام كذلك الإرادة الإنسانية من التبعية الذليلة والإنقياد الأعمى لشهوات السادة والرؤساء ، ودعا الإنسان إلى أن يعيش حراً كريماً فى ظل من أداء الواجب ويقظة الضمير والرعاية لحدود الله ، وحرر إرادته كذلك من أسر الشهوات وعبادة اللذات ، وأن يكون سيد نفسه يملكها ولا تملكه ويسمو بها عن حضيض الحيوانية الوضيعة إلى أوج الإنسانية الرفيعة ، ويزكيها بالأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة .

وحذر الإسلام من التقليد الأعمى ، والتعصب للدين والعادات الموروثة عن الآباء والأجداد والشيوخ ، وأمر بتمحيص ذلك كله وتقليب النظر فيه ليؤخذ ما فيه من حق وخير ويجتنب ما فيه من باطل وشر . ودعا إلى وحدة الأمة واعتصامها جميعاً بحبل الله وانضوائها تحت راية القرآن . ونهى عن التفرق فى الدين والاختلاف فيه ، وحارب العصبية بكل أنواعها سواء كانت عصبية لجنس أولون أو قبيل أو نحلة أو مذهب ، ودعا إلى التسامح والجدال بالتى هى أحسن ، ورد ماتنازع فيه المسلمون إلى الكتاب والسنة مع الرضى بحكمهما والتسليم لهما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

القاعدة السابعة :

وأخيراً دعا الإسلام إلى العمل وحث عليه كل قادر ، وجعله موضع نظر الله من العبد ،

فإن الله لا ينظر إلى الصور والأجساد ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال . وأخبر أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وأن أطيب ما أكل الرجل من من كسبه . وأن من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له . وأن الرجل حين يأخذ حبله ويخرج إلى الجبل فيجمع حزمة من الحطب يحملها على ظهره ويبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأن الله يحب عبده الشجاع ولو على قتل حية ، إلى غير ذلك مما يدل على أن الإسلام دين الإيجابية والحياة والقوة والنظام ، وليس دين القعود والتوكل والمهانة والعجز ، ولا دين البِيَع والصوامع والخلوات والأديرة ، ولا دين هؤلاء البطالين والمتأكلين باسم الدين الذين يجوبون فى طول البلاد وعرضها يجمعون المال الحرام ويأكلون فى بطونهم السحت الخبيث ، ويخدعون الجهال والاغرار باسم المشيخة والطريقة والسر والبركة والولاية والمدد ، ويتخذون من ذلك حرفة يتعيشون منها معرضين عن الأعمال الشريفة التى تضمن لهم الرزق الحلال الطيب بلا ختل ولا احتيال .

* * *

هذا هو الإسلام فى إطاره الحقيقى أيها الأخوة ، وفى تياره النقى قبل أن تصب فيه تلك الروافد الآسنة التى عكرت صفوه وأخرجته عن بساطته ونقائه وغبرت فى وجه سنائه .

فماذا حدث لهذا الإسلام من أحداث وماذا أصابه من محن وأرزاء ؟ هنا يطول الكلام جداً فقد استهدف الإسلام فى مدى أربعة عشر قرنا لحملات جائرة وغارات متلاحقة بعضها مستعلن وبعضها مستتر. بل إن الاسلام قد أوذى من بعض أهله الغيورين بأكثر مما أوذى من الأعداء الشانئين . ولقد صدق المثل القائل (عدو عاقل خير من صديق جاهل)

وإذا كنا لا نستطيع فى هذه المحاضرة ، وهى ذات حيز ضيق ووقت محدود ، أن نحصر كل ما وفد على الاسلام من الأوضار الداخلية والبدع المحدثة والثقافات المختلفة ، فإننا سنكتفى بعرض سريع لأهم العوامل التى أثرت فى مجراه ، والتى كادت لولا لطف الله وحفظه لدينه وكتابه أن تقضى على هداه :

لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أكمل الله له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً ، وبعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، فلم يدع خيراً يقربها من الله إلا أمرها به ، ولا شراً يبعدها عن الله إلا نهاها عنه .

ثم قام بالأمر من بعده خليفته الأول صديق هذه الأمة أبو بكر رضى الله عنه ، ثم خلفه عمر الفاروق بعهد منه ، وقد سارت أمور المسلمين فى عهدهما على أحسن ما يكون ، بحيث يمكن أن تعتبر خلافتهما امتداداً لزمان النبوة . ثم ولى الأمر عثمان بن عفان فاستتب له الأمر مدة ثم وهنت قوته ، فاضطرب الحبل فى يده وتسلط عليه بعض أهل بيته ، ووجدت عوامل متعددة أذكت الفتنة ضده حتى انتهت بقتله شهيداً مظلوماً ،

وكان مقتله على هذه الصورة البشعة وفى المدينة دار الهجرة وحاضرة الخلافة ، نذيراً بتلاحق الفتن وشبوب أوارها ، فقد بويع بعده على بالخلافة ولكن معاوية وأهل الشام امتنعوا عن بيعته بحجة أنه لم يقتص من قتلة عثمان . ثم خرج عليه بعض إخوانه من السابقين الأولين ، كطلحة والزبير ، وانحازوا إلى البصرة ولحقت بهما عائشة أم المؤمنين ، وكانت موقعة الجمل التى انتهت بمقتل طلحة والزبير وعقر فيها جمل عائشة ، وكادت تقتل ، وقد سيرها على إلى المدينة مكرمة .

ثم اشتد الخلاف بين على ومعاوية وكانت معركة صفين التى انتصر فيها على ، لولا أن بعض جيشه تمرد عليه وأرغمه على قبول مهزلة التحكيم التى كانت حيلة بارعة تفتق عنها ذهن الداهية القرشى عمرو بن العاص . وقد انتهت هذه التمثيلية بوقوع الشقاق فى جند على عليه ، فخرج عليه الخوارج الشراة واتهموه بأنه حكَّم الرجال فى كتاب الله ، وكفروه هو وأصحابه ، كما كفروا معاوية ومن معه ، وكفروا عثمان أيضاً واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وسبى ذراريهم ونسائهم . وبذلك كان هؤلاء الخوارج أول فرقة من أهل البدع والزيغ ظهرت فى الاسلام وكانت حركتهم أول تمرد سافر ضد المبادىء الدينية والجماعة الاسلامية ، فقد كفَّروا مرتكب الكبيرة وحكموا بخاوده فى النار ، مخالفين

يذلك إجماع المسلمين على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان بكبيرته ، وأنه يسمى مؤمناً عاصياً ، وأنه إذا مات ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض إلى ربه إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

وذهبوا أيضاً إلى أنه لا يشترط فى الخليفة أن يكون قرشياً ، رغم الأحاديث الكثيرة الواردة فى ذلك . وقد حاربهم على رضى الله عنه بعد ما ثبت له أنهم هم المعنيون فى الأحاديث الصحيحة التى ذكرت سيماهم وعلامتهم ، وكسرهم شر كسرة فى موقعة النهروان ثم حاربهم من بعده خلفاء بنى أمية حتى قضى على معظمهم ولم يبق منهم إلا فلول شاردة هنا وهناك .

وإلى جانب هؤلاء الخوارج ظهرت فرقة تشيعت لعلى وأهل بيته وغلت فيهم إلى حد التأليه واعتقاد العصمة ، وزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد نص على إمامة على وأوصى له بالأمر من بعده ، ولكن أبا بكر وعمر ومن معهما من الصحابة قد تآمروا على تنحيته واغتصاب حقه فى الخلافة ، فأظهر هؤلاء الشيعة سب أبى بكر وعمر وعائشة وكثير من الصحابة وصرحوا بلعنهم ، وأحدثوا من البدع فى العقائد والعبادات شيئاً كثيراً كالقول بالتقية والرجعة وعصمة الأئمة ، وألفوا لهم كتباً خاصة فى الحديث والفقة خالفوا فيها جماعة المسلمين .

ثم ظهرت فرقة يقال لها القدرية زعموا أن لا قَدَر ، وأن الأمر أُنُفٌ ، وأن الله لم يكتب على العباد شيئاً ، وغلا بعضهم حتى زعم أن الله لا يعلم أعمال العباد قبل وقوعها . وقد ظهرت هذه البدعة فى أواخر عهد الصحابة فأنكروها وأظهروا البراءة من أصحابها وردوا عليها بما عندهم من أحاديث القدر ، ثم ظهرت المرجئة كطرف مقابل للخوارج ، بتكفير مرتكب الكبيرة والحكم بخلوده فى النار ، فرط هؤلاء المرجئة وزعموا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وأن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الايمان ، وأخروا الأعمال عن الايمان وزعموا أنه مجرد المعرفة .

ثم ظهر الجهم ابن صفوان الترمذى فغلا فى التعطيل ونفى جميع الأسماء والصفات الإلهية ، وقال لا أصف الله بصفة توجد فى المخلوق ، ولا أسميه باسم يطلق على المخلوق ، فلم يسمه إلا قادراً فاعلا ، لأن المخلوق عنده لا قدرة له ولا فعل ، بل هو مجبور على أفعاله وهى تصدر عنه بلا اختيار منه ، كما تصدرأفعال الجمادات . وزعم أن الله يعذب العبد على ماليس من فعله ، وأحدث القول بخلق القرآن ، إلى غير ذلك مما ابتدعه هذا المارق الأثيم من بدع وضلالات ورثها من بعده من أشياعه فى الضلال .

ثم جاء المعتزلة فأبلوا أحسن البلاء فى الدفاع عن الاسلام ، ثم ما لبثوا أن انحرفوا انحرافاً هائلا عن الجادة ، فغلوا فى تقدير العقل وحكموه فى كل مسائل العقيدة ، وقدموه على النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، وأصّلوا لأنفسهم خمسة أصول اتفقوا عليها ، وهى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد غلطوا فى كل واحد من هذه الأصول غلطاً بيناً ، فاتخذوا من التوحيد ذريعة لنفى الصفات وتعطيل الذات عنها ، ومن العدل ذريعة إلى القول بأن العبد مستقل بخلق أفعاله وأن الله يريد أفعال العباد ولا يقدر عليهافهى مخلوقة للعباد وليست مخلوقة لله ، ولزمهم أن يقع فى ملكه ما لا يريد وأن غيره خالق معه ، واتخذوا من مبدأ الوعد والوعيد حكمهم على الله بوجوب أثابة المطيع وعقاب العاصى ، فلا يجوزله عندهم أن يغفرلمذنب كما لا يجوز له أن يهضم حق من أطاعه .

وأما المنزلة بين المنزلتين فمعناها أنهم لا يسمون مرتكب الكبيرة مؤمنا ولا كافراً بل يجعلونه فى منزلة بين الإيمان والكفر ، ولكنهم يوافقون الخوارج على خلوده فى النار مع الكفار .

أما فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد نشطوا فيها حتى أرسلوا دعاتهم إلى كل صقع وبلد ، ولكنهم استغلوا ذلك لنشر مذهبهم واستعدوا خلفاء بنى العباس

المؤيدين لهم على كل من خالفهم وأظهروا القول بخلق القرآن وأغروا المأمون بعلماء أهل السنة ليجبروهم على هذه المقالة ، فمنهم من قتل ، ومنهم من أجابهم إلى ذلك تقية وقد امتحن أحمد بن حنبل فى ذلك امتحاناً شديداً وثبته الله .

وقد أظهر هؤلاء المعتزلة بدعاً كثيرة فى العقيدة كقولهم بوجوب اللطف على الله ووجوب إرسال الرسل وفعل ماهو الأصلح فى حق العبد . وقالوا إن المقتول ليس ميتاً بأجله وبأن الحرام ليس برزق ، ونفوا كثيراً من أخبار المعاد والبرزخ ، فأنكروا سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه ، ونفوا الشفاعة والميزان وصحائف الأعمال والصراط الممدود على متن جهنم ، وردوا كل ما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة بحجة أنها أحاديث آحاد لا تقبل فى باب الاعتقاد . ونفوا رؤية المؤمنين لله فى الآخرة ونفوا كل الصفات الخبرية التي وردت فى القرآن والسنة كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول إلى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب الفرق والكلام .

ثم ظهرت الأشعرية أتباع أبى الحسن الأشعرى فكان قدماؤهم على مذهب السلف فى الإثبات والإيمان بكل ماوردت به الأخبار من صفات الله واليوم الآخر ، ولكن كان عندهم بقايا قديمة من رواسب الاعتزال لأن شيخهم أبا الحسن كان فى أول أمره معتزلياً فكانوا ينفون صفات الأفعال الاختيارية بحجة أنها حوادث لا يجوز أن تقوم بالقديم ، فلم يثبتوا لله حكمة ولا رحمة ولا محبة ولا كراهية ولا رضى ولا غضباً ، ونفوا أن يكون متكلما بحروف وأصوات مسموعة ، ونفوا تأثير الأسباب فى مسبباتها واستدلوا على وجود الله بأدلة اعتزالية بدعية كدليل الجواهر والأعراض الذى هو الأصل للمعتزلة ثم تبعهم عليه الأشاعرة ونفوا تأثير قدرة العبد فى فعله والتزموا وجود قدرة معطلة لا تأثير لها .

وإلى جانب هؤلاء المتكلمين المتنازعين كان يوجد جماعة يقال لهم : المتفلسفة قد وقعوا على كتب ترجمت لهم من وضع قدماء الهند واليونان ، فأغرموا بها واتخذوها ديناً لهم ، واشتغلوا بها دراسة وشرحاً وتحليلا واختصاراً ، ثم حاولوا أن يجروا إليها نصوص

الدين ويفسروها بها ليوهموا الأغرار والبسطاء أنها متفقة مع الدين ، وأنهما طريقان يؤديان إلى غاية واحدة ، مع أن بينهما بعد المشرقين . وكما أساء هؤلاء المتكلمون إلى العقيدة الإيمانية فأخرجوها عن بساطتها وسلامة جوهرها وحشروا فيها عناصر أجنبية عنها مما درسوه من ثقافات الفرس والهنود واليونان .

كانت هناك جماعة يقال لهم الصوفية أساءوا إلى شريعة الإسلام وإلى الجانب العملى منه أبلغ إساءة ، فوضعوا لأنفسهم رموزاً وإشارات وقواعد للسلوك ليست من الإسلام فى شىء ، بل هو حرب على الإسلام .

فهم فى العقيدة بين قائل بالحلول كالحلاج وأحزابه ، وبين قائل بوحدة الوجود كابن عربى وأشياعه ـ ولما وجدوا الإسلام يحث على طلب العلم ويجعله فريضة ويرفع أهله درجات ، أحرقوا هم ماعندهم من كتب العلم ، ولم يجلسوا فى حلقة درس ، وادعوا أنهم ليسوا بحاجة إلى هذا العلم البشرى لأنهم يتلقون عن الله مباشرة حتى يقول قائلهم : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت) ولما رأوا أن الإسلام يوصى بالتوسط والاعتدال بين مطالب الروح والجسد وينهى عن الرهبانية وتحريم الطيبات ، بالغوا هم فى الزهد وقهر النوازع الجسدية على طريقة (بوذا) وفقراء الهنود ورهبان النصارى ، ومدحوا الجوع والعزلة ، ولبسوا الخرق والمرقعات ، وعاشوا فى المجتمع كتنابلة السلطان . ولما وجدوا الإسلام ينفى كل وساطة بين الله وبين خلقه إلا وساطة التبليغ والرسالة ، ويثبت أن كل إنسان يستطيع الوصول إلى الله بإيمانه وتقواه ، أثبتوا هم وسائط لاحصر لها ، وزعموا أن كل سالك للطريق محتاج إلى شيخ مسلك ليقذف فيه النور ويضع فيه السر ، وقالوا إن كل من لاشيخ له فشيخه الشيطان .

ولما رأوا أن الإسلام يوجب الوقوف عند حدود الله وتعظيم حرماته ، ويصف المؤمنين الكاملين بأنهم الذين حافظوا على وصايا الله فأدوا ما افترضه عليهم واجتنبوا ماحرمه ، تعدوا هم كل حد وانتهكوا كل حرمة ، فتركوا الفرائض جملة وارتكبوا

المعاصى جهرة زاعمين أنهم هم أهل الحضرة ، وأن الله قد أسقط عنهم التكليف لأنهم قد وصلوا إلى مقام المعرفة والشهود ، وقسموا الدين إلى حقيقة وشريعة ، ووصفوا الشريعة بأنها القشرة الظاهرة والحقيقة بأنها اللب الباطن ، وزعموا أنهم هم أهل الحقيقة ، وأن الشريعة لعوام الخلق ، فأزروا بشريعة الله وجعلوها شيئاً مهيناً يخجل الإنسان من النسبة إليه .

وإذا كان لا يمكن فى هذه العجالة عد إساءات هؤلاء المتصوفة فنكتفى بهذا القدر الآن ولنا معهم عودة إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد خليل هراس

من أمارات الساعة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل : الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها » .

رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح

الصبح السافر

فى حكم صلاة المسافر

— ٣ —

الفصل الثالث — فى الإقامة الطارئة على المسافر أثناء سفره

اعلم وفقك الله : أن الإقامة تطلق ويراد بها الاستيطان غير المحدود . قال الله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) وقال العرب : منا ظعن ومنا أقام ، أى بعضنا سافر وبعضنا لم يسافر . فالإقامة غير المحدودة والاستيطان معناهما واحد . وتطلق الإقامة على الفترة التى تعرض للمسافر أثناء سفره للاستراحة أو لإصلاح آلة يتوقف عليها سفره فى البر والبحر، كإصلاح سفينة مثلا فى الزمان الماضى وصلاحها . وإصلاح سيارة وطائرة وغيرهما فى الزمان الحاضر . وهذه الإقامة الطارئة المؤقتة المحدودة ، لا ترفع عن المسافر اسم السفر ولا تقطع حكمه ، سواء أكانت ساعة أم ساعات أم شهوراً أم سنين حتى ينوى الاستيطان غير المحدود كما نواه فى وطنه الأصلى . وقد اختلف أهل العلم فى مثل هذه الاقامة فمنهم من جعلها مساوية للاستيطان قسيمة للسفر ، سواء أكانت قليلة أم كثيرة ، ومنهم من حددها بثلاثة أيام يجرى على المسافر فيها حكم السفر فيقصر الصلاة ويفطر إن شاء . فان زاد على ذلك صلى أربعا وارتفع عنه حكم السفو ، ومنهم من حدها بأربعة أيام ، ومنهم من حدها باثنى عشر يوما ، ومنهم من حدها بخمسة عشر يوما ، ومنهم من حدها بتسعة عشر يوما ومنهم من حدها بعشرين يوما ، ومنهم من لم يحدها وهو الصواب . وسترى برهانه .

قال ابن قدامة فى المغنى ، ج ٢ ص ٣٣٨ وعن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : أقمت معه سنين بكابل يقصر الصلاة . وفى ص ٢٩٢ قال نافع ، أقام ابن عمر

بأذربيجان ستة أشهر يصلى ركعتين . وعن حفص بن عبدالله ، أن أنس بن مالك ، أقام بالشام سنتين يصلى صلاة المسافر .

وقال أنس . أقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برامهوز سبعة أشهر يقصرون الصلاة . وقال ابراهيم ، كانوا يقيمون بالرى ، السنة وأكثر من ذلك وبسجستان سنتين لا يجمّعون ولا يصومون . قال تقى الدين : قوله ، لا يجمعون أى لا يصلون الجمعة

وفى المحلى لابن حزم ج ٥ ص ٢٣ وعن معمر عن الأعمش عن أبى وائل قال : كنا مع مسروق بالسلسلة سنتين ، وهو عامل عليها فصلى بنا ركعتين ركعتين حتى انصرف . وعن وكيع عن شعبة عن أبى التياح الضبعى عن أبى المنهال العنزى ، قلت لابن عباس أنى أقيم بالمدينة حولا لا أشد على سير ، قال صل ركعتين . قال ابن حزم بعد ذكر الأثرين . الوالى لا ينوى رحيلا قبل خمس عشرة ليلة بلا شك .

وذكر ابن حزم الأثر المتقدم عن ابن عمر أنه أقام بأذربيجان ستة أشهر يصلى ركعتين ارتج عليه الثلج ، ثم قال ، ومن ارتج عليه الثلج فقد أيقن أنه لا ينحل إلى أول الصيف . قال ابن حزم ، وقد أمر ابن عباس من أخبره أنه مقيم سنة لا ينوى سيرا بالقصر .

وفى نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٢٢ وعن ثمامة بن شراحيل قال ، خرجت إلى ابن عمر فقلت ماصلاة المسافر ؟ ، فقال ركعتين ركعتين ، إلا صلاة المغرب ثلاثا . قلت ، أرأيت إن كنا بذى المجاز ؟ ، قال ، وما ذى المجاز ؟ قلت ، مكان نجتمع فيه ونبيع فيه ونمكث فيه عشرين ليلة أو خمس عشرة ليلة ، فقال ، ياأيها الرجل ، كنت بأذربيجان ، لا أدرى قال ، أربعة أشهر أو شهرين ، فرأيتهم يصلون ركعتين ركعتين . رواه أحمد فى مسنده وقد تقدمت رواية هذا الخبر أن العدة كانت ستة أشهر بلا شك .

وقوله ، رأيتهم يصلون ، يعنى المجاهدين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك يدلنا على أن ذلك الجيش كان كله متفقا على صلاة ركعتين فى تلك المدة كلها ، ولم يكن

بينهم خلاف ، وفى نيل الأوطار ص ٢٢٤ أخرج البيهقى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أقام بحنين أربعين يوما يقصر الصلاة .

قال مؤلف هذه الرسالة : ليس مع المحددين للاقامة التى تبطل حكم السفر دليل صريح صحيح . وأدلتهم بعضها لا يدل على مرادهم أصلا ولا علاقة بينه وبينه ، كالذين احتجوا على أن المسافر اذا نوى إقامة ثلاثة أيام قصر الصلاة ، وإذا نوى أكثر منها صلى أربعاً احتجوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، نهى المهاجرين أن يقيموا بمكة ، وهى دارهجرتهم أكثر من ثلاثة أيام ، وإنما نهاهم عن ذلك ، لأنهم تركوا وطنهم لله ، فلا ينبغى لهم أن يعودوا إليه ، لئلا يحرموا من أجر الهجرة وفضلها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، أى لولا أنى احتسب ثواب هجرتى عند ربى لتخليت عن كونى من مكة وصرت من أهل المدينة ، لكنى احتسب ثواب تركى لوطنى الأصلى عند الله . فأى علاقة لذلك الحديث بتحديد الاقامة .

وأما الذين حددوها بأربعة أيام فاحتجوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم أقام فى حجة الوداع بمكة ونواحيها عشرة أيام ، وكانت إقامته بمكة نفسها أربعة أيام . ومن أين لهم لو أقام أكثر من ذلك صلى أربعاً .

وقد أقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح تسعة عشر يوما على أصح الروايات فبطل تحديدهم بأربعة أيام . وأجابوا عن ذلك بأنه كان متردداً ، يقول : غدا أسافر غداً أسافر ، ولم نرهم جاءوا بدليل على ذلك ، ولو كان ماذكروه صحيحاً لما بقى أولئك الصحابة ، كأنس وعبد الرحمن بن سمرة سنين يصلون ركعتين .

والصحابة الذين كانوا مع أنس فى رامهوز سبعة أشهر والصحابة الذين كانوا مع عبد الله بن عمر فى أذربيجان ستة أشهر .

فكل هؤلاء أو جلهم كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة عام الفتح وفى حجة الوداع وفى تبوك ، ولم يفهموا من تلك الاقامة تحديداً ، وإنما حملوها على المصادفة ، وأيقنوا

أن النبي صلى الله عليه وسلم لو زاد على ذلك لاستمر يصلى ركعتين ، لأنهم يعلمون أن صلاة السفر ركعتان نزلتا من السماء ، وأن صلاة المسافر فرضت ركعتين فى أول الأمر وبقيت كذلك إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دام المسافر لم يستوطن بلداً ، بأن ينوى الإقامة غير المحدودة فيه أو يعود إلى وطنه ، فهو مسافر ، وصلاته ركعتان إلا المغرب .

ويقال ، لمن حدد الإقامة نستزيدكم صلاة واحدة بعد ماحددتموه ، فان أبوا قلنا لهم بأى دليل فرقتم بين خمس عشرة صلاة ، وبين ست عشرة صلاة إن كانوا من القائلين بثلاثة أيام : وإن كانوا من القائلين بأربعة أيام ، نقول لهم ، بأى دليل فرقتم بين عشرين صلاة واحدى وعشرين صلاة . وإن كانوا من القائلين بخمسة عشر يوما كالحنفية قلنا لهم بأى دليل فرقتم بين خمس وسبعين صلاة وست وسبعين صلاة .

وهكذا يقال للقائلين بتسعة عشر يوما وللقائلين بعشرين يوما . وهيهات أن يجدوا على ذلك دليلا . وإن قبلوا زيادة صلاة واحدة استزدناهم صلاة أخرى ، ثم لا نزال نستزيدهم حتى يقفوا ويمتنعوا ، وحينئذ نطالبهم بالدليل الذى أوجب عليهم الفرق بين ما قبلوه وما امتنعوا عن قبوله . وبالله التوفيق .

(يتبع) الدكتور تقى الدين الهلالى

عاشر بمعروف

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى	وحظك موفور وعرضك صَيِّنُ
لسانك لا تذكر به عورة امرىء	فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً	فصنها وقل ياعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى	وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(٢) نظرات فى التصوف

« الأولياء فى القرآن »

الأولياء : إن التصوف هو الذى صرف الناس عن الخالق إلى المخلوق ، ومافتن التصوف أشياعه بشىء كما فتنهم بمن سماهم أولياء . وقد جرد التصوف كلمة « ولى » من مفهومها القرآنى ،وابتدع لها مفهوماً يدنيها من مفهوم كلمة الرب والإله . وإليك من اللغة . ثم من القرآن مفهوم الولى .

يقول الراغب فى مفرداته فى مادة ولى : « الولاء والتوالى أن يحصل شيئان فصاعداً حصولا ليس بينهما ماليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب ومن حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الصداقة والنصرة ، والاعتقاد. والوِلاية والوَلاية تولى الأمر،وقيل الوِلاية والولاية واحدة نحو الدِّلالة والدَّلالة،وحقيقته تولى الأمر والولىُّ والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال فى معنى الفاعل أى الموالِى ، وفى معنى المفعول أى الموالَى . يقال للمؤمن : هو ولى الله عز وجل ، ولم يرد مولاه . وقد يقال : الله تعالى ولى المؤمنين ومولاهم »

وقال ابن الأثير فى النهاية : « فى أسماء الله تعالى الولى . هو الناصر ، وقيل المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها . ومن أسمائه الوالى وهو مالك الأشياء جميعاً المتصرف فيها ، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، ومالم يجتمع ذلك فيها ، لم ينطبق عليه اسم الوالى . وقد تكرر ذكر المولى فى الحديث ، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة ، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتَق والمنعم عليه وأكثرها قد جاء فى الحديث ، فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه . وكل من ولى أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه . وقد تختلف مصادر هذه الأسماء فالوَلاية بالفتح فى النسب والنصرة والعتق . والوِلاية بالكسر فى الإمارة

والولاء فى العتق . والموالاة من والى القوم » .

وقال ابن فارس فى معجمه : « الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب ، من ذلك الولى : القرب يقال : تباعد بعد ولىْ أى قرب . وجلس مما يلينى أى يقاربنى . والولِىّ المطر يجىء بعد الوسمى سمى بذلك لأنه يلى الوسمى . ومن البـاب : للولى المعتق والصاحب والحليف وابن العم والناصر والجار كل هؤلاء من الولى . وهو القرب . وكل من ولى أمر آخر ، فهو وليه » .

رأى ابن تيمية : « والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبـة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : إن الولى سمى وليا من موالاته للطاعات أى متابعته لها . والأول أصح . والولى القريب ، فيقال هذا يلى هذا أى يقرب منه وقوله : ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض ، فلأولى رجل ذكر[1] » أى لأقرب رجل ذكر هذا مفهوم الولى ومعناه فى لغة القرآن . ولا ينتسب إلى هذا مفهوم الولى عند الصوفية .

الولى فى القرآن : بين القرآن أن الولى الحق الأعظم فى الدنيا والآخرة هو الله سبحانه وتعالى ، وقد وصف الله جل شأنه فى القرآن بأنه ولى ، ومولى ، ووالٍ . تدبر هذه الآيات : (إن وليِّىَ اللهُ الذى نزَّل الـكتاب ، وهو يتولىّ الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ، ولا أنفسهم يَنْصُرون — ٧ : ١٩٦ — ١٩٧) (فاطرَ السموات والأرض أنتَ وليِّى فى الدنيـا والآخرة توفَّنى مسلماً ، وألحقنى بالصالحين . ١٢ : ١٠١) (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى ، وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير . ٤٢ : ٩) .

(وكذلك وصف سبحانه بأنه مولى : (فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير ٨٠ : ٤٠) (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الـكافرين لا مولى لهم ٤٧ : ١١) (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٩ : ٥١) ووصف سبحانه بأنه وال أيضاً . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا

(١) ص ٦ - من الفرقان . ط الإمام .

أراد الله بقوم سوءاً ، فلا مرد له ، وماهم من دونه وال ١٣ : ٢١) .

أولياء المؤمنين : قلت إن الله ذكر أنه هو وحده الولى سبحانه ، وقد بين القرآن أيضاً أن من هذه الولاية تشرق ولاية الرسول والمؤمنين للمؤمنين فالله يقول : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فإن حزب الله هم الغالبون ٥ : ٥٥ : ٥٦) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم : ٩ : ٧٠) فولينا الله . وولينا رسول الله ، وولينا المؤمنون والمؤمنات ، والذين نتولاهم هم الله ورسوله والذين آمنوا ، وقد بينت الآيات صفات الأولياء : فهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، وهم الراكعون . أى الخاشعون الآخذون أنفسهم بالذل لله سبحانه .

ولا تعارض أبداً بين هذه الآيات التى تثبت أن الولاية لله ، ولرسوله وللمؤمنين وبين الآيات التى تثبت أن الولاية لله سبحانه وحده مثل قوله جل شأنه : (وما لكم من دون الله من ولى ، ولا نصير ٢ : ١٠٧) (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ٦ : ٥١) (قل : أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض) ٦ : ١٤ .

نعم لا تعارض ، فإن ولاية الرسول لنا هى بأمر الله ، وولاية المؤمن لنا هى بأمر الله ، والرسول لا يوالى إلا من والى الله ، والمؤمنون لا يوالون إلا من والى الله . فهم إذن أولياء الله ، وهم أيضاً إنما يجعلون ولايتهم للمؤمنين باسم الله ، وابتغاء رضوانه ، لأنه هو الذى فرض عليهم هذه الموالاة ، فقاموا بما فرض الله عليهم . فالرسول ليس بالولى المغنى عن الله ، ولا بالمولى الذى يستمد الولاية من نفسه ، ويحبو بها من يشاء من نفسه ، لأنه هو نفسه فقير إلى الله سبحانه ، ويضرع إلى الله أن يكون الله وليه ، وأن يجعل له أولياء من عنده

ولهـذا كان من دعاء المؤمن : (واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ٤ : ٧٥) فاحذر أن تتخذ لك من دون الله وليا ، واجعل الله وحده وليك بهذا المعنى التى تبسطه تلك الآيات المحكمات . فالرسول وليك بأمر الله ، والمؤمنون أولياؤك بأمر الله.

ولى الرحمن وآيته وجزاؤه : سبقت آيات بينت صفات أولياء الرحمن ، وإليك آيات أخر أجملت صفاتهم فى صفتين هما ملاك الإسلام كله ظاهره وباطنه : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا ، وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحيـاة الدنيا ، وفى الآخرة ، لا تبديل لـكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ١٠ : ٦٢ ، ٦٤) فالصفتان الأساسيتان اللتان هما أساس الدين وقوامه وملاكه وروحه هما الإيمان والتقوى وقد جاءت هاتان الصفتان فى آيات كثيرة من القرآن الـكريم غير هذه الآية كما جاءت هذه الصفة : (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا ٤ : ٧٦) فأولياء الله يقاتلون فى سبيل الله ، وهم يقاتلون أولياء الشيطان ومن جزائهم غير ما سبق فى الاية الأولى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطـاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ٢ : ٢٥٧) .

فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وقد فَصَّل القرآن مفهوم الإيمان ، ومفهوم التقوى فلتتدبر فى كتاب الله ما ورد عن الإيمان ، وما ورد عن التقوى .

ولهم الجزاء الجليل الأعظم : هداية مبصرة بصيرة ، وإخراج من كل شبهة وضلالة إلى نور اليقين والإيمان الوثيق ، حسبك أن الله هو الذى يخرجهم من الظلمات إلى النور . وتدبر جمع كلمة الظلمات ، وإفراد كلمة النور ، لتدعو الله كثيراً أن ينقذك من الضلالات وأسبابها ، فهى كثيرة ، أما النور فواحد وهو سبيل الله ، وليس لله إلا سبيل واحد ! ! واحذر الـكلمة الـكافرة الهدف : « الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق » فهذه صوفية وثنية .

ثم هم لا خوفٌ عليهم . والخوف يكون مما فى المستقبل ، والمستقبل بيد الله الذى يحبهم وبيده كل شىء ، فكيف يخاف عليهم من شىء ؟ ومستقبلهم رائع محفوظ بيد الحفيظ . ولاهم يحزنون : والحزن لا يكون إلا على مافات ، لأنه لا يعود مرة أخرى ، أولأن ماسيأتى لن يكون مثله ، وهؤلاء الأولياء لا يحزنون على مافات ؛ لأن ماسيأتى هو خير مما مضى ، أو هم فى حقيقة الأمر لم يفتهم شىء ، فنعيم الآخرة هو النعيم ، ومتاعها هو المتاع : هكذا الولى لا يُخَاف مستقبله [1] ، ولا يحزن هو على ماضيه ، لأن مستقبله أعظم ، وأجل وأجمل .

« لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة » أما البشرى العظمى لهم فهى القرآن . تدبر قول الله سبحانه : (فإنما يَسَّرْناه بلسانك لتبشر به المتقين ، وتنذر به قَوْمًا لُدًّا ١٩ : ٩٧) والقرآن كما هو بشرى هو كذلك بشير ، تدبر قول الله : (إن هذا القرآن يهدى لِلَّتى هى أقومُ ، ويبشرُ المؤمنينَ الذين يعملون الصالحاتِ أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعْتَدنا لهم عذاباً أليماً) ١٧ : ٩ ، ١٠ .

لهذا كان القرآن هو البشارة العظمى فى الدنيا ، لأنه أخرج أولياء الله من الظلمات إلى النور ، وفصل بين الخير والشر وجعل للمؤمنين الأمل المحقق الأكبر فى حياة أفضل ونعيم أبدى مقيم . وما بُشِّرَ المؤمنون ببشارة أعظم ولا أجل من القرآن .

وبماذا بشر القرآن المؤمنين ؟ تدبر مامضى وتدبر هذه الآية (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً ١٨ : ٢ ، ٣) وتدبر هذه الآيات : (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا ، وهو واقع بهم ، والذين آمنوا ، وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير . ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٤٢ : ٢٢ ، ٢٣) .

---

(١) لا حظ فى الخوف ، قيل « لا خوف » وهذا لاينفى أنهم يخافون . أما فى الحزن فنفاه عنهم بلا يحزنون .

وقوله جل شأنه : (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ٩ : ٢١ ، ٢٢) وحول هذه البشارة ترى أحلامهم وآمالهم ، وتتجه الإرادة والعزيمة والسلوك ، فيعتقدون ، ويعملون مايحقق لهم مضمون هذه البشرى ، ويفرحون بأن وفقهم الله إلى اعتقاد وعمل ما يحقق لهم هذه البشرى ، ولن تجد خيراً منهم أخلاقاً ، وتدبر أيضاً قوله سبحانه (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أن لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ كلما رُزقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا : هذا الذى رُزِقْنَا من قبلُ ، وَأُتُوا به متشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وهم فيها خالدون ٢ : ٢٥) .

وهناك بشرى عظيمة أيضاً وردت فى القرآن . تلك هى التى نستنبطها من هذه الآية (إن الذين قالوا : ربُّنَا اللهُ ثم استقاموا تتنزَّلُ عليهم الملائكةُ ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنةِ التى كنتم توعدون . نحن أولياؤُكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ما تدَّعون . نُزُلاً من غفور رحيم ١٣ : ٣٠ ، ٣٢) .
وتدبر قول الله : (فبشره بمغفرةٍ وأجر كريم ٣٦ : ١١) .

فبشارة الأولياء هى القرآن ، وما ورد فيه من أجر عظيم ، وما تبشرهم به الملائكة من أنهم أولياؤهم ، وأن لهم ما تشتهى أنفسهم . ومنها تبشير الولى بمصيره العظيم عند الاحتضار كما ورد فى بعض الأحاديث تفسيراً لما ورد فى تلك الآية .

بشراهم فى الآخرة : تدبرها فى الآية : (لا يحزنُهُمُ الفزعُ الأكبرُ ، وتتلقاهم الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون ٢١ : ١٠٣) . (يوم ترى المؤمنين والمؤمناتِ يسعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوزُ العظيم ٥٧ : ١٢) .

وقارن بين هذه الآية وبين قوله سبحانه : (يوم يرون الملائكة لا بُشرى يومئذ للمجرمين ٢٥ : ٢٢) هذه هى بشارة الأولياء فى الآخرة ، ومن خلال البشارات تستطيع

أن ندرك صفات أهلها ، فقد جاء (وبُشْرَى للمسلمين) ، (والذين اجتنبوا الطاغوتَ أن يعبدوها ، وأنابوا إلى الله لهم البشرى) (وبشرى للمحسنين) (وبشرى للمؤمنين) (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (وبشر الصابرين) (وبشر المخبتين) (فبشر عبادِ الذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه) .

فولى الله مسلم مؤمن تقى محسن صابر مخبت منيب إلى الله ، يستمع القول فيتبع أحسنه ، متجنب لعبادة الطواغيت ، فعَّال للصالحات .

مالظالمين من ولى : لقد جعل الله نفسه ولياً للمؤمنين ، وأمر رسوله والمؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض ، أما غير المؤمن فليس له من دون الله ولى ولا نصير . تدبر قول الله سبحانه : (ومَنْ لا يُجِبْ داعىَ الله ، فليس بمعجزٍ فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ٤٦ : ٣٢) (والظالمون مالهم من ولى ولا نصير ٤٢ : ٨) . (ومن يُضْلِلِ اللهُ ، فما له من ولِىٍّ من بعده ٤٢ : ٤٤) (ومن يضلل اللهُ فما له من سبيل ٤٢ : ٤٦) (من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ٤ : ٢٢٣) .

فكيف يطمع الذين يتمردون على كتاب الله أن يكون لهم ولى ؟ (ومن أظلم مِمَّن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها ١٨ : ٥٧) (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذَّب بآياته ٦ : ٢١) (ومن أظلم مِمَّن افترى على الله كذباً أو قال أُوحِىَ إلىَّ ولم يُوحَ إليه شىء ٦ : ٩٢) (فمن أظلم مِمَّن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ٦ : ١٤٤) . (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ٢ : ١٤٠) .

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يُدْعى إلى الإسلام ٦١ : ٧) والصوفية تفترى على الله الكذب ، وهى تُدْعى إلى الإسلام ، فتدعوا هى إلى ابن عربى وابن الفارض . والصوفية تزعم أن معارفها عن وحى ، ولم يوح إليها شىء . والصوفية تعرف الحق ، وتكتمه ، والدليل ما كتب ابن عربى فى الفتوحات ، ففى كتابه آيات بينات تدل على أنه يعلم الحق ، ولكنه يصر على عداوته وكتمانه فى كتب أخرى .

هل ترى فيما يدعوك إليه التصوف أثارةً من هدى الله ؟ راجع مانقلته لك عن كتبهم !

للنظرات بقايا إن شاء الله

عبد الرحمن الوكيل

إلى «كلاى» الزنجى المسلم

لقد أمعنت أمريكا والدول الاستعمارية فى إهانة الزنوج ، وهم مع هذا يزعمون أنهم دعاة الحرية وأنصارها ، وقد نصبوا تمثالًا للحرية فى بلادهم ، ويسمون أنفسهم بأنهم العالم الحرّ ، فكشفوا بذلك للعالم عن حريتهم الخادعة للشعوب . ولذلك نظمت هذه القصيدة :

أبشر (كلاى .. !) فقد رفعت الهاما ... وأخذت دينا عــــزة وسلَاما

ورأيت بالعـــين البصيرة منهجاً ... رحباً ، به حصن العـدالة قاما

يأوى الذليـــل إلى هداية شرعه ... متفيئاً فى ظـــله الإكراما

لله يسجد لن يذل لغـــيره ... ويرى المـــذلة للعبيد حِمَامًا

يعتز بالدين الحنيف وأخـــوة ... فى الله ، تحفظ عهـــده وذماما

ويعيش فى أمن الأخوة هانئا ... يلقى الرعاية منزلًا ومقـــاما

ويظل يصعد فى السموّ ويعتـــلى ... بالدين ، يصبـــح قائداً وإماما

ويرى الصـــلاة صلاتِهِ بإلٰهه ... ويرى الزكاة محبــــة ووئاما

ويحج للبيت الحـــرام مؤدياً ... ركناً يلم الشـــمل ثم عصاما

ويرى الصيام مؤدِّباً ومهـــذِّباً ... ويرى الجهـــاد فريضة ولزاما

لله يبـــذل نفسَه ونفيســـه ... يلقى العـــداة بساحها مقداما

فى عصبة حمـــلوا الهداية للورى ... علماً ، وعـــدلًا ، شرعةً ونظاما

يحيا الغنى مع الفقـــير وسودهم ... والبيض ، عاشوا إخـــوة وكراما

السبق بين المســـلمين لمؤمن ... حر كريم ينصر الإســـلاما

* * *

أرسوا قواعـــد دينهم فتعلقت ... بهم القلوب محبـــة وهياما
واستمسكوا بكتاب ربك رغبــة ... ومن الـكتاب تناولوا الأحكاما
فغـــدا ضياء الحق فوق جبينهم ... تاجًا ومن فوق الصـدور وساما
لم يطغهم فتــح ولـكن شكرهم ... لله ، باتوا ســـجداً وقياما
لم يطلبــوا مُلْـكاً ولـكن جاءهم ... مُلْك أغـــرُّ بعدلهم قد قاما
ساروا على نهج النبي (محمــدٍ) ... شاد الرسول حــدوده وأقاما
يطغى الضياء على البسيطة شاملًا ... شرقًا ، وغربًا ، عــزة وسلاما
وتطلعت نحو الضــياء ممالك ... فرأته نوراً واضحاً بســاما
ورأته عـــزاً للبرية محيياً ... ورأته حقًّــا بدد الأوهاما
ورأته سعداً للعباد ورحمــة ... ورأته فجـــراً يوقظ النواما

* * *

واسْــوَدَّ قلب الحاقدين وزُلزلوا ... إذ أشعلوا حرباً عليــه ضراما
ساقوا الجيــوش جحافلًا وجحافلا ... وأتوا إلى أرض الـكرام لـئاما
وتجمعوا باسم المسيح وليتهم . . . ... عرفوا المسيح ودينــه الإسلاما
فرأوا كتائب للجهـــاد قوية ... ردت إلى نحر العــدو سهاما
وتآمروا للـكيد تلك طبيعـــة ... للظالمين الخاسرين صِـــداما
واستعمروا أرض الأسود وبيتوا ... للمســلمين مذلة وظلاما . . .
ومشى على نهج العــداة مضلل ... ضـــل الطريق إلى الرشاد دواما
فبـــدا بقلب ملحد متنكر . . ... للدين ، يترك شرعه يتعــامى
وغدا بعيش فاســـد متذللا ... للظالمين ، على الورى يتسامى
سموا الضــلالة حكمة وثقافة ... سموا الفساد حضـارة ونظاما
سموا التبرج والخنـــا حرية ... جعلوا الحيـــاة مآثماً وسقاما

(فرويد) قدوتهـم وتلك مصيبة ألقى بهم نحو الردى هـدّاما
فتذكر القـوم اللئام لأصلهم وغـدوا ذئاباً تنهش الأجساما

* * *

ماذا رأيت من الذئاب بأمة نادت بعـدل تخدع الأقواما . .
حـرية تحت التراب صريعـة صنعوا لهـا فوق الثرى الأصناما
جاءوا بأسـوإ أمة منحوسة أرض السـلام لتنشر الإجراما
قد شردوا أهل البـلاد بظلمهم كى يسكنوها ؛ للأذى الظلاّما
كم أرّقوا جفن الطريد ويتموا طفلًا يعيش على الطوى الأعواما
كم هائم فى القفر ينـدب حظه قد عاش دهـراً فى اليباب أقاما
فترى صريعاً فى العـراء وصارخاً يشكو السـقام وشاكياً آلاما

* * *

أبشر (كلاى ..!) وكن لدينك ناصراً لا تخش فى الله العظيم مـلاما
وانشر كلام الله واحفظ عهـده والله يكرم عبـده القوّاما
ليس التصوف شرعة وعقيـدة فاحـذر ضلالًا نمّقـوه كلاما
نفـذ كلام الله تحظ بوعده سـعداً يفيض ، وعزة تترامى

* * *

يارب فانشر دين أحمدَ ، فى الورى نوراً وهدياً للوجـود سلاما
واهلك عدوَّ المسلمين وخـذ به نحو الدمار ، ونوّر الأفهـاما

عمرو محمد حسن النشرى
إمام وخطيب المسجد المجيدى بملوى

قيل : إن أبا حازم الأعرج أخبر سليمان ابن عبد الملك ـ الخليفة الأموى ـ بوعيد الله للمذنبين . فقال سليمان بن عبد الملك ـ فأين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

من أحسن ماقرأت :

١ — إن قبول الزيادة فى الدين بدعوى أنها حسنة ، كقبول الحذف من تعاليمه بدعوى أنها رديئة ، أو غير مسايرة للتطور ، وكلا الأمرين ضلالة ، فلا يقبل من أحد أن يهدر شيئاً شرعه الله ، كما لايقبل من أحد أن يشرع شيئاً سكت الله عنه .

٢ — قال مالك بن أنس رضى الله عنه : من استحسن بدعة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، وقال الشافعى : لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الهواء ما قَبِلتُه .

من كتاب ليس من الإسلام

٣ — إن الإسلام الذى نعنيه ، والذى لايمكن لأحد أن يعترف بغيره ، هو الإسلام المستمد من هذا المصحف حرفاً حرفا ، والتى وعت الحياة إخراجاً عملياً له فى السنة المطهرة ، وبقدر الاقتراب من هذا المصحف والرسول الذى بلّغه يكون الدين ، وبقدر الابتعاد يكون الشرود والزيغ .

٤ — إن تجريد الإسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الأصيلة ، وتجريد التراث السماوى من الشوائب العارضة ، وتمكين الأحرار العقلاء من اعتناقه عن إعجاب ورغبة ويقتضى ذلك عدة أمور :

(منها) محاربة البدع والخرافات التى انضافت إليه ، وحسبت ديناً وهى ليست من الدين .

٤ — إن هذه الزوائد الضارة هى سبب انصراف كثير من العقلاء عن الدين نفسه .
ولا يجوز إحسان الظن بها مهما بدت حسنة ولا بأصحابها مهما بدوا أتقياء .
فإن البدعة المصنوعة من الناس لتكون ديناً صادراً عن رب الناس ، ضرب من التزوير .

من كتاب معركة المصحف

للشيخ محمد الغزالى

٥ — (ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .

قرآن كريم — من سورة فصلت

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

سلطان المسلمين بعد تبوك : بانتهاء تبوك اكتمل للإسلام السلطان التام على شبه الجزيرة ، واطمأن الرسول صلوات الله عليه من أى عدوان من أية جهة كانت لن يجرؤ على التحرك إليه . والنيل منه . ومن ثَمَّ بدأ النبى يستروح نسيم الاستقرار . وبدأ الإسلام يكسب أنصاراً جدداً . وبدأت دولته تتسع رقعتها ويزداد أتباعها .

على أن ماحققه رسول الله من انتصارات مذهلة . وبطولات رائعة سواء فى داخل الجزيرة العربية أو خارجها كانت لها أثر كبير فى نفوس بعض القبائل التى كانت عقائدهم لا تزال تلح عليهم أن يظلوا محتفظين بما ورثوه من دين الشرك والباطل . وأن يربطوا أنفسهم بعقائد الآباء والمجتمع . فإن هؤلاء لم يجدوا مفراً من مواجهة هذا الواقع . وخاصة بعد مارأوا أن الحق الذى انتصر له المسلمون بعد هجرتهم إلى يثرب قد غدا يبسط الدليل أمام كل ذى لب وعين أن الأمر قد استتب للإسلام . وأن أقدام المسلمين ترسخ فى كل مكان ترتفع فى سمائه راية الإسلام ودعوته الصحيحة .

ولا شك أن انسحاب الروم فى تبوك — وهم إحدى الدولتين العظيمتين فى ذلك الوقت — أمام جحافل المسلمين واضطرارهم إلى الطاعة ودفع الجزية . ومجىء صاحب أيلة . وأهل الجرباء . وأذرح . وأمير رومة إلى رسول الله عليه السلام صاغرين طائعين يقدمون له الجزية . . . هذا وحده كان دليلاً قوياً ماثلاً أمام هذه القبائل على مدى مابلغته دعوة الإسلام من قوة وبأس وشيوع .

وعند مااستبان هذا الدافع للقبائل المتخلفة عن دعوة الإسلام . اضطرت هذه القبائل إلى الدخول فى دين الإسلام لتستظل بعلم الوحدة الإسلامية الخالصة .

إسلام عروة ومقتله : ويشاء الله أن تكون ثقيف — وهى أول من تحدت القوة الإسلامية . وأعلنت مقاومتها للمسلمين — يشاء الله أن تكون هى أولى القبائل التى جاءت إلى رسول الله معلنة له ولاءها .

فقد كان عروة بن مسعود الثقفى أحد سادة ثقيف موجوداً باليمن أثناء غزو النبى للطائف . فلما عاد إلى موطنه وسمع بانتصار النبى فى تبوك سافر إليه ، وأدركه بالمدينة ، وأعلن إسلامه ، وأبدى رغبته فى أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام . ولكن النبى عليه السلام كان يعرف تعصب ثقيف لدينها وأصنامها فجعل يحذر عروة من مغبة مايريد . وقال له « إنهم قاتلوك » ولما كان عروة يعتز بمكانته فى قومه صمم على المضى فيما يريد . وقال للنبى : يارسول الله إنى أحب إليهم من أبكارهم .

وكان عروة محبباً مطاعاً فى قومه فعلا . فخرج يدعوهم إلى الإسلام آملا أن يطيعوه لمنزلته فيهم . فلما قام على غرفة له يدعوهم إلى الإسلام غضبوا ، وأنكروا عليه دعوته ، وأحاطوا به فى حمق ، ورمَوْه بالنبل فأصابه سهم قاتل ، وصدق ماتحدث به إليه النبى صلى الله عليه وسلم .

وفد ثقيف إلى النبى : ولكن دم عروة لم يذهب هباء وهدراً . فقد أدركت ثقيف جرم تصرفها . وأنها بقتلها سيدها قد أغضبت القبائل المجاورة لها . والتى كانت قد أسلمت من قبل ، وخشيت أن يحاربوها . لذلك غدت تعيش فى قلق واضطراب ، وأيقنوا أن مصيرهم إلى الزوال ، مالم يسعوا إلى إرضاء المسلمين ومصالحة رسول الله ، فأتمروا فيما بينهم ، وتحدثوا إلى رجل كبير منهم هو « عبد ياليل بن عمرو بن عمير » فرفض الرجل مخافة أن يصنعوا به مثل ماصنعوا بعروة ، ثم وافق على طلبهم بشرط أن يبعثوا معه برجال . فأوفدوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، فكانوا خمسة مع عبد ياليل هم : وهب بن معتب . وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب . ومن بنى مالك : عثمان بن أبى العاص ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خرشة .

فلما دنوا من المدينة لقيهم المغيرة بن شعبة ، فأسرع إلى الرسول ليخبره الأمر ، فلقيه أبو بكر فى طريقه إلى النبى ، فرجاه أن يتركه ليزف هو الى الرسول صلى الله عليه وسلم بشرى قدوم وفد ثقيف . . وقبل أن يدخلوا على رسول الله علمهم المغيرة كيف يحيون النبي إذ كانوا لا يعرفون إلا تحية الجاهلية .

ثقيف تساوم النبي : فلما قدمت ثقيف على رسول الله ضربت لهم قبة من ناحية المسجد . وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين النبى فى مفاوضتهم معه على الصلح . فكانت ثقيف لا تطعم طعاماً يأتيها من عند رسول الله قبل أن يأكل منه خالد .

وتفاوض الطرفان . فقبلت ثقيف أن تسلم . ولكنها وضعت شروطاً لإسلامها . وكان أول هذه الشروط أن يدع الرسول لهم معبودهم « اللات » ثلاث سنين لا يهدمها . وأن يعفيهم من الصلاة . فأبى عليهم النبى ماطلبوه إباء شديداً . فجعلوا ينزلون بطلبهم إلى سنتين . ثم إلى سنة . والرسول يأبى ذلك بشدة . ثم طلبوا أن يجعل لهم المدة شهراً واحداً . ولكن الرسول صلوات الله عليه أصر على الرفض . إذ لا يعقل أن يدع النبى لثقيف أو غيرها أصنامهم . وهو الذى بعثه الله للناس كافة لكى يهدم كل صنم . . وطاغية . . وكل معبود فى الأرض . ويقيم فى كل مكان شعار التوحيد الخالص لينشر فى الدنيا كلمة « لا إله إلا الله » . وإذا كان ذلك كذلك فكيف إذن يتهاون مع ثقيف . ويدع لها صنما يتمثل فيه الشرك والباطل ؟ وكيف ينزل على طلبها وقد جاءته طائعة مرغمة تطلب الصفح وتنشد الرضا ؟ ! .

وكان رأى وفد ثقيف فيما تطلبه هو أنه إذا ما عاد وهدم « اللات » بنفسه فإن ذلك لا بد أن يثير عليهم غضب قومهم . . وإذن فليتركها لهم يكسرونها بعد إسلام قومهم .

ورأى النبى أن يجنب وفد ثقيف كسر أصنامهم بأيديهم . وأن يوكل هذه المهمة إلى غيرهم فقال لهم « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم منه . وأما الصلاة فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه . . وبذلك حسم الرسول شكواهم وأنهى أمرهم .

فلما أسلموا وكتبوا ميثاقهم مع رسول الله أمَّر عليهم « عثمان بن العاص » وكان أحدثهم سناً . وفضلا عن ذلك فقد شهد له أبو بكر عند رسول الله بحرص عثمان على التفقه فى الإسلام . وتعلم القرآن .

هدم أصنام ثقيف : وعاد وفد ثقيف إلى بلاده . فبعث النبى معهم أبا سفيان بن حرب . والمغيرة بن شعبة ليتوليا هدم اللات . وعند ماقدموا الطائف طلب المغيرة من أبى سفيان أن يقوم بهدم الصنم . فأبى الأخير الطلب ورجاه أن يدخل هو على قومه ليهدم صنمهم . وعندئذ تولى المغيرة بن شعبة هدم الصنم بين بكاء النساء وأبو سفيان يقول : واهًا لك . آهًا لك[1] . ثم أخذ المغيرة مال الصنم وحلِيّه وسلمه لأبى سفيان .

وكان أبو مليح بن عروة قد قدم على رسول الله قبل وفد ثقيف وطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى ديناً كان على أبيه عروة من مال الصنم فأجابه النبى إلى طلبه . فقضى أبو سفيان دين عروة من هذا المال . وكذلك قضى ديناً كان على رجل من أهل الطائف يدعى ابن الأسود .

كتاب الرسول إلى ثقيف : وهذا نص كتاب رسول الله صلوات الله عليه إلى ثقيف « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى، رسول الله ، إلى المؤمنين . إنَّ عِضَاه[2] وجّ وصَيْدَه لا يُعْضَدُ[3] . ومن يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه . فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبى محمد . وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وفود العرب إلى رسول الله : ثم جاءت الوفود — بعد ثقيف — إلى رسول الله تترى من كل وجه قاصدة المدينة لتعلن الطاعة لله ولرسوله . وقد دخلوا فى دين الله أفواجاً كما قال تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا) .

---

(١) كلمة تقال فى معنى التأسف والحزن (٢) شجر الشوك . وج : اسم موضع بالطائف . (٣) يعضد : يقطع .

و بإذعان هذه القبائل للدعوة المحمدية كان الإسلام قد شمل الحجاز كله إلى جانب امتداد سلطانه إلى بلاد الروم فى الشمال ثم بلاد اليمن وحضرموت فى الجنوب . وقد كانت هذه البلاد الواقعة فى الجنوب شرع أهلها بالدخول فى الإيمان بدعوة النبى صلوات الله عليه لها

وفود العرب إلى رسول الله : ومن الوفود التى قدمت على رسول الله : وفد بنى تميم ، ووفد عبد القيس ، ووفد بنى حنيفة . وفيهم مسيلمة الكذاب . . وغير هؤلاء من وفود القبائل التى جاءوا إلى رسول الله ليعتنقوا دين الاسلام رغبة ومحبة . وكان بعض الوفود تلقى الخطب والأشعار أمام رسول الله ثناء على الإسلام وصدق دعوته . وسلامة عقيدته . ولإظهار عظمتها ومكانتها بين القبائل — كما كانت عادتهم فى الفخر والمدح — وكذلك كان بعض القبائل يرسلون كتباً إلى رسول الله صلوات الله عليه معلنين إسلامهم . مثل حمير .

معاذ ابن جبل إلى اليمن : ثم بعث رسول الله معاذ ابن جبل إلى اليمن وأوصاه أن يوجههم إلى الإسلام وقال له « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر . وإنك تأتى على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . »

خالد بن الوليد إلى بنى الحارث : كما أرسل خالد ابن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب ليسلموا . فلما قدمهم ودعاهم إلى الإسلام أسلموا . فأقام بين أظهرهم يأمرهم بأمر الله وينهاهم عما نهاهم عنه .

حج أبى بكر بالناس : وفى ذى القعدة من السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليحج بالناس . فخرج أبو بكر قاصداً مكة فى ثلاثمائة من المسلمين وبعث معه النبى بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بنفسه .

ولعل الذى دعا النبى عليه السلام إلى عدم أدائه الفريضة بنفسه وإيفاد أبى بكر لها ، هوأن مشركى العرب كانو لا يزالون يحجون البيت الحرام وهم على دين الشرك والباطل.

إذ كان بينهم وبين النبي عهد: ألا يصد عن البيت الحرام أحد جاءه . وإذا كان هذا العهد قائما ومدته عشر سنوات . وللعرب المشركين أن يحجوا بمقتضى ذلك العهد فكيف يحج إذن رسول الله ليخالط حقه بباطل هؤلاء المشركين .. وإذا كان النبي قد كسر أصنام الكعبة ومحا عنها آثار الوثنية . فكيف إذن ينظر إلى أصحاب هذه القلوب النجسة التي تؤله الوثن وتعبد الصنم وهي تطوف بالكعبة .

لهذا كان لا بد أن يمنع المشركون من الإقتراب من البيت الحرام كما قال تعالى (إنما المشركون نجس فلا يقربوا لمسجد الحرام بعد عامهم هذا) وكان أمراً طبيعاً أن يأذن الله تعالى لرسوله الكريم لينقض عهده [1] مع المشركين وكان موسم الحج قد بدأ . والمشركون يتوافدون للحج . واجتمعوا ليقضوا مناسكهم. فليكن فيه إذن تبليغ المشركين بأمر الله تعالى لرسوله بنقض عهده معهم . فكان هذا تشريعاً جديداً من الله ينبغي أن ينفذ

لهذه الغاية خرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله (العضباء) قاصداً مكة ليتلو « براءة » على الناس وينبذ إلى كل ذي عهد عهده . فلما لقي علي أبا بكر قال له أبو بكر : أمير أو مأمور ؟ قال علي : بل مأمور . وأخبره بما أمره به رسول الله عليه السلام .

سورة براءة ومنع المشركين من الحج : فلما كان يوم النحر واجتمع الناس بمنى لتأدية المناسك . وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونادى في الناس يتلو قوله تعالى (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم

---

(١) وفضلا عن أن يكون نقض ذلك العهد تشريعاً من الله تعالى . فإنه قد سبق للمشركين أن نقضوا عهدهم مع رسول الله   فعندما تجهز النبي للخروج لغزوة تبوك أخذ المنافقون ينشرون الأراجيف بقصد فتنة المسلمين . وتعويقهم عن الخروج مع رسول الله . فأنزل الله قوله (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) التوبة : ٥٨ فكان هذا ترخيصاً من الله لرسوله بالتحلل من عهد المشركين — راجع معالم التنزيل للإمام البغوي ص ٨٤ ج ٨ طبعة المنار .

غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم . وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين . كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم . التوبة : ١ — ١٥)[١]

تفكير المشركين فى أمرهم : وما أن أتم على تلاوة بعض آيات من سورة براءة . كما أمر الله تعالى حتى وقف لحظة ثم نادى فى الناس : أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر . ولا

(١) هذه بعض الآيات التى تلاها على بن أبى طالب رضى الله عنه . أما الآيات التى تلاها كاملة فهى حتى آية ٣٦ . من هذه السورة

كان السبب فى تكليف النبى عليا بتلاوة سورة براءة وتلاوة القرارات الأربعة على الناس عنى هو أن العرب كانوا قد تعارفوا فيما بينهم فى عقد العهود ونقضها . ألا يتولى ذلك إلا سيد القوم أو رجل من رهطه . لهذا بعث النبى علياً إزاحة للعلة لئلا يقولوا إذا أرسل أحداً من غير رهطه : هذا خلاف ما نعرفه فينا من نقض العهد . . راجع معالم التنزيل للامام البغوى ص ١٠٦ ج ٤ طبعة المنار .

يحج بعد العام مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته .

وعقب أن قرأ على هذه القرارات الأربعة عاد الناس إلى بلادهم ومأمنهم . . ومنذ ذلك اليوم لم يحج مشرك . ولم يطف بالبيت الحرام عريان . وقد أعطاهم سعة من الوقت مدتها أربعة أشهر لينظر المشركون فى أمرهم . ويتفكروا فى عاقبة موقفهم من الإسلام . فيتخيروا بين الانضمام إلى دينه الطيب . أو التعرض للحرب من الله ورسوله إذا هم أصروا على شركهم وتعصبهم لدينهم .

« حجة الوداع »

منذ أن تلا على بن أبى طالب سورة براءة على الناس فى مكة بنقض النبى عهده مع المشركين . . ومن يوم أن سمع مشركو العرب ما قرأه على عليهم من قرارات ومنها : ألا يحج البيت الحرام بعد هذا العام مشرك . وألا يطوف بالبيت عريان . . منذ ذلك الوقت والمشركون قد أيقنوا ألا جدوى من بقائهم على دين الوثنية . وأنه ينبغى عليهم أن يذعنوا لدعوة الاسلام كما أذعن أهل جنوب الجزيرة العربية وشمالها وغيرهم ممن كانوا أكبر من المشركين قوة وأكثر جمعا . وإلا فإنهم سيتعرضون لقتال المسلمين لهم وأخذهم أسرى وحصارهم والترصد لهم [٢] لأن ذلك ماتقتضيه مصلحة المسلمين . وتتطابه سلامة دعوتهم .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخر حجه فى السنة السابقة وأوفد أبا بكر للحج بالناس لأن المشركين يحجون البيت وهم على شركهم طبقا لعهدهم معه . فليخرج اليوم إلى الحج بعد أن أذن الله له بنقض عهده مع المشركين . وزال بذلك ماحجبه عن الحج فليخرج إذن إلى حجة الوداع ليعلم الناس شعائر حجهم ويريهم مناسكهم .

---

(٢) راجع الآية ٥ سورة التوبة .

وفى الوقت الذى كان على بن أبى طالب يستعد فيه للعودة من اليمن إلى مكة كان النبى صلوات الله عليه يتأهب للحج . فقد استدار العام وأقبل ذو القعدة وآن لرسول الله أن يؤدى فريضة الحج .

دولة السلام والإخاء : وما أن علمت القبائل المجاورة للمدينة بقيام رسول الله بالحج حتى أسرعت تتقاطر من كل مكان . لتلتقى برسول الله ولتشهد ذلك الحدث العظيم .

كان منظر تلك القبائل وهى تتدفق على الطريق لتلبى دعوة النبى . . كان ذلك المنظر يظهر بحق أثر الدعوة المحمدية فى الدولة الإسلامية الجديدة . وكيف جعل منها هكذا دولة موحدة . مرهوبة الجانب . قوية البنيان . يعيش أفرادها جميعاً تحت سماء المحبة والسلام والعدل والإخاء . بينما كانت تلك القبائل فى الماضى تعيش متفرقة متناحرة . تتحكم فيها الخصومات والاحقاد . وتشيع فيها الفوضى . وتحكمها شريعة الجاهلية . ويسودها دين الوثنية . . فلا عجب إذن أن نرى هذه القبائل – فى ظل الدولة الجديدة – قد توحدت صفوفها . وصفت قلوبها وغمرها الإيمان الإلٰهى والتقت جميعاً عند كلمة « لا إلٰه إلا الله » شعار التوحيد .

خروج النبى إلى مكة : وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول صلوات الله عليه قاصداً مكة . وصحب معه نساءه جميعاً . وساق معه الهدى . . سار موكب رسول الله بهذا الجمع الكبير يشق الطريق إلى مكة . ترعاهم عناية الله وتعلو محياهم إشراقة الإيمان الصادق . وتظهر عليهم سمات الفرحة الكبرى .

سار الجميع . وقلوبهم متجهة إلى الله تعالى وحناجرهم تنطلق لتردد وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

فلما بلغ الرسول المسلمون سرف قال لهم « من لم يكن منكم معه هَدْىٌ فأحبَّ أن يجعلها عمرة فليفعل . ومن كان معه هدى فلا » . . وتابع الركب النبوى سيره إلى مكة . إلى البيت الحرام . وعندما بلغوه توجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الحجر الأسود فاستلمه وقبّله . وطاف بالبيت سبعا . هرول فى الثلاث الأول . ثم صلى عند مقام إبراهيم ثم عاد مرة أخرى فقبّل الحجر الأسود . ثم خرج من المسجد إلى الصفا . فسعى بين الصفا والمروة سبعاً .

وعندما أتم السعى بين الصفا والمروة نادى فى الناس «ألا يبقى على إحرامه إلا من ساق معه الهدى » ولكن بعض المسلمين تردد فى ذلك مما أثار غضب النبى فدخل قبته غاضباً فسألته عائشة رضى الله عنها عما أغضبه فأخبرها بتردد المسلمين عما أمرهم به . فلما علم الناس بغضب رسول الله عليه السلام تحللوا من إحرامهم . وكذلك حلت بنته فاطمة رضى الله عنها إحرامها مع الناس ولم يبق على إحرامه إلا من ساق معه الهدى .

خطبة النبى فى حجة الوداع : وكان النبى صلوات الله عليه يقول وهو يؤدى مناسك الحج « أيها الناس خذوا عنى مناسككم فلعلكم لا تلقونى بعد عامكم هذا » .

ولما كان الرسول بمنًى وقف خطيباً فى الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس اسمعوا قولى . فإنى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى[1] هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا . وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم رؤوس أموالكم . وقد بلّغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كل ربا موضوع[2] ولكن لكم رؤوس أموالكم

(١) حج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة هى هذه ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ولذا سميت بحجة الوداع .

(٢) أى مهدر مسقط .

لا تَظلِمون ولا تُظلَمون ، قضى الله أنه لا ربآ . وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله . وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع . وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب .

أما بعد أيها الناس . فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً . ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . . أيها الناس . إن النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية . ورجب مضر[1] الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً . ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فإن الله قد أذِن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان[2] لا يملكن لأنفسهن شيئاً . انكم إنما أخذتموهن بأمانة الله : واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولى : فإنى قد بلّغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه . . أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه . تعَلَّمُنَّ ان كل مسلم أخ للمسلم . وإن المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تَظْلِمُنَّ أنفسكم » .

---

(١) أضيف رجب إلى مضر لأنها كانت تعظمه . ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك غيرها .

(٢) عوان : أسرى . والواحد : عانية .

ثم جعل الرسول عليه السلام يرفع يده إلى السماء ويقول « اللهم هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » :

اليوم أكملت لكم دينكم : وبينما هو فى موقفه يدعو الله نزل جبريل يتلو عليه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ المائدة :) فقرأها رسول الله على المسلمين . فلما سمعها أبو بكر أيقن أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أتم رسالته . وإن أجله قد بدأ يدنو من نهايته .

ولقد كانت هذه الآية الكريمة إخباراً من الله تعالى للناس بأنه قد أكمل لهم الدين . فلا يحتاجون إلى زيادة فيه أبداً . وأنه قد أتمه فلا نقص يعتريه . وأنه قد رضى لهم الإسلام ديناً . فلا استبدال له بآخر .

عودة النبى إلى المدينة : وبعد أن انتهى رسول صلى الله عليه وسلم من خطابه الجامع الذى نصح فيه الأمة وأرشدها إلى خير دينها ودنياها وبصرها بطريق الفلاح فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . قفل عائداً إلى المدينة . وقد قرت عيونهم . وشرح الله صدورهم . وازدادوا إيماناً وتقوى بهذا الفضل الذى يتجلى به عليهم المولى عز وجل فى كل وقت جزاء صبرهم وإيمانهم وجهادهم فى سبيل الله .

سعد صادق

ظهر حديثاً كتاب :

« لا تتخذوا القبور مساجد ولا تجعلوا الأضرحة معابد »

بقلم الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم سلامة نائب رئيس فرع طنطا . وقدم له الدكتور محمد خليل هراس نائب الرئيس العام للجماعة .

فند فيه شبهات القبوريين وتحدث عن مسجد الضرار وجمع أحاديث النهى والتحريم . وتحدث عن قبر الرسول فى مسجده ، وعن الحجر الأسود ، والأماكن التى تحرم فيها الصلاة ، وعن الطواف وشد الرحال ، وزيارة النساء للقبور ، وعن أنواع النذور . . الخ .

يقع فى ١٢٠ صفحة من الحجم المتوسط وثمنه ستون مليما ويطلب من المؤلف رقم ١٣ شارع الشهيد أنور الصيحى بطنطا وفى الفرع ومن المركز العام بالقاهرة .

كيف نشأت جماعة أنصار السنة المحمدية

بأرتريا — الحبشة

بدأت دعوة جماعة أنصار السنة المحمدية بأرتيريا منذ خمس وعشرين عاماً تقريباً على يد الشيخ محمد صالح طاهر ، وفى عام ١٣٧٣ هـ انعقد أول مؤتمر للجماعة وانتهى الاجتماع بعد إصدار القرارات الآتية :

أولا — تكوين قرى صغيرة خاصة بأعضاء الجماعة يرحلون إليها هم وأسرهم ، وذلك ليتمكن القائمون على شئون تلك الأسر من السيطرة على تربية النساء والأطفال تربية إسلامية صحيحة ، وينشأوا نشأة دينية سلفية ، لأن الاختلاط بالعامة يوحى بالتقليد الأعمى ، وفى ذلك ضرر كبير بالنسبة للنساء والأطفال . وفى الحال تم إنشاء ثلاث قرى جميع من فيها سلفيون . ثم فى كل عام يزاد عدد القرى حتى بلغت الآن سبعة — ولله الحمد —

ثانياً — جمع أموال االزكاة وذلك بأن تجمع كل قرية زكاتها ، واشتراكات شهرية من كل فرد مستطيع بمعدل نصف ريال للفرد ، وجمع جلود الأضاحى ، والتبرعات عند المناسبات ، كالمؤتمر السنوى الذى يعقد فى شهر رجب من كل عام .

ثالثاً — أن ينشأ فى كل قرية مسجد لإقامة الصلوات الخمس والجمعة ، ويؤسس فى كل قرية ندوة لتدريس القرآن الكريم ، وتعليم أمور الدين من النصوص الشرعية بالكتاب والسنة . هذا فضلا عن الدروس العامة مرتين فى كل أسبوع للجميع

رابعاً — عند انعقاد المؤتمر السنوى على كل قرية أن تقدم كشفاً بالأموال التى جمعت من الزكاة والاشتراكات والتبرعات ، ومن جلود الأضاحى . وكشفاً آخر بأسماء الذين يرونهم مستحقين لصرف أموال الزكاة عليهم من سكان القرى المذكورة .

خامساً — تنتخب لجنة خاصة لتوزيع أموال الزكاة على مستحقيها .

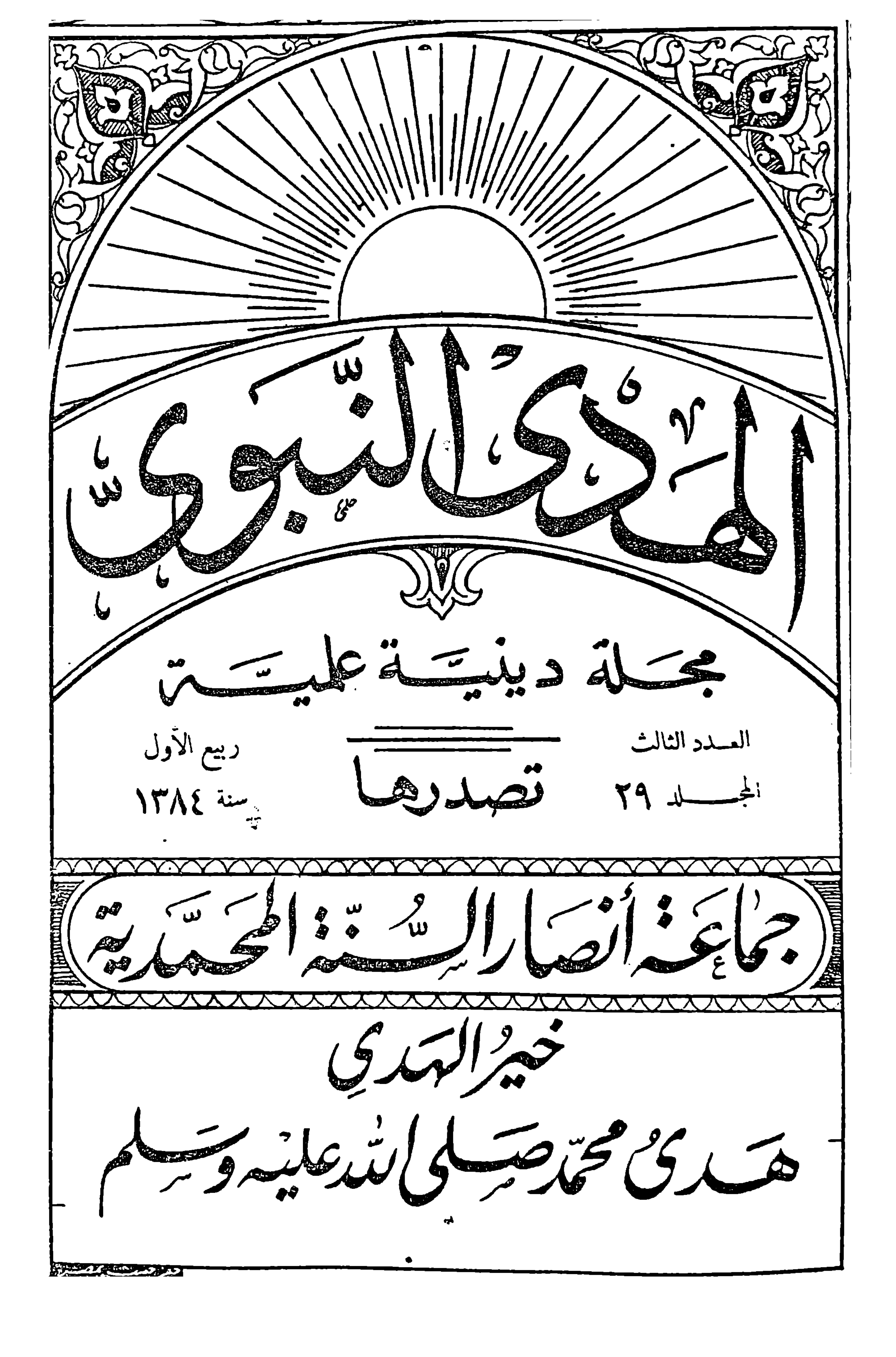
هذه هى القرارات التى اتخذت فى المؤتمر الأول للجماعة ، وهى تسير على هذا النظام إلى الآن - ولله الحمد - وفى مؤتمر العام الماضى وافق المجتمعون على شراء جهاز تسجيل ، لتسجيل المحاضرات والمواعظ الدينية وخصوصاً مايتعلق منها بالعقائد ، والنهى عن البدع ، ونفذ هذا القرار . ومن مزايا جهاز التسجيل أن بعض أعضاء الجماعة يرحلون به إلى القرى القريبة منها ، والنائية يسمعون إخوانهم هناك العظات الدينية النافعة ، وربما مكث الإخوان شهراً كاملا بالجبال وهم يجوبون بالجهاز فى القرى النائية لتعليم المسلمين حقائق دينهم ، طلباً للثواب من الله تعالى .

هذا بعض نشاط جماعة أنصار السنة المحمدية - بأرتيريا - والله ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد الحسن عبد القادر — السكرتير والمرشد العام للجماعة

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوي
مجلة دينية علمية
العدد الثالث
المجلد ٢٩
تصدرها
ربيع الأول
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٠	خمس يقتلن فى الحرم . . . . «	محمد نجيب المطيعى
١٤	صلاة المسافر . . . . «	الدكتور تقى الدين الهلالى
١٩	الله مستو على عرشه . . . . «	« محمد خليل هراس
٣٠	فى سبيل التقارب بين الدعاة	عن مجلة (الاعتصام)
٣٤	بيان إلى فروع الجماعة .	من المركز العام
٣٦	غزوات الرسول	للأستاذ سعد صادق محمد
٤٩	العام الهجرى (قصيدة) . . . . «	نجاتى عبد الرحمن

إلى السادة المشتركين

بمناسبة دخول السنة الهجرية الجديدة فإننا نذكر السادة المشتركين بأن يتفضلوا مشكورين بسداد قيم اشتراكاتهم عن السنة الجديدة .

كما أننا نرجو من السادة المتعهدين بأن يتفضلوا فيرسلوا إلينا ماتحت أيديهم من ذممات المجلة . ولهم شكرنا .

ترسل اشتراكات المجلة باسم السيد / محمد رشدى خليل

٨ شارع قوله بعابدين القاهرة

تنبيه : تغير رقم تليفون المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

إلى ٩١٥٥٧٦

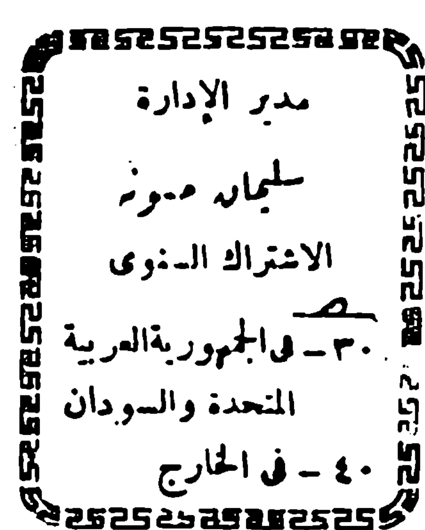
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ٣ ربيع الأول سنة ١٣٨٤ المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ـ الكهف : ٨٣) .

« المعـــنى »

يقص المفسرون أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذى القرنين . غير أن الذى قد ينحرف بهذا الرأى عن غايته ، هو أن آيات القصة كلها مدنية . وهذا يدعم بصورةٍ ما رأى القائلين بأن السائلين كانوا من أهل المدينة ، وهم من أهل الكتاب .

والمسلم تعنيه من هذه القصة عبرتها الجليلة . قبل أن تعنيه معرفة الذين سألوا عنها .

القرآن يقطع بأن بعض الناس سألوا رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ عن ذى القرنين . وقد أجاب الله عن رسوله . وأنا لا أقطع برأى فى أمر السائلين وحسبى وحسبك ما ذكره القرآن .

رأى ابن جرير فى سبب النزول وفى ذى القرنين : ولابن جرير ــ أحياناً ــ عناية بالأساطير ــ عفا الله عنا وعنه ــ ولكنه فى كثير من أحيانه يعقب بما يقضى عليها ، وأنا أنقل ما ذكره ، وسأترك الحكم عليه لابن كثير الذى هذب تفسير ابن جرير فى تفسيره هو .

يروى ابن جرير بسنده عن عقبة بن عامر أنه قال : « كنت يوماً أخدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فخرجت من عنده ، فلقينى قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاستأذِنْ لنا عليه ، فدخلت عليه ، فأخبرته ، فقال : ما لى ، وما لهم ؟ ما لى علم إلا ما علمنى الله ، ثم قال : اسكب لى ماء ، فتوضأ ، ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ، ثم قال : أدخلهم علىَّ ، ومن رأيت من أصحابى ، فدخلوا ، فقاموا بين يديه ، فقال : إن شئتم سألتم ، فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوباً ، وإن شئتم أخبرتكم ، قالوا : بلى . أخبرنا ، قال : جئتم تسألونى عن ذى القرنين ، وما تجدونه مكتوباً فى كتابكم . كان شاباً من الروم ، فجاء ، فبنى مدينة مصر الإسكندرية ، فلما فرغ جاءه مَلَكٌ ، فعلا به فى السماء ، فقال له : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتى ، ومدائن . . . ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتى ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ قال : أرى الأرض ، قال : فهذا الْيَمُّ محيط بالدنيا. إن الله بعثنى إليك تعلِّم الجاهل ، وتثبت العالم ، فأتى به السدَّ ــ وهو جبلان لَيِّنان يَزْلَقُ عنهما كل شىء ــ ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى وجوههم وجوه الكلاب . يقاتلون يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم » .

ولم يعقب ابن جرير على هذه الأسطورة المغرقة فى النكارة بشىء . غير أن ابن كثير عقب عليها بقوله : « وقد أورد ابن جرير والأموى فى مغازيه حديثاً أسنده ، وهو ضعيف

عن عقبة بن عامر . . وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل . والعجب أن أبا زرعة الرازى ـ مع جلالة قدره ـ ساقه بتمامه فى كتاب (دلائل النبوة) ، وذلك غريب منه . وفيه من النكارة أنه من الروم ، وإنما الذى كان من الروم الإسكندر الثانى ، وهو ابن فيلبس المقدونى ، الذى تؤرخ به الروم » .

ويذكر ابن جرير الرأى فى سبب تلقيبه بذى القرنين . فيذكر بسنده ـ والله أعلم بسنده ـ عن علىّ أنه قال عن ذى القرنين : « هو عبد أحب الله فأحبه ، وناصح الله ، فنصحه . فأمرهم بتقوى الله ، فضربوه على قرنه فقتلوه ، ثم بعثه الله ، فضربوه على قرنه ، فمات » . ونقل بسند آخر عن على أنه قال عن ذى القرنين أنه دعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه ، فمات . وبسند آخر : أنهم ضربوه ضربتين فى رأسه ، فسمى ذا القرنين .

ومما يدهشك أن ابن كثير ينقل هذا أيضاً ، مع أنه يقول كلمة طيبة رائعة أحب أن يتدبرها الذين يتلون القرآن ، ويتعرضون لتأويله ، ولا سيما إخوانى فى الله .

يذكر ابن كثير أن معاوية سأل « كعب الأحبار » عما يزعمه من أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثُرَيَّا ـ وهى مجموعة نجوم فى السماء ـ .. فأكد كعب زعمه هذا ، واستشهد عليه بقوله سبحانه : (وآتيناه من كل شىء سببا) .

ثم يعقب ابن كثير على هذا بقوله : « وهذا الذى أنكره معاوية ـ رضى الله عنه ـ على كعب الأحبار هو الصواب ، والحق مع معاوية فى ذلك الإنكار ، فإن معاوية كان يقول عن كعب الأحبار : إن كنا لَنَبْلوا عليه الكذب ـ يعنى فيما ينقله ، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ـ ولكن الشأن فى صحفه أنها من الإسرائيليات[1] التى غالبها مبدَّل مصحَّف محرف ، مُخْتَلَق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسوله ـ صلى الله

---

(١) وهذه هى خطيئة كعب . فقد أراد معارضة الحق من القرآن بالباطل المكذوب من الإسرائيليات الفاسقة !! وهذا وتعمد الكذب سواء فى الفساد .

عليه وسلم – إلى شيء منها بالكلية ، فإنه دخل منها على الناس شر كثير ، وفساد عريض » .

ثم يحكم على زعم كعب المفترى – وهو أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا – بقوله إنه غير صحيح . ولا مطابق ، فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من هذا .

وهذا نقد رائع عظيم – وإن كان ابن كثير قد هفت به مفتريات كعب وأضرابه التي لفقت فى صورة أحاديث منكرة ، فرواها ظاناً أنها ليست يهودية النسب ، وما فيها يثبت صدق نسبها الملعون إلى اليهودية الصماء الجحود ! ! .

رأى ابن كثير فى ذى القرنين : ينقل ابن كثير عن الأزرقى – دون نقد أو تعليق – أن الإسكندر المذكور فى القرآن والملقب بذى القرنين كان فى زمن إبراهيم عليه السلام ، وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لَمَّا بناه إبراهيم ، وقرب إلى الله قرباناً .

ونقل عن وهب بن منبه – دون نقد أو تعليق بشيء – أنه كان ملكا ، وأنه سمى بذى القرنين ؛ لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس أو لأنه ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان فى رأسه شبه القرنين . وقيل : إنما سمى بهذا ؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب .

هذا ما ذهب إليه ابن كثير فى تفسيره ، وفيه نفحة من صواب ، وفيه لفحات من خطأ . وقد تكلم ابن كثير طويلا عنه فى تاريخه البداية والنهاية ، ومن قوله فى التاريخ « ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا ، وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المشارق والمغارب ، وملك الأقاليم ، وقهر أهلها ، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين . وقيل : كان نبياً . وقيل : رسولا . وأَغْرَبَ من قال : مَلَكا من الملائكة » وليت ابن كثير اكتفى بهذا . فإنه لم يزد فيه عما هدى إليه القرآن . ولكن المولع بأساطير التاريخ يناهض فى النفس

أحياناً السكينة مع الحق والطمأنينة إليه ، ويأبى أن تسلم النفس زمامها راضية إلى سلطان الحقيقة .

فقد نقل ابن كثير عن بعضهم أن الخضر كان وزير الإسكندر وكان على مقدمة جيشة . وذكر أيضاً أن الإسكندر أسلم على يدى الخليل إبراهيم ، وطاف معه بالكعبة هو وإسماعيل وأنه حج ماشياً ، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ، ودعا له .

وذكر أيضاً أن الله سخر له السحاب حيث أراد .

وذكر بسنده الخلاف حول اسمه ، فقال إن اسمه هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وقيل : مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد[1] . الخ ! ! .

وذكر — مستنداً إلى ما يسميه حديثاً — أنه كان من حمير وأمه رومية ، وأنه كان يقال له : ابن الفيلسوف .

وذكر أيضاً : أنه كان من أول التبابعة ، وأنه الذى حكم لإبراهيم فى بئر السبع . وذكر عن قتادة أنه قال : اسكندر هو ذو القرنين ، وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام ابن نوح .

ونقل عن ابن عساكر أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له : « رشاقيل » فسأله الإسكندر ، عن عين الحياة ، فدله عليها ، فذهب ذو القرنين فى طلبها وعلى مقدمة جيشه الخضر ، فعثر عليها الخضر فى وادٍ فى أرض الظلمات ، فشرب منها ، ولم يهتد ذو القرنين إليها .

وذكر أيضاً اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك ، فأعطوه حجراً ، فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه ، فوضعوه فى كفة ميزان ، وجعلوا فى مقابلته ألف حجر ، فوزنها ، حتى سأل الخضر ، فوضع هذا قباله حجراً ، وجعل عليه حفنة من

---

(١) وينقل عن الدارقطنى وابن ماكولا أن اسمه هرمس ، أو هرويس .

تراب ، فرجح به ، وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب ، فسجد له العلماء تكريماً له وإعظاما .

وذكر عن إسحاق بن بشر أنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة . وعن ابن عساكر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة أو اثنتين وثلاثين . وأنه كان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين . ثم قال ابن كثير عن هذا الكلام الأخير . وهذا الذى ذكر إنما ينطبق على إسكندر الثانى « أى المقدونى » هذا بعض ماذكره ابن كثير فى تاريخه ، ولم يعن بتمحيصه ، وبعضه غثاء وخرافات .

رأى البيضاوى : ويقطع البيضاوى فى تفسيره بأن ذا القرنين هو اسكندر الرومى ملك فارس والروم . ويذكر أنه لقب بذى القرنين لأنه طاف قرنى الدنيا ، أو لأنه انقرض فى عهده قرنان من الناس ، أو لأنه كان لتاجه قرنان ، أو لأنه كان شجاعاً ، كما يقال : الكبش للشجاع .

رأى البغوى : وجاء فى تفسير البغوى أنه سمى بذى القرنين ؛ لأنه دخل النور والظلمة ، أو لأنه رأى فى المنام أنه أخذ بقرنى الشمس ، أو لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان[1] ، أو لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة . وقيل : إن اسمه هو : مرزبان ابن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح .

وقد وصف الخازن فى تفسيره ذا القرنين بصفة تفيد أنه الإسكندر المقدونى ، وأنه بلغ من العمر ثلاثين سنة وألفا ! ! .

رأى المسعودى المؤرخ : يقول فى (المروج) عن الإسكندر المقدونى : « وقد تنازع الناس فيه ، فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ، ومنهم من رأى أنه غيره ، وتنازعوا أيضاً

---

(١) وبهذا يستدل من يذهب إلى أن ذا القرنين كان من ملوك اليمن ، إذ كان من عاداتهم إرسال ذؤابتين - أى ضفيرتين من الشعر - وكان من ألقاب ملوك اليمن ذو نواس .

فى ذى القرنين ، فمنهم من رأى أنه سمى بذى القرنين لبلوغه أطراف الأرض ، وأن الملك الموكَّل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ، ومنهم من رأى أنه من الملائكة ، ومنهم من رأى أنه كان بذؤابتين من الذهب ، وقد قيل غير ذلك . وقد ذكره تُبَّع فى شعره ، وافتخر به ، وأنه من قحطان ، وقيل : إن بعض التبابعة غزامدينة رومية ، فأسكنها خلقاً من اليمن ، وإن ذا القرنين الذى هو الإسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها[1] » .

رأى البيرونى : ويذكر البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » أن الإسكندر من حِمْير ، وأن اسمه « أبو كرب بن عيد بن إفريقيس الحميرى » . وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول :

قد كان ذو القرنين جَدِّىَ مُسْلما ملكا علا فى الأرضِ غير مُفَنَّد[2]
بلغ المشارق والمغارب يبتغى أسباب مُلْكٍ من كريم مُرْشِد[3]
فرأى مآب الشمس عند غروبها فى عين ذِى خُلَبٍ وثأطة خرمد[4]

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد ، وهدانا — والمسلمين — سواء السبيل .

« له بقية فى العدد القادم إن شاء الله » .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) ص ٢٨٨ ج ١ مروج الذهب للمسعودى ط سنة ١٣٦٧ ه .

(٢) غير مكذب . وروى صاحب العرائس فى قصص الأنبياء هذه الشطرة هكذا :
« ملكا تدين له الملوك وتسجد »

(٣) فى رواية من كريم سيد وفى البداية : « أسباب أمر من كريم مرشد » .
وفى غيره :
طلب المشارق والمغارب عالماً يبغى علوماً من كريم مرشد

(٤) وله رواية أخرى
ورأى مسير الشمس عند غروبها فى عين ذى خلب وثأط خرمد
والخلب : الحمأة . والثأط : الطين الذى تحتها . والخرمد ماتحتها من الحصا والحجارة .

حديث «خمس يقتلن فى الحل والحرم»

السيد . . . . رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد) فقد لفتنى من العدد الثامن الصادر فى شهر صفر الخير سنة ١٣٨٤ من مجلة (الاعتصام) أشياء يهمنى منها ما يتعلق بحديث النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى مقال بعنوان (من آثار الشيخ عبد العزيز الشريف) يقول الكاتب نقلا عن الشيخ المذكور « إن هناك أحاديث متشابهة أو غامضة فى المعنى أو ناسخة أو منسوخة أو قيلت بسبب خاص أو اختص بها أناس دون آخرين ، فمثل هذا لا يفهمه المتعلم . ولا يعرف حقيقته إلا عالم راسخ فى علم الحديث يبين دقائقه وكيفية استنباط الأحكام منه وهذا حق لا شىء فيه . ولا نستطيع أن نقول بضده لأن الحديث كالكتاب الكريم لا يفهمه جميع الناس ولنورد على سبيل المثال .

١ — « كفى بالسلامة داء » هذا حديث ظاهر اللفظ واضحه ولكنه غامض المعنى ثم مضى الشيخ كما يحكى كاتب المقال فى بذل الوسع فى شرح هذا الكلام على أنه حديث صحيح ثم استطرد فقال :

٢— ومثل هذا الحديث الأحاديث المنسوخة مثل حديث « خمسة (! ! ! !) يقتلن فى الحل والحرم : الحية ـ العقرب ـ الكلب . العقور الحديث » فإنه منسوخ بحديث آخر . روى مالك فى الموطأ عن صيفى بن أفلح عن أبى السائب مولى بنى زهرة أنه دخل على أبى سعيد الخدرى : قال فوجدته يصلى فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته . قال فسمعت تحريكا تحت سريره فى بيته فإذا هى حية فقمت لأقتلها فأشار أبو سعيد أن اجلس . فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت فى الدار فقال :

ترى هذا البيت ؟ قلت نعم . فقال إنه كان فيه فتى حديث عهد بعرس ، وساق الحديث إلى أن قال فرأى امرأته واقفة بين الناس فأدركته غيرة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها بسبب الغيرة فقالت لا تعجل حتى تدخل وتنظر مافى بيتك فدخل فإذا هو بحية مطوقة على فراشه فركز جنبها برمحه فاضطربت الحية فى رأس الرمح وخر الفتى ميتا . فما ندرى أيهما كان أسرع موتاً الفتى أم الحية . فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بالمدينة جناً قد أسلموا فما بدا لكم منهم فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان » الخ المقال .

يقول محمد نجيب المطيعى :

إن القول بنسخ حديث « خمس يقتلن فى الحل والحرم » حكم جرىء ورأى خطير وافتيات على الحديث الشريف الذى نهى الكاتب فى مقاله عن الافتيات عليه من أهله أو من غير أهله . وهو يناقض قواعد الاصول وينافى اتفاق المحدثين أصحاب هذا الشأن . إذ القاعدة عند أصحابنا أن كل حديث يخالف المتفق عليه مردود ، والمتفق عليه فى اصطلاح المحدثين هو مارواه الشيخان : البخارى ومسلم ، فعند البخارى فى (باب مايقتل المحرم من الدواب) حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح» ويرويه البخارى من حديث شيخه مسدد عن أبى عوانة عن زيد بن جبير عن ابن عمر عن إحدى نساء النبى صلى الله عليه وسلم. وتأتى رواية البخارى التالية : حدثنا أصبغ قال . أخبرنى عبد الله بن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر قالت حفصة (أم المؤمنين وهى أخته) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس من الدواب ، الحديث .ويرويه البخارى عن شيخه يحيى بن سليمان بسنده إلى عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خمس من الدواب كلهن فاسق » إلخ الحديث .

أما صحيح مسلم فإنه قد أخرجه عن عائشة رضى الله عنها من طريق شيخيه هرون ابن سعيد الأيلى وأحمد بن عيسى بالسند عن القاسم بن محمد يقول سمعت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أربع كلهن فاسق يقتلن فى الحل والحرم : الحدأة والغراب والفأرة والكلب العقور » قال[1] فقلت للقاسم : أفرأيت الحية ؟ قال : تقتل بصفر لها » ومن طريق أبى بكر بن أبى شيبة وابن المثنى وابن بشار بسندهم إلى سعيد ابن المسيب عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحُدَيَّا » فهذا الحديث الذى رواه من الصحابة عائشة وحفصة وعبدالله بن عمر وعنهم من التابعين سعيد بن المسيب وعبد الله بن دينار ومحمد بن القاسم وعبدالله وسالم ابنا عبد الله بن عمر ونافع مولى عبد الله وزيد بن جبير وعروة ابن الزبير وبعض طرق هذا الحديث ورد فى الصحيحين بالسلسلة الذهبية وهى سلسلة أصح الصحيح قال . قال مسلم : حدثنى يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح » الحديث .

من هنا لا يحل لأحد بالغا ما بلغ من النباهة ، وعلو الشأن أن يجرؤ على حديث كهذا فينسخه بجرة قلم لمجرد أنه توهم تعارضاً بين حديث الموطأ وبين هذا الحديث .

ونحن بعد أن نبهنا إلى أن القاعدة هى رد كل حديث يخالف المتفق عليه حجية لا تعبداً « نقول : إنه ليس ثم تعارض بين حديث الموطأ وبين هذا الحديث . لأن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيات كان للبيوت وفى المدينة وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيكون النهى عن القتل إلا بعد الإيذان ثلاثة أيام فى البيوت لاحتمال أن يكون جنياً مسلماً .

---

(١) القائل هو عبد الله بن مقسم راويه عن القاسم بن محمد

ولم يكن هناك داع لتوهم التعارض بين الحديثين . على أن القول بالنسخ لا يكفى فيه التعارض بل ينبغى تحرى الزمن الذى صدر فيه كلا النصين أيهما قبل وأيهما بعد . على أنه ـ وبعد أن أوردنا ألا تعارض ـ يمكن القول بأن احتمال النسخ كان ينبغى أن ينصب على حديث النهى عن القتل لأن حديثاً ورد عن الشيخين أيضاً يحدد الوقت الذى صدر فيه ، والنص هنا للبخارى . حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش قال حدثنا ابراهيم عن الأسود عن عبدالله رضى الله عنه قال : بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى إذ نزل عليه(والمرسلات) وإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم« وقيت شركم كما وقيتم شرها » فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها وإن لم يستطيعوا ذلك لهروبها ، كان ذلك فى منى أى بعد فتح مكة . فأى شىء يأتى بعد ذلك ينسخ نصوصاً قيلت فى إبان تمام الرسالة وختام النبوة واقتراب الأجل النبوى الشريف .

أقول هذا تذكرة وتنبيهاً وتبليغاً والله نسأل العصمة من الزلل والتوفيق للذود عن السنة والهداية إلى سواء السبيل .

محمد نجيب المطيعى
وكيل الأخبار بالعباسية

الصبح السافر

فى حكم صـــــلاة المسافر

— ٤ —

الفصل الرابع فى اقتداء المقيم بالمسافر وعكسه

قال ابن حزم فى المحلى ج ٥ / ص ٣١ / مسألة / فإن صلى مســافر بصلاة مقيم قصر ولا بد ، وإن صلى المقيم بصلاة مسافر أتمّ ولا بد ، وكل أحد يصلى لنفسه ، وإمامة كل واحد منهما للآخر جائزة ولا فرق . روينا من طريق عبد الرزاق عن سعيد بن السائب عن داوود بن أبى عاصم قال : سألت بن عمر عن الصلاة فى السفر ، فقال : ركعتان ، قلت ، كيف ترى ونحن ها هنا بمنى ؟ قال ، ويحك سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنت به ؟ قلت ، نعم ، قال فإنه كان يصلى ركعتين ، فصل ركعتين إن شئت أودع .

وهذا بيان جلى بأمر ابن عمر المسافر أن يصلى خلف المقيم ركعتين فقط . ومن طريق شعبة بن المغيرة بن مقسم عن عبد الرحمن بن تميم بن حذلم قال : كان أبى إذا أدرك من صلاة المقيم ركعة ، وهو مسافر صلى إليها أخرى ، وإذا أدرك ركعتين أجتزأ بهما . قال علىّ : تميم بن حذلم من كبار أصحاب ابن مسعود رضى الله عنه .

وعن شعبة عن مطر بن فيل عن الشعبى قال : إذا كان مسافراً فادرك من صلاة المقيم ركعتين اعتدّ بهما .

وعن شعبة عن سليمان التيمى قال : سمعت طاووساً وسألته عن مسافر أدرك من صلاة المقيمين ركعتين ، قال ، تجزيانه قال علىّ : برهان صحة قولنا ماقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الله فرض على لسانه صلى الله عليه وسلم صلاة الحضر أربعا وصلاة السفر ركعتين . حدثنا عبد الله بن ربيع حدثنا محمد بن معاوية حدثنا أحمد بن شعيب

حدثنا عبدة بن عبد الرحيم عن محمد بن شعيب ، أنبأنا الأوزاعى عن يحيى ، هو ابن أبى كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنى عمر بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « إن الله قد وضع عن المسافر الصيام ونصف الصلاة » ولم يخص عليه السلام مأموماً من إمام من منفرد (وما كان ربك نسيا) وقال تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

قال علىّ : والعجب من المالكيين والشافعيين والحنفيين القائلين بأن المقيم خلف المسافر يتم ولا ينتقل إلى حكم إمامه فى الاتمام وهم يدعون أنهم أصحاب قياس بزعمهم ، ولو صح قياس فى العالم لكان هذا أصح قياس يوجد ، ولكن هذا مما تركوا فيه القرآن والسنن والقياس . وما وجدت لهم حجة ، إلا أن بعضهم قال ، إن المسافر إذا نوى فى صلاته الإقامة لزمه إتمامها ، والمقيم إذا نوى صلاته السفر لم يقصرها ، قال ، فإذا خرج بنيته إلى الإتمام فأحرى أن يخرج إلى الإتمام بحكم إمامه .

قال علىّ : وهذا قياس فى غاية الفساد ، لأنه لا نسبة ولا شبه بين صرف النية من سفر إلى إقامة وبين الاتمام بإمام مقيم ، التشبيه بينهما هوس ظاهر .

واحتج بعضهم بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فقلنا لهم . فقولوا للمقيم خلف المسافر أن يأتم به ، إذن ، فقال قائلهم ، قد جاء « أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر » قلنا ، لو صح هذا لكان عليكم ، لأن فيه أن المسافر لا يتم ، ولم يفرق بين مأموم ولا إمام ، فالجواب على هذا إن المسافر جملة يقصر ، والمقيم جملة يتم ، ولا يراعى أحد منهما حال إمامه . وبالله تعالى التوفيق .

قال مؤلف هذه الرسالة : إذا علم ذلك فلا يجوز لمسافر أن يصلى إلا ركعتين ، اقتدى بإمام مقيم ، إن شاء انتظر سلامه وإن شاء لم ينتظر ، بل يتم تشهده بعد قيام الإمام للثالثة ويسلم بنية الانفراد . فإن قلت كيف يسوغ له أن يدخل الصلاة بنية الاقتداء بإمام ثم ينفصل عنه ، أقول ، لو كانت فريضتهما واحدة ، بأن كانا مقيمين جاز للمأموم

أن ينوى الانفراد وينفصل عن الإمام فيتم صلاته وحده فكيف إذا كان فرضهما مختلفاً . برهان ذلك ما ثبت فى صحيح البخارى أن معاذا كان يصلى العشاء الآخرة خلف النبى صلى الله عليه وسلم ثم يصليها فى مسجد قومه إماماً ، فصلى بهم ذات ليلة فقرأ بسورة البقرة فاستعجل أحد المؤتمين به فتجوز فى صلاته وانصرف . فلما فرغ معاذ من صلاته سأل عن الرجل فقيل له ، إنه تجوز وانصرف ، فقال ، ذلك منافق ، فلما أصبح الرجل سمع ما قال معاذ فيه ، فذهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فلما جاء معاذ إلى النبى صلى الله عليه وسلم غضب عليه وقال له : أفتان أنت يا معاذ ؟ هلا قرأت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ؟ .

وبوّب البخارى لهذا الحديث بقوله : باب الغضب عند الموعظة . ولم يقل النبى للرجل الذى نوى الانفراد وخفف صلاته وانصرف أعد صلاتك ، بل أقره على ذلك . وإذا جاز ذلك للمقيم مع الإمام المقيم ، فجوازه للمسافر أولى .

قال تقى الدين الهلالى : هذا ما أردت جمعه من مسائل صلاة المسافر جواباً عن سؤال السيد قصى شنشل . وقد كتب إلى ابن عمه السيد مثنى شنشل يسألنى قائلا : إن معى جماعة من المسلمين يبلغ عددهم مائة ، وقد اكترينا مكاناً لصلاة الجماعة ، فهل يجوز لنا أن نصلى الجمعة ونحن مسافرون ؟ فأردت أن أختم هذه الرسالة بالإجابة عن سؤاله .

قال الإمام ابن حزم ج ٥ ص ٤٩ ـ مسألة : وسواء فيما ذكرنا من وجوب الجمعة . المسافر فى سفره ، والعبد ، والحر ، والمقيم ، وكل من ذكرنا يكون إماماً فيها راتباً وغير راتب ، ويصليها المسجونون والمتخلفون ركعتين فى جماعة بخطبة كسائر الناس ، وتصلى فى كل قرية ، صغرت أم كبرت ، كان هنالك سلطان أو لم يكن . وإن صليت الجمعة فى مسجدين فى القرية فصاعداً جاز ذلك . ورأى أبو حنيفة ومالك والشافعى أن لا جمعة على عبد ولا مسافر .

واحتج لهم من قلدهم فى ذلك بآثار واهية لا تصح ، إحداها مرسل ، والثانى فيه هريم ، وهو مجهول ، والثالث فيه الحكم بن عمرو ، وضرار بن عمر ، وهما مجهولان ، ولا يحل الاحتجاج بمثل هذا .

ولو شئنا لعارضناهم بما روينا ، من طريق عبد الرزاق عن ابن جُريج قال : « بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَمَّع بأصحابه فى سفر ، وخطبهم يتوكأ على عصاً » ، ولكننا ولله الحمد فى غنى بالصحيح عما لا يصح ، واحتجوا بأن رسول الله لم يجهر فى صلاة الظهر بعرفة ، وكان يوم جمعة .

قال على : وهذه جرأة عظيمة ، وما روى أحد قط أنه عليه السلام لم يجهر فيها ، والقاطع بذلك كاذب على الله تعالى ورسوله ، قد قفا مالا علم له به ، وقد قال عطاء وغيره : ان وافق يوم عرفة يوم جمعة جهر الإمام ، قال على : ولا خلاف فى أنه عليه السلام خطب وصلى ركعتين : وهذه صفة صلاة الجمعة ، وحتى لو صح لهم أنه عليه السلام لم يجهر لما كان لهم فى ذلك حجة ، أصلا لأن الجهر ليس فرضا ومن أسر فى صلاة جهر أو جهر فى صلاة سر فصلاته تامة ، لما قد ذكرنا قبل ، ولجأ بعضهم إلى دعوى الإجماع على ذلك ، وهذا مكان هان فيه الكذب على مدعيه ، وروينا عن أحمد بن حنبل أنه قال : من ادعى الإجماع كذب . ثم روى بسنده إلى أبى هريرة أنهم كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن الجمعة ، وهم بالبحرين ، فكتب إليهم ، أن جمعوا حيثما كنتم ، وقال وكيع : أنه كتب ثم روى بسنده عن صالح بن سعد المكى ، أنه كان مع عمر بن عبد العزيز ، وهو متبد بالسويداء . فى إمارته على الحجاز فحضرت الجمعة فهيأوا له مجلساً من البطحاء ، ثم أذن المؤذن بالصلاة . فخرج إليهم عمر بن عبد العزيز ، فجلس على ذلك المجلس ، ثم أذنوا أذانا آخر ، ثم خطبهم ، ثم أقيمت الصلاة ، فصلى بهم ركعتين وأعلن فيهما بالقراءة . ثم قال لهم إن الإمام يجمّع حيثما كان .

ومن طريق حماد بن سلمة عن أبى مكين عن عكرمة قال ، إذا كانوا سبعة فى سفر فجمّعوا ، يحمد الله ويثنى عليه ويخطب فى الجمعة والأضحى والفطر .

قال مؤلف هذه الرسالة محمد تقى الدين بن عبد القادر الهلالى الحسينى : هذا ما أردت جمعه فى هذه الرسالة ، ولم أرد تطويلها بكثرة النقول التى يمكن الاستغناء عنها عملا بالمثل ، « حسبك من السوار ما أحاط بالمعصم » لأن نشر مثل هذه الكتب يرغب عنه تجار الكتب ، ولا يرغب فيه إلا الغرباء المتمسكون بدين الحق ، وهم قليل ، واطالة الكتاب تقتضى كثرة النفقة ، وأسأل الله أن ينفع بها من قرأها وعمل بها وسعى فى نشرها وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وكان الفراغ فى تبييضها ظهر يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف ـ ١٣٨٢ من هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه وسلم بالفزه من مدينة مكناس صانها الله من كل ضر وباس .

الله مستو على عرشه ولو كره المعطلون

طلعت مجلة (الاعتصام) على قرائها فى غرة الشهر الماضى — صفر — بمقال تحت عنوان (الهراس فى بنها) حشته بما شاء لها الهوى ، والحقد ، من تهم ومفتريات كنا نود لو تنزهت عنه مجلة إسلامية تنطق بلسان جماعة تزعم أنها تسير على مبادىء الكتاب والسنة ، وتتسم بالغيرة على دين الله عز وجل .

ولقد ترددت كثيراً فى كتابة هذا الرد ، كراهية منى للمراء فى دين الله ، وتحاشياً من الدخول فى مهاترات حول موضوع قد تبين الحق فيه ، وعلم كل ذى لب سليم من مرض الشبهات ومن التقليد الأعمى لمذاهب المؤولة من أهل الكلام الباطل والجدل العقيم ، مَنْ أَوْلى الطائفتين بهذا الحق ؟ .

هل هم المعطلة الجاحدون ، الذين يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه ، وتبين لهم معناه ويتأولونه على غير تأويله ، ويقولون على الله مالا علم لهم به ، ويعطلون صفاته العليا التى تمدح وأثنى على نفسه بها ، وأخبر عباده أنه موصوف بها فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بنصوص صريحة لا تحتمل لجاجة ولا تقبل تأويلا ؟ .

أم هم الواقفون عند ماقاله الله ورسوله ، المؤمنون بالكتاب كله ، المتبعون لطريقة السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى ، الذين هم أكمل هذه الأمة علماً وإيماناً ، وأبرها قلوباً وأقلها تكلفاً ، وأعرفها بمعانى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

ولكنى وجدت أن لا مندوحة لى عن الرد لعدة أمور . أولها : ما تضمنه المقال من أكاذيب نسبت إلىّ ، نسجها خيال صاحب الشكوى عن زيارتى لبنها ، وما جرى بينى وبينه من مناقشة بعد الصلاة ناسياً أننا لم نكن وحدنا ، وإنما كان الكلام على ملأ من المصلين يبلغون المئات .

وثانيها : ماجاء فى مقدمة المقال لفضيلة الشيخ مصطفى مجاهد من عبارات مجافية للذوق كنت أظن أن مثله فى سنه وعلمه سيترفع عنها ، لا سيما وهو يخاطب زميلاً له من العلماء .

وثالثها : ما نمى إلى من أن بعض المنتسبين إلى هذه الجماعة راحوا يروجون لهذا المقال ويموهون به على البسطاء زاعمين لهم أنه الكنز العجيب أو أنه « جهيزة » التى قطعت قول كل خطيب ، مما جعل كثيراً من إخوانى يلح على فى الرد إحقاقاً للحق وإزالة لما عساه يقع فى بعض القلوب الضعيفة من غبار الإلحاد والتعطيل .

* * *

وأبدأ بالكلام مع الشيخ مصطفى لأناقشه الحساب على ما جاء فى كلمته من تجن على الحقيقة ومجانبة للصواب .

يقول فضيلته (منذ زمن يسير نقدنا منهاج كلية أصول الدين فتصدى لنا السيد عميد الكلية الآن الصوفى) فما مناسبة هذا لما نحن فيه ، وما لنا نحن ولنقده منهاج كلية أصول الدين ؟ ولماذا خص كلية أصول الدين بالنقد وهو يعلم قبل غيره أن مناهج كليات الأزهر كلها فى حاجة إلى تعديل كبير . بل لعلها لو عدلت كما ينبغى فعنى فيها بدراسة الكتاب والسنة وآثار السلف ، لما بقيت المذهبية الفقهية سائدة فى كليته (الشريعة) ولما كان التجهم والتعطيل هو المذهب المعروف فى كلية أصول الدين ، حتى إن مذهب السلف فى الإثبات معدود فيها من المنكرات ، بل من الكفريات .

ثم ما معنى قوله (الصوفى) ؟ هل أراد بهذا الوصف التعريض أم أراد به اللمز والتشهير ؟ فإن كان الأول فإن عميد كلية أصول الدين ليس فى حاجة إلى أن يعرف بهذا الوصف . وإن كان الثانى ، فكان ينبغى للشيخ مصطفى أن لا يرمى الناس بحجر وبيته من زجاج . فهو يعلم أكثر منا طبعاً أن الجمعية التى يتشرف هو بالانتساب إليها صوفية معرقة فى التصوف ، وأن مؤسسها رحمه الله كان (خلوتياً) يدين فى التصوف بآراء الشعرانى صاحب الطبقات ، وقد ألف كتاباً فى آداب السلوك سماه (العهد الوثيق) قرر فيه ما يلى :

(وينبغى أن يكون المريد بين يدى شيخه كالميت بين يدى الغاسل وأن يعلم أن شيخه جاسوس صدره وإن عمل شيخه رياء أفضل من عمله هو إخلاصاً ، كما يحرم عليه أن ينكح زوجة شيخه بعد موته أو أن يجلس على تكرمته ، كما يجب أن يستحضر صورة شيخه إذا وقف للصلاة ، وغير ذلك كثير مما حواه هذا الكتاب الذى لا نعرف أنه تبرأ منه قبل موته كما لا نعرف أن أحداً من علماء هذه الجماعة قد أنكر هذا الكلام أو اجترأ على نقده .

ولعل هذه النزعة الصوفية هى التى دفعت مجلة (الاعتصام) إلى أن تحمل لواء الدفاع عن مشايخ الصوفية الكبار من أمثال الحلاج وابن عربى وأبى يزيد البسطامى وغيرهم ، ممن يصرحون فى كتبهم بعقيدة الحلول ، أو وحدة الوجود ، وتكثر من الاستشهاد بكلامهم ، بدلا من أن تنبه إلى أخطائهم وانحرافاتهم .

ولعل هذه النزعة أيضاً هى التى حملت بعض خطباء هذه الجماعة أن يصرحوا على المنابر بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بشراً ، وأن من قال ذلك فقد كفر ، ويصرحوا بأن البقعة التى ضمت جسده الشريف أفضل من الكعبة ، وأفضل من الجنة ، بل وأفضل من العرش على الصحيح .

ثم يقول الشيخ مصطفى (واليوم جاءتنا رسالة من سيد كريم مسلم موحد غيور على دينه وعقيدته) ولست أدرى لماذا أسرف الشيخ مصطفى فى إضفاء ألقاب المديح على صاحب هذه الرسالة مع أن واجب الإنصاف كان يقتضيه أن يؤخر حكمه هذا حتى يتبين له صدقه فى دعواه ، عملا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ولكن الشيخ مال مع هواه وسارع إلى الحكم قبل أن تستوفى القضية أركانها ، ونسى وهو رجل الشريعة قول الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

ثم يقول : (فرأينا إظهاراً للحق وإيضاحاً للعقيدة السليمة أن ننشر رسالته الواعيا مع الإجابتين الوافيتين) .

وأنا أسأل فضيلته : من أين استقى هذا الحق الذى رأى أن يظهره ، ومن أين استمد لهذه العقيدة التى رأى أن يوضحها ، أمن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فنحن نتحدى كل أحد أن يأتينا بنص منهما يدل تصريحاً أو تلميحاً على عقيدة النفى والتعطيل التى تدين بها جمعيته ، تقليداً لأهل الكلام من المعتزلة ومتأخرى الأشعرية .

فأين تجد فى الكتاب ، أو فى السنة أن الله ليس فى جهة وأنه ليس له مكان وأنه لا يد له ، ولا عين ولا وجه ولا استواء ولا نزول الخ ؟) .

إن النصوص من الكتاب والسنة فى إثبات العلو والاستواء وغيرهما من الصفات الخبرية لا تحصى كثرة ، وهى من الصراحة والوضوح بحيث لو قيل إنها متشابهة لعاد الشرع كله متشابهاً ، ولو ساغ تأويلها لعاد الشرع كله مؤولا ، ولانسد باب الفهم من الكتاب والسنة ، ولجاز لكل مبتدع وملحد أن يفسر أى نص بما يوافق هواه بدعوى أنه متشابه لا يجوز اعتقاد ظاهره . ومن هذا الباب أعنى باب التأويل الذى كان شر باب فتح على هذه الأمة دخلت المعتزلة ، فنفوا صفات الله عز وجل وكلامه وعلوه ، وأنكروا الرؤية وأنكروا عموم الخلق والمشيئة ، وقالوا : إن العبد يخلق أفعال نفسه ، وأوجبوا على الله فعل الصلاح والأصلح ، وإثابة المطيع وعقاب العاصى ، وأنكروا كثيراً من الغيبيات ، مثل سؤال القبر وعذاب القبر ونعيمه ، ومثل الميزان والصراط والشفاعة ، وأنكروا وجود الجنة والنار الآن .

وكذلك دخلت منه الفلاسفة فأنكروا حدوث العالم ، وخلق الله له بالاختيار ، ونفوا علم الله بالجزئيات ، وأنكروا حشر الأجساد ونعيم الجنة وعذاب النار الحسيين ، وهكذا كل طائفة تدعى فيما لا يوافق مذهبها أنه متشابه ، فجعلوا كتاب الله مزقا ، وضربوا بعضه ببعض ، وتفرقوا فى دينهم شيعاً . كل حزب بما لديهم فرحون .

الحق إنه لا الكتاب ولا السنة ولا أقوال سلف الأمة وأئمتها يمكن لأحد أن يجد

فيها حرفاً واحداً يدل على نفى شىء من الصفات التى أثبتها الله ورسوله ، ولـكن تلك البضاعة الفاسدة الـكاسدة تجدها عند الجعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى فى يوم عيد الأضحى ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم الله موسى تـكليما ، وتجدها كذلك عند تلميذه الجهم بن صفوان الترمذى الذى قتله نصر بن سيار ، وعند أشياعهما من المعتزلة ومخانيثهم من متأخرى الأشعرية الذين خالفوا مذهب إمامهم فى الإثبات . كإمام الحرمين والغزالى والرازى ومن جاء بعدهم ممن أوغلوا فى دراسة الفلسفة حتى صرفتهم عن عقيدة الـكتاب والسنة وأوقعتهم فى خرافة التعطيل ، فآمنوا برب لا هو داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو فى جهة ، ولا يشار إليه ولا يوصف بأنه قريب ولا بعيد ولا منفصل ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يصعد إليه شىء ولا ينزل من عنده شىء . إلى آخر ما ذكروه من نعوت السلب التى يعلم كل عاقل أنهـا صفة المعدوم لا صفة الموجود .

ثم يقول الشيخ مصطفى (ولعل الأستاذ الهراس إذا وجد الرد عليه مدعماً بآراء الأئمة الأوائل ورجال الحديث الثقات وشيوخ الإسلام والأزهر المحترمين لعله لا يطلق لسانه فيهم بالسب كما أطلقه فى علماء الأزهر الذين يخالفونه) .

وهنا أيضاً يحاول فضيلته أن يقنعنا بأن هذه الردود المتهافتة التى تضمنها المقال ، لها من القوة والأصالة ما يجعلنا نقف حيالها مبهوتين ، لا نملك لها دفعاً ولا إبطالا . وحينئذ نلجأ إلى حيلة العاجز المفلس فنطلق ألسنتنا بالسباب والشتم حين تعوزنا الحجة .

ولـكنى أطمئن فضيلته بأن السب ليس فى منهاج دعوتنا ولـكنه الإقناع بالحجة والدعوة إلى الله بالحـكمة ، وذلك لأن هذه الدعوة المباركة (دعوة أنصار السنة) ترتـكز على أساس متين من كتاب ربنا وهدى نبينا صلى الله عليه وسلم . فالدعاة إليها على بصيرة من أمرهم . وليسوا تجار كلام ، فهم لا يتشدقون فى خطبهم ولا يتنمقون فى عباراتهم ، ولا تقوم مواعظهم على القصص والحـكايات ، ولا على الرؤى والمنامات ، ولا يلبسون ثياب الشهرة . فليس عندهم عذبات ولا عباءات ، ولا يكفرون على منابرهم مسلماً إذا

كان له شبهة ، بل يلتمسون له المعذرة ، ولهذا لم يكفروا نفاة الجهة ، مع مخالفتهم لمئات النصوص الصريحة من الكتاب والسنة وخروجهم على مقتضى العقل والفطرة .

ونحن لا ننكر أن هناك من أهل العلم ورجال الحديث من ذهب مذهب الجهم فى النفى والتعطيل ، ولكن هؤلاء لم يصدروا فى نفيهم عن كتاب ولا سنة ، ولكن أصابتهم لوثة « الكلام » الباطل ، وما ولد من شكوك وشبهات حالت بينهم وبين رؤية الحق الواضح فى باب الصفات .

وأما شيوخ الإسلام والأزهر المحترمون على حد قوله ، فكلهم إلا من عصم الله كان مقلداً فى دينه وعقيدته لأئمة التعطيل ، كالغزالى والرازى ، ومتأثراً بما درس فى الأزهر من كتب سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى والجلال الدوانى ، وعضد الدين الأيجى ، وغيرهم من الأعاجم الذين لا يحسنون تذوق الأساليب العربية ، ولا دراية لهم بما خلف السلف فى هذا الباب . ولكنهم يعرفون جيداً ما خلفه ابن سينا القرمطى وأبى نصر الفارابى ونصير الدين الطوسى وأبى حيان التوحيدى ، وغيرهم من أهل المروق والإلحاد .

وأخيراً أحب أن أقول للشيخ مصطفى : إننا لسنا ممن يأخذون بضخامة المناصب ولا بفخامة الألقاب ، ولسنا ممن يعرف الحق بالرجال ، ولكننا نعرف الرجال بالحق ، ولا نخاف فى الله لومة لائم ، وسنقول للمحسن أحسنت وللمسىء أسأت أياً كان مركزه وخطره ، وهذا ما عاهدنا الله عليه ، ونسأل الله أن يثبتنا عليه حتى نلقاه غير ضالين ولا مضلين .

ثم يقول الشيخ مصطفى (ولعله يختار الحكمة فى العظة والدعوة إلى الله ، فيترك ما يوجد الفرقة ويشق عصا الجماعة ويقتصر على المتفق عليه بين المسلمين) .

فهل يريد فضيلته أن نسكت عن بيان صفات الله التى عَرَّف نفسه بها ، ونعطل النصوص الواردة فيها ، ونترك الناس حيارى ضالين فى هذا الباب الذى هو أصل الدين وأساس اليقين ، من أجل أن جماعته لا يرون رأينا فى ذلك .

ألم يكن العكس أولى به فيتوجه بهذا الرجاء إلى جماعته يدعوها أن تفيء إلى رشدها وأن تنزل على حكم الكتاب والسنة ، وأن ترد إليهما كل متنازع فيه من أمر الدين عقيدة أو غيرها عملا بقوله تعالى (فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ؟ .

إن الحق يا شيخ مصطفى لا يعرف أنصاف الحلول ، والدين كل لا يقبل التجزئة ، والله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) . وقد ذم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، والقرآن هدى كله وشفاء كله .

والسنة كذلك كلها هدى ونور ، وهما وحدهما مصدر هذا الدين كله ، أصوله وفروعه عقيدته وعمله ، فلا وحدة ولا جماعة إلا على هذا الأساس ، أساس التسليم المطلق والتحكيم البحت للوحيين ، دون مداورة ولا روغان .

ونحن مع ذلك إذا تكلمنا فى هـذه الأمور إنما نقتصر على بيان الحق فيها ، ولا نتعرض لمخالف لنا فى الرأى ، ولا ننبزه بلقب سوء كما يفعل معنا خصومنا ، سامحهم الله .

ثم يقول الشيخ مصطفى وهو آخر ما قال (فإننا يا شيخ هراس فى حاجة ماسة إلى جمع الشمل ووحدة الصف ، فاتق الله فى دينك أولا ، ثم فى الأزهر ثانياً ، ثم فى عامة المسلمين ثالثاً ، وفقنى الله وإياك إلى ما يحبه ويرضاه) .

أما أننا فى حاجة ماسة إلى جمع الشمل ووحدة الصف فهذا صحيح ، وقد كنا نحن بحمد الله سباقين دائماً إلى العمل لهذه الغاية ؛ فكم مددنا أيدينا ننشد التعاون ونبغى توحيد الجهود لخدمة الدين وإعلاء كلمة الله ، فلم نجد دائماً إلا النفور والإعراض . وكان آخر ما قمنا به فى هذا السبيل أن دعونا فضيلة الأخ الشيخ عبد اللطيف المشتهرى ليحاضر عندنا بدار الجماعة ، فلبى الدعوة مشكوراً ، وألقى محاضرة قوبلت باستحسان كبير ، ثم وعد بأخرى ، وحضر معه ليلتها جم غفير من أعضاء جماعته ؛ فاستقبلوا من إخوانهم

أحسن استقبال . وفى كلتا المحاضرتين تحدث فضيلته فى عقيدة الكتاب والسنة ، ووجوب الأخذ بما فيهما بلا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تمثيل ، وأثنى على جماعة أنصار السنة لدعوتها إلى ذلك ، وصدق جميع من حضر معه على كلامه ، ولم يبد من أحدهم ما يدل على اشمئزاز أو إنكار . ثم ودع الشيخ ومن معه بمثل ما استقبلوا به ، وفرحت القلوب واستبشرت وأملت من وراء ذلك قيام وحدة بين الجمعيتين الكبيرتين . ولكنه أمل ذوى ورجاء تحطم على صخرة الهوى والتعصب .

ولعل الشيخ مصطفى أدرى منى بما جرى بعد ذلك للشيخ عبد اللطيف الذى سعى إلى التقريب ، من لوم وتثريب ، حتى قيل إن أمراً صدر بمنع كل عضو من زيارة الجمعيات الأخرى إلا بإذن من مجلس الإدارة .

وأما أمر الشيخ مصطفى لى بالتقوى فلا خير فىّ ، إذا لم أقبله ، وقد خبت وخسرت ، إن لم أتق الله ، وأنا بحمد الله ، أتقى الله فى دينى ؛ فأظهره للناس فى ثوبه النقى ، خالياً من كل بدعة ، وأزيح عنه كل شبهة ، وأدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة وتقديم حكمها على حكم الشيوخ وآراء الناس . وأنا كذلك بحمد الله ، أتقى الله فى عامة المسلمين فأبذل علمى لكل من يحتاجه ، وأنشر هدايته فى كل مكان . فما غششت فيه أحداً ولا كتمت منه شيئاً . ولا لبست على دينهم ، ولا استسغت تأويل ما لا يقبل التأويل ، ولا أوقعت الناس فى مذاهب أهل التعطيل .

وأما أن أتقى الله فى الأزهر فهذا ما لم أفهمه ، اللهم إلا إذا كان فضيلته يريد منى أن أسكت عن أخطاء الأزهر وأعتقد العصمة فى شيوخه ، وأعيش فيه إمعة راضياً لنفسى بالتقليد الأعمى . وأنا لا أعرف شيئاً اسمه الأزهر ، ولكنى أعرف الإسلام ، فالأزهر معهد للدراسة يدرس فيه الحق ويدرس فيه الباطل ؛ فما كان من حق فنحن نقره عليه وما كان من باطل فلا بد من دحضه والتنبيه إليه .

هذا هو منهجنا بالنسبة للأزهر ولغير الأزهر كما قلنا سابقاً ، ولا كبير عندنا إلا الحق ، والحق وحده .

* * *

والآن نأخذ فى الرد على رسالة البنهاوى الذى نأسف لتورطه فى الكذب علىّ ، فقولنى مالم أقل ، وقد كان يكفيه أن يحكى ما حصل ، ولكنه الهوى الذى يعمى القلوب ويضل عن سواء السبيل .

لقد ذكر أننى قلت ما نصه : (خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام كأيامنا هذه ، وبدأ بخلق الأرض يوم الأحد ، وفرغ من الخلق يوم الجمعة ، وخلق الإنسان بعد عصر يوم الجمعة ، ثم استوى على العرش فهو مستو على العرش) .

وأنا قلت هذا حقاً ، ولا زلت أقوله ؛ فليس هناك ما يدعو إلى صرف الأيام عن ظاهرها ، سيما وقد وردت الأحاديث الصحيحة به عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة . وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه قال (إن الله بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضين فى الأحد والإثنين ، وخلق الأقوات والرواسى فى الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل ؛ فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة) .

ولم يرد فى كلام السلف أصلا ما يشعر أن هذه الأيام غير الأيام المعتادة ، والقرآن إنما نزل يخاطب العرب ، واليوم عندهم إنما هو تلك المدة المعروفة ، لا يمكن أن يراد به عند إطلاقه إلا ذلك ، وإلا كان خطاباً للعرب بما لا يفهمونه . فإذا أريد باليوم مدة أطول أو أقصر ، فلا بد من تقييده بتلك المدة كقوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) وكقوله (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) .

وقد ورد أن الله يخفف هذا اليوم على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة كان يصليها فى الدنيا .

وأنا قلت كذلك ولا زلت أقول : إن الله بعد أن فرغ من الخلق استوى على العرش وأنه الآن مستو على العرش ، بمعنى أنه فوق العرش عال على خلقه ، وعلمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان .

والآية الكريمة التى كنت أفسرها على المنبر من سورة الحديد جمعت بين الأمرين، بين استوائه تعالى على العرش، وبين معيته وإحاطة علمه بجميع الخلق. قال تعالى (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير).

فماذا كان يريد هذا البنهاوى أن أقول؟ هل كان يطمع أن أحرف كلام الله عن مواضعه، فأصرفه عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك؟ ثم أؤوله بتلك التأويلات السمجة المتكلفة، فأقول استوى، يعنى استولى وملك؟ لا: إن هذه بضاعة لا نعرفها، وإنما يعرفها من زاغ قلبه عن الحق واتبع هواه وأشرب مذاهب أهل الكلام الباطل.

وأما نحن فسنظل إن شاء الله أمناء على دينه ووحيه، ننفى عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ثم يقول (وسئل بعد الخطبة عن العرش فأجاب يعنى الكرسى).

وهنا يفتضح البنهاوى ويتجلى كذبه الصريح، وأنا أتحداه أن يشهد له بذلك أحد ممن كانوا بالمسجد وهم يعدون بالمئات، وأنا والله مشفق عليه حين يلقى أحدهم فيسأله عن هذه الكذبة البلقاء، ماذا يكون موقفه؟ نسأل الله أن يرزقنا الحياء، وأن يعصمنا من الكذب والبهتان.

إن كل طفل فى المسلمين، لا فى أنصار السنة وحدهم، يعلم أن العرش غير الكرسى، وأن الكرسى الذى وسع السموات والأرض بين يدى العرش كحلقة فى فلاة، وأن العرش لا يقادر قدره إلا الله، وأن العرش وما دونه فى كف الرحمن كخردلة فى كف أحدنا، كما قال ذلك حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما. وقد روى عنه مرفوعاً وموقوفاً أنه قال (الكرسى موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله).

ثم يقول (ويوزع رسائل تحمل اسم جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدين، وهو

مؤلفها جاء فى باب القول فى الجهة ص ٤٦ ما نصه : (بل النصوص كلها متضافرة على إثبات الجهة ، والعقل كذلك يوجب أن يكون الله فى جهة ؛ لأن ما ليس فى جهة هو المعدوم) .

نعم هذه رسائل كنت ألفتها لطلبة السنة الرابعة (قسم العقيدة والفلسفة) وهى مختارات من النصوص القرآنية والفلسفية ، درستها للطلاب وقمت بشرحها لهم فى تلك الرسائل . وكان من جملتها كلام لابن رشد الأندلسى فى إثبات الجهة والرد على نفاتها من المتكلمين ، ذكره فى كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة) .

وها هو كلام ابن رشد بعينه :

« وأما هذه الصفة ، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية كأبى المعالى ومن اقتدى بقوله » .

« وظواهر الشرع كلها تقتضى إثبات الجهة ، مثل قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ومثل قوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ومثل قوله (تعرج الملائكة والروح إليه) الآية ، ومثل قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور) إلى غير ذلك من الآيات التى إن ساط عليها التأويل عاد الشرع كله مؤولا ، وإن قيل إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً ؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله فى السماء ، وأن منه تنزل الملائكة بالوحى إلى النبيين ، وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم ، حتى قرب من سدرة المنتهى . وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة فى السماء ، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك » .

هذا هو كلام ابن رشد الفيلسوف لم تمنعه فلسفته من أن يقول كلمة الحق فيثبت لله جهة الفوق ويذكر إجماع أهل الملل والأديان على ذلك .

هذا ما كان من أمر البنهاوى . وأما الذين تفضلوا بالإجابة على سؤاله فى نفس المجلة فسنفرغ للرد عليهم إن شاء الله فى العدد المقبـل ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محمد خليل هراس

* * *

(الهدى النبوى) أشار فضيلة الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس فى كلمته هذه إلى المحاضرتين اللتين ألقاهما فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف المشتهرى بدار المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بدعوة منها ؟

وقد كانت المحاضرة الأولى فى مساء الأربعاء ٢٤ من رجب

وأما الثانية : فكانت فى مساء السبت ١١ من شعبان سنة ١٣٨٠ .

ومع أننا سجلنا المحاضرتين بجهاز التسجيل ، وعلى استعداد لإسماع من يريد الاستماع إليهما ، إلا أننا لم نشأ أن ننشرهما كاملة خوف الإطالة ، ورأينا أن ننقل هنا مانشرته مجلة (الاعتصام) الناطقة بلسان الجمعية الشرعية — بعددها الصادر فى شعبان من سنة ١٣٨٠ — عن المحاضرة الثانية منهما بنصه وعنوانه ، ليرى القراء الكرام كيف أن الأستاذ المشتهرى أقر عقيدة السلف الصالح فى الصفات ، كما تعتقدها جماعة أنصار السنة المحمدية منذ وجدت وإلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وإلى القراء ما نشرته مجلة الاعتصام :

فى سبيل التقارب بين الدعاة إلى الله

دعا المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف مشتهرى الواعظ العـام بالأزهر وعضو مجلس إدارة الجمعية الشرعية الرئيسية وأمين صندوق مكارم الأخلاق ليلقى محاضرة بدار الجماعة بعابدين بعنوان (الإيمان الحق عصمة من الحيرة وعون على عمل الصالحات) .

وقد حضر الحفل جمع غفير من أتباع الجمعيتين وسواهم من المحبين حتى ملئت الدار بروادها حرصاً على شهود أول لبنة فى بناء صرح الوحدة بين الجمعيات الداعية إلى الله وإزالة الجفوة بين طوائف القادة والمرشدين فى وقت علا فيه صوت الإباحية والتحلل ، فما أحوج أصحاب المبادىء الروحية والرسالات السماوية إلى التلاقى على كلمة سواء .

وبعد أن أدى الجميع صلاة العشاء الأخيرة فى وئام وصفاء تفضل فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس الجماعة بافتتاح الحفل بأن قدم فضيلة الضيف المدعو بكلمة طيبة شكر فيها الجمعية الشرعية وعلى رأسها فضيلة رئيسها الأستاذ الجليل الشيخ أمين خطاب على تلبية الدعوة وإيفاد فضيلة الشيخ عبد اللطيف المشتهرى ثم أوضح أن رسالة الجمعيتين تتلاقى على هدف واحد هو الدعوة إلى الإيمان الخالص بالله وأداء العبادات على وجه صحيح والتخلق بأخلاق الإسلام الفاضلة .

وقال فضيلته : إن الجمعية الشرعية لن تجد هنا إلا إخواناً يهشون للقائهم ويسرون بحضورهم ويكرمون ضيافتهم بل هم فى دارهم ومع أهلهم .

ثم قام الأستاذ المشتهرى فافتتح كلمته بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله وآله ، ثم أثنى على المسئولين بالجماعة لتوجيه دعوة السلام والحب والإيمان ، وتكلم الأستاذ عن رسالة الجمعية الشرعية وأهدافها فى العقائد والعبادات والمعاملات ، فأبان أن مذهبها فى التوحيد هو مذهب السلف الصالح يؤمنون بكل ما ورد وثبت لله من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل . وإن الذى يقع تحت إدراك الإنسان هو ما يشاهد من آثار صفات الله فى الكون . .

وأما حقيقة الصفات وحقيقة من قامت به سبحانه ففوق العقول « لا تدركه الأبصار — ليس كمثله شىء — ولم يكن له كفوا أحد » وقال فضيلته : إذا كانت حقيقة

الملائـكة والجن والروح وهى من جملة مخلوقاته تعالى لم تعرف ولم يستطع أحد إدراكها ، فـكيف يدرك حقيقة من خلق الخلق وأبدعه تعالى .

ثم أثبت المحاضر بضرب النماذج والأمثال آثار الإيمان الصحيح فى تقوية النفس وإبعادها عن التيه والحيرة « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم » وأن القلب إذا تشتت بين جملة أرباب متفرقين حار وانتـكس وشقى صاحبه ، ثم أوضح شرك الجاهلية مع إقرارهم بربوبية الله وتدبيره وخلقه للسموات والأرض « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

وأطال النفس جداً فى هذا المقام حتى صفى العقيدة من كل ما يشوبها من زيغ أو شعوذة ، ثم ثنى ببيان علاقة السنة بالـكتاب وأنها موضحة مفسرة لمراد الله بشرط أن تـكون صحيحة السند والمتن صريحة فى المراد ، وتـكلم عن بدع العبادات والمعاملات والأخلاق وقال : لا استقرار للفرد ولا للأمة ولا للدول إلا فى أحضان الإسلام دين الخير والسلام . « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بمـا صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم » « بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » .

ثم ذكر المحاضر الاشاعات التى يروجها الجهلة والمغرضون على أصحاب المبـادىء وإساءة الظن بغير سلطان من علم أو كتاب منير وقال : المنصف دائماً يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، وينظر إلى المبادىء فى ذاتها وفى منابعها الصافية دون مؤاخذة بما يقترفه جاهل أو دخيل ، وإذا كانت هنـاك اتهامات من البعض للبعض فقد آن الأوان لنجتمع على كلمة سواء لتصفية الحساب ، وليقف كل فريق على ما عند الآخر وجهاً لوجه ليستريح الأتباع والمتبعون ولنتجنب كثيراً من الظن . إن بعض الظن إثم . وحتى لا يضرب الله قلوب بعضنا ببعض فيكفر بعضنا ببعض ويلعن بعضنا بعضاً . كل حزب بما لديهم فرحون . هذا فى الوقت الذى ندين فيه لرب واحد وكتاب واحد ورسول واحد ونستقبل فى صلاتنا كعبة واحدة — وبعد أن أسهب فى هذا كانت

المحاضرة قد استغرقت ساعتين أو تزيد نختم كلمته بتوجيه الشكر العاطر إلى الجماعة وإلى كل من سعد بالحضور سائلا الله دوام الصفاء والائتلاف على ما يرضى الله ورسوله .

ثم قام بعده مرة ثانية فضيلة رئيس الجماعة شاكراً من أعماق قلبه مبيناً أهداف الجماعة التى لا تخرج أبداً عن الكتاب والسنة بل هى تلتزمها قولاً وعملاً واعتقاداً وتكافح فى سبيل ذلك ما استطاعت ، ثم قال : وإذا كانت بعض الطوائف تغالى فى التوحيد حتى شبه الله ببعض خلقه فنحن جماعة أنصار السنة نعلن براءتنا من كل مفتر على الله وقد قامت بيننا وبينهم مناظرات حاججناهم فيها بكتاب الله وقرنا إيماننا بكل ما ورد عن الله ولكن من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل وقال : إن الجماعة مفتوحة ليلاً ونهاراً لكل من يدعو إلى الله على بصيرة ونور من ربه ولن تغلق إلا فى وجه الدجالين والمتصوفين المخرفين ومن يشذ عن الكتاب والسنة ثم سأل الله تعالى التوفيق لجميع المسلمين وانصرف الجميع فى غبطة وسرور فى تمام العاشرة مساء والحمد لله أوله وآخره .

محمد أحمد عثمان

صحة مذهب أهل المدينة

صدر أخيراً هذا الكتاب القيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ويطبع لأول مرة فى مصر ، يذهب فيه شيخ الإسلام إلى تأييد أصول أهل المدينة فيما ذهبوا إليه بأسلوب سلس وأدلة قوية ، ويكفى أن يكون مؤلفه شيخ الإسلام بن تيمية .

يقع الكتاب فى ١٠٠ صفحة . وثمنه عشرة قروش . ويطلب من مكتبة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام . ٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

بيان إلى جميع الفروع

أصدرت وزارة الشئون الاجتماعية القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ ولائحته التنفيذية لإعادة شهر الجمعيات قبل يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٦٤ ، وتنفيذاً لهذا القانون فإنه يجب على فروع الجماعة بالجمهورية العربية المتحدة اتباع ما يأتى :

أولا — دعوة الجمعية العمومية للفرع فى دورة غير عادية لاقرار اللائحة الأساسية والموافقة على طلب إعادة الشهر ، وتكون الدعوة بقرار من مجلس إدارة الفرع .

ثانياً — اخطار مديرية الشئون الاجتماعية التابع لها الفرع قبل موعد اجتماع الجمعية العمومية بخمسة عشر يوما .

ثالثاً — إعداد كشوف بأسماء أعضاء الجمعية العمومية ـ وهم الأعضاء المشتركون منذ ستة أشهر على الأقل والمسددون لاشتراكاتهم ـ ويوضح فى تلك الكشوف الاسم الثلاثى والسن والجنسية والديانة والمهنة ومحل الاقامة .

وبعد انتهاء اجتماع الجمعية العمومية ترسل الأوراق الآتية إلى مديرية الشئون بالمحافظة وتكون كل منها من عشر نسخ وموقعاً عليها من الرئيس والسكرتير وهى : ـ

١ — طلب لإعادة شهر الفرع موضحاً به مقره وميدان نشاطه وعمله الجغرافى (نسخة واحدة فقط) :

٢ — محضر مجلس الادارة الداعى لانعقاد الجمعية العمومية غير العادية للنظر فى إعادة الشهر .

٣ — محضر اجتماع الجمعية العمومية غير العادية التى وافقت على إعادة الشهر .

٤ — النظام الأساسى الذى أقرته الجمعية العمومية (يطلب من المركز العام للجماعة وقد أعده وطبعه) .

٥ — كشف بأسماء الأعضاء الذين لهم حق حضور الجمعية العمومية مبيناً به الاسم ثلاثياً والسن والجنسية والديانة والمهنة ومحل الاقامة .

٦ — كشف بأسماء أعضاء مجلس الادارة موضحاً به الاسم ثلاثياً لكل منهم ولقبه وسنه وجنسيته وديانته ومهنته ومحل إقامته وصفته بالمجلس .

٧ — اقرار من مجلس الادارة بأن جميع الأعضاء المنضمين للفرع غير محرومين من مباشرة الحقوق السياسية والمدنية (نسخة واحدة فقط) .

ويجب أن يتم كل هذا قبل اليوم الحادى عشر من أغسطس القادم وإلا فسيعتبر الفرع منحلا ، فعلى إخواننا بجميع الفروع مراعاة ذلك ، والمبادرة إلى تنفيذ التعليمات الموضحة لإعادة شهر الفرع ، والاتصال بالمركز العام مباشرة للاستفسار عن أى شىء يلزمهم معرفته ، وأخذ النسخ اللازمة من اللائحة الأساسية التى أعدها المركز العام .

والله يتولانا بتوفيقه وتسديده .

الشيخ علي يوسف رحمه الله

توفى إلى رحمة الله الأخ الشيخ على يوسف ببلدته الرياينة مركز طما عن عمر ناهز الثمانين عاماً قضاها فى الدعوة إلى التوحيد . وكان رضى الله عنه شاعراً مجيداً أوقف شعره كله فى الدعوة إلى الله ، وفى زمن طلبه العلم بالأزهر نظم قصيدة فى مفاسد القصر ورجاله ففصل من الأزهر وأمر بالإقامة فى قريته لا يبرحها ، فنشط رحمه الله فى الدعوة إلى التوحيد ، فاستجاب له نفر من ذوى الفطر السليمة من قريته والقرى المجاورة بعزبة الجياب والبربا وكوم أسفحت والغنايم والقطفة وأبو دومة وغيرها ، وكان خير مافعله هؤلاء المؤمنون أنهم هدموا الكثير من القباب والقبور المشيدة بتلك القرى وسووها بالأرض حتى لا تعبد من دون الله .

رحم الله الشيخ على يوسف وجزاه وإخوانه أفضل ما يجزى المؤمنين المجاهدين .

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

الأيام الأخيرة من حياته

بعث أسامة إلى الشام : عاد النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من مكة بعد أن أسبغ الله عليهم فضله ، وأكمل لهم دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الإسلام ديناً . . وفى المدينة آن لهم أن يقيموا فى أمن وسلام واطمئنان من جنبات شبه الجزيرة العربية . ولم يكن أمامهم الا التفكير فى أمر الأجزاء التى تخضع لحكم الروم والفرس من البلاد العربية . حتى تكون داخلة ضمن سلطان المسلمين . . ولعل الرسول صلوات الله عليه كان يود أن تتم فى حياته بعض هذه الانتصارات خارج شبه الجزيرة لولا قضاء الله . وانتقاله إلى الرفيق الأعلى قبل أن يتحقق ما كان يرجوه من ذلك .

على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكد يقيم بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر حتى دعى إليه أسامة بن زيد للتهيؤ لغزو الروم . وأمره أن يوطىء خيله تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين .

وفى صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة خرج أسامة بن زيد فى سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار حتى بلغوا الجرف[1] وهناك نزلوا ليتجهزوا لغزو الشام . ولكنهم عندما علموا بمرض رسول الله عسكروا هنالك لينتظروا ما الله قاض فيه وفيهم .

وكان أسامة يومئذ غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار . لم يبلغ العشرين من عمره . فأثار خروجه على رأس المهاجرين والأنصار دهشة الناس . فتهامسوا فى شأنه وخاصة المنافقون الذين اعتادوا أن يرجفوا فى مثل هذه المناسبات ليقللوا من شأن صحابة

---

(١) بلدة على مقربة من المدينة .

الرسول . وليثيروا الشكوك والريب فيهم . ولعل ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم من إرسال أسامة على رأس الجيش السائر إلى الروم هو إقامته مكان والده الذى استشهد فى غزوة مؤتة . ورغبة منه صلوات الله عليه أن يعود أسامة على تحمل التبعات . ومواجهة المسئوليات الثقيلة كشأنه مع كافة صحابته حين كان يلتفت إلى كل واحد منهم على حده . فيتولى تربيته تربية عسكرية وفكرية وأدبية ليكون الواحد منهم رأساً فى الدعوة المحمدية . وعلماً من أعلامها .

استبطاء الرسول فى خروج أسامة : ولما استبطأ الرسول خروج أسامة إلى الشام كما أمره غضب رسول الله غضباً شديداً . وأراد التحدث إلى الناس فقال لمن معه « اهريقوا علىّ « سبع قرب من ماء شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم فصبوا عليه الماء حتى طفق يقول « حسبكم حسبكم » ثم لبس ثيابه وخرج عاصباً رأسه وكان ذلك بداية مرضه . ودخل المسجد ـ إذ لم يمنعه وجعه من ارتياد المسجد لعدة أيام ـ فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم . وأكثر من الصلاة عليهم . ثم قال « أيها الناس أنفذوا بعث أسامة . فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبل . وانه لخليق للإمارة . وإن كان أبوه لخليقاً بها » .

منزلة أبى بكر من الرسول : ثم سكت برهة وقال « إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله » . وتأثر أبو بكر بقول النبى وبكى . إذ أدرك أن النبى يعنى نفسه بهذا العبد المخير فقال له : نفديك بأنفسنا وأبنائنا . فأثار ما أدركه أبو بكر فى النبى لأنه فهم ذلك قبلهم وخشى الرسول عليه السلام أن يتأثر الباقون ببكاء أبى بكر الشديد فقال « على رسلك يا أبا بكر » ثم قال للناس « انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد . فسدوها إلا باب أبى بكر . فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه . وإنى لو كنت متخذاً من العباد

خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً . ولـكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده »
ثم التفت إلى المهاجرين وقال لهم موصياً « يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً .
فإن الناس يزيدون . وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد . وإنهم كانوا عيبتى (١) التى آويت
إليها . فأحسنوا إلى محسنهم . وتجاوزوا عن مسيئهم » .

خروج النبي إلى مقابر البقيع : ولم يمنع مرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
من تذكر أصحابه من أهل البقيع كما تذكر أهل أحد فى خطبته للناس .

بعث عليه السلام إلى مولاه أبى مُوَيْهبة فى جوف الليل . فلما أتاه قال له « يا أبا مُوَيْهبة
قد أمِرت أن استغفر لأهل البقيع . فانطلق معى » فلما انطلقا إلى البقيع وقف رسول الله
صلوات الله عليه يخاطب أهله بقوله « السلام عليكم يا أهل المقابر لِيَهْنِىء لـكم ما أصبحتم
فيه مما أصبح الناس فيه . أقبلت الفتن كقِطع الليل المظلم يتبع آخرها أولاها . الآخرة
شر من الأولى » ثم قال لأبى مويهبة « إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
ثم الجنة . نخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة » قال أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى
نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها . ثم الجنة . قال الرسول « لا والله يا أبا مويهبة :
قد اخترت لقاء ربى والجنة » فاستغفر رسول الله لأهل البقيع ثم نصرف .

أبو بكر يصلى بالنـاس : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما اشتد به المرض
استأذن نساءه ليُمَرض فى بيت عائشة رضى الله عنها .

ولقد حاول رسول الله فى يوم من أيام مرضه أن يصلى بالناس . ولـكن وطأة المرض
كانت قد زادت عليه فمنعته من الصلاة :فقال لأصحابه « مروا أبا بكر فليصل بالناس »
ولـكن عائشة كانت تعلم أن أبا بكر رجل خافت الصوت . سريع البـكاء عند قراءة
القرآن . فقالت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البـكاء

---

(١) عيبتى : خاصتى وموضع سرى .

إذا قرأ القرآن . ولـكن النبي أصر على إمامة أبى بكر للناس فقال « مروا أبا بكر فايصل بالناس فانـكن صواحب يوسف » فصلى أبو بكر بالناس .

واشتد المرض برسول الله عليه السلام بشكل أقلق المسلمين . وأثار مخاوفهم حتى اضطر أسامة بن زيد إلى العودة من الجرف ومعه الجيش . وظل الصحابة الكرام محيطين برسول الله مدة مرضه يمرضونه ليخففوا عنه وطأة الحمى . وكل منهم يريد أن يفتديه بنفسه . وكان رسول الله يقول أثناء مرضه « إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيّره » .

مظاهر الصحة على النبي : وفى اليوم الذى قبض فيه رسول الله خرج إلى المسلمين فى الصباح . فرفع الستر . وفتح الباب ووقف على حجرة عائشة رضى الله عنها . فرآه المسلمون مقبلا عليهم وتبدو عليه مظاهر الصحة والإبلال فكادوا يفتنون فى صلاتهم من فرط الفرح والسرور . فأشار عليهم « أن اثبتوا على صلاتكم » ثم تبسم رسول الله حتى إذا انتهوا من صلاتهم تقدم منه أبو بكر ووجهه تعلوه البسمة وقال له : يا نبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب . واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها ؟ . قال « نعم » فانطلق أبو بكر إلى السنح بأطراف المدينة . كما تفرق المسلمون مغتبطين مستبشرين . أما رسول الله فقد عاد إلى بيت عائشة .

إلى الرفيق الأعلى : على أنه لم يكد تمضى ساعات على لقاء الصحابة بالنبى حتى عاودته وطأة المرض . وكانت الساعات تمر وتذهب وأجل رسول الله يقترب من النهاية .

وعاد بعض الصحابة يجتمعون عند رسول الله عندما بدت لهم علامات الموت على وجهه . . وفى ضحا لقائه بالصحابة ـ وكان يوم اثنين ـ قُبض رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وصعدت روح أطهر جسد فى الوجود على الإطلاق إلى ربها . . إلى الرفيق الأعلى .

وتقول عائشة رضى الله عنها : رجع إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد . فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىَّ رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر ، فنظر رسول الله إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده ، فقلت : يا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال « نعم » . فأخذته فمضغته حتى لينته . ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه . ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى فذهبت أنظر فى وجهه . فإذا بصرُه قد شَخَص وهو يقول « بل الرفيق الأعلى من الجنة » فقلت : خُيِّرتَ فاخترت والذى بعثك بالحق . وتقول عائشة أيضاً : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى[1] ونحرى[2] وفى دولتى[3] لم أظلم فيه أحداً ؛ فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو حجرى . وضعت رأسه على وسادة .

ذهول عمر والمسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبموته أطلت فتنة على الصحابة يومئذ من هول ما أصابهم من المفاجأة والصدمة ، وما أعقب ذلك من ذهول وضجة . . أصحيح أن رسول الله قد مات ؟! هل غاب حقاً عن حياة المسلمين ولن يعود ؟ . هذا ما لم يصدقه عمر بن الخطاب والمسلمون .

وقال عمر حين سمع بذلك : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات . ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران . فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات . . ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فَلَيقَطِّعَنَّ أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم . (٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) دولتى : تعنى نوبتها التى كانت لها لرعاية رسول الله .

هل كان عمر يستبعد حدوث الموت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أحد غيره وهو يقول ما قال ؟ كلا . . إنه لم يستبعد ذلك حين أقسم أن النبي لم يمت ، وأنه ذهب لميقات ربه كما فعل موسى ولكن هول المفاجأة وصدمة النبأ هزته من أعماقه ، وملكت عليه شعوره ، وسلبته تفكيره ، وأفقدته رشده واتزانه . فنطق بما نطق دون وعى ، إذ كان ما فعله عمر - فى رأى عمر - شيئاً لا مأخذ عليه ، ولا حرج فيه . فعمر يحب رسول الله أكثر من نفسه ، وأكثر من ذلك فإن رسول الله ليس كأحد من الصحابة أو رجلا من المسلمين ، يمكن أن يتلقى نبأ وفاته لمير دون أن يثير فى نفسه فزعاً واضطراباً ، أو يبعث فيها الاهتمام والدهشة .

أما باقى صحابة رسول الله ؛ فقد كانوا مثل عمر فى هوله واضطرابه .

أبو بكر يتلقى النبأ : ولكن صحابياً من طراز آخر ، غير طراز عمر والصحابة تراه يتلقى نبأ وفاة النبي وهو فى السنح . فلا يفقد وعيه ولا يختلج شعوره . بل نراه يقبل على منزل رسول الله - فى بيت عائشة - وعمر يكلم الناس . فلا يلتفت إلى الضجة والجلبة التى من حوله ، فيدخل على رسول الله وهو مسجىً[١] فى ناحية البيت وعليه بُرْدَة حِبرة[٢] . فيقبل على رسول الله صلوات الله عليه ويكشف عن وجهه ويقبله ويقول : ما أطيبك حياً ، وما أطيبك ميتاً ، بأبى أنت وأمى . أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها . ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً . . ثم رد البردة إلى وجه رسول الله ، وخرج . وألفى عمرَ ما زال يكلم الناس ، ويأبى السكوت ، فأشار إليهم أبو بكر أن يسكتوا ، وقال لعمر : على رِسْلك يا عمر ، انصت . ولكن عمر الثائر الغاضب استمر فى كلامه . وأبى السكوت . . فلما رآه أبو بكر كذلك ، أقبل على الناس يكلمهم ؛ فتركوا عمر واتجهوا إلى أبى بكر ، يستمعون إليه ؛ فصاح أبو بكر فى الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها

---

(١) مسجى : مغطى . (٢) ثياب يلبس فى اليمن .

الناس . إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . ثم تلا هذه الآية الكريمة (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ـ ١٤٤ : آل عمران) .

كان عمر بن الخطاب ينصت إلى أبى بكر وهو يكلم الناس . فما أن سمع هذه الآية من أبى بكر حتى وقع على الأرض وما تحملته قدماه ؛ فقد أيقن أن رسول الله قد مات .

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت قد تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم .

حديث الناس فى سقيفة بنى ساعدة : وكما أيقن عمر بن الخطاب بموت رسول الله ، أيقن كذلك المسلمون بالنبأ . وعندما أفاقوا من ذهولهم ، لم يلبثوا أن تفرقوا فانحازحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة . واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة . وانحاز المهاجرون ومعهم أسيد بن حضير إلى أبى بكر وعمر بن الخطاب فى بنى عبد الأشهل .

وجاء أبا بكر مَنْ يبلغه بأمر الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، ثم يقول له : فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفْرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهلُه . فقال عمر لأبى بكر . انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه .

وفى طريقهما إلى سقيفة بنى ساعدة قابلهما رجلان صالحان من الأنصار ؛ فذكرا لصاحبى رسول الله ما تمالأ عليه القوم ، ثم قالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قال أبو بكر وعمر : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قال الرجلان : فلا عليكم أن تقربوهم يا معشر المهاجرين . اقضوا أمركم ، قال أبو بكر وعمر . والله لنأتينَّهم .

وانطلق صاحبا رسول الله إلى سقيفة بنى ساعدة ، فألفيا سعداً مزملا(١) ، فقال عمر : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة وبه وجع ؛ فلما جلس المهاجرون قام خطيب من الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد . فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة(٢) من قومكم . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ويغضبونا الأمر .

وثار عمر لقول خطيب الأنصار واحتد ، فتدارك أبو بكر الأمر وقال لعمر : على رسلك . فسكت عمر ، فقال أبو بكر : أيها الناس نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرهم ولادة فى العرب ، وأمسهم رَحِماً برسول الله . أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ـ التوبة : ١٠٠) ، فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفيء ، وأنصارنا على العدو . أمّا ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل . ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط الناس نسباً وداراً . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا إن شئتم . وأخذ بيد عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بينهما .

وهنا ثار أحد الأنصار(٣) غضباً ، فقام وقال : أنا جُذَيْلُها(٤) المحكك ، وعذيقها(٥) المُرجَّب(٦) . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش .

---

(١) ملتف فى كساء .

(٢) الدافة : الجماعة التى تأتى من البادية إلى الحاضرة ، أو الجماعة تسير برفق .

(٣) هو الحباب بن المنذر رضى الله عنه .

(٤) الجذيل : تصغير جذل وهو عود ينصب للإبل لتحتك به وتستريح ، والعرب تضرب المثل للرجل الذى يستشفى برأيه .

(٥) العذيق تصغير عذق وهى النخلة .

(٦) المرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة لكثرة حمله ، وهو مضرب المثل للرجل الشريف .

بيعة السقيفة : وعندئذ كثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، وكاد الاختلاف ينشب بين المهاجرين والأنصار ، فتدارك عمر الأمر . وقال لأبى بكر : أبسط يدك يا أبا بكر فبسطها ، فبايعه عمر ، ثم تبعه المهاجرون ، ثم الأنصار ، وبذلك حُسم النزاع ، وقضى على الاختلاف ، وصار أبو بكر أول خليفة للمسلمين بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

خطاب عمر . . والبيعة العامة : فلما كان من الغد وكان المسلمون فى المسجد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر وتقدم فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : أيها الناس : إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت ، وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ، ويبقى ليكون آخرنا ، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدَى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين إذهما فى الغار ، فقوموا فبايعوه . . فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

خطاب أبى بكر بعد البيعة : وبعد أن تمت البيعة العامة قام أبو بكر ، فألقى فى الناس خطابه الخالد الذى تردد على أفواه الملايين من الناس فى كل عصر وحين قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى ، حتى أريح[1] عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله

---

(١) أراحه : أرجعه ورده .

ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

أين دُفن رسول الله ؟ : فلما تمت البيعة العامة لأبى بكر ، أقبل الصحابة على رسول الله ليجهزوه للدفن ، ولكنهم اختلفوا فى مكان دفنه . فقال المهاجرون : يدفن فى مكة مسقط رأسه ، فهم الذين كانوا مع رسول الله منذ اللحظة الأولى لمولد دعوته ، فذاقوا العذاب ، وقاسوا الأهوال من قريش فى سبيل إيمانهم بهذه الدعوة ، ولنصرتهم لرسول الله . . وقال الأنصار : يدفن فى المدينة ، فهم الذين كانوا الملاذ الوحيد للرسول والمهاجرين ، يوم أن تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا إلى يثرب اتقاء بطش قريش ، وأنهم قد منحوهم الأمن والحماية والنصرة فى الوقت الذى رفضت فيه البلاد الأخرى مناصرتهم . وبينما الفريقان على هذا الحال حسم أبو بكر الخلاف بينهما حين قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض » فتقرر دفنه حيث كان سريره الذى مات عليه بحجرة عائشة .

تجهيز رسول الله : ثم بدأ الصحابة فى غسل النبى ، فتولى العباس والفضل وقُثَم ابن العباس تقليبه ، وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صَبَّ الماء عليه ، وأسنده على بن أبى طالب إلى صدره يغسله وعليه قميصه ، وهو يقول : ما أطيبك حياً وميتاً ! ! وبعد فراغهم من غسل رسول الله صلوات الله عليه كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثم رفع فراشه الذى توفى فيه لحفر له تحته ، وكان للعرب طريقتان فى الدفن . إحداهما : أن يكون القبر مسطح القاع ، وهى طريقة أهل مكة . والثانية : أن يكون القبر مقوساً ، وهى طريقة أهل المدينة . وكان أبو عبيدة بن الجراح يشق القبر كأهل مكة ، وأبو طلحة زيد بن سهل يحفره كأهل المدينة ، فأى الطريقتين يتبعونها فى حفر قبر رسول الله ؟ لذلك أرسل العباس رجلين . أحدهما : إلى أبى عبيدة ، والآخر : إلى أبى طلحة الذى وجده من أُرْسِل إليه ، فأتى به قبل أن يأتى أبو عبيدة ، فلحَّد أبو طلحة لرسول الله صلوات الله عليه تحت سريره

الذى مات عليه ، ثم رفع عن فراشه ، وصلوا عليه جماعات .. دخل الرجال أولا ، فلما استووا واقفين . قال أبو بكر : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، نشهد أن نبى الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه ، وجاهد فى سبيله حتى أتم الله النصر لدينه ، وأنه وفى بوعده ، وأمر أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له .

وبعد أن فرغ الرجال من صلاتهم ، أدخل النساء .. ثم الصبيان بعدهن ، وعقب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تم دفنه فى وسط الليل ، وكان ذلك يوم الأربعاء فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة .

بعد موت الرسول : مات الرسول صلوات الله عليه ، وذهب إلى الرفيق الأعلى بعد أن قام بتبليغ رسالة ربه إلى الناس ، وأدى الأمانة خير الأداء ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وجعل سلطان الدين يبسط ظله فى كل أنحاء شبه جزيرة العرب ، كما مد سلطانه إلى خارج الجزيرة حيث جعل أهلها يدفعون الجزية ، ويرتبطون بمواثيق أمن وسلام ، ويذعنون لسلطان الإسلام طاعة وانقيادًا .

أجل مات رسول الله بعد أن عمل على تثبيت دعائم دعوته وأقام بنيانه على ركائز ثابتة ، ثم أسلم الرسالة إلى أصحابه من بعده ليتولوا إبلاغها للناس كافة ، وقد عمل أصحابه الكرام بنصائحه ، فمشوا على نهجه وترسموا خطاه ، وساروا فى الدرب على هداه ، فأمكنهم الله من سيادة العالم وكانت لهم دولة واسعة .. دولة كبرى متحدة تمتد حدودها من آسيا شرقاً إلى بحر قزوين والبحر الأسود شمالا وشمال أفريقيا غرباً ، وحدود النوبة والسودان جنوبا .

و إن المسلم حين يستعيد ذكرى أيام دولة الإسلام يقف وقفة تأمل تبعث فى النفس الرهبة والإجلال ، وتملأ القلب إكباراً وفخراً لأمر تلك الدولة التى هزت العروش والسلاطين ، وأذلت المتكبرين والمتمردين ، وكان العالم يومئذ ينعم بالعدل والحق والخير فى ظلها ، والتى سجل لها التاريخ ما وصلت إليه من التقدم والرقى والحضارة فى

مضمار العلوم ، وحقل المبتكرات ، بينما كانت أوربا تعيش فى ظلام التأخر والجهل .
إن المسلم حين يستعيد ذكريات تلك الأيام الخالدة المجيدة يود من صميم قلبه أن تعود دولة المسلمين ثانية لتملك بيدها ناصية السلطان والقوة والبأس فى العالم ، كما كان شأن أسلافهم الأمجاد وما ذلك على الله بعزيز .

« كلمة أخـــيرة »

وبعد . . فقد انتهينا بحمد الله وتوفيقه من الحديث عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدأناه بغزوة بدر الكبرى ، وأنهيناه بغزوة تبوك . آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعقبنا الغزوات بكلمة عن الأيام الأخـيرة من حياة النبي ليتم بذلك الحديث عن هذه الغزوات .

ولقد عرضنا هذه الغزوات فى أسلوب سهل — مع عدم الإخلال بأسلوب كتب السيرة المتقدمة — وذلك ليجذب القارىء إلى قراءة الأحداث دون ملل ولا عناء . كما نقلنا الحوادث القصيرة للغزوة بحذافيرها ، وكذلك النصوص القصيرة التى تناولت الأحداث ، نقلناها بأكملها . . أما الأحداث المطولة وكذلك النصوص التى دونت فى كتب السيرة والتاريخ بإسهاب فقد اضطررنا مراعاة لنطاق صفحات المجلة — إلى الإشارة إليها بما لا يخل بالمعنى ليقف القارىء على الوقائع بسرعة .

ولقد كانت غايتنا فى هذه الدراسة ألا يقتصر العمل على السرد الموضوعي لحوادث الغزوات — كما فى كثير من كتب السيرة النبوية والغزوات — بل تناولنا كل غزوة بتحليل مواقف أبطالها ، وتصوير الأحداث التى جرت تصويراً مشوقاً ليجذب القارىء إلى تتبع الغزوة .

على أننى أرجو أن أكون قد وفيت هذه الغزوات حقها ، فإذا لم يكن كذلك فهو عمل متواضع جاء قدر الجهد والاستطاعة ، ويعلم الله أننى احتبست نفسى لتقديم هذه

الدراسة ، فآثرتها على كل مصالحى الخاصة لأضع بين يدى القارىء جانباً هاماً من حياة الرسول الخلقية والعسكرية وما تخللها من جهاد وكفاح،ومواقف حرجةوصعاب ، وماقدره فيها من بطولات رائعة فذة هو وصحبه الكرام حتى كانت غزواتهم وأعمالهم الحربية مثلاً احتذتها جميع الأمم اللاحقة . فما أحوجنا نحن اليوم إلى التعرف على هذا الجانب من حياة الرسول لنقف على ما فيها من أعمال رائعة ، وسياسة حكيمة ، وخاصة حياة الجندى المسلم الذى تركزت فيه آمال بلاده ، وانعقد عليه رجاء وطنه فى الدفاع عن حماه ودفع عادية الظالم عنه .

لهذا قدمت هذه الدراسة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ابتغاء وجه الله وحده ، وابتغاء مرضاته .

وأخيراً لا يفوتنى أن أوجه أعظم الشكر وأطيب الثناء للقائمين على « مجلة الهدى النبوى » الغراء على ما قدموا لى من مساعدة أدبية مشكورة ، وما أظهروه نحوى من كريم العاطفة والشعور الطيب فى هذه الدراسة ، فجزاهم الله خيراً ، ووفقنا جميعاً لصالح الأعمال .

سعد صادق محمد

دعوة حـــق

عنوان لقصيدة عامرة الأبيات من شعر الأستاذ عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن .

وهى دعوة إلى التمسك بأهداف الدين الحنيف .

وهى كذلك دعوة إلى استعمال اللغة الفصحى ، وترك العامية فى التخاطب بين الناس ، وتعويد الناشئة استعمال الفصحى ، حتى ينشأوا وهم يفهمون الفصحى ، ويتخاطبون بها ، سننشرها إن شاء الله فى عدد تال .

العام الهجرى الجديد

عامٌ أطلَّ على الأكوان بسَّام فكن بشيراً إذا أشرقت يا عام
أشرق علي الكون بالنعمى فقد شقيت
في سابقيك من البأساء أقوام
إنا لننشد إذ طالعتنا أملاً طوته فى ظلمات الدهر أعوام
ونرتجى فيك أياماً مباركة فطالما انصرمت بالبؤس أيام
فابسط أياديك بالخيرات حافلة شعارها فى الورى جودٌ وإكرام

* * *

قسا الزمان وما لانت شكيمته وقسوة الدهر تعذيبٌ وإيلام
والكون أصبح بركاناً قد انفجرت
أفواهه سال منها الويل والسَّام
دكَّ الحصون فلم يترك لها أثراً ونكست من عوادى الجور أعلام
فى كل ناحية فى الأرض مجزرةٌ كأنما الخلق أنعامٌ وأغنام
صار ابن آدم وحشاً ضارياً فإذا أعماله كلها رعبٌ وآثام
يقضى الليالى والساعات مبتكراً وسائلاً كلها بطش وإعدام
ويستمد من العلم الحديث أذًى فيه شقاء وتدميرٌ وإجرام
كأنما قلبه قد قدَّ من حجر صلدٍ وأن بنى الإنسان أنعام
لم يلمس الرفق من سودائه وتراً يحِسُّ فهو على التدمير مقدام
مآتمٌ فى بقاع الأرض قائمة آثارها معتدٍ بالبغى هدَّام

فالكون ملتهبٌ والجو مستعرٌ والأرض فيها من الأشلاء أكوام

الظن فى الخلق قد طاش الجنون بهم كأنهم من قديم الدهر أخصام

ضلوا سبيل الهدى والرشد وياهموا

فلا مسيحية ترعى وإسلام

* * *

يا رحمة الله إن الناس قاطبة ملُّوا وكلَّت على القرطاس أقلام

قلوبهم قُرحت مما ألمَّ بها وما أصاب وليت الجرح يلتام

أهلاً بهجرة خير الخلق قاطبة وسيد الرسل لا يرضيه ظلاَّم

ومن أتى رحمة للعالمين ومن ذكراه فى الكون تبجيلٌ وإعظام

ومن تحمَّل فى هذى العباد أذًى يعيي بحمل ضئيل منه ضرغام

لم تثنه عن سبيل الحق قاصمة ولم يروِّعه فيما قام صمصام

« محمد » من سما فى الكون منزلة ما نالها قبله عربٌ وأعجام

سما به من قريش محتداً ظهرت أصوله وهموا فى الكون أعلام

ثَبْت الجنان فلم يجزع لكارثة ولم تُزعزع له فى الروع أقدام

وطهَّر الكون من رجس ومن دنس فليس ثمة أنصابٌ وأزلام

ولم يَدَعْ صنماً بالبيت عظَّمه من قبل قوم هموا بالجهل أصنام

وشاد بالعدل ملكًا عزّ جانبه وطوَّطئت من جلالٍ دونه الهام

دعا إلى الله بالحسنى وجاء بما فيه دليلٌ وبرهان وإفحام

كم كذبوه وقالوا ساحرٌ لبقٌ فمر باللغو لا هجوٌ ولا ذام

وظلَّ يدعو إلى الدين الحنيف إلى أن تمَّ ، والدين عند الله إسلام
حتى إذا جاء نصر الله رفَّ على جوانب الشرق للإسلام اعلام

* * *

ياطلعة العام حسب الناس سابقة عام عصيب مضى فى إثره عام
يؤيد الله دين الحق منتصرا فالدهر والسعد للإسلام خدام
ياعام وجهك بالنعماء مبتسمٌ فكن بشيراً على الأوطان ياغام

« الجيزة » نجاتى عبد الرحمن

* * *

(الهدى النبوى) : جاءتنا هذه القصيدة العصماء والتحية الشعرية القيمة للعام الهجرى الجديد من الأديب الشاعر الأستاذ نجاتى عبد الرحمن لنشرها فى مستهل العام — فى عدد المحرم — ولكن حالت دون نشرها إذ ذاك ظروف . فمعذرة إذا جاءت هذه التحية الشعرية فى غير وقتها المناسب .

إخوان رسول الله — صلى الله عليه وسلم

فى حديث الحوض

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابى ، وإخوانى هم الذين لم يأتوا بعد » قالوا فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك ؟ قال : « أرأيتم لو أن رجلا له خيل غُرّ محجلة بين ظهرى خيل دهم وبهم ، ألا يعرف خيله ؟ » قالوا بلى . قال « فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض . ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوض ، كما يزاد البعير الضال، أناديهم : ألا هلمَّ فيقال إنهم بدلوا بعدك فأقول « سحقاً سحقاً » رواه البخارى ومسلم

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الثمن ٣٠ مليما

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية

العدد الرابع
المجلد ٢٩

ربيع الآخر
سنة ١٣٨٤

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	الله مستو على عرشه . . . . »	» محمد خليل هراس
٢٢	لفتة نحو سلوك الإنسان . . »	» السيد عبد الحليم ملاقى
٢٦	نظرات فى التصوف . . . »	» عبد الرحمن الوكيل
٣٥	تعليقات على الصحف . . . . »	سعد صادق محمد
٣٨	دعوة حق (قصيدة) . . . »	عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن
٤٠	الفتاوى . . . . »	الشيخ محمد خليل هراس
٤٣	الدكتور الهراس فى بنها (قصيدة)	للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٤٩	الدين الخالص واتباع الهوى	لكاتب معروف

إلى السادة المشتركين

بمناسبة السنة الهجرية الجديدة فإننا نذكر السادة المشتركين بأن يتفضلوا مشكورين بسداد قيم اشتراكاتهم عن السنة الجديدة .

كما أننا نرجو من السادة المتعهدين بأن يتفضلوا فيرسلوا إلينا ماتحت أيديهم من ذممات المجلة . ولهم شكرنا .

ترسل اشتراكات المجلة باسم السيد / محمد رشدى خليل

٨ شارع قوله بعابدين القاهرة

تنبيه : تغير رقم تليفون المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

إلى ٩١٥٥٧٦

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

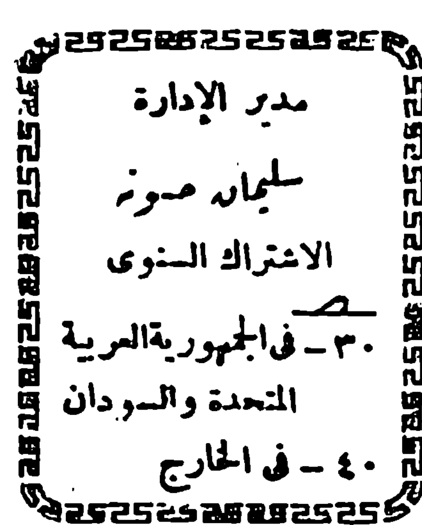
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العدد ٤ | ربيع الآخر سنة ١٣٨٤ | المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين . قل : سأتلو عليكم منه ذكرا ـ الكهف ٨٣ ﴾ .

« المعـــنى »

ذكرت فى العدد السالف آراء بعض المفسرين ـ ومنهم ابن جرير وابن كثير وغيرهما ـ وبعض المؤرخين .

وفى هذا العدد أتابع الحديث عن ذى القرنين كما هو فى رأى بعض الباحثين .

وقال الثعالبى : ـ قال الجاحظ فى كتاب « التدوير والتربيع » ولقد سألت عن ذى القرنين أهو الاسكندر ؟ ومن أبوه ؟ فقال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى الجواب عن ذلك وشرحه : قال : أكثر من بحث عن سالف الأمور ، وتصفح ما حدث منها فى متقادم العصور ،أن التسمية بذى القرنين لا تعرف فى غير هذه اللغة ولا يوجد منها علَم إلا عند هذه الأمة ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها ، ووجدنا

بعض الأمم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها ، أصبناها راجعة إليهم ، وأحالنا فى الإسناد عليهم . قالوا : ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدة الطلب والتنفير من ملوك الأمم ، وأولياء الدول ، وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع ، فشهر ، أو خمل فغمر - عمن لزمه هذا الاسم ، أو حصل له معناها ، أو استحقه بلازم خلقة ، أو مستجد صفة - فأما نحن فقد وجدنا فى التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أن ضاميرس وهو الثالث من ملوك بابل خرج عليه « أطركسركسى » فحاربه وظفر بقتله ، ونزع قرنى رأسه ، فجعلهما إكليلا يلبسه : فسمى ذا القرنين ، فهذا كما تراه تسمية مأخوذة عن الأمم السالفة ، منقولة عن تلك اللغة إلى بعده . على أن العرب قد سمت بها من ملوكهم نفرا ، وخصت بها هنا الملك السائح الذى ورد القرآن بذكره ، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره . وسنذكر ما حفظناه فى سبب هذه التسمية ، ونستوفى ما عندنا فى صاحبها ، وما انتهى إلينا فى حقيقة المسمى بها ، ونقول فيه على تفصيل الاختلاف والتميز بين ملل الأقوال - قولاً إن لم يكن شافياً . فعساه أن يكون كافياً وما علينا إلا الجهد ، وفوق كل ذى علم عليم . قال الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ - الآية المتضمنة خبره ، فوصف هذه الجملة من أحواله فى تقلبه وانتقاله ، ومنتهى مسيره فى الشرق ظاعناً ، وغاية مبلغه من الغرب وإغلاً ، ودل على عظم مسلكه وشدة وطئه ، وعلو كلمته وانبساط قدرته بما عد من آثاره ، وقص علينا من أخباره ، وأكد ذلك وحققه بقوله تعالى : ﴿ إنا مكّنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شىء سبباً ﴾ وحسبك بمن شهد الله له بالتمكين والاقتدار ، وناهيك بمن آتاه الله جوامعَ الأسباب ، ووطّأ له أباعد الأقطار . وقد روى فى تفسير هذه الآية أن المشركين من قريش أوفدوا وفداً إلى يهود يثرب يستمدونهم مسائل فيمتحنون بها النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتمدوا من المسائل على قصص الأنبياء وأخبار الملوك لعلمهم بأنه لاحظ للعقل والذكاء وحدة الفطنة وقوة الفكر وتمثيل الاعتبار والمقايسة وإنعام النظر والتأمل فى استدراك خبر تقدم زمانُه بساعة ، بل سبق

وقته بلحظة ، وإنما هى أمور تؤخذ رواية وسماعاً وتدرك قراءة وكتابة ، وقد رأوه عليه السلام ولد بمكة من أمة أمية وبين قبائل جاهلية ، فعرفوه طفلاً رضيعاً ناشئاً ويافعاً وشاهدوه غلاماً مجتمعاً وكهلاً محتنكاً يدرج بين أبياتهم ، ويتصرف نُصب ألحاظهم ، ويتكلم بما عرفوه من ألفاظهم ، وإن هذه أحوال تحجز بينه وبين التهمة وتباعده عن مواقع الظنة ، وتحقق عند مَنْ له من العقل بُلْغة ، وفيه من التحصيل مسكة ، أنه عليه الصلاة والسلام إن عرف ذلك على حقه ، وأخبر عما علمت الرواية من غيبه فإنما تلقاه عن الله وحْياً ، أو ألقاه الملك فى روعه ، وذلك علامة النبوة التى لا تجهل ، وأمارة الرسالة التى لا تُنكر ، فزودتهم يهود يثرب مسائل منها : خبر رجل صار مُشَرِّقاً حتى مطلعَ الشمس حيث تبزغ ، وتوجَّه مغرباً حتى بلغ مغربها حيث تجب[1] ، وتسقط . هكذا ذكره الرواة . وإنما المراد بها[2] منتهى العمارة من طرفى الأرض . وسألوه عن قصة يوسف وعن فتية أَوَوْا إلى كهف ، فأُمِيتوا ثم أحيوا . فأتاه الجواب من قبل الله تعالى فى كل ذلك بما أقام به عَلَمَ صدقه ، ورد الكائد بأخيب ظنه ، وزعموا أن ذا القرنين كان من نتاج ما بين الملائكة والإنس ، وأن أباه ملك عبرى أهبط إلى الأرض فسلخ جناحه ، وأعيد فى صورة ولد ابن آدم ، فنكح امرأة من الآدميات تدعى : قبرى . فأولدها ذا القرنين ، وقد ادعوا مثل ذلك فى هاروت وماروت ، وأبى جرهم . وهى من حماقات العوام غير مستنكر .

وروى عن الحسن أنه قال : كان له غديرتان من شعر ، وعليها سمى : ذا القرنين .

وعن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم أنه قال : الأنبياء الملوك أربعة : يوسف ملك مصر ، وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى أصطخر ، وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق .

وروى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أنه قال : حج ذو القرنين ، فلقى إبراهيم وهذا يدل على تقادم عهده ، وقد روى من جهات كثيرة أن ذا القرنين كان فى زمن

---

(١) تغرب (٢) بمغرب الشمس ومطلعها .

إبراهيم عليه السلام فى عصر أفريدون . وتلك تواريخ لا يوثق بها ، والذى نقل إلينا فى التواريخ اليونانية والسريانية ، وهى أقرب إلى الثقة يقتضى أن بينهما زماناً طويلا يزيد على ألف سنة .

وروى أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك ، وهذه رواية مهجورة لا يلتفت العقلاء إليها . . وقد سمى أحد ملوك الحيرة من بنى نصر ذا القرنين لضفيرتين من شعر كانتا له ، وهو المنذر بن ماء السماء ، وفى ملوك حمير ملكان كان يدعى كل واحد منهما ذا القرنين ، وإنما ننكر أن يكون ملكاً سلطاناً ، إذ كنا نجد أخبار الأمم تكذبه ، وكان هذا الأمر البين لا يخمل ، فيخفى على العرب شأنه ، وهى ألهم أمة بحفظ المآثر ، وأحرصها على إحصاء المفاخر .

وزعم بعض الفرس أن ذا القرنين هو الضحاك المسمى بيوراسف ، وأن قرنيه هما السلعتان اللتان تسميهما العامة : حيتين ، وكانتا ناشزتين فى فروع كتفيه ، وهذا أبعد شىء عن الصواب . ولكن الآراء والألسن واللغات والفرق مطبقة على أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الرومى قاتل دارا . . والذى يقوى هذا الرأى إجماع رواة الأمم على أن السد الذى يدعى ردم يأجوج ومأجوج من صنع الإسكندر ، وأنه لم ينقل إلينا خبر ملك جمع بين الإيغال فى المشرق والإبعاد فى المغرب سواه[1] .

ويقول ابن تيمية عن ملاحدة الفلاسفة : « وكثير منهم يعظم فرعون ، ويسمونه : أفلاطن القبطى ، ويدعون أن صاحب مدين الذى تزوج موسى ابنته ـ الذى يقول بعض الناس إنه شعيب ـ يقول هؤلاء : إنه أفلاطن أستاذ أرسطوا ، ويقولون إن أرسطو هو الخضر إلى أمثال هذا الكلام الذى فيه من الجهل والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال . أقل ما فيه جهلهم بتواريخ الأنبياء ، فإن أرسطو باتفاقهم كان وزيراً للإسكندر ابن فيلبودس المقدونى الذى تؤرخ به اليهود والنصارى التاريخ الرومى ، وكان قبل المسيح بنحو

---

(١) ص ٢٢٣ ثمار القلوب للثعالبى .

ثلاثمائة سنة[١] . وقد يظنون أن هذا هو ذو القرنين المذكور فى القرآن ، وأن أرسطو كان وزيراً لذى القرنين المذكور فى القرآن ، وهذا جهل ؛ فإن هــذا الإسكندر ابن فيلبودس لم يصل إلى بلاد الترك ، ولم يبن السد ، وإنما وصل إلى بلاد الفرس . وذو القرنين المذكور فى القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها ، وكان متقدماً على هذا ، ويقال : إن اسمه الإسكندر ابن دارا ، وكان موحداً مؤمناً . وذاك ـ أى المقدونى ـ مشركا ، كان يعبد هو وقومه الكواكب والأصنام ، ويعانون السحر كما كان أرسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام ، ويعانون السحر[٢] ، ولهم فى ذلك مصنفات ، وأخبارهم مشهورة ، وآثارهم ظاهرة ، فأين هذا من هذا[٣] » .

---

(١) جدد شيخ الإسلام التاريخ تحديداً يشهد له بسعة الاطلاع على تاريخ الأمم القديمة ، فقد قتل فيليب والد الإسكندر غيلة سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ، وتولى بعده ابنه الإسكندر .

(٢) وحق مايقول شيخ الإسلام الجليل . ومع هذا يوجد بين من ينتسبون إلى هذه الأمة قوم يمجدون أرسطو ، ويرونه أعظم عقلية أنجبتها البشرية ، مع أنه هو أول من جعل الشرك فلسفة ، وأول من ابتدع المبدأ الإستعمارى الخبيث « فرق تسد » وقد نصح به الإسكندر المقدونى ، وهو يفتح بلاد الشرق . ولدينا قوم يحتفون بكتب أرسطو حفاوتهم بالحياة والأمل ، ويمجدون الفارابى وابن سينا والكندى مثلا لأنهم حافظوا على تراث أرسطو وأفلاطون وبسطوه للناس !!

(٣) ص (١٣١) وما بعدها (نقض المنطق) . وقد كان لليونان عديد من الآلهة التى يعبدونها من دون الله . كان كل شىء ـ كما يقول المؤرخ الكبير ول ديورانت ـ يعتبر إلها . كل شىء ، وكل قوة فى السماء أو الأرض هو إله عندهم . بل كل نعمة ، بل كل نقمة بل كل صفة ـ حتى ولو كانت رذيلة من صفات الإنسان ـ يمثلونها إلها فى صورة بشرية عادة . كان لليونان فى معتقداتهم الخربة ـ آلهة السماء وآلهة الأرض ، وآلهة الخصب ،والآلهة الحيوانية ، وآلهة ماتحت الأرض ، وآلهة الأسلاف والأبطال ، والآلهة الأولمبية .

وكانت الأرض ـ لا السماء ـ هى موطن معظم آلهة اليونان فى دينهم . بل كانت الأرض نفسها ـ فى أول الأمر ـ هى الإلهة « جى أو جيا » الأم الصابرة السمحة الجزيلة العطاء =

وقد أصاب ابن تيمية الحقيقة ، وما نقله من زيادة عما فى القرآن ذكره فى صورة تكشف لك عن ضعفه وتفاهته كقوله : « ويقال : إن اسمه الإسكندر ابن دارا » .

ونحن المسلمين نقطع بأن ما ذكره الله من قصص هو حق قد وقع ، ولا يجوز لمسلم أن تمسه أثارة من ريبة فى قصص القرآن بكل تفاصيلها ، ودقائقها ، وإلا رمينا القرآن ، ومنزل القرآن بأنهما يقصان الكذب ، ويفتريان أحداثاً وهمية ، ويستلهمان الخيال !! فأين الحق مما نقلت عن المفسرين وغيرهم ؟ .

لم يذكر كتاب الله كل هذا الذى اخترعه المفسرون ؛ فيجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن فى إيمان وثيق ويقين ثابت ، وخشوع يغمر النفس والحس والقلب واللب دون أن نزيد أو ننقص ، حتى لا نتردى فى خطيئة افتراء الكذب على الله . ولم يذكر

= التى حملت حين عانقها : « أورانوس » ـ أى السماء ـ فنزل المطر . وكان يسكن الأرض ـ كما يزعمون ـ ألف إله آخر أقل شأناً من « جى أوجيا » . . هذه هى الحضارة القديمة المغرقة فى الوثنية والتى يدعونا عبيد الغرب إلى تمثلها فى حياتنا .

وحينما فتح الإسكندر مصر عرف أن الدين أقوى من السياسة ، فاخترق الصحراء إلى سيوة ، وقدم الطاعة إلى آمون المعبود ، وتوجه الكهنة فرعونا وحينما بنى الإسكندرية حدد فيها مواضع الهياكل التى اعتزم أن يقيمها المصريون واليونان لآلهتهم ، وقد جهر الإسكندر بألوهيته ، إذ أرسل فى سنة ٣٢٤ قبل الميلاد إلى جميع الدول اليونانية ما عدا مقدونية يبلغها أنه يرغب فى أن يعترف به من ذلك الوقت ابنا : « لزيوس ـ آمون » وصدعت بهذا معظم الدول . ولكنه رغم هذا كان يقرب القرابين للآلهة التى يعبدها قومه ! ! وكان يجلس على عرش من الذهب ، ويلبس ثيابا كهنوتية ، ويزين رأسه بقرنى آمون ! ! وقد مات سنة ٣٢٣ قبل الميلاد . . وهكذا نجد لابن تيمية فى كل مرة دليلا على صدق ما يقول ، وعلى شمول ثقافته العظيمة وبهذا أيضاً نستدل على أن الإسكند المقدونى ليس هو ذو القرنين . فذو القرنين مؤمن موحد ، والمقدونى مشرك يقول عنه ول ديورانت فى كتابه مباهج الفلسفة : « ولقد أله الإسكندر نفسه ؛ لأن الشعوب التى فتحها كانت معتادة حكم الملوك الإلهية » ج ٢ ص ٢١٢ .

القرآن أن اسمه الإسكندر . ولم يحدد لنا مكانه ، أو زمانه التحديد الذى يجعلنا نقطع فى شأنهما بشىء .

كل ما يجب علينا الإيمان به فى أمر ذى القرنين ، هو أنه كان قبل بعثة الرسول ، وأن أخباره كانت معروفة ، بدليل أنهم سألوا عنه ، وأنه ليس الإسكندر المقدونى[1] ، وأنه فى الصفات الذى ذكرها القرآن ، والتى سيأتى ذكرها بعد ، ولنحذر من أن يستفزنا الشوق إلى معرفة المجهول ، وارتياد مجاهله إلى أن نقطع فى شأنه بشىء لم يذكره القرآن ، وليس القرآن فى حاجة إلى أن نثبت أنه صادق فى كل ما يقص حتى نبحث عن إسناد له من مفتريات الأساطير ، وتوهمات أخيلة التاريخ . إن القرآن أعلى وأجل من أن يحتاج إلى مثل هذا . ومتى كان الحق فى حاجة إلى باطل الخرافة ، ومتى كان اليقين فى حاجة إلى الوهم ؟؟ أقول لمن يسلكون مثل هذا السبيل ؛ فيزعمون مثلا أن ذا القرنين المذكور فى القرآن هو الإسكندر المقدونى رغبة فى إثبات صدق ما ذكر القرآن من تاريخ ؛ لأن الإسكندر المقدونى معروف فى التاريخ . وبهذا نثبت أن القرآن صادق فيما يقص من تاريخ !! .

نحن نقترف هذا للدفاع عن القرآن أمام ملاحدة الغرب وأعداء الإسلام فى الغرب ! ناسين أننا بهذا قد وقعنا فيما تمنى لنا العدو أن نتردى فيه ! إذ حكمنا على القرآن أنه يمجد وثنية الإسكندر ، ووثنية أستاذه أرسطو ، وإفحاشه فى البغى على الشعوب !! .

ومن أعجب العجب أن كتب المسيحية واليهودية المقدسة مليئة بالمفتريات والمتناقضات والأكاذيب التى يشهد بكذبها التاريخ الصادق . ومع ذلك كله لا نرى من الصليبية ،

---

(١) اقرأ الآيات التى تقص قصته ، ومنها تعلم أن ذا القرنين كان مؤمنا صادق الإيمان ، تدبر قوله الذى قصه الله : « قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا » وقوله : « قال ما مكنى فيه ربى خير » ولا يقول هذا إلا مسلم . أما الإسكندر المقدونى فكان عابد صنم ، وعابد طاغوت . كان يزعم أنه ابن زيوس كبير آلهة اليونان وابن آمون كبير آلهة المصريين .

أو اليهودية شيئاً مما نقترفه نحن ؛ لأننا لا نؤمن بكتابنا حق الإيمان ، وهو اليقين والصدق والحق والهدى والنور ؛ ولأن الصليبيين واليهود يؤمنون بكتبهم على ما فيها من ضلالة حمقاء ، وخرافة عوراء !! .

إذا عرفنا التاريخ شيئاً يطابق القرآن قلنا عنه إنه تاريخ صادق ، وإلا حكمنا عليه بأنه تاريخ كاذب . ولكن من الناس من يعكس هذه القضية . فإن رأى القرآن يطابق التاريخ صدق قصة القرآن ، وإن رأى غير ذلك أوّل ما فى القرآن ، ليطابق باطل التاريخ وكذبه. وإذا وجد القرآن يتحدث عن شىء لم يتحدث عنه التاريخ ، راح يزعم أن ما فى القرآن ما هو إلا مثل يضرب ، لا تاريخ حدث !! .

ولكن المسلم الذى يؤمن بربه لايقترف أبداً هـذه الخطيئة التى تجرده من دينه ومقومات أخلاقه ! ! .

والعجيب أن عدو الإسلام يستدرجنا إلى ماعمّق لنا من هاويات سحيقة ، ونسعى إليها راضين ، ونحن نظن أننا نسلك سبيل النجاة ، يستدرجنا إلى هدم قواعد الإسلام ظانين أننا نبنيها . يستدرجنا إلى تأريث نار الأحقاد ضد الإسلام ظانين أننا نواليه بالحب.

لقد حملنا الغرب على أن نثق فى كل ما يقول هو ، وقد استقر الإيمان به فى أعماق قلوبنا ؛ فأصبحنا ندير ظهورنا لكل كلمة تخالف ما يقول به الغرب . حتى إذا جئنا إلى القرآن ، وجدناه يصف لنا حضارةً لا تنتسب فى مُقوِّماتها وأصولها إلى الحضارة الغربية ، فتحملنا أثارةٌ من بقيةٍ من دينٍ يرتعش شعاعها الخافت المختنق إلى السكوت عن التصريح بأن فى القرآن ما يخالف الحق !! . ولكننا نفعل ــ وا أسفاه ــ ما يؤكد أننا نعتقد فى هذا إذ نؤول ما فى القرآن تأويلا لايقره دين ولا عقل ولا عرف يحتفى بالحق ؛ ليطابق هوى الغرب . فكأننا بهذا جعلنا ميراث الغرب هو القاعدة والأصل والأساس والمقياس الذى نقيس به كل شىء ، فما خالفه نبذناه أو أوّلناه ، ولو كان كتاب الله !! .

ليختبر المفتونون بحضارة الغرب نفوسهم ، فلن يجدوا فيها حسًّا يتمرد على ما أقول ،

بل سيجدون عاطفة تحفو على كل ما قلت ، ولـكنها كانت تتمنى أن يظل هذا سراً مجهولا !! .

إنك ترى عبد الغرب بضلاله وبغيه ، يسعدهم أن يصدروا كتبهم بكلمة من إنجيل متى أو مرقس ، ليؤكدوا بهذا انتسابهم إلى الصليبية . ولن يسعدهم أبداً أن تصدر كتبهم بآية من كتاب الله خشية أن يقال عنهم إنهم مسلمون ، أى رجعيون ، كما يزعمون !! .

ومنهم من يصدرها بكلمة من لينين ، أو كارل ماركس اليهودى الشيوعى ؛ ليؤكدوا أنهم يعبدون « ماركس » ويكفرون بالله جل جلاله .

فلنؤمن الإيمان الوثيق بكتاب الله سبحانه ؛ فإنه يهدى للتى هى أقوم ، ونضرع إلى الله سبحانه أن يهدينا إلى ما يرضيه !! .

إنه سميع قريب مجيب الدعاء ؟

عبد الرحمن الوكيل

---

٣ - الله مستو على عرشه ولو كره المعطلون

والآن وبعد أن فرغنا من الحديث مع الشيخ مصطفى مجاهد وصاحبه (البنهاوى) نأخذ فيما وعدنا به فى العدد السابق من مناقشة ما ورد فى مجلة (الاعتصام) خاصاً بمسألة الاستواء ، على لسان المدعوين (حسام الدين القدسى ومحمد على أحمد) وإن كان الرجلان لم يقولا شيئاً فى الواقع يستحق الاهتمام ، فإن كلامهما لا يعدو أن يكون عبارات منقولة بغير تصرف ، ولهذا جاءت أمشاجاً متنافرة يضرب بعضها فى عجز بعض . وما كان منها صحيح النسبة إلى الأئمة رحمهم الله فهو لا يخالف شيئاً مما نقوله ونذهب إليه فى مسألة الاستواء وفى غيرها من الصفات .

وأما بعضها الآخر فهو إما كذب صريح على الأئمة ، حيث ينسب إليهم تأويل بعض آيات الصفات ، وهو أمر لم يخطر لهم على بال قط . وكيف يظن بهم ذلك وهم إنما عادوا المعتزلة والجهمية بسبب التأويل . وإما نقل عمن لا يحتج به فى هذا الشأن مثل الذى نقله حسام الدين عن شيخه سلامة العزامى من فتوى الشيخ سليم البشرى ، أو عن الرسالة النظامية لأبى المعالى الجوينى .

فإن الذى ينبغى أن يعول عليه فى هذا الباب الذى هو أصل الدين وأساس اليقين ، لتعلقه بمعرفة الله عز وجل : هو ما ورد فى صريح الكتاب العزيز وصحيح السنة المطهرة وما ورد على ألسنة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى ، الذين يعتد بأقوالهم فى دين الله عز وجل ، كالأئمة الأربعة ومن فى طبقتهم . وأما أقوال المعتزلة والجهمية ومتأخرى الأشعرية من أمثال إمام الحرمين والغزالى والرازى ومن بعدهم ممن سلك مسالكهم فى التأويل والتعطيل ، فهؤلاء لا تقوم لهم حجة ، ولا يلزم أحداً أن يأخذ بأقوالهم بعد ما التاثت عقولهم بمبادىء الفلسفة الدخيلة ، وفسدت عقائدهم لكثرة ما قرأوا من كتب أرسطو وأفلاطون والفارابى وابن سينا وغيرهم .

وإذا كان أمر هذين المقالين كما رأينا يدور على النقل عن كل ما هب ودب ،

بلا فرق بين غث وسمين ، وبين من تقوم به الحجة ومن لا يقبل قوله فى نقله ، فإن أهل الإثبات بحمد الله عندهم من هذه النقول ما يملأ مجلدات ، وهم لا ينقلون إلا عن كل إمام ثقة فى عمله ودينه من سلف هذه الأمة ، الذين هم أكملها علماً وإيماناً ، وأبرها قلوباً وأقلها تكلفاً وأهداها سبيلا .

وإليك أيها القارىء طائفة من الحجج والبينات التى يعتمد عليها أهل الحق والإثبات فى هذا الباب لكى تدرك الفرق بين ما يسوقه هؤلاء المعطلة من شبه واهية ساقطة ، وبين ما يستند إليه أهل الحق من أدلة ناصعة قاطعة .

* * *

فمن الكتاب العزيز نسوق هذه الآيات البينات التى لا تقبل جدلا ولا تحتمل تأويلا إلا عند من فى قلوبهم زيغ ، ممن يصرفونها عن معانيها المفهومة منها ، إلى مالا تحتمله من المعانى الفاسدة ، جرياً وراء أهوائهم ، فيحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله بغير علم .

١ — أخبر الله عز وجل فى سبعة مواضع من كتابه ، أنه استوى على العرش ، ولا معنى لذلك أبداً إلا علوه وارتفاعه عليه ، كما فسره بذلك مجاهد وأبو العالية وغيرهما من أئمة التفسير ، كما رواه عنهم الإمام البخارى فى صحيحه عند رده على الجهمية والمعطلة . وكل من حاول صرف هذه الألفاظ عما دلت عليه فقد اتهم الله عز وجل بالقصور فى البيان ، واتهم كتابه العزيز بالغموض والتعمية والإلغاز . فإن اللغة التى نزل بها القرآن لم تستعمل أبداً لفظ الاستواء متعدياً بعلى إلا بمعنى العلو والارتفاع ونحن نتحدى أن يأتى أحد بنقل صحيح عمن يعتد بهم فى لغة العرب أنه ذكر للاستواء معنى غير ذلك .

وأما تأويله بالاستيلاء على العرش استناداً إلى قول الشاعر المجهول :

قد استوى بشر على العراق ... بغير سيف أو دم مهراق

فهو من أسمج التأويلات وأشدها فساداً إذ يقتضى أن العرش كان فى حوزة غيره

سبحانه ، فلما خلق السموات والأرض ملكه واستولى عليه ، مع أنه سبحانه لم يزل مستولياً على العرش وعلى الملك كله منذ خلقه ، وأيضاً لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء كما يزعمون لما كان الاستواء معنى خاصاً بالعرش ، بل لجاز أن يقال استوى على الأرض ، كما يقال استوى على العرش . إذ هو مستول عليها كاستيلائه على العرش .

وليس فى استيلائه على العرش معنى يمدح به ، فإن العرش لا يعدو أن يكون من جملة مخلوقاته ، وإنما يظهر المدح فى ارتفاعه وعلوه عليه لتدبير أمور خلقه ، كما قال من سورة يونس عليه السلام (ثم استوى على العرش يدبر الأمر) .

٢ — سمى الله عز وجل نفسه فى كتابه بأنه (العلى والأعلى والمتعال) وإطلاق هذه الأسماء يقتضى بثبوت كمال العلو له سبحانه ، بأن يكون العلو ثابتاً له من كل وجه فيتناول علو ذاته فوق خلقه ، وعلو مكانته وقدره وعلو غلبته وقهره . فمن خص علوه ببعض هذه المعانى دون بعض فقد قيد ما أطلق الله ، ونقص من معنى العلو الذى هو صفة كمال بغير حجة .

٣ — أخبر الله عز وجل أن بعض الأشياء تنزل من عنده كقوله فى شأن القرآن الكريم (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) كما أخبر أن بعض الأشياء تصعد إليه ، كقوله سبحانه (إليه يصعد الكلم الطيب) (تعرج الملائكة والروح إليه) (ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى — بل رفعه الله إليه) فكيف يتحقق أن يكون سبحانه مبدأ لما ينزل أو منتهى لما يصعد ، إذا لم يكن عالياً على خلقه . وإذا كان لا يليق بأحد منا أن يقول لغيره إئت إلى فى مكان كذا ، ثم يذهب فلا يجده هناك ، أليس ذلك غشاً وتضليلا يتنزه عنه أحكم الحاكمين ؟

٤ — أخبر الله سبحانه أنه فى السماء بقوله فى سورة الملك (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون

كيف نذير) فهل هناك أصرح فى إثبات علوه تعالى على خلقه، من إخباره عن نفسه بأنه فى السماء أى فى تلك الجهة ؟ وهل يليق بأحد من العقلاء أن يقول أنا فى البيت أو فى المسجد من غير أن يكون فيه ؟ وما الذى يدعوه سبحانه إلى أن يثبت لنفسه ما ليس بثابت ، بل ما هو فى زعمكم مستحيل الثبوت ؟ ومن العجيب أن هاتين الآيتين قد سيقتا فى معرض التهديد والوعيد لإحداث الخشية والمهابة ، فإذا لم يكن هو سبحانه فى السماء كما أخبر ، فأى معنى لذلك التهديد وهل يبقى له فى النفس أثر ؟

٥ — قال الله تعالى فى شأن الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) ولا شك أن لفظ الفوق إذا جاء مجروراً (بمن) لا يفهم عنه إلا فوقية المكان ، كما فى قوله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) وكقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) الآية وإذا لم تكن هذه فوقية مكان فما عسى أن تكون ؟ لعلكم تقولون إنها فوقية قهر وقدرة ، فما الموجب لصرفها عن حقيقتها ؟ وأى مدح فى تلك الفوقية مع أن قدرته على الخلق كلهم ليست محل شك .

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضا من العصا

٦ — أخبر الله سبحانه عن بعض الأشياء أنها عنده ، كقوله عن الملائكة (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) (ومَنْ عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) .

وكقوله عن أهل الجنة (إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) (لهم ما يشاءون عند ربهم)وكقوله حكاية عن امرأة فرعون (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة) فما معنى هذه العندية إذا لم تقتض المجاورة والقرب ؟ وإذا كانت كل الأشياء سواء بالنسبة إليه سبحانه ، لا تفاوت بينها بالقرب والبعد ، كما يزعم هؤلاء المعطلة : أن محمداً وهو عند سدرة المنتهى لم يكن أقرب إلى الله من يونس وهو فى بطن الحوت ، فكيف يصح تخصيص بعض الأشياء بكونها عنده ؟

٧ — قال الله تعالى فى شأن فرعون (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطَّلِعَ إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) فمن الذى أخبر فرعون بأن إله موسى فى السماء ، حتى أمر هامان ببناء الصرح ليصل إليه ؟ لا شك أن الذى أخبره بذلك هو موسى عليه السلام نفسه ، بدليل قول فرعون بعد ذلك (وإنى لأظنه كاذباً) أى فيما أخبرنى به من أن إلهه فى السماء . ولا يعقل أن يكون فرعون فعل ذلك من عند نفسه لأنه نفى أن يكون معه إله غيره : فكيف يفترض وجود إله أعلى منه فى السماء ؟ .

٨ — أخبر الله عز وجل أنه يجىء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، كقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكةُ وقُضِيَ الأمر) وكقوله (وجاء ربك والمَلَكُ صفاً صفا) .

فمن أين يجىء الرب جل شأنه ، هل يجىء من أمامهم أم من خلفهم أم عن أيمانهم أم عن شمائلهم أم من تحتهم ؟ .

وإذا كانت كل هذه الجهات الخمس لا تصلح أن يأتى منها الرب فلم يبق إلا أن يأتيهم من فوقهم سبحانه وتعالى .

ونكتفى بهذا القدر من آيات الكتاب العزيز ففيه لطالب الهدى كفاية ومقنع . وننتقل إلى السنة المطهرة التى أثبتت ماأثبته الكتاب ، ولم يرد فيها أصلا نفى أو تأويل لما ورد فيه من الصفات وسنجتزىء منها بالصحيح خوفاً من التطويل وحتى لا نفتح المجال لقال أو لقيل .

* * *

١ — منها حديث معاوية بن الحكم السلمى قال : « كانت لى غنم بين أُحُد والجوانية فيها جارية لى فأطلقتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بنى آدم ، فأسفت فصككتها فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فعظم

ذلك عليّ ، فقلت يارسول الله أفلا أعتقها ؟ فقال : أدعها ، فدعوتها ، فقال لها أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى .

٢ — ومنها حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

٣ — حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم عرفة « ألا هل بلغت » فقالوا نعم ، يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول : « اللهم اشهد » أخرجه مسلم .

٤ — حديث أبى هريرة « إن الله لما قضى الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى سبقت غضبى » متفق عليه .

٥ — حديث أبى سعيد الطويل فى الخوارج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء ، يأتينى الوحى صباحاً ومساء » .

٦ — حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الراحمون يرحمهم الرحمن ، إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

٧ — حديث أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول « زوجكن آهاليكن وزجنى الله من فوق سبع سموات » . وفى لفظ أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه » . صحيح رواه البخارى .

٨ — حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه ، إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها » أخرجه مسلم .

٩ — حديث أبى هريرة أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإنها يتقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فَلُوَّه حتى تصير مثل الجبل » أخرجه البخارى .

١٠ — حديث سعد بن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن معاذ يوم بنى قريظة « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات » .

١١ — حديث قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الشفاعة الطويل « فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه » .

وفى رواية « فآتى باب الجنة فيفتح لى فآتى ربى تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجداً » .

١٢ — حديث أبى هريرة وغيره فى نزول الرب تبارك وتعالى وهو حديث متواتر ولفظه « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : « من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال هكذا حتى يطلع الفجر » . وقد ورد فى بعض الروايات « لا أسأل عن عبادى غيرى » فهل يعقل نزول إلا ممن هو عال ؟ لكن علماء (الشرعية) يمارون فى حديث النزول ويعترضون عليه بأن فى كل لحظة من الزمان ثلث ليل آخر ، فهلا اعترضوا بذلك على قائله ؟ عليه الصلاة السلام .

وإذا كان هذا هو مبلغ إيمان هؤلاء بكلام نبيهم ، فماذا نملك نحن لهم ؟ . اللهم إنها فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .

١٣ — حديث الإسراء والمعراج ، وهو متواتر أيضاً ، وفيه « ودنا الجبار فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى » وفيه أيضاً أن موسى قال لنبينا عليهما الصلاة والسلام « ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف » وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مازلت أرجع بين ربى وبين موسى » .

ونجتزىء بهذا القدر من السنة المطهرة ، وكلها أحاديث متونها وأسانيدها كالشمس فى الإشراق ، ولكن المعطل الجاحد بما فى قلبه من غرض التعطيل لا يسيغها بل يشرق بها .

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وأورد بعد ذلك ما يتسع له المجال من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى الذين هم أعرف بالله ودينه وكتابه ، وأشد تنزيهاً له من هؤلاء النافين الجاحدين .

* * *

١ — أخرج البخارى فى تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضى الله عنه « أيها الناس : إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإنه قد مات ، وإن كان إلهكم الذى فى السماء ، فإن إلهكم لم يمت » .

٢ — قال عمر رضى الله عنه فى شأن خولة بنت ثعلبة « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات » .

٣ — قال عبد الرحمن بن غنم : سمعت عمر بن الخطاب يقول : « ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه ، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ورهبة ، وجعل كتاب الله مرآة عينيه » .

٤ — روى عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال « العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من أعمالكم » .

٥ — وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال « من قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر ، تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يجىء بهن وجه الرحمن عز وجل » .

٦ — وصح عنه كذلك أنه قال « إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له ، نظر الله إليه من فوق سبع سموات ، فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار » .

٧ — وصح عن عائشة أنها قالت يوم قتل عثمان « وأيم الله إنى لأخشى لو كنت أحب قتلة لقتلت ، ولكن علم الله فوق عرشه أنى لم أحب قتله » .

٨—روى الحسن عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنها فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر » وهذا القول محفوظ كذلك عن ربيعة الرأى ومالك بن أنس وأبى جعفر الترمذى وغيرهم .

٩ — كان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول : « حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات » .

١٠ — قال نوف البكالى — من وعاظ التابعين — « إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله قال : من أنت الذى يكلمنى ؟ قال : أنا ربك الأعلى » .

١١ — وروى اللالكائى عن ثابت البنانى قال : « كان داود يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول إليك رفعت رأسى، نظر العبيد إلى أربابها، ياساكن السماء».

١٢ — روى مقاتل بن حيان عن الضحاك فى قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال : « هو على عرشه وعلمه معهم — وفى لفظ — هو فوق العرش وعلمه معهم حيث كانوا » .

١٣ — قال الحكم بن عبد الله البلخى صاحب الفقة الأكبر : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض . فقال قد كفر . لأن الله تعالى يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ولكن قال : لا يدرى العرش فى السماء أو فى الأرض . فقال إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر .

١٤ — قال الأوزاعى إمام أهل الشام « كنا ،والتابعون متوافرون ، نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

١٥ — روى البيهقى بإسناده عن مقاتل بن حيان وهو إمام ثقة فى قوله تعالى (هو الأول والآخر) قال هو الأول قبل كل شىء ، والآخر بعد كل شىء ، والظاهر فوق كل شىء ، والباطن أقرب من كل شىء ، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه .

١٦ — روى عن سفيان الثورى أنه قال فى أحاديث الصفات « أمِرُّها كما جاءت بلا كيف » .

١٧ — روى عبد الله بن رافع عن مالك إمام دار الهجرة أنه قال « الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو منه شىء » .

١٨ — راجع عن على بن الحسن بن شقيق قال : قلت لعبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا عز وجل ؟ قال فى السماء السابعة على عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمية : إنه هاهنا فى الأرض .

١٩ — روى من طريق صحيح عن الشافعى رحمه الله أنه قال « القول فى السنة التى أنا عليها ورأيت الذين رأيتهم ، مثل سفيان ومالك وغيرهما : إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء » .

٢٠ — روى أبو بكر الخلال قال قيل لأبى عبد الله - يعنى أحمد بن حنبل رحمه الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شىء من علمه .

ويتعب القلم وينفد المداد لو حاولنا إحصاء كل ما روى عن هؤلاء الأئمة الأعلام ، حفاظ السنة وقامعى البدعة ؛ فلنكتف بهذا القدر الآن . فإنما أردنا به أن يتبين طلاب الحق أين هو ؟ أهو فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته والتابعين لهم ، وأئمة الهدى فى كل عصر وزمان ؟ أم هو فى قول جهم بن صفوان وأشياعه وتلاميذه فى التعطيل والنكران . والله هو وحده المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؟

محمد خليل هراس

لفتة نحو سلوك الإنسان

يتكيف الإنسان فى الحياة حسب نظرته إليها . . فمن الناس من يرى أن الحياة هى هذا الواقع المادى الذى يدركه بصره ، ويقع عليه حسه . وأن ما وراء ذلك من عالم الروح ، وما جاءت به أنبياء الله من التعاليم الإلهية ، وما أخبرت به من عالم ما وراء الطبيعة . فما هو إلا ضرب من التخيل ، إبتدعه الوهم وحملت عليه الظروف القاسية . التى كثيراً ما تضطر الإنسان إلى أن يخلق لنفسه عالماً حالماً يعيش فيه ويجد فيه مسلاة له . وعزاء عما فاته من هناء . . .

وهذا الصنف من الناس من شأنه أن يقبل على اللذائذ ، يشبع نهما منهمه ، ويعب منها ما وسعه أن يعب . دون أن يتقيد بقيد . أو يقف عند حد إلا بالقدر الذى يعينه على إشباع غرائزه وتحقيق آماله واطماعه . وقديماً قال أمثال هؤلاء (ما هى ألا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر . .) .

ولا يختلف منطق هؤلاء ، لا فى القديم ، ولا فى الحديث . فالنفس الإنسانية هى النفس الإنسانية فى كل زمان ومكان . . وها هى ذى أمم الحضارة المعاصرة . ترى هذا المنطق ، وتنظر هذه النظرة ، وتعيش فى حدود هذه الفكرة ، فتسخر جميع القوى لتحصل على أكبر قسط من اللذة . وأوفى حظ من الشهوة . ولو كان ذلك على حساب غيرها من الأمم والشعوب . . فكم من عزيز أذلته ، وكم من حق أضاعته ، وكم من دم سفكته ، وكم من عهد نقضته ، وكم من جرم اقترفته ؟ ! ! وصدق الله العظيم إذ يقول : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين . .) .

وكل ما نراه من الجرائم والمآثم ، إنما هو نتاج هذا التفكير المادى ، وثمرة الكفر بذخائر النفس الإنسانية ، وأثر من آثار التنكر للحق والاستهانة بالمثل العليا . ومن ثم كانت هذه النظرة المادية للحياة ، نظرة من شأنها أن تباعد بين الإنسان وبين فطرته

الخيرة ، وتسلخه من الطيبة والسماحة . وتخلق منه عدواً لنفسه وللإنسانية وتجعله من شر مايدب على الأرض (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . فالآية الكريمة تقرر أنهم فقدوا مصادر المعرفة ، وقوى الإدراك فهم صم عن الحق لا يستمعون إليه ، وبكم لا ينطقون به ؛ لأن قلوبهم فى عمى عن نور الله ، وفى ضلال عن هدايته . ما حظ الأصم عن سماع الغناء الجميل . ؟ ! وما نصيب الأعمى من المشاعل المضيئة ؟ ! .

وإذا كان ذلك كذلك فإن على الإنسان أن يصحح نظرته إلى الحياة . وأن يرتفع بها عن معنى الشهوة واللذة ، ويسلك المسلك الذى يحقق إنسانيته ، ويسمو بها إلى الأفق الأعلى دون أن ينسى نصيبه من الدنيا . وحظه المادى من هذه الحياة . . . وسبيل ذلك أن يتجرد من السطحية . ويتغلغل فى فهم وجوده أو معرفة شخصيته ، وكل ما بين يديه إنما يأخذه برفق ليصل به إلى هذه الحقيقة . فالكون كله ، سماؤه وأرضه ، مسخر لمنفعته ومذلل لخدمته ، وجاء على السنن التى تعينه على تحقيق أهدافه الكبرى . وليس فيه شيء يتعارض وكماله الذى يسعى فى تحقيقه ، ويجد فى الوصول إليه . (الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ،وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ،وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار) . وفى هذا تحقيق لسيادة الإنسان على هذا الكون المادى ، وهذه السيادة تقتضى أن يجعلها أبدا خاضعة له ، مقدرة لفعله وإرادته ، لا أن تستعبده ، ولا أن تستذله ، فتنقلب الأوضاع ويصبح الخادم مخدوماً ، والعبد سيداً ، وفى هذا من المهانة والذلة ما فيه .

إن صيحات الحق تنبعث من خلال كتاب الله عز وجل تحرك فيه إنسانيته ،وتكشف له عن مواهب الله التى أودعها إياه ليصل بها إلى أقصى ما قدر له من كمال . فوحى الله

سبحانه يقرر أنه خلق الإنسان بيديه تكريماً له وتشريفاً . ونفخ فيه من روحه ، ليبقى مصباح الحياة فيه دائماً لا ينطفىء . . وأفاض عليه من الاستعداد العقلى ما يصل به إلى الذروة فى العلم والمعرفة . . وهيأ نفسه لتلقى كلمة الله والقيام بها . ليستقر النظام الذى يريده لإسعاده . وجعله خليفة عنه فى إقامة الحق والعدل (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) . (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

وما كان الله ليعلى من شأن الإنسان ويجعله سيداً لهذا الوجود ، ويحرك فيه هذه المعانى إلا ليكشف له عن حكمة وجوده وسر الوظيفة التى خلق من أجلها ، فيمضى إلى غايته فى قوة دون تريث أو استرخاء .

وهذه الغاية هى حمل الأمانة . . . أمانة هذه الحياة والاضطلاع بتبعاتها (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) .

وكثيراً ما تنحرف الفطرة عن هذه الغاية ، وتضل العقول عن إدراكها ، إما لسبب البيئة الفاسدة أو الجهل القاتل ، أو التعصب الأعمى ، أو إيثار اللذة العاجلة . مما ينشأ عنه امتهان كرامة الإنسان ونسيان قيمته العليا . . . ومن ثم كانت تعاليم الإسلام هى العاصمة للعقول من الضلال ، والحامية للفطر من الانحراف .

فإذا ترسمنا خطى الإسلام واتبعنا منهجه القويم ، تحققت لنا الغايات الكبرى من تحقيق إنسانيتنا فى هذه الحياة .

وكان لنا الحس المرهف ، والضمير الحى ، والعاطفة الجياشة ، والإرادة المصممة ، واليد القوية ، وتوافرت لدينا عناصر البناء الصحيح لأمة تريد أن تسهم بنصيب وافر فى تدعيم روابط الأخوة . وتقوية دعائم العدل والسلام . وإلا كانت الأخرى : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال : كذلك أتتك آياتنا ، فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) بصر الله أمتنا بنور القرآن ، ومحى عن قلبها ظلام المادية حتى يتحقق فيها . (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

السيد عبد الحليم محمد حسين مصرفى

٣٣ — نظرات فى التصوف

« كتبت عن مفهوم الولى فى اللغة ، وعن الولى فى القرآن ، وعن أولياء المؤمنين ، ودلائل الولاية ، وجزائها ، وأن ليس للظالمين أولياء . وفى هذا العدد نتابع الكتابة فى نفس الموضوع » .

النهى عن اتخاذ أولياء من دون الله : بين الله لنا — سبحانه أنه هو الولى ؛ ولهذا حرم علينا أن نتخذ من دونه أولياء .

تدبر قوله سبحانه (قل : أغيرَ الله أتَّخِذ ولياً فاطرِ السموات والأرض ٩ : ١٤) (اتبعوا ماأُنْزِل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ٧ : ٣) (ياأيهَا الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى ، وعدوكم أولياء ٦ : ١) .

ثم فصَّل سبحانه ، فقال : (لا تتخذوا آباءكم ، وإخوانكم أولياءَ إن استحبوا الكفر على الإيمان ٩ : ٢٣) .

وقال يبين لنا موقفنا من المنافقين : (ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ، فإن تولَّوْا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ٤ : ٨٩) .

وعن الكافرين وأهل الكتاب : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ٣ : ٢٨) (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياءَ ، بعضُهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم ، فإنه منهم ٤ : ١٤٤) .

(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ٥ : ٧) .

وقال عن الشيطان وذريته : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ، وهم لكم عدو ١٨ : ٥٠) .

وبين لنا موقفنا من هؤلاء جميعاً فى آية مجملة ، فقال : (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيدَ الشيطان كان ضعيفاً ٤ : ٧٦) .

أولياء الشيطان : يقول ربنا سبحانه عن هؤلاء (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ٧ : ٣٧) .

ولماذا فعل بهم الله ذلك ؟ لماذا تركهم للشيطان ؟ لماذا جعل الشيطان ولياً لهم ؟ . تدبر قول الله سبحانه : (فريقاً هدى وفريقاً حَقَّ عليهم الضلالةُ ، إنهم اتخذوا الشياطينَ أولياء من دون الله ، وَيَحْسَبون أنهم مهتدون ٧ : ٣٠) فما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وتدبر أيضاً هذه الآية : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ٢ : ٢٥٧) (فزيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم ، فهو وليُّهم اليوم ، ولهم عذاب أليم : ١٣٣) .

ماذا يفعل الشيطان بأوليائه : تدبر قول الله سبحانه : (إنما ذٰلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ٣ : ١٧٥) (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ٦ : ١٢١) (ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربَّنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلَنا الذى أجَّلت لنا ، قال النارُ مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء اللهُ إن ربَّك حكيم عليم ٦ : ١٢٨) .

هذه بعض آيات فى أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، فتدبرها ياأخى بقلب خاشع ، وفكر قانت ، وروح تحب النور ، ونفس تتوق إلى الحقيقة ، ثم قارن بين الولى فى القرآن وبين الولى فى وحى الشيطان . وثمت لن تجد إلا حقا يحاول باطل الصوفية العدوان عليه ببغيه .

لا ينفع اتخاذ الأولياء من دون الله : وقد ضرب الله لنا مثلا عظيما يوضح هذه الحقيقة توضيحاً لا يغيب عن فهم أحد لولا سطوة التراث الصوفى : (مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا

يعلمون . إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء ، وهو العزيز الحكيم ٢٩ : ٤١ ، ٤٢) .

ويقول سبحانه عمن اتخذوا آيات الله هزوًا ، وأبوا إلا أن يلوذوا بالأولياء (من ورائهم جهنم ولا يُغْنِى عنهم ما كسبوا شيئاً ، ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ، ولهم عذاب عظيم ٤٥ : ٩ ، ١٠) فهل تغنى إقامة الموالد ، وإقامة المقاصير ، وفرشها ، وإضاءة معابدها ، والنذر لها ؟ (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ١٣ : ٢٤) وبعدها يقول (قل : أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، قل هل يستوى الأعمى والبصيرُ ؟ أم هل تستوى الظلماتُ والنورُ ؟ أم جعلوا لله شُرَكاءَ خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلقُ عليهم ، قل : اللهُ خالقُ كلِّ شىء وهو الواحدُ القهار ١٣ : ١٦) .

وتدبر هذا المثل : (يا أيها الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، ولو اجتمعوا له ، وإن يَسْلبهُمُ الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه . ضَعُف الطالب والمطلوب ٢٢ : ٧٣) وتدبر نفى الله عن الأولياء ملكَ شىءٍ ما : (قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذَرَّةٍ فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شِرْكٍ ، وما له منهم من ظهير ٣٤ : ٢٢) .

هل تتدبر مثقال ذرة ؟ وهل تتدبر أنه ليس له ظهير منهم ؟ وتدبر أيضاً (والذين تدعون من دونه مايملكون من قِطْمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا مااستجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير ٣٥ : ١٣ ، ١٤) .

والقطمير : لفافة نواة التمر . وتدبر معى هذه الحقائق المشرقة من الآية . الحقيقة الأولى : أن الأولياء لا يملكون شيئاً ، حتى القطمير لا يملكونه . الحقيقة الثانية : إنهم لا يسمعون الدعاء ؛ لأنهم موتى ، فالله يقول : (وما أنت بمسمع من فى القبور) . محمد صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يُسْمع الموتى ، فهل يستطيع غيره من الإنس والجن ؟ الحقيقة الثالثة : إنهم لا يستجيبون دعاء من دعاهم إذا فرضنا أنهم يسمعون ؛ لأنهم

لا يملكون استجابة الدعاء . الحقيقة الرابعة : إنهم سيكفرون يوم القيامة بشرك من دعوهم ، وهذا يؤكد أن الداعين لهم مشركون بهذا الدعاء . ومن يقول هذه الأنباء ؟ إنه الخبير سبحانه . فهل نرتاب ؟ معاذ الله .

كلمة طيبة عن أولياء الرحمن : يقول الإمام الصبار الشكور ابن تيمية عن أولياء الرحمن « وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين ، أولوا العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم . وأفضل أولى العزم محمد خاتم النبيين وإمام المتقين » .

ثم يقول « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة . قال تعالى : (لا يستوى منكم من أَنْفَقَ من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بَعْدُ وقاتلوا ، وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحسنى ٥٧ : ١٠) وقال تعالى : (والسابقُون الأوَّلون من المهاجرينَ والأنصارِ ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ رضى الله عنهم ورضوا عنه ٩ : ١٠٠) والسابقون الأولون الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والمراد بالفتح : صلح الحديبية ، فإنه كان أول فتح مكة .

وأفضل السابقين الأولين الخلفاءُ الأربعةُ ، وأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمة الأمة وجماهيرها .

وأفضل أولياءِ الله تعالى أعظمهم معرفةً بما جاء به الرسول ، واتباعاً له كالصحابة الذين هم أكمل الأمة فى معرفة دينه واتباعه . وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به ، فهو أفضل أولياء الله ؛ إذ كانت أمة محمد أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه » .

حقيقة الولاية البشرية : إنها كما تدبرت من القرآن عبودية خالصة ليس لغير الله فيها أثارة من ملك ولا أمر ، عبودية نهضت بصدق الإيمان وإخلاص التقوى ، والمتابعة الجادة الصادقة فى كل ما أمر الله به أو نهى عنه ، عبودية تؤمن بأن الله له وحده الخلق

والأمر ، وبأنه وحده على كل شىء قدير ، وبأنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وبأن له ملك الشفاعة جميعاً ، وبأنه لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه ، عبودية تحب الله ، وبهذا الحب تحب رسله وأولياءه ، وبهذا الحب ترجو ثوابه ، وتخاف عقابه . وبهذ الحب تتوسل إليه ، وتتزلف ، وبهذا الحب تصدق بكل ماجاء عنه ، وتؤمن به . تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبأن الناس جميعاً فقراء إلى الله ، سواء منهم الرسل والأنبياء والأولياء وغيرهم من عموم الخلق ، تؤمن بأن محمداً هو الرسول بين الله وبين خلقه فى تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده وحلاله وحرامه . فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر من أولياء الشيطان . وأما خلق الله تعالى للخلق ورزقه إياهم ، وإجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم ونصره لهم على أعدائهم وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده يفعله بما يشاء من الأسباب لا يدخل فى مثل هذا وساطة الرسل[1] » .

التفاضل فى الولاية : يقول ابن يتمية : « وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولايته لله ، فالناس متفاضلون فى ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم فى الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون فى عداوة الله بحسب تفاضلهم فى الكفر والنفاق . قال الله تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة ، فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا ، فزادتهم إيماناً ، وهم يستبشرون . وأما الذين فى قلوبهم مرض ، فزادتهم رجساً إلى رجسهم ، وماتوا وهم كافرون ٩ . ١٢٥) .

أنواع الأولياء : ورد فى القرآن أنهم فى كل أمة طائفتان . الطائفة الأولى :

---

(١) مابين قوسين من كلام الإمام ابن تيمية فى الفرقان ، غير أنى وضعت كلمة « الرسول » الواردة فى « بأن محمداً هو الرسول » ، فكان كلمة « الواسطة » التى وردت فى كلام ابن تيمية .

السابقون المقربون ، والطائفة الأخرى : أصحاب اليمين المقتصدون . أما الأولياء فى أمة محمد ، فهم ثلاثة أنواع . تستطيع أن تستنبطهم من قوله تعالى فى سورة فاطر : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ، ولباسهم فيها حرير . وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذى أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب ٣٥ : ٣٢ — ٣٤) .

فالأنواع الثلاثة هم كما وردوا فى الآيات : « النوع الظالم لنفسه والنوع المقتصد ، والنوع السابق بالخيرات بإذن الله » وأقول : إنهم أولياء أمة محمد ، لأنها هى المعنية بقوله سبحانه « أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

· هل يستقل الولى بالعطاء : العطاء كله من الله ، والله يعطى المؤمن ، ويعطى الكافر (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) « وأما العبد الرسول ، فلا يعطى أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء بل يعطى من أمره ربه بإعطائه ويولى من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى كما ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنى والله لا أعطى أحداً ، ولا أمنع أحداً ، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت »[1] .

ولى الله غير معصوم : وليس ولى الله معصوما من الخطأ ، فقد جعل الله من أوليائه ذلك الصنف « الظالم لنفسه » وقد قص الله علينا قصة أول أوليائه من البشر ، وهو آدم فذكر عنه قوله المحكم (وعصى آدم ربه ، فغوى ٢٠ : ١٢١) ولكن رغم هذا لم يخرجه الله سبحانه من ولايته ، بل علمه كيف يتوب فتاب ، فتاب الله عليه ، ومن ترك أمراً من الكتاب والسنة إلى أمر يزعم أنه ألقى إليه فى روعه ، فقد تعمد الكفر بما

(١) ما بين قوسين . كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفرقان .

أنزل الله، فإذا ما رأيت إنساناً يخالف الشرع ، ويسند هذه المخالفة إلى ما تلقاه عن الله فقد تردى فى كفرين : أشدهما شناعة : الافتراء على الله سبحانه . والعبد الصالح المذكور مع موسى فى سورة الكهف مافعل أمراً يخالف شرعه الذى أوحاه إليه ، ولهذا لم يعترض موسى عليه السلام حين علم حقيقة الأمر .

هذا ولى الله كما بين القرآن ، وقد جلوت لك معناه وعلامته بآيات الله ، لا بكلمات الشيوخ ، فلم تجد فيها للولى ذلك المفهوم الصوفى ، وإنما وجدته عبداً خالصاً مخلصاً لله سبحانه ، والله لم يختر وصفاً جليلا لأعظم أوليائه خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم غير وصف العبودية وهذا فى أعظم مقامات الرسول وأحواله . فى الإسراء (سبحان الذى أسرى بعبده) فى مقام التحدى بالقرآن : (وإن كنتم فى ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) وفى مقام الدعوة إلى الله : (وأنه لمَّا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدًا) هذا وصف محمد صلى الله عليه وسلم فى أعظم مقامٍ وأجل حالٍ ، فما بالك بغيره ؟ . والله يقول عن عيسى فى أعظم مقامٍ وحال له : (إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ٤٣ : ٥٩) .

وعيسى عليه السلام نفسه فى أجل مقاماته يقول كما قص الله عنه : (إنى عبدُ الله آتانىَ الكتابَ ، وجعلنى نبياً ١٩ : ٣٠) والله يقول عن داود : (ووهبنا لداودَ سليمانَ نعم العبدُ إنه أوَّاب ٣٨ : ٣٠) ويقول عن أيوب : (إنا وجدناه صابراً نعمَ العبدُ إنه أوَّاب ٣٨ : ٤٤) ويقول عن المسيح والملائكة : (لن يستنكف المسيحُ أن يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقرَّبون ٤ : ١٧٢) ويقول عن نوح : (ذريةَ من حملنا مع نوح ، إنه كان عبداً شكوراً ١٧ : ٣) وتأمل الوصف بالعبودية لنوح فى هـذه الآية : (كذَّبَتْ قبلَهم قومُ نوحٍ ، فكذبوا عَبْدَنَا ٥٤ : ٩) .

إن جمال الوصف وجلال التوكيد لهـذا الوصف يتذوقهما من تمرس بفهم القرآن وأدب لغته . ويقول عن ذكريا : (ذكرُ رحمة ربك عبدَه زكريا ١٩ : ٢) ويقول عن زوجتى نوح ولوط : (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ٦٦ : ١٠) ويقول عن

إبراهيم : (إنه من عبادنا المؤمنين ٣٧ : ١١١) ويقول عن موسى وهارون (إنهما من عبادنا المؤمنين ٣٧ : ١٢٢) ويقول عن إل ياسين (إنه من عبادنا المؤمنين ٣٧ : ١٣٢) ويقول عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب : (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ٣٨ : ٤٥) ويقول عن الرسل جميعاً : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٣٨ : ١٧١) ويقول عن خلقه جميعاً : (إنْ كُلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلاَّ آتى الرحمن عبداً ١٩ : ٩٣) .

وتقول هـذه الآية : (وهو القاهرُ فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير ٦ : ١٨) . فهو فوق العباد بقهره . وتدبر ذكره اسمه القهار هنا ؛ لتسجد لجلال الله وقهره ، وتؤمن بأنه القهار وحده لكل فرد وشىء من خلقه ، رسلهم وأنبيائهم وأوليائهم وملوكهم وأمرائهم ، للسماء والأرض ، للبحر والبر ، للسهل والجبل ، للعواصف والأنواء . فسبحان الذى يسجد له من فى السموات والأرض ، وما فيهما . ثم تدبر أيضاً الإتيان بالإسمين « الحكيم الخبير » ثم تدبر أيضاً الوصف بالقهر فى هذه الآية : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حَفَظَةً ، حتى إذا جاء أحدهم الموت ، توفته رسلنا ، وهم لا يفرِّطون . ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحقِّ ، ألا له الحكم وهو أسرعُ الحاسبين ٦ : ٦١ ، ٦٢) .

فهل ترى هنا غيراً له فى القهر والحفظ ، والإماتة والبعث والحكم والحساب ؟ . أين الأولياء هنا ؟ هم هنا عبادٌ تحت قهر الله وحفظه وحكمه وأمره ، لا ترى لأحدهم حَوْلاً ، ولا أمراً ، ولا حكماً ! .

عبد الرحمن الوكيل

« للنظرات إن شاء الله بقايا »

تعليقات على الصحف

حول برامج التلفزيون

« صدرت لائحة التلفزيون الأخلاقية التى سوف تتحكم فى أى عمل فنى يقدمه التلفزيون . وضمن بنوده : عدم تبرير الرذيلة وتصويرها ، عدم عرض الأحداث التى تعمل على تفكك العلاقات الزوجية ، وإظهار الجسم عارياً ، أو وراء الظلال . وعدم عرض مشاهد الاغتصاب والمراودة تفصيلياً ، والمشاهد المثيرة والحركات ذات المدلول الجنسى ، وعدم عرض تخنث الشباب أو استرجال المرأة . وعدم عرض مشاهد الجريمة . وتهوين ارتكابها . وعدم تصوير الدجل والزار بصورة ترغب الناس فيه . وعدم عرض مشاهد شرب الخمر وتعاطى المخدرات . . . الخ » .

« الأهرام ٢٠/٧/١٩٦٤ »

* * لعل هذه اللائحة تنفذ بطريقة إيجابية وحاسمة لتضع حداً للسموم والشرور التى تغزو الناس فى عقر دورهم ، وتعمل على نشر الفساد الاجتماعى ، والانحلال الخلقى ، وغرس مبادىء الانحراف والرذيلة فى قلوب المشاهدين ، وتحبيب الخرافات والدجل إلى نفوسهم . . . بل ولعل المشرفين على برامج التلفزيون يكون لديهم الإيمان الحق والنية الصادقة فى الإصلاح والتقويم فيعملوا على تنفيذ ما جاء بهذه اللائحة ، وإلا كان ماجاء بها حبراً على ورق لا يتجاوزه إلى مرحلة العمل والتطبيق .

* * *

الاحتفال بذكرى المولد النبوى

احتفلت البلاد أمس بذكرى المولد النبوى . فأقيمت الاحتفالات لهـذا الغرض بأرض الدمرداش كما احتفلت البلاد الإسلامية أيضاً بذكرى المولد النبوى .

صحف يوم ١٢ ربيع سنة ١٣٨٤ — ٢١ يولية سنة ١٩٦٤

* * يحتفل العالم الإسلامى منذ زمن بعيد بذكرى المولد النبوى . فهل أثمرت هذه الاحتفالات على كثرتها . وهل انتفع المسلمون بما وراء هذه الذكرى من هداية وخير ؟ !

الواقع أن المسلمين لم يخرجوا من هذه الاحتفالات كلها بأدنى ثمرة ولا أقل فائدة . ذلك لأنهم يهتمون بالماديات دون المعانى . فليس فى احتفالاتهم سوى عرائس وتماثيل وحلوى ، وأناشيد شركية وأغان خليعة ولعب ومجون .

أما ما كان عليه الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أدب وخلق وطاعة وعبادة فلا ينال شيئاً من اهتمامهم .

ويقيننا أن المحتفلين بمولد الرسول على هذا النحو الهازىء العابث سيظلون فى ضلالهم وخوهم مالم ينبذوا الاهتمام بالماديات والقشور التى صرفتهم عن النافع المفيد .

* * *

مشاريع إسلامية فى آسيا وأفريقية

« السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف والأزهر . اعتمد مبلغ مائة ألف جنيه لتنفيذ مشروع المؤسسة العربية الإسلامية فى دول آسيا وأفريقية . . وهو إنشاء مبان فى البلاد الإسلامية بقارتى آسيا وأفريقيا . عبارة عن مسجد ومعهد دينى ووحدة صحية . . . وفى كل عام سيتم إنشاء مبنيين أحدهما فى آسيا والآخر فى أفريقيا » .

« المساء يوم ٢٤/٧/١٩٦٤ »

* * مشروع إسلامى جليل نرجو له التوفيق والسداد والتقدم ليكون فى مواجهة تيارات الباطل ،والإلحاد والوثنية التى تعمل جاهدة على نشرها بقارتى آسيا وأفريقية بعثات التبشير وغيرهم من أعداء الإسلام .

والذى نرجوه فوق ذلك أن يقوم بمهمة الوعظ والإرشاد والتوجيه فى هذا المشروع أناس يؤمنون بعقيدة التوحيد الخالص . ويدينون بالإسلام الذى جاء به رسولنا محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . وآمن به المسلمون الأولون . . لا الإسلام الذى شرعه أهل الزيف والخرافات والبدع . وتوارثه المسلمون على مر العصور والأزمنة .

* * *

الصحافة . . والانحرافات

تحت عنوان « الأدب وقضية الحرية » كتب دكتور معروف مقالا بمجلة الرسالة حول ما دار من مناقشات بمجلس الأمة استهجاناً لقصة مسلسلة درجت على نشرها مجلة روز اليوسف لأنها تدعو إلى الانحراف والفساد . .

كتب الدكتور هذا المقال واستحسن فيه تخلى الدولة عن سلطتها الإدارية فى مراقبة الصحف والمجلات فيما تكتبه من قضايا الفكر والرأى لأنها حرة . . كما تحدث عن مسئولية القانون العام والرأى العام فى الرقابة على ماتنشره الصحافة من إخلال بالأدب والأخلاق

« مجلة الرسالة عدد ١٩٦٤/٧/٣٠ »

* * قد يكون للكاتب وجهة نظر خاصة فى هذا الرأى . ولكننا نعلم أن حرية الصحافة يجب ألا تترك على إطلاقها ، وألا تستغل بإساءة ، فتكتب فيما يشاء لها الهوى أن تكتب فيه دون رقيب ولا حسيب ، بل ينبغى أن تلتزم الصحافة منهج التوجيه والإرشاد لأنها أداتهما وليست أداة هدم وإضلال .

إن بعض المجلات والصحف قد أدخلت — مع الأسف — فى الفترة الأخيرة ضمن ما تنشر ، نشر الانحلال والإباحية وعرض صور الجنس فى شكل قصص تافهة لا يمكن أن تساعد على بناء مجتمع يتمتع أبناؤه بالقوة والحصانة والرشد . وكنا نود أن يدرك العاملون بالصحافة حق بلادهم عليهم فى عملهم ، فيكتبون فيما يمليه عليهم واجبهم من التوجيه والبناء والتثقيف ، بدل أن يستوردوا من أوربا أفكاراً هدامة ، ويسرفوا فى نشر قصص كتابها ، وخاصة ما كان منها ذا صلة بالغرائز ، وطلباً للشهرة والإثراء .

وفى رأينا أن الاتحاد الاشتراكى العربى — وهو تنظيم شعبى تتبعه الصحافة — هو الذى يملك — دون الرأى العام أو أية جهة أخرى — سلطة توجيه الصحافة لما فيه المصلحة العامة بصورة إيجابية . فيراقب ما تكتبه الأقلام المنحرفة من إفساد وسموم لا تمت بصلة لقانون تنظيم الصحافة .

سعد صادق محمد

أبيات لأبى العتاهيـــــة

أنلهوا وأيامنـــا تذهب	ونلعب والموت لا يلعب
عجبت لذى لعب قد لهـا	عجبت ومالىَ لا أعجب
أنلهو ويلعب مَنْ نفسه	تمـوت ومـنزله مُخْرِبُ
نرى كل ماساءنا دائمـا	على كل ماسرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهـا	ر ولم ندر أيهما أطلَبُ
أحاط الجديدان جمعا بنـا	فليس لنا عنهمـا مهرب
وكل له مـــدة تنقضى	وكل له أثر يُكْتَبُ

دعـــوة حـــق

أدعوكمو يا قوم إذ كل صَـــدِى
لورود عـين الحق أطيب مورد

هيـا أقيموا شأن دينـكم الذى
هو خير دين فى الوغى والمسجد

لا يمنع الحرب الضروس إذا اقتضى
نَصَفَ العدالة شـنها ؛ فلنصمـد

دين الحيـاة نظيفة وجميـلة
وصـداقةِ السلمى وكسر المعتـدى

فتعـاونوا كى تـستردوا مجـدكم
حـتى نرى عهد الصحابة فى الغـد

وأمامكم لغة العروبة فاتركـوا
هذى الرطانة واقصـدوا للسؤدد

لِمَ لا يكلم كل عالِمٍ ابنَـــهُ
بالنحو فى كل الأمور ليقتدى ؟ !

هيـا أقيموا فى الورى اللغـــة التى
نزلت بهـا آى الـكتاب المرشـد

فتخاطبوا يا قوم كلـكموا بهـا
فى البيت أو فى السوق أو فى المعهد

إنى ألقنها لفاطمـــة ابنـــتى
ومحمـد ، وكلاهما لم يَرْشُـــد

بل لا أكلم أحداً فى مهـــده
إلا بهـا ؛ فليتبـع ذا من هُـدِى

واستعملوا الهجرى فى التأريخ إذ
دين العلا والعز دين محمـــــد

فليوص كل رئيس قوم قومَهُ
بكتابة الهجرى دون تردد

إنى لأكتبه برغم الخصم إذ
يومى بعـــرقلة فلم أتهـدد

* * *

وتحملوا يا قوم فى الدين الأذى
لا تضعفوا فى دينـكم لتودد

أين الديانة والعروبة بعـد إهـ
مال المـآثر واتباع الأبعـد ؟ !

لِمَ لا نـكون كمثلهـم فى حفظنا
لتراثنا وسلوكنا للمقصد ! ؟

أصابوا الشر وهو شـعارهم
هـلا أصبنا الخير دون تقيد ؟ !

لِمَ لَمْ نقــلدهم كسادة ابتغوا ... نيــل السيادة لا اتباع تعبــد

لا تيأســوا من عودة العربيــة الـ ... فصحى لسالف عهــدها المتحمِّد

إن اليئوس تحققت فى أرضــه ... أحلام صهيون الدخيل المعتدى

لم ييأســـوا من باطل متباعد ... ويئستمو من حقــكم كالأرعد

ماإن تحقق باطــــل متباعــد ... إلا بإهمــال لحق فى اليــد

ولذا فمهمل حقــه عون لظا ... لمــه وظالم نفســه كالمعتدى

عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن

باب الفتاوى

س ١ — هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقداً مع القدرة على إخراجها صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ، وإذا لم يوجد التمر أو الشعير فهل يجوز إخراجها نقداً ؟ .

س ٢ — هل الإسراف المنهى عنه فى الشرع هو مجاوزة الحد أو وضع الشىء فى غير موضعه ، أفيدونا تفصيلا ؟ .

عوض الطيب محمد خير — القضارف — سودان

بسم الله الرحمن الرحيم

جـ ١ — جميع الأحاديث التى وردت فى زكاة الفطر لم يرد فيها أنه يجوز إخراجها نقداً ، ففى حديث ابن عمر الذى رواه الجماعة قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » .

وفى حديث أبى سعيد قال « كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب » أخرجه الشيخان .

وحيث لم يرد فى السنة ما يدل على جواز ذلك فلا يجوز القول به .

جـ ٢ — كلمة (إسراف) فى اللغة معناها الطغيان ومجاوزة الحد ، سواء كان ذلك فى طعام أو نفقة أو غيرهما .

قال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) وقال (وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) وقال (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) وقال سبحانه (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل) يعنى لا يقتل غير القاتل .

وقدم النبي صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يتوضأ فقال له: لا تسرف ، فقال سعد: أو فى الماء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر .

ويقال أيضاً : أسرف على نفسه إذا ظلمها بارتكاب المعاصى وعرضها لغضب الله وعذابه . قال تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . وقال سبحانه عن فرعون (إنه كان عالياً من المسرفين) وقال (وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه) .

ومن ذلك ترى أن مادة الكلمة فى جميع استعمالاتها تدل على التعدى ، ومجاوزة الحد فى كل شىء .

س ١ — هل يجوز لأحد المسبوقين أن يؤم بقية المسبوقين مثله بعد فراغ الإمام من الصلاة ؟ . مصطفى محمد الجيلى — العيلفون — بالسودان

جـ — لا يجوز لأحد المسبوقين أن يتقدم فيؤم بقية المسبوقين بعد فراغ الإمام ، الواجب أن يتم كل منهم لنفسه ، والذى يشهد لذلك أن الإمام إذا كان مسافراً ووراءه مقيمون فإن الإمام إذا سلم على رأس الركعتين ، قام كل منهم فأتم لنفسه ، فهذه الحالة أولى ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته من الليل ومعه المغيرة ابن شعبة ، فلما رجع وجد عبد الرحمن بن عوف قد صلى بالناس ركعة من الفجر فدخل معه هو والمغيرة فى الركعة الثانية . فلما فرغ عبد الرحمن قام كل منهما فأتم لنفسه ، فلو جاز لمسبوق أن يؤم مسبوقاً مثله لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك ، مع أنه لم يرد فى هذا الحديث أن النبى عليه الصلاة السلام أم المغيرة فى الركعة الثانية .

س ١ — هل تجوز الصلاة وراء إمام طائفى ؟ .

س ٢ - هل هناك طائفة دينية تسمى بالوهابية ؟ .

س ٣ — هل تجوز صلاة الجمعة باثنين إمام ومأموم ؟ .

س ٤ — قرأت فى إحدى الصلوات بسورة النساء فى الركعة الأولى ، فهل من الضرورى أن أقرأ فى الركعة الثانية بالسورة التى بعدها أو بسورة قبلها مثل سورة آل عمران؟

يا بكر إبراهيم تاجر بسوق الخضار — رجل الفوله — سودان

ج ١ — إذا كان الإمام ينتمى إلى طائفة من طوائف البدع والضلال كطرق الصوفية ، وأهل الكلام وهو مصر على بدعته ومعلن بها ، فلا تجوز الصلاة خلفه ، بل لا يجوز الجلوس إليه ولا إلقاء السلام عليه حتى ينزع عن بدعته .

ج ٢ — ليس هناك طائفة دينية تسمى الوهابية وإنما هو لقب يشنع به أهل الباطل على أنصار الحق والتوحيد بنسبتهم إلى الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وهو إمام كبير من أئمة الإصلاح الدينى ظهر فى بلاد نجد فدعا إلى تجريد التوحيد وإحياء مذهب السلف ، وناصره آل سعود فى دعوته حتى قضى على جميع البدع الشركية كدعاء المقبورين والغلو فى تعظيم المخلوقين ، وأعاد ربوع نجد كلها إلى حظيرة التوحيد الخالص . رحمه الله وأجزل مثوبته.

ج ٣ — تجوز صلاة الجمعة بأقل ماتجوز به الجماعة فيكفى فيها إمام ومأموم . أما تحديد العدد الذى تجوز به الجمعة باثنى عشر رجلا أو بأربعين أو بثلاثة سوى الإمام أو نحو ذلك ، فلا دليل عليه ، وإنما هى أقوال للفقهاء عفا الله عنا وعنهم .

ج ٤ — لا دليل على وجوب الترتيب بين السور فى الصلاة بل لك أن تقرأ فى الركعة الثانية بسورة سابقة أو لاحقة للسورة التى قرأت بها فى الركعة الأولى ، كما لايجب الاتصال بين السورتين .

والله أعلم .

محمد خليل هراس
أستاذ بكلية الشريعة

الدكتور الهراس فى بنها !!

هذه تحية طيبة أرسلها لفضيلته بمناسبة هذا الموقف فى بنها والرد البليغ الشائق الذى نشرته مجلتنا « الهدى النبوى » فى العدد الثالث لشهر ربيع الأول سنة ١٣٨٤ بعنوان « الله مستو على عرشه ولو كره المعطلون » .

* * *

(ماذا ادَّخرت لهذا اليوم من أدب) فقد عرفناك ربَّ القول والخطب
تشدو بقولك صداحاً ومبتكراً وعظاً ، فتجمع بين الدين والأدب
قد حقق الله نصراً عزَّ جانبه يزهو بفضلك فى الأعوام والحُقب
بالآى ، بالذكر صُنت الدين معتمداً على نصوصٍ بدت أمضى من القُضب
يروقها منك إيمانُ ، سموت به أنقى من الماء بالأوضار لم يُشَب
أفحمت خصمك بالقرآن مرتكناً فيه على بارىء الأفلاك والشُهب
كبّلت كل كنودٍ هيب جانبه حتى علوت بلا خوفٍ ولا رهب
وصُنْتَ حقاً يكاد الزور يهزمه وقد محوت ضروب الشِّرك والرِّيب
فزدت فى الناس إجلالاً ومنزلةً وذاع فضلك عن بُعدٍ وعن كثب

* * *

يا من تسابق فى إكرامه قلمى وكان سَبْقَ فيه كل مرتقب
ولا غرابة فالأعمال شاهدةٌ والتِّبر يخرج منه خالص الذهب

* * *

ما كنت يوماً لنظم الشعر منفرداً ... ولا امتدحت أخا مالٍ ولا نسب

لكنَّ علمك يا « هراس » أنطقنى ... كالطير يصدح بين الروض من طرب

لله درك من شهم علت يده ... حتى أتت لك طوعاً رفعة الأدب

الحلم حلية خُلقٍ أنت صاحبه ... ولمحة العين تجلو قاتم السُحب

نبتَّ من معشرٍ طابت أرومتهم ... نالوا بفضل علاهم غاية الأدب

حباك ربك عطفاً فاتعش أمداً ... تسمو الحقائق فى عرفانك الرحب

« الجيزة » ... نجاتى عبد الرحمن

(الهدى النبوى) نظم هذه القصيدة الأستاذ الشاعر نجاتى عبد الرحمن يمتدح بها ما قام به فضيلة الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس دفاعاً عن الإسلام وعقيدة السلف الصالح فى (بنها) . وقد حذفنا منها بعض أبيات بالغ فيها الشاعر فى تزكية الدكتور الهراس .

من كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه

فرض الله تعالى الإيمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً عن الكِبْر ، والزكاة سبباً للرزق ، والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق ، والحج تقوية للبدن ، والجهاد عزاً للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهى عن المنكر ردعاً للسفهاء ، وصلة الرحم منماة للعمر ، والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ، ومجانبة السرقة إيجاداً للعفة ، وترك الزنى تصحيحاً للنسب ، وترك اللواط تكثيراً للنسل ، والشهادات استظهاراً على الجاحدات ، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام أماناً من المخاوف ، والإمامة نظاماً للأمة ، والطاعة تعظيما للإمامة .

« نهاية الأرب »

الخـــوارق ! !

والخرافات ، وما أدراك ما الخرافات ! !

الخرافات لا زالت متمكنة راسبة فى أذهان بعض الناس ، تعلق بها كما يعلق المخاط بالثوب الأبيض النظيف ، فهل من يعرف علاجاً لهذا السرطان الجارف المؤذى أو ذاك الطاعون السريع الذى يجتاح بعض النفوس المريضة الهزيلة ؟ ! .

من أيام مضت ـ ولا زالت إلى اليوم ـ تطلع علينا بعض الصحف والمجلات عامرة بخرافات غريبة ، وأنواع من الدجل المدهش ، كحادث السويس ، الذى يقول فيه كاتبه « شهدت نعشاً طائراً وقد خرج بعض الأهالى يودعون شيخاً بلغ من العمر ٨٠ سنة ، وعندما وصل المشيعون إلى المقابر طار النعش ـ إى والله طار النعش ـ إلى المدينة يجر وراءه مشيعيه ! ! وطاف بكل مساجد السويس » إلى آخر ما رواه مكاتب الجريدة فى ذلك الحين ؟ .

والأغرب من ذلك قول الكاتب الذى وصف المشهد فقال : « حاول ثلاثون جندياً وقف النعش فطار بهم من على الأرض وارتفعت أقدامهم حتى اضطرت قوات البوليس وبعض المواطنين إلى ملاحقة النعش بالسيارات » إلى آخر ما جاء فى مقال الكاتب اللولبى الحصيف ! !

ولم تنقطع الصحف أو المجلات عن ترديد مثل هذه النغمة التى ثقلت على النفوس وعافتها الآذان ، وعن ذكر حوادث غريبة من هذا النوع المؤلم العجيب ! ! .

على أن تفشى مثل هذا الوباء الخبيث بين السذج من الناس لمن أخطر ما تعانيه الإنسانية والدين معاً ، وما يخشى المصلحون العاملون إلا من آثاره على بقايا القيم ، وآثار الفضائل ، ومعايير البشرية .

وإذا جاز أن يحتمل النفاق والبهتان بالإثم إلى هذا الحد المشين ، فإنه لا يمكن أبداً أن يحتمل من أولئك المتاجرين بالدين ، و من محترفى وسائل البدع والدجل للوصول إلى أغراضهم الخبيثة .

وليس بمستغرب على الله أن يجمع العالم فى واحد ، ولـكن الغريب حقاً أن ينقلب الميت فيعود حياً « فى الخشبة » ويكون طائراً قوياً متيناً يحلق فى الأجواء وهو ميت ثم يعلق فى نعشه « ثلاثون جندياً » ولا يستطيعون وقف النعش ولا يستطيعون له حراكا ! ! ! .

ولقد أثبت التحليل الصادق لمثل هذه الحوادث المفتعلة ، أن هذه خرافات وأباطيل متفق عليها من الدجالين والمشعوذين افتعلها قوم هم أعداء الله ـ لاأولياؤه ـ لمآربهم الخبيثةله وأغراضهم الوثنية ؟ .

ولمثل هذه الخرافة العجيبة ، كتب أستاذنا الراحل « الشيخ أبو الواء » مرة فى هذا الموضوع بالذات وقد سأله أحد المستنيرين فقال السائل :

ألا يجوز أن يكون الشيطان أو واحد من قبيله هو الذى يدفع النعش بحامليه ليرغمهم على الطواف به من حيث لا يريدون ، ليفتن الناس بهذا الميت ويحملهم على أن يعتقدوا فيه القدرة على التصرف ، فيدعونه من دون الله ، وينزلوا حاجاتهم بساحته ؟ .

فقال الشيخ أبو الوفاء ـ رحمه الله ـ :

أما إن أردت أن الشيطان يوسوس فى صدور حاملى الجنازة ليحملهم على أن يعبثوا بها ، هذا العبث الممقوت ، فهذا حق ، لأن كل عمل مخالف لشريعة الله ما هو إلا أثر من آثار وسوسة الشيطان ، وأنت خبير بأن الله جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ؟ .

وأما إن أردت أن الشيطان يدفعه بقوته الخاصة ، فهذا هو الباطل الذى لا أصل له ، ولا دليل عليه ، إن الشيطان(ليس له سلطان على الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) . وما سلطانه إلا بدعوتهم إلى الشر واستجابتهم له ، كما قال تعالى حكاية عنه (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) .

أما السلطان المادى الذى يحرك به الأجسام ، وينقل به أشياء الناس من مكان إلى مكان ، فهو سلطان غيبى ، والغيب لله وحده ، ولم يخبرنا علام الغيوب سبحانه فى كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بشىء من ذلك ، إلا ما كان من أمر الجن الذين سُخِّروا لسليمان عليه السلام ، وملك سليمان لا ينبغى لأحد من بعده كما أخبر القرآن الكريم ، وقد أخبرنا الصادق الأمين صلوات الله عليه أن الكذب سيفشو بعد خير القرون ، وقد فشا الكذب ، وصدق خبر النبى الأمين الذى لا ينطق عن الهوى ، حتى قال أحد الحكماء منذ ألف سنة « واعلم أن الكذب أكثر ما أنت سامع » .

فإذا كان الكذب أكثر ما يسمع الناس منذ ألف سنة ، فما عسى أن يكون بعد أن مضت السنون ، وانسلخت القرون ، وبعد بُعْد الناس بعصر الصدق والإيمان ؟ !! .

وقد كان لذلك القول بقية لم نعثر عليها ، ولكن فى هذا القدر كفاية عن خرافة طواف الموتى وطيرانهم ، غفر الله لهم .

* * *

وفى العدد الأول لسنة ١٣٨٤ هجرية من مجلتنا المحبوبة الجريئة « الهدى النبوى » كتب الأستاذ محمد صالح سعدان كلمة قيمة بعنوان « الإسلام دين الفطرة لا الخوارق » رداً على ما كتب بمجلة « منبر الإسلام » عن المعجزة التى حدثت فى قرية بنى صالح — مما يخالف العقل والدين معاً ، كما قال الأستاذ صالح ، وفيها الكفاية عن الخرافة الطريفة التى رواها الراوون عن رجل « من أهل الخطوة » كما يقولون ويؤيدون أقوالهم بأنواع شتى من الخرافات التى لا يصدقها العقل السليم .

وهكذا وهكذا نسمع ولا نرى إلا الأوهام الباطلة الشائنة ، وهكذا قضى أن يعيش الحق فى هذا العالم الخبيث ، قليل النصير ، بطىء التغيير ، جد فقير ، وأن يجد الباطل والإفك والبهتان من الأعوان من يذود عنه ويمشى فى ركابه إلى آخر المطاف ؛ وأختم كلمتى بهذه الأبيات وهى :

ثبِّت إلٰهى على الإيمان أفئدةً جَرَّ العفاء عليها شر أذيال
وافتح لمصر طريق الخير دانية قطوفها ، لا حرمنا فيء أظلال
إنَّا لنا أُسوة فى المصطفى حَسُنت تزجى إليها البرايا كل إجلال
قوامها الخُلق الأعلى فليس لها نظائرٌ لا ، ولا قيست بأمثال
فليتق الله أهل السوء فى بدعٍ فى الدين قد أدخلوها شر إدخال
والدين منها براء والذين لهم من نعمة العقل حتى وزن مثقال
وَمَنْ تكن فى التقى والزهد همته يلقى التجلة فى حِلٍّ وترحال
ومن عَلَت نفسه قدراً يجمِّله من هيْبةٍ ووقار خير سربال
ومن تكن غرر الأخلاق شيمته سما وإن كان فى عسر وإقلال
ومن يجاهد لدين الله ليس له فيما يرجِّيه بعد الله من وال

« الجيزة » نجانى عبد الرحمن

الدين الخالص واتباع الهوى

قال الله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) وقال : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وقال (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) — الآية .

فيؤخذ من الآية الأولى أن الأمانى والدعاوى بغير بينة لا تفيد صاحبها شيئاً ، وأن ملاك الأمر كله (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) .

وهكذا يكون عدل الله فى الخلق ، يبين ذلك قوله تعالى (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) وقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقوله (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وقوله (ولكل درجات مما عملوا) وقوله (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) .

وفى الآية الثانية أن ملاك الأمر أيضاً : الإيمان والعمل الصالح ، وأن الفرق كلها من اليهود والنصارى والصابئين والذين آمنوا مشروط عدم خوفهم وحزنهم بالإيمان والعمل الصالح .

والآية الثالثة فيها دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، والرد عليهم بأنهم بشر ممن خلق ، وأنه يعذبهم بذنوبهم كغيرهم من ذوى المعاصى . ولو كانوا كما زعموا لـكانوا مطيعين ، ولما عذبهم الله بذنوبهم .

فيتبين مما ذكرنا أن دين الله الخالص مبنى على الإيمان والعمل الصالح ، وأنه الميزان الذى توزن به كل دعوى دينية ، وأن ذلك ينافى الهوى .

* * *

يدعى كثير من الناس المسيحية ، ويزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام . ويدعى كثير مثلهم اليهودية ، وأنهم أتباع موسى عليه السلام ، ويدعى آخرون أنهم أتباع خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

فإذا حققت دعوى كل فريق من هؤلاء المدعين من جهة العمل ، وجدت أكثرهم كاذبين . فلااليهود على دين موسى ، ولا النصارى على دين المسيح فى زهده وما شرعه لهم من الورع والعزوف عن الدنيا . ولا المدعون الإسلام على دين محمد صلى الله عليه وسلم يفردون الله بالعبادة ، ويوحدونه توحيد الالهية ويبرأون من كل معبود سواه ومن كل عبادة لغيره ويخلصون له الدين . بل إن كثيراً منهم أشرك مع ربه إنساناً وجنا ، بل وحيوانات وعمداً وأخشاباً .

وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق أكثر من افتراق اليهود والنصارى ، ولا تنجو إلا فرقة واحدة ، وثلاث وسبعون فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة هى من كان على ما كان عليه وأصحابه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن أمته تتبع اليهود والنصارى أيضاً . فقال « لتتبعن

سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟

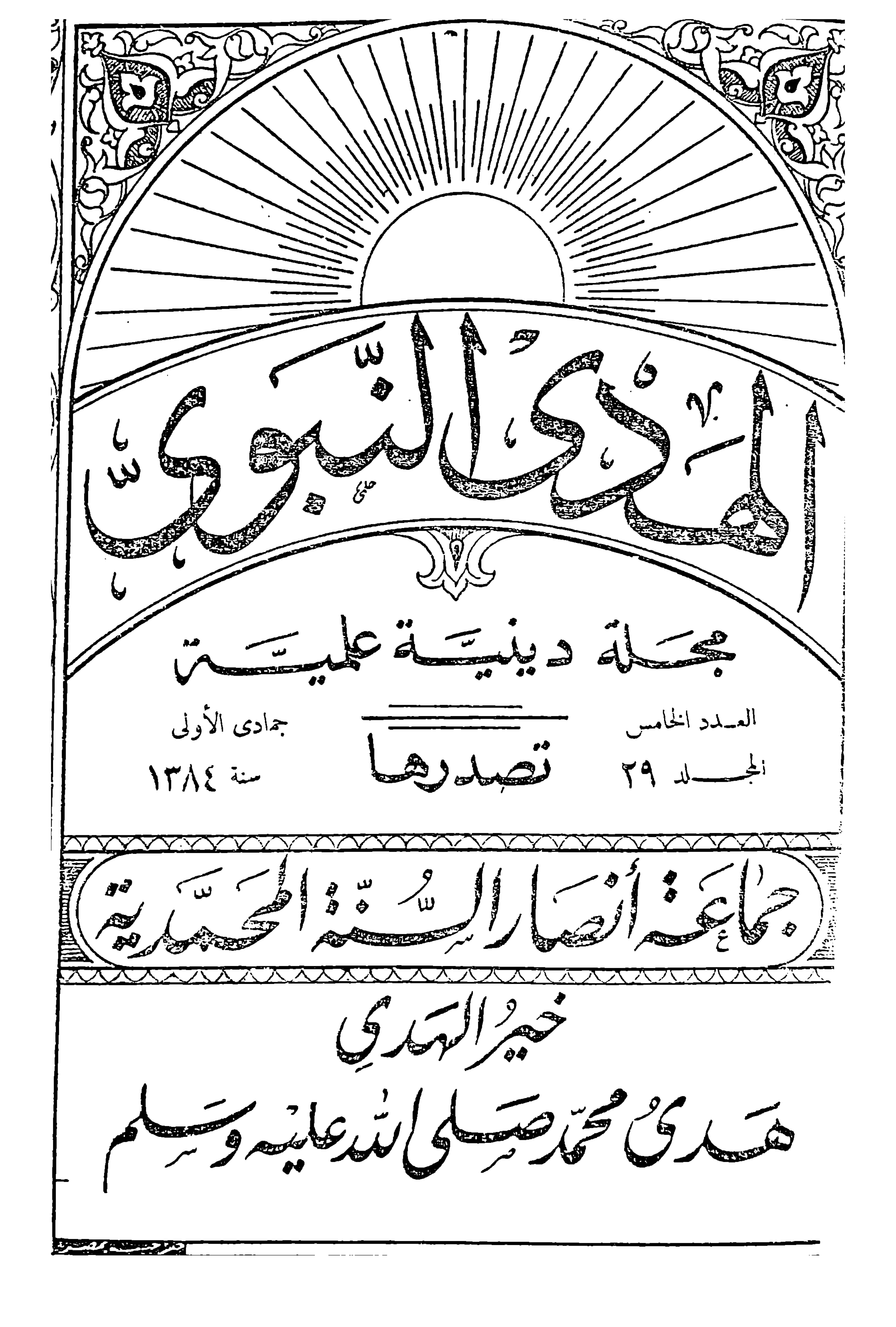
* * *

هذا وللأعمال ظاهر وباطن ، فظاهرها ما يرى فى الخارج ، وباطنها مراقبة الله فيها وإرادة وجهه بها ، وملاحظة اطلاعه على كل حركة وسكنة فيها . وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم جواباً على سؤال جبريل عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهو المعنيُّ بقوله تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) وقوله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) الآية .

فإذا انحرف العبد عن الله ولم يعبده مخلصاً . كان متبعاً هواه ، عابداً شيطانه ، وقد قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقوله (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وقوله(أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون) .

إن الدين الخالص يحول بين صاحبه وبين السفاسف والحمق واتباع الهوى . كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .

نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا وأهوائنا ، وأن يحول بيننا وبين كل شر وأن يشغل كل إنسان منا بإصلاح نفسه ، وبالله التوفيق وهو المستعان .


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الخامس
جمادى الأولى
المجلد ٢٩
تصدرها
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

١٣ الله مستو على عرشه . . . . « الدكتور محمد خليل هراس

٤١ تعقيب . . . . « عبد اللطيف حسين

٤٣ كلمة فى الأسماء والصفات . . . « فكرى زكى الجزار

٤٥ نظرات فى التصوف . . . . « الشيخ عبد الرحمن الوكيل

٥١ تعقيب على رسالة الصبح السافر « محمد إسماعيل خليفة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان صونه

الاشتراك السنوى
٣٠ ص - فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ٥ — جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ — المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، قُلْ : سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا * قُلْنَا : يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ : أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف : ٨٣ - ٨٩ .

« معانى المفردات »

سأتلوا : قال الراغب : تلى : تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما ، وذلك تارة يكون بالجسم ، وتارة بالاقتداء فى الحكم ، ومصدره : تلو . وتارة بالقراءة ، أو تدبر

المعنى . ومصدره : تلاوة . والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة . . وهو أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة ، وليس كل قراءة تلاوة .

ذكرا : كل قول يقال له : ذكر . والذكر أيضاً : الشرف والفخر ، وذكر الله يراد به تمجيده وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وأثنى به عليه رسوله صلى الله عليه وسلم .

مَكَّنَّا له فى الأرض : أعطيناه ملكاً عظيما ممكّناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود ، وآلات الحرب والحضارات .. ولهذا دان له من فى الأرض ، ومكن الله أمره من التصرف فيها كيف شاء ، وسهل له السير والأمر والحكم فى الأرض.

سبباً : المادة تدل على طول وامتداد ، والسبب : الحبل الذى يصعد به النخل . وسمى كل ما يتوصل به إلى شىء : سببا ، ويوصف منهج الطريق بأنه سبب .

أتْبع : قال الراغب : يقال : أتبعه إذا لحقه ، وقال ابن فارس فى معجمه عن أصل المادة : إنها تدل على أصل واحد هو التُّلُوُّ والْقَفْوُ .

مغرب : يقول ابن فارس : الغربة البعد عن الوطن . ومن هذا الباب ترون الشمس كأنه بعدها عن وجه الأرض . والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد ، فإشارة إلى ناحيتى الشرق والغرب ، وإذا قيل بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلِعِىْ ومغرِبِىْ الشتاء والصيف ، وإذا قيل بلفظ الجمع ، فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه ، أو بمطلع كل فصل ومغربه .

حمئة : الحمى : الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية كالنار والشمسِ . ومن القوة الحارة فى البدن ، قال تعالى : فى عين حامية أى حارة ، وقرىء حمئة من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة . وهى الطين الأسود .

حسن : الُحسْنُ عبارة عن كل مُبهج مرغوب فيه ، وذلك ثلاثة أَضْرَاب : مُسْتَحْسَن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن منِ جهة الُحسْن . والحسنة

يُعَبَّر بها عن كل ما يَسُرّ من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله . . وأكثر ما جاء فى القرآن من الحُسْن ، فللمستحسن من جهة البصيرة . « الراغب »

نُكراً : قال ابن فارس عن أصل المادة إنه يدل على خلاف المعرفة التى يسكن إليها القلب . والنُّكْرُ : الدَّهْر . وقال الراغب : النكر الدهاء ، والأمر الصعب الذى لا يُعرف .

« المعـــنى »

فصلت ما ذكر بعض المفسرين والمؤرخين حول ذى القرنين فى العددين السالفين ، ثم قلت : « نحن المسلمين نقطع بأن ما ذكره الله من قصص ماض هو حق قد وقع ، ولا يجوز لمسلم أن تمسه أثارةٌ من ريبةٍ فى قصص القرآن بكل تفصيلاتها ودقائقها ، وإلا رمينا القرآن ، ومنزل القرآن بأنهما يقصان الكذب ، ويفتريان أحداثاً وهمية ، ويستلهمان الخيال .

فأين الحق مما نقلت عن المفسرين والمؤرخين ؟ .

لم يذكر كتاب الله كل هذا الذى اخترعه المفسرون ، فيجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن فى إيمان وثيق ، ويقين ثابت ، وخشوع يغمر النفس والحس والقلب واللب دون أن نزيد ، أو ننقص ، حتى لا نتردى فى خطيئة افتراء الكذب على الله . ولم يذكر لنا القرآن أن اسمه « الإسكندر » ولم يحدد لنا مكانه ، أو زمانه التحديد الذى يجعلنا نقطع فى شأنهما بشىء .

كل ما يجب علينا الإيمان به فى أمر ذى القرنين هو أنه كان قبل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن بعض أخباره كانت معروفة ؛ بدليل أنهم سألوا عنه ، وأنه ليس الإسكندر المقدونى ؛ لأن هذا كان عابد صنم ، وزعم أنه ابن « زيوس » كبير آلهة اليونان ، وابن « آمون » كبير آلهة المصريين .

كما نؤمن أنه كان فى الصفات التى ذكرها القرآن ، والتى سيأتى ذكرها بعد ؛ ولنحذر من أن يستفزنا الشوق إلى معرفة المجهول ، وارتياد مجاهله إلى أن نقطع فى شأنه بشىء لم يذكره القرآن .

ونعود إلى تفسير بقية الآيات ، وأضرع إلى الله أن يجعل ما أقول حول كتابه ، والتفسير الذى أكتب عن آياته شيئاً يرضيه ، ويجعله لى صالحة بين يديه سبحانه ! .

« قل : سأتلوا عليكم منه ذكراً » سأقص عليكم من أخباره . ويجوز أن يكون الضمير فى قوله سبحانه : « منه » لله ـ جل شأنه ـ فيكون المعنى : سأقص عليكم من الله خبراً يتضمن حال ذى القرنين .

وقد نفهم من اختيار « أتلو » بدلا من « أقص » مثلا أنها اختيرت ، لتفيد أن الإجابة تبعث السؤال ، وأنه صلى الله عليه وسلم يتبع بالتصديق والإيمان ما يتلوه عليهم ؛ لأن التلاوة تفيد الاتباع .

« إنا مكَّنَّا له فى الأرض » أى وطَّأنا له فى الأرض ، ومهدنا له الأسباب فيها ، وفى هذا ما يفيد أن ملك ذى القرنين كان مديد الظل وريفه ، مهيمن السلطان على كل أقطارِ الأرض ، وعلى أنه كان ملكا قوياً مدعوماً بخير ما يُدعم به المُلكُ فى هذه الدنيا ، أى بالقوة التى تطمئن الصديق ، وترهب العدو ، وبالتدبير العظيم الذى يصدر عن علم وخبرة وإيمان ، وبالعدالة المطلقة التى لا يغمزها شنآن قوم ، أو هوى يجنح مع آخرين ؛ لأن الله يقول « مكنا له فى الأرض » ، فالتمكين من الله ، وهذا يفيد القدرة والقوة والثبات والاستقرار والخيريَّة والعدالة ، و« فى الأرض » يفيد سعة الملك وامتداد سلطانه ، فذكر الأرض مُعَرَّفة بالألف واللام ، يعطى أن الأرض خضعت لذى القرنين بكل أقطارها .

« وآتيناه من كل شىء سبباً » الشيئية هنا مقيدة غير مطلقة ، أو خاصة لا تفيد الشمول والعموم . والمقصود : كل شىء يحتاج إليه الخلق ، ويحتاج إليه مثله من الملوك ،

كما قال الله عن ملكة سبأ « وأوتيت من كل شيء » . أي كل ما تحتاج إليه امرأة ملكة مثلها .

وهكذا أعطى الله ذا القرنين من كل شيء أراده ، وتوجهت إليه همته ، ومن كان في دين ذي القرنين ، وملك ذي القرنين ، فإنه لا يريد إلا ما يرضى الله ، ويقوم ملكه ويوسعه ، ويقويه ، وهو تيسير الطرق إلى فتح الأقاليم ، وغلبة أعداء الله ، وكبت الطغاة من الملوك ، وإعلاء كلمة الله وحده ، فهي إذن « شيئية مقيدة » بهذا ، ونظم الآية يفيد ذلك ، ويدركه الذي لم تلوث فطرته بتقليد ، أو معرفة لضلالة .

« سبباً » أي وصلة من العلم والقدرة والآلة توصله إلى ما أراد وتوجهت إليه نفسه . وقد ذكر المفسرون لكلمة السبب عدة معان . قالوا : إن السبب هو طرفا الأرض ، أو هو منازل الأرض ومعالمها وآثارها ، أو هو تعليم الألسنة ؛ إذ كان لا يغزو قوماً — كما يقول المفسرون — إلا كلمهم بلسانهم ، ونسب إلى حبيب بن حماد أنه سأل علياً عن هذا ، فقال له علي : سخر له السحاب ، وقدر له الأسباب ، وبسط له اليد . أما كعب الأحبار ، فهو حليف الأساطير والخرافات ، وقد أبى إلا بمد لسان خرافته هنا ، فزعم أن ذا القرنين كان يربط خيله بمجموعة النجوم التي تسمى الثريا ! ! .

وكل ما قاله المفسرون هو عبارة عن أفراد المعنى ، أو أجزائه ، لا كل المعنى .

والسبب الحق هو العلم بالشيء ، والعلم بطريقة تحصيله ، أو الحصول عليه ، أو هو — كما سبق بيانه — الوصلة من العلم والقدرة والآلة توصله إلى ما يريد ، وتتوجه إليه نفسه .

ومعنى هذا أن ذا القرنين كان يدبر ملكه عن بينة ، ويسلك سبيله في الأرض عن بينة . فالله قد علمه الأسباب الحقيقية الطيبة التي بها يصل إلى ما يريد من حياة مؤمنة طيبة ، وملك طويل عريض يبسط ظله على الأرض .

« فأتبع سبباً » أي تبع الأسباب التي علمه الله إياها ، ولم يأخذ بغيرها من الأسباب ؛

فهو ملك يؤمن بالله ، ويوقن بأن مايعلمه الله هو الحق والخير والسعادة والهدى والرشاد ، فكيف يسلك طريقاً غير طريق الله ؟ وكيف يأخذ بسبب لا يرضى الله ؟ ! .

إن للحصول على المال أسباباً بعضها يرضى الله كالتجارة ، وبعضها يستحق غضب الله كالربا والسرقة .

ولعبادة الله وسائلها التى هى كالأسباب لها ، لأنها لا تتحقق بدونها ، وقد يتنكب بعض الناس عن عمد ، أو جهل وتقليد أعمى مناكبَ أو جادة الطريق السوى ، فيأخذون بأسباب ووسائل لا يحبها الله ، ولا يرضاها ! ! . أما ذو القرنين فقد تبع ماعلمه الله إياه ، فلم ينحرف ولم يتنكب الطريق ، ولم يبتدع أسباباً ووسائل . وقد ذكر المفسرون حول هذا أقوالاً عديدة كلها أيضاً أجزاء المعنى ، لا كل المعنى ، فقالوا إنه اتبع منازل الأرض أو معالمها ، أو آثارها الخ ! ! .

وقد روى الأسطورى الآخر « وهب بن منبه » حديثاً مطولاً عن الأسباب التى أعطاها الله ذا القرنين ، وقد رواه ابن جرير الطبرى . وأنقل لك طرفاً منه ، لأنى أومن بأنه ماحدث ، بل لما فيه من روعة أدبية جميلة ، ولما تلمس فيه من صلة رحم بالحق فى بعض أحيانه ، قال وهب أن ذا القرنين قال لله سبحانه : « إلٰهى إنك قد ندبتنى لأمر عظيم ، لا يقدر قدره إلا أنت ، فاخبرنى عن هـذه الأمم التى بعثتنى إليها ، بأى قوة أكابرهم ، وبأى جمع أكاثرهم ، وبأى حيلة أكايدهم ، وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لى بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أعى قولهم ، وبأى بصر أنفُذهم ، وبأى حجة أخاصمهم ، وبأى قلب أعقل عنهم ، وبأى حكمة أدبر أمرهم ، وبأى قسط أعدل بينهم ، وبأى حلم أصابرهم ، وبأى معرفة أفصل بينهم ، وبأى علم أتقن أمورهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطؤهم ، وبأى طاقة أخصِمهم ، وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أستألفهم ، فإنه ليس عندى يا إلٰهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ولا يقوى عليهم ، ولا يطيقهم ، وأنت الرب الرحيم الذى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يحملها إلا طاقتها ، ولا يعنتها ، ولا يفدحها ، بل أنت ترأفُها ، وترحمها .

قال الله عز وجل « إنى سأطوقك ما حملتك ، أشرح لك صدرك ، فيسع كل شىء ، وأشرح لك فهمك ، فتفقه كل شىء ، وأبسط لك لسانك ، فتنطق بكل شىء ، وأفتح لك سمعك ، فتعى كل شىء ، وأمد لك بصرك ، فتنفُذ إلى كل شىء ، وأدبر لك أمرك ، فتتقن كل شىء ، وأحصى لك ، فلا يفوتك شىء ، وأحفظ لك ، فلا يعزُب عنك شىء ، وأشد لك ظهرك ، فلا يهدُّك شىء ، وأشد لك ركنك ، فلا يغلبك شىء ، وأشد لك قلبك ، فلا يروعك شىء ، وأسخر لك النور والظلمة ، فأجعلهما جنداً من جنودك ، يهديك النور أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك ، وأشد لك عقلك ، فلا يهولك شىء ، وأبسط لك من بين يديك ، فتسطو فوق كل شىء ، وأشد لك وطأتك ، فتهد كل شىء ، وألبسك الهيبة ، فلا يرومك شىء » .

وفى الكلام نفسه دليل أنه مصنوع وموضوع من أديب يجيد فن القول ، ويتصرف فى سحره . والخرافة[1] لم تستهونى . وأضرع إلى الله ألا تستهوينا جميعاً ، وإنما استهوتنى روعة الأسلوب ، أما ما ذكره من أسباب ، ففيه أثارة من الحق ، لا كل الحق ! ! .

« حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » سار ، وأبعد فى الأرض حتى وصل إلى أقصى مكان يمكن أن يصل إليه فيها من ناحية المغرب ، لا المكان الذى تغيب فيه الشمس حقيقة ، لأنها لا تغيب أبداً كما هو ثابت بالأدلة اليقينية ، وبالواقع المشهود الذى أصبح اليوم كالأمر البدهى الذى إن ارتاب فيه أحد عُدَّ أحمق مأفوناً ، أو حكم على نفسه بالجهل المطبق الشامل ! ! .

ولعل ذا القرنين كان واقفاً على سيف محيط من الماء عميق الأغوار يرى الناظر ماءه زرقة تضرب إلى سواد ، ورأى الشمس — كما يخيل إليه — تغرب فى مياه المحيط التى

---

(١) هى مبسوطة فى الطبرى فى أربع صفحات من القطع الكبير التى تحتوى كل صفحة منها على تسعة وعشرين سطرا .

تميل إلى السواد ؛ ولهذا جاء فى الآية « وجدها » ولم يجيء « كانت تغرب فى عين حمئة » فهى تعبير عن وِجْدَانِهِ هو ، لا عن الحقيقة الموجودة فعلا .

أو لعلها عين ماء تباعد شاطئاها ، ورآها هو من بعيد عند الغروب ، فظن أن الشمس تغيب فيها .

« ووجد عندها قوماً » أى وجد عند العين الحمئة قوماً : فمن هؤلاء القوم ؟ ، ذكرهم الله مُنَكَّرين ، وحسبنا ما ذكر الله ، أو أولئك الذين سموا هؤلاء القوم بأنهم يقال لهم : ناسك . كابن جرير ، ومن تابعه ، فقد قالوا على الحق قولاً بغير علم ، ومن الأساطير المروية فى كتب التفاسير أنه وجد مدينة لها اثنى عشر ألف باب تسمى بالجاسوس ، واسمها بالسريانية حريحا ، يسكنها قوم من نسل ثمود ، ولولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب « أى تغيب » وأن عين الماء هى بحيرة طبرية فى الشام .

أما صفاتهم ، فإننا نستطيع أن نستنبط أن أغلبهم كانوا كفاراً ، وأن المسلمين منهم قلة ، وكذلك نستنبط أن مهمة ذى القرنين التى سخره الله لها كانت هى إقامة دين الله فى الأرض ، وأن الله بسط له الملك لهذا .

« قلنا : ياذا القرنين إما أن تعذِّب ، وإما أن تَتَّخِذَ فيهم حُسْناً » بهذا يستدل من يقول إن ذا القرنين كان نبياً ، لأن الله — سبحانه — كلمه بهذا . ويقول آخرون : إنه كان عبداً صالحاً ملهماً ، وأيًّا ما كان هذا الأمر ، فهو يدل على أن ذا القرنين كان لا يصدر فيما يعمل إلا عن عقيدة وإيمان وخبرة وحكمة ، ويقين بأن ما يفعله يرضى الله ، وبهدْيٍ وتوفيق من الله .

ثم إن هذه الآية تفيد أن الله مكن لذى القرنين من هؤلاء القوم ، وحكمه فيهم ، وأظفره عليهم .

وقد نفهم أن الله خيره بين الأمرين : التعذيب ، أو اتخاذ الحسنى فيهم ، وقد فسر التعذيب بأنه القتل والسبى ، واتخاذ الحسنى بالمن والفداء ، قالوا : كان يحمى لهم بقر

النحاس ، ويضعهم فيها حتى يذوبوا . وقال وهب بن منبه : كان يسلط الظلمة ؛ فتدخل أفواههم ، وبيوتهم ، وتغشاهم من جميع جهاتهم . وتحديد التعذيب بهذه الصورة ، وتحديد الحسنى بأنه المن والفداء قول يقوم على الظن ، ولا يشهد له دليل ، فلنأخذ الكلمة بمعناها العام ، وهو أن الله أعطاه الخيار بين أن يعذب ، وبين أن يتخذ فيهم حسنا ، والتعذيب يصدق بغير القتل ، وكذلك اتخاذ الحسن يصدق بغير المن والفداء .

التحقير تعذيب ؛ والتضييق فى المعايش تعذيب ، والكلمة الجارحة تعذيب ، والكلمة الطيبة حُسْنٌ ، ونفحة الحنان فى المعاملة حسن ، ومن صور التعذيب التى ذكروها صورة تتسم بالقسوة والوحشية ، والأخرى بأنها من افتراء الخيال .

وقد تكون « إمَّا » هنا فى هذه الآية للتقسيم ، وبهذا يتغير المعنى ، إذ لا يكون ثَمَّت خيار متروك لذى القرنين ، وإنما يكون التعذيب للظالمين منهم ، ويكون اتخاذ الحسن للصالحين بدليل ماسيأتى .

« قال : أما من ظلم ، فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه ، فيعذبه عذاباً نكرا » . بهذا يعطينا ذو القرنين أنه رجل قوى الإيمان ينزل فيما يفعل على رضوان ربه ، فقرر أنه سيوقع العذاب بمن يبقى على ظلمه ، أى على كفره وشركه ، فكلاهما من أقبح الظلم ، وثانيهما ظلم عظيم . كما يعطينا ذو القرنين أنه كان يؤمن بيوم البعث والجزاء فى الآخرة . والعذاب النُّكْر : العذاب الشديد البليغ الذى لا يعرف فى هذه الدنيا ، لأنه لا يوجد فيها . وتعطيك الآية أن ذا القرنين ، قد قرر إنزال العذاب بالظالمين غير مكتف بما سينزل الله بهم من عذاب فى الآخرة ، ولكنه قرر تأجيل هذا العذاب بدليل كلمة « سوف » فهى تفيد تأخير زمان الفعل ، ولعله أراد بهذا إعطاء فرصة لحلفاء الشيطان ، فلعلهم يخالفون ويوالون الرحمٰن .

والتعذيب سمة القوة الحازمة التى لا يوهنها ضعف العواطف البشرية .

والتأجيل سمة الرحمة التى تكون عن إيمان ، لا عن شهوة ، أو ضعف عاطفة .

وقوله « عذاباً نكراً » يدلك على مدى ما فى قلب ذى القرنين من كراهية مقيتة ، وبغض شديد لهم .

أضرع إلى الله أن يجنبنا أسباب غضبه وكرهه ، وأن يهدينا سبيل رضاه ومحبته .

« وأما من آمن ، وعمل صالحاً ، فله جزاءً الْحُسْنَى ، وسنقولُ له من أمرنا يُسْراً » قرر أن جزاء الله بالحسنى يتوقف على أمرين : الإيمان ، والعمل الصالح . فبالإيمان يحقق طهارة باطنه ، أو عقيدته ، وبالعمل الصالح يطهر ظاهره ، أو سلوكه ، فيطابق الظاهرُ منه الباطن ، فلا يعيش بأحدهما للرحمن ، وبالآخر للشيطان ، أو كما تقول الصليبية : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . كلا ، فالأمر فى الإسلام لله جميعاً ، باطن العبد لله ، وظاهر العبد لله سبحانه ، ولا يكفى فى النجاة إيمان ، واقتراف عمل يناقض الإيمان ، والعكس أيضاً صحيح ، لأن الله لا يقبل عملاً لا ينبعث عن نية صالحة ، وتقويم العمل الصالح بأمرين . أولهما : أن يكون خالصاً لله نقياً من شوائب الشرك . وآخرهما : أن يكون مطابقاً لما نزل الله . من يؤمن ويعمل صالحاً يجزه الله بالحسنى ، وقد فصل القرآن الحسنى ، هذا جزاؤه من الله . أما جزاؤه من ذى القرنين ، فإنه سيقول له من أمره اليسير ، أى لن يطلب منه ما يشق عليه القيام به ، وإنما سيأمره بما يسهل عليه القيام به ، ولعل الضد يعطينا صورة من صور التعذيب التى أنزلها بالظالمين ، أى العسر من القول .

اللهم هب لنا من رضوانك السعادة فى الدنيا وفى الآخرة .

عبد الرحمن الوكيل

قيل لبعض الصالحين : ماتقول فى صلاة الليل ؟ فقال : خف الله بالنهار ، ونم بالليل.

(٣) الله مستو على عرشه ولو كره المعطلون

وأخيراً بعد أن أفرغت الجمعية السبكية كل ما فى جعبتها ورمت بآخر سهم فى كنانتها وسلطت علينا أطول لسان من ألسنتها ، لا يتكلف السب ولا يتعمله بل يصدر منه عفواً بلا تعب ، كأنه فيه سجية وطبع .

نقول لها شكراً شكراً ، فقد لان منك المقاد بعد طول لجاجة وعناد ، وقاربت أن تلتقى معنا على نهج الهدى والرشاد ، إذا كان صدق هذا (الفايد) فيما أبدأ فيه وأعاد ، وإذا كانت جمعيته على استعداد لأن تعترف بكل ما قاله بغير نكوص ولا التواء ؛ فقد عودتنا هذه الجماعة أنها لا تعبأ بما يقوله علماؤها ، إذا كان مخالفاً لما ورثته عن شيخها ، بل قد تتنكر له وتضطر قائله إلى الرجوع عنه ، أو إلى إخفائه وكتمانه ، كما فعلت منذ قريب بفضيلة الشيخ عبد اللطيف المشتهرى ، وهو من أمثل علمائها وأعفهم لساناً وأغزرهم علماً .

ولكن سيان عندنا أن يصدق هؤلاء أم لم يصدقوا ، فقد سجلوا على أنفسهم هذا الرجوع إلى مذهب أهل الحق فى إثبات الصفات كلها ، بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ، واعترفوا على لسان هذا الكاتب بأن مذهب السلف هو الحق الواجب الاتباع ، وأنه الأسلم والأعلم والأحكم ، وأن مذهب الخلف فى التأويل والتعطيل بدعة ضلالة . فنحن لا نحاكمهم الآن إلا إلى ما قالوه وشهدوا به على أنفسهم حتى لا يجدوا منفذاً إلى تهرب أو اعتذار .

وبعد أن نزجى شكرنا لهذه الجماعة على رجوعها إلى الحق بعد طول إصرار وعناد ، وبعد أن نسأل لها التثبيت من الله عليه ، وأن لا يزيغ قلوبها بعد إذ هداها ، نرجع إلى إلى مناقشة الشيخ فايد فيما اشتمل عليه مقاله الطويل معرضين عن فحشه غير مقابلين له بمثله ، وحسبنا أن نذكره بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس المؤمن باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذىء) . وعليه هو بعد ذلك أن يفتش عن إيمانه فيما بين هذه الخصال الأربع التى اجتمعت كلها فيه .

ولعل عنوان كلمته وخذه كاف ليدل قراءة مجلته التعساء على ما بلغه فضيلته فى باب السب والهجاء من عبقرية يتقاصر دونها (الحطيئة) أفحش الشعراء .

يقول فضيلته : (لم أكن أحب أن أخوض هذه المعمعة التى نشبت بين الشيخ خليل هراس ومناظريه الأساتذة الأجلاء حول صفات الله لأمور) .

ولست أعرف أحداً من أساتذته الأجلاء ناظرنى أو ناظرته حول صفات الله ، وإنما طلعت علينا مجلته (الاعتصام) فى عددها الصادر غرة صفر بمقالين فى هذا الصدد أحدهما للمسمى (حسام الدين القدسى) والآخر للمدعو (محمد على أحمد) وأنا لم أر هذين الشخصين قط ولا تشرفت بلقائهما ، فمتى وأين إذاً كانت هذه المناظرة ؟ يظهر أن فضيلة المدرس بمعهد القاهرة الثانوى يجهل آداب البحث جهلا تاماً ، فلا يعرف مثلا أن المناظرة لا بد من التقاء المتناظرين فى مجلس يعقد خصيصاً لذلك ، فيتبادلان الحجج ويتطارحان الشبه ، ويوجهان الأسئلة . ولا يعرف كذلك أن المناظرة تقوم على تحقق الكفاءة بين المتناظرين فى موضوع النزاع ؛ فأين الكفاءة التى يمكن أن تتحقق بين ادعاء على موضوع ليسوا منه بأنف ولا ذنب ، وبين أستاذ متخصص فيه قد أفنى فيه عصارة عمره دراسة وبحثاً وكتابة وتأليفاً ، وقدم فى هـذا الموضوع نفسه رسالة نال بها أرقى الشهادات الأزهرية ، وهى العالمية من درجة أستاذ ، وألقى فيه الكثير من المحاضرات العامة والخاصة التى زلزلت أركان مذهب التعطيل والتأويل ، وبصرت المسلمين بمذهب سلفهم الصالح فى الإثبات بلا تأويل ولا تمثيل .

ثم يقول : (حفظت منذ الصغر قولا مأثوراً عن الإمام الشافعى كان له أعمق الأثر فى نفسى وهو (رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضاً ، ورأيت أهل الفقه يخطىء بعضهم بعضاً ، والتخطئة أهون من الكفر) .

ونحن نقول له : إن السلف كلهم ، وليس الشافعى وحده ، كانوا يمقتون علم الكلام ويتبرأون من أهله ، ويحذرون المسلمين من بدعتهم والاستماع إليهم ، لأنهم يقررون

أموراً لم ترد فى كتاب ولا سنة ، ويحدثون فى الدين من الضلالات ما قد يخرج بهم وبمن قلدهم فيها من حظيرة الإيمان .

وهذا هو بعينه ما حمل أنصار السنة أن يشددوا النكير على جماعة المؤولين لآيات الصفات وأحاديثها ؛ لأنهم يخرجون بالنصوص عن معانيها الحقة التى لا تدل إلا عليها ، جرياً وراء جهليات كاذبة يسمونها عقليات ، فإن هذا التأويل للنصوص إنما هو بضاعة كلامية صرفة لا تجدها إلا عند مارقة المعتزلة وضلال الجهمية ، وليس هناك بحمد الله سلفى واحد يدين بها .

فإذا كنت صادقاً فيما تزعم من كراهتك لعلم الكلام منذ صغرك ؛ فلماذا تعيب على أنصار السنة أنهم يخطئون علماء الكلام ، وينقمون منهم أنهم أفسدوا الدين على أهله ، وصرفوا الناس عن ينابيعه الصافية من الكتاب والسنة المطهرة ، وأوردوهم بدلا منها موارد منتنة كلها جيف وأقذار ؟ ولماذا حميت لبعض الشيوخ وأثارك طعنى فيهم بأنهم كلاميون يستمدون عقيدتهم من كتب أعاجم المتكلمين ، ولماذا سكتَّ عما فى كتب شيخك من آثار كلامية وتأويلات باردة متكلفة اعتمد فيها على كتاب (تأسيس التقديس للرازى) الذى هو شر كتاب ألف فى باب التعطيل والتأويل .

إننا جماعة أنصار السنة نجرى على نهج سلفنا الصالح فى مقتهم لعلم الكلام ، ونرى أن بدعته فى الإسلام لا تقل خطراً عن بدعة الصوفية ، فهو مفسد للجانب النظرى الاعتقادى من الدين كإفساد الصوفية للناحية الإرادية العملية ، وليس فى كتبنا بحمد الله شىء من علم الكلام المذموم ، وإنما فيها تقرير للعقائد الإيمانية المستمدة من الكتاب والسنة ، ومن أقوال سلف هذه الأمة الذين هم أكملها إيماناً وأعدلها طريقة وأبعدها عن الزيغ والكفران .

ثم يقول (إن هذا الموضوع نشب فيه الخلاف قديماً وحديثاً وقد شبع بحثاً وألفت فيه كتب كثيرة تشرح وجهة نظر الطرفين) .

فهل يدرى متى نبت الخلاف فى هـذا الموضوع ؟ إنه لم ينبت فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فقد كانوا بحمد الله على رأى واحد فى العقيدة يقرأون نصوص الكتاب والسنة ويفهمونها ويثبتون لله ما تضمنته من صفات مع التنزيه له عن مماثلة شىء من خلقه . ولكنه نبت فى أواخر عصر التابعين حين ظهر (الجعد بن درهم) بمقالته الشنعاء فزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم الله موسى تكليماً ، فضحى به خالد بن عبد الله القسرى أمير واسط فى يوم عيد الأضحى ، وشكر له علماء السلف صنيعه فى هذا المبتدع . ثم شايعه فى بدعته الجهم بن صفوان الترمذى الذى قتله (نصر بن سيار) .

ثم تلقف المعتزلة الكرة من بعدهما وأكثروا الصيال فى ميدان النفى والتعطيل ، لا سيما بعد ماصار خلفاء بنى العباس كالمأمون والمعتصم مشايعين لهم فى بدعهم . فأخذوا يحركونهم إلى الوجه الذى يريدون ويستعدونهم على كل من خالفهم من أئمة السلف فى أصولهم الفاسدة وأقوالهم المبتدعة ، كالقول بخلق القرآن ، ونفى الصفات جملة ، وإنكار رؤية الله فى الآخرة ، والقول باستقلال العبد وخلقه لأفعاله الاختيارية الخ .

إلى أن ظهر الإمام (أبو الحسن الأشعرى) من بين صفوف المعتزلة فأعلن البراءة منهم وسلك طريقة السلف فى إثبات الصفات ولكن بقيت عنده رواسب اعتزالية بعدت بمذهبه عن طريقة السلف وأهل الحديث ، ولو أنه أقرب المذاهب إلى الحق . ومضى من بعده تلامذته كابن مجاهد وأبى بكر الباقلانى على طريقته فى الإثبات إلى أن جاء (أبو المعالى الجوينى) وكان رجلا طُلَعَة نخاض فى علوم الفلسفة وقرأ تأويلات المعتزلة واغتر برواء مذاهبهم ، ووجدهم ينعتون أهل الإثبات بالألقاب الشنيعة مثل قولهم حشوية ومشبهة ومجسمة ونوابت ونحو ذلك ، فرغب عن طريقة أساتذته الأشعرية وجرى فى ركاب المعتزلة . ولكنه بقى حائراً متذبذباً مرة يثبت الصفات ويحرم التأويل كما فى رسالته (النظامية) ومرة يؤول كما فى كتابه (الإرشاد) ثم مال الأشعرية كلهم من بعده إلى اقتفاء أثره فى التأويل ، واستحسنوا طريقته ووصفوها بأنها أعلم وأحكم ، وأشاحوا بوجوههم عن طريق سلف الأمة وإن قال بعضهم إن طريقتهم أسلم .

هذا هو محل تاريخ الخلاف حول مسألة الصفات ، يتبين منه أنه خلاف مبعثه الهوى والجموح العقلي لدى طوائف المعتزلة والفلاسفة ومتأخرى الأشعرية . ويتبين منه أيضاً لماذا لقب بعض العلماء متأخرى الأشعرية بأنهم مخانيث المعتزلة لأنهم لم يكونوا أصلاء فى هذا الباب (باب التأويل) وإنما كانوا أذناباً لغيرهم من المعتزلة .

ثم يقول : (نعم ، كنت أوثر أن أتجنب هـذه المعركة التى أثارها الهراس فى بنها ، غير أنه ألح على علماء أجلاء وأساتذة فضـلاء[1] أثارهم طعن الهراس فى شيوخ الإسلام والأزهر) .

وأقول : إن الهراس لم يثر مشكلة لا فى بنها ولا فى غير بنها وإنما ، أثارها ذنب من أذناب جمعيتكم قام بعد الصلاة يعترض علىّ بأنى فسرت قوله تعالى (ثم استوى على العرش) بعلوه سبحانه وارتفاعه فوق عرشه ، وأخذ يشير بيده يصغر من العرش ويقلل من قدره ويقول : كيف يستوى ربنا على جسم صغير كالعرش ، فأثار غضبى حين رأيته يوقظ فتنة ، وقلت له : أتحسب أن العرش هو سطح بيتك — أرأيت إلى هذا الفضاء الواسع الذى تسبح فيه ملايين النجوم وفيها ما يكبر أرضنا هذه ملايين المرات ، إنه لا يعدو أن يكون فى السماء الدنيا كحلقة ملقاة فى فلاة ، وهى بالنسبة للتى تليها كحلقة فى فلاة ، ثم السموات السبع كلهن فى جوف الكرسى كحلقة فى فلاة ، والعرش لا يعلم قدر عظمته واتساعه إلا من استوى عليه سبحانه وتعالى ، وقلت له : إذا لم يكن الله فوق عرشه فأين يكون ؟ فإن قلت : فى كل مكان ، فهذا هو الحلول الذى يتنزه الله عز وجل عنه ، ويكفر من اعتقده ، وإن قلت ليس له مكان فقد نفيت ربك وعطلت وجوده ، وصرت كهؤلاء الشيوعيين الذين يتهكمون بأنهم صعدوا إلى السماء فلم يجدوا الله هناك .

ولما رأيت اللغط قد كثر فى المسجد قمت وانصرفت بين إلحاح إخوانى المؤمنين على أن أمضى فى الدرس ، وأما هو فذهب وذاب كما يذوب الملح فى الماء ، مشيعاً بنظرات السخط والاحتقار .

---

(١) لماذا ألح عليه هؤلاء الفضلاء والأساتذة الأجلاء ولم يقوموا بأنفسهم بالكتابة والرد .

وأما علماؤك الأجلاء ، وأساتذتك الفضلاء الذين ألحوا عليك في الكتابة انتصافاً لشيوخهم ، فكنا نحب أن تسميهم لنا لنعلم مقدار حظهم من الفضل والجلالة التى أسبغتها عليهم ، وما كنت أحسب قد بقى منهم فى هذه الديار أحد ، ولماذا غضب أساتذتك الأجلاء لشيوخهم ، ولم يغضبوا مرة واحدة لله ؟ والإسلام فى كل يوم يؤذى ويمتهن وتصوب إليه سهام الكيد اللئيم والطعن الأثيم ؟ ثم أين ذلك الطعن الذى أثار حفائظهم حتى انتدبوك ثقة منهم بطول لسانك لتذب عن شيوخهم ؟ .

إن ما قلته فى ردى السابق على الشيخ مصطفى مجاهد ليس طعناً ، وإنما هو تقرير للواقع وللحقيقة المرة ؛ فواقع الأزهر فى كل عصوره يشهد بأنه قد تبنى رأى الخلف فى الصفات ، وكان أول ما قرع أسماعنا عند ما انتسبت إلى الأزهر قول الباجورى : (يجب لله عشرون صفة هى : الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث إلخ) .

ثم تدرجنا فى دراسة التوحيد من كتاب إلى كتاب حتى إذا انتهينا إلى كتبه الكبار التى ألفها الأبطال المغاوير من علماء الكلام أمثال الرازى والآمدى وعضد الدين الأيجى والسعد التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى والجلال الدوانى ، فلم نر اختلافاً بين القوم إلا بالإجمال والتفصيل ، ولم نجد إلا توسعاً فى التعطيل والتأويل ، ونذهب نتحسس مذهب السلف فى بطون هذه الأسفار الضخمة التى امتلأت بكلام زنادقة الفلسفة وجهابذة الاعتزال ، فلا نجده يذكر إلا فى بضعة أسطر على سبيل الحكاية ، وبلهجة تنم عن الاحتقار والزراية .

وليته مع ذلك يذكر على حقيقته ، بل يصور تصويراً يضحك منه الأطفال فيقولون إن السلف كانوا مفوضة يقرأون آيات الصفات تعبداً فقط بتلاوتها ، دون أن يفهموا منها شيئاً[1] ، فهم فى نظرهم كهؤلاء الذين قال الله فيهم : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) .

ومذهبهم أشبه بمذهب العامة ومن فى حكمهم من الصبيان والعجائز الذين لا دراية

---

(٢) يعنى كأنها ألفاظ أعجمية تخللت جملة عربية !

لهم بالمعقول ولا بالمنقول ، فهل ترى أبلغ فى الزراية بمذهب السلف من هذا الكلام الذي يجردهم من كل فهم وعلم ، ويسلبهم حتى ميزة الإنسان ؟ . ومع ذلك فقد أطبق علماء الكلام الذين درسنا لهم فى الأزهر على تصوير مذهب السلف بهذه الصورة التى لا يرضاها عاقل لنفسه ، فهذا هو الواقع الذى تريد يافايد ويريد أساتذتك الأجلاء أن تغمضوا أعينكم عنه ، وأن تتستروا عليه .

ولكننا إن شاء الله لن نغمض أعيننا على قذى ، وسنشير إلى كل متهم بما يعرف الناس به ، وسنقول للمحسن أحسنت وللمسىء أسأت ، ولا ميزان عندنا لإحسان الرجل أو إساءته إلا بمقدار اتباعه للكتاب والسنة وحدهما ، وأكرر لك ما سبق أن قلته لمجاهد قبلك ، إنى لا أعرف شيئاً اسمه الأزهر ، وإنما أعرف شيئاً اسمه الإسلام ، وأنا لا ألتمس الإسلام إلا بين دفتى المصحف وفى دواوين السنة .

وقد عرفت الدنيا علماء كثيرين فهموا الإسلام أقوى وأعمق مما فهمه كثير من علماء الأزهر . فدعوا هذه العصبية فإنها منتنة ، واتركوا الحمية ولا تتعلقوا إلا بالإسلام وحده، فهو الذى أذهب الله به عنا عبية الجاهلية وعصبياتها المردية .

ثم يقول : (فطلبوا أن أكتب كلمة فى هذا الموضوع تضع الأمور فى نصابها وإجابة لطلبهم أقول) :

فانظر كيف شهد هـــذا المسكين على نفسه أنه لم يكتب هذه الكلمة لوجه الله ولا نصرة للحق ، وإنما كتبها إجابة لطلب من وسوسوا له وأثاروا حميته الجاهلية ؛ فكتبها للتشفى والانتقام ، ولهذا خذله الله ، ولقيت كلمته لدى النفوس المؤمنة حتى من أعضاء جماعته منتهى السخط والاستنكار .

ثم يقول : (يجب أن نثبت لله ما أثبته الكتاب والسنة الصحيحة ، وننفى عنه ما نفياه ، فنثبت لله السمع والبصر والعلم ونحو ذلك ، وننفى عنه الوالد والولد ومثل ذلك).

وهكذا بعد اللتيا والتى، وبعد عناد دام أكثر من ثلاثين عاماً شنت فيها هذه الجماعة

السبكية على أنصار السنة حرباً ضروساً ، تكفرهم على منابرها ، وتصرح بلعنهم ، وتحذر الناس من الاستماع إليهم ، ويفتى شيخها فى مقدمة كتابه « إتحاف الكائنات » بأن من يثبت استواء الله على عرشه بمعنى علوه وارتفاعه عليه ، فهو كافر تبين منه امرأته ، وإذا مات لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

أقول بعد ذلك كله : تصر هذه الجماعة على لسان كاتبها النحرير ومحاميها الخطير ، أنها تثبت لله ما أثبته الكتاب والسنة ، وتنفى عنه ما نفاه الكتاب والسنة ؟ .

ترى ما سر هذا الانقلاب الخطير ؟ نسأل الله أن تكون هذه الجماعة قد فاءت إلى رشدها ، وأن تكون جادة هذه المرة فيما أعلنته من الوقوف مع الكتاب والسنة فى النفى والإثبات جميعاً والدوران معهما حيث دارا ، دون زيغ أو تعطيل ، وهو المنهج الذى ظلت جماعة أنصار السنة منذ نشأتها تدعو إليه وتجاهد فى سبيله وتتحمل كل ما يوجه إليها بسببه من هجمات .

ولكننا مع ذلك لا نكاد نصدق أن جماعته ولا تزال أقلام كتابها تقطر من مداد النفى والتعطيل ، تتحول بين عشية وضحاها إلى اعتناق مذهب السلف الذى طالما حاربته خلال عمرها الطويل ؛ فإنه ليس من المألوف فى تاريخ الجماعات أن تتخلى عن مبادئها بمثل هذا اليسر ، لا سيما إذا كانت قد ورثتها عمن تعتقد عصمته وتقدس شخصيته .

وهذا ما يجعلنا نشك فى كلام هذا الكاتب ، ونظن أنه من قبيل الدعاية والاستهلاك المحلى كما يقولون ، والذى يظهر لنا ــ والله أعلم ــ أن هذه الجماعة قد أحست بمدى الخطر الذى بات يتهددها من انتشار دعوة الحق بين صفوفها ، حتى تخلى عنها عدد كبير جداً من أفضل رجالاتها فى : طنطا والمحلة وبنها وكفر حجازى وسندبسط والقرشية وغيرها ، فرأت أنها لو بقيت على جمودها فى اتباع بدعة التعطيل والتأويل ؛ فلن يمضى عليها طويل وقت حتى تصفر فيها البوم ، فأخذت تتراجع فى حركة بارعة وتعلن فى تبجح على لسان كاتبها أن الإثبات هو مذهبها الذى اعتنقته منذ نشأتها ، وأن شيخها ومؤسسها كان هو أيضاً يدين بهذا المذهب .

ولكننا لن نصدق زعم هذا الكاتب إلا إذا أصدر مجلس إدارة جمعيته بياناً يقر هذا الاتجاه الجديد فى إثبات الصفات كلها، لا سيما الاستواء والعلو، بلا تعطيل ولا تمثيل .

ثم يقول : (ما أثبته الله لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله مما يستعمل فى خلقه يجب أن نؤمن به على وجه يليق بكماله ونفوض العلم بكنهه لله تعالى ، وننزه المولى سبحانه عن المشابهة والمماثلة للحوادث ، وعن كل ما يوجب نقصاً أو حدوثاً) .

ونحن نوافق الكاتب على كل كلمة أوردها فى هذه الفقرة ، ونرى أنه قد وفق فيها كل التوفيق ، فإن كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله مما يوجد جنسه فى المخلوق يجب أن نثبته له على الوجه الذى لا يماثل صفة المخلوق .

فكما أثبتنا له سبحانه الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر على الوجه الذى لا يماثل حياة المخلوقين ولا علمهم إلخ .

كذلك يجب أن نثبت له ما ورد به السمع من صفات الاستواء والنزول والوجه واليد والعين والقدم والساق والإصبع والرضى والغضب والمحبة والكراهة والفرح والضحك والعجب وغيرها ، على الوجه الذى لا يماثل استواء المخلوقين ولا نزولهم إلخ .

ولكن يجب أن نعتقد أن هذه الألفاظ دالة على معان ثابتة له سبحانه ، فنؤمن بثبوت هذه المعانى ثم نفوض العلم بكنهها وكيفياتها إلى الله ، كما قال مالك رحمه الله لمن سأله عن كيفية الاستواء (الاستواء معلوم والكيف مجهول) ، فقد فرق بين المعنى المعلوم الذى هو مدلول اللفظ ، وبين الكيف المجهول الذى لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

فهذا هو ما يجب أن يجعل دستوراً فى باب الصفات نؤمن بها فى غير جحود ولا تعطيل ، وننزهه عن التكييف والتمثيل كما قال تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ، فنفى عن نفسه المثل وأثبت السمع والبصر ، وهما من صفات المخلوقين .

ثم يقول : (لفظ المكان والجهة لم يردا فى كتاب ولا سنة منسوبين لله تعالى وقد كان سلفنا الصالح يمسك عن وصف الله تعالى بألفاظ لم يرد إذن من الشارع بإطلاقها

فواجب على من يريد أن يسلك مسلك السلف أن يتحاشى نسبة هذين اللفظين إلى الله) .

فماذا يعنى بقوله : إن لفظ المكان والجهة لم يردا فى كتاب ولا سنة ؟ هل يعنى بذلك نفى المكان والجهة مطلقاً عن الله عز وجل ، فإن كان ذلك فهذا هو التجهم والتعطيل الذى ادعى براءته هو وجمعيته منه ، وكان إيمانه حينئذ بالاستواء والعلو والفوقية إيماناً بألفاظ لا مدلول لها ، كما هو شأن المفوضة أو المؤولة بعلو الرتبة ونحوه ، كما هو دأب المعطلة ، وإلا فمن آمن بأن الله فى السماء ، كما أخبر عن نفسه وأنه مستو على عرشه عَلِيٌّ على خلقه ، كيف لا يؤمن بأنه فى تلك الجهة ، وأنه فى مكان ما ، فوق العالم حيث لا يحصره ولا يحيط به شىء من خلقه .

وإذا لم يكن الله فى مكان ولا جهة ، فبماذا يفسر لنا فضيلته إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء فى خطبته يوم عرفة وهو يقول (اللهم اشهد) فهل كان يشهد جرم السماء على ما أقر به أصحابه من قيامه بواجب التبليغ والأداء ، وبماذا يفسر سؤاله للجارية التى كان يمتحن إيمانها بقوله « أين الله » وإقراره لجوابها حين قالت فى السماء ؟

هل فضيلة المدرس بمعهد القاهرة الثانوى لم يبلغه أن « أين » يستفهم بها عن المكان ، أو أن «فى» تدل على الموجود فيه ، وبماذا يفسر كذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة الصحيح « فأستأذن على ربى فى داره ، فإذا رأيته خررت ساجداً له » وقوله فى الحديث الصحيح الآخر « وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » .

وقوله فى حديث أبى رزين حين سأله : « أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ » « كان فى عماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، وكان عرشه على الماء » .

نعم ، لم يصرح الشرع بلفظ الجهة والمكان والحيز ونحوها ، لأنها ألفاظ مجملة ، لا يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى قبل البيان والتفصيل ، لأن إطلاقها فى الإثبات قد يوهم أن الله فى جهة أو مكان أو حيز داخل هذا العالم ، وهذا حلول يجب تنزيه الله عنه ،

كما أن إطلاقها فى النفى قد يوهم نفى ما أثبته الكتاب والسنة من علوه تعالى ووجوده فوق عرشه .

وهذا هو موقف الشرع بالنسبة لجميع الألفاظ المجملة لا يطلقها على الله لا فى النفى ولا فى الإثبات ، لأنها تتضمن حقاً وباطلا ، فإطلاقها فى النفى يستلزم نفى ما فيها من حق وإطلاقها فى الإثبات يستلزم إثبات ما فيها من باطل ، فلا بد فيها من التفصيل ليعلم ما فيها من حق فيثبت ، وما فيها من باطل فينفى .

ثم أليس العلو والفوق الثابت لله عز وجل بصريح الآيات والأحاديث ، هو جهة من الجهات الست ، فكيف نثبته له مع نفى الجهة ؟ . وهل هذا إلا كقولنا : الشمس طالعة ، ولكن النهار غير موجود ؟ ولكن منطق الشيخ فايد وجماعته يبيح لهم إثبات شىء مع نفى لازمه ، فاعجبوا يا ذوى الألباب !!

ثم يقول (فواجب على من يريد أن يسلك مسلك السلف أن يتحاشى نسبة هذين اللفظين إلى الله ، ويكتفى بإثبات ما ورد مع التنزيه والتفويض فى كل ما يوهم المماثلة ، فيقول : إن الله استوى على عرشه استواء يليق بكماله ، ولا يشبه استواء المخلوقات ، ولا يعلم كنهه إلا الله ، وكذلك يقول فى العلو والفوقية والوجه واليد والعين فيثبتها مع التنزيه والتفويض ، يؤمن بها كما وردت دون تفسير أو تكييف أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل) .

ونحن نتحدى الشيخ فايد أن يدلنا على سلفى واحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان ، أو تابعى التابعين ، كالأئمه الأربعة ، ومن فى طبقتهم نفى عن الله الجهة أو المكان تصريحاً أو تلميحاً ، وكيف يظن ذلك بهم وهم قد أجمعوا على أن الله فوق سمواته ، على عرشه ، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيما رواه عنه الحافظ الذهبى بسند صحيح « العرش فوق الماء والله فوق عرشه لايخفى عليه شىء من أعمالكم » .

وكما قال عبد الله بن رواحة الخزرجى ، أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم :

علمت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمين

وهذا أبو حنيفة رحمه الله ، يروى عنه صاحب الفقه الأكبر ، أنه كفَّر من قال لا أدرى ، إن كان الله فى السماء أو فى الأرض ، وعلل كفره بأنه خالف قوله تعالى (الرحمٰن على العرش استوى) وعرشه فى السماء لا فى الأرض .

وسأل عبد الله بن المبارك إمام خراسان ، كيف نعرف ربنا ؟ فقال بأنه فى سمواته على عرشه ، بائن من خلقه .

ولا نستطيع أن نحصر ما أثر عنهم فى هذا الباب ، فمن شاء زيادة فليرجع إلى الكتب التى عنيت بذكر هذه الآثار ، مثل (العلو للعلى الغفار) للإمام الذهبى و (اجتماع الجيوش الإسلامية) للعلامة ابن قيم الجوزية الخ .

❋ نعم ، إن السلف لم يطلقوا لفظ المكان والجهة ، لا فى الإثبات ولا فى النفى كما قدمنا لإيهام هذين اللفظين واحتمالهما ، ونحن كذلك مع السلف ، نكتفى بإثبات ما ورد لا نتزيد على الله ولا على رسوله ، ولا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله على التنزيه لله عن عن مماثلة خلقه فى شىء من صفاته ، ومع التفويض لله فى كنه ذلك وكيفيته .

فنحن إذا أثبتنا الاستواء لله ، لا نفهم منه ما يفهم من استواء المخلوق على المخلوق ، بل لا نفهم منه إلا علوه وارتفاعه ، مع تنزيهه سبحانه عن المماسة والملاقاة والاستقرار والمحايثة ، بل مع الانفصال والمباينة ، ونفوض علم كيفية ذلك الاستواء إليه جل شأنه ، كما قال مالك (والكيف مجهول) ولكن التفويض فى الكيفية لا يعنى أبداً نفى الصفة ، ولا صرف اللفظ عن حقيقته ، ولا يعنى التفويض فى معنى اللفظ ، بل المعنى معلوم ، والكيف مجهول .

ثم يقول : (بهذا نتبع سلفنا الصالح ، ولو أننا سلكنا مسلكهم بحق ، والتزمنا منهجهم بصدق ما تشعب الخلاف بين المسلمين ، وما اتسع الخرق على الراقع) .

ونحن نسأل هذا الكاتب وجماعته ، أى الفريقين منا ومنهم ، هو الذى سلك مسلك السلف بحق والتزم منهجهم بصدق ، فهذه كتبنا وكتبهم تشهد علينا وعليهم ، ونحن نتحدى كل أحد أن يجد فى كتبنا شيئاً يخرج عن هذا المنهج ، أو يخالفه ، وأنا

شخصياً قد ألفت فى هذا الموضوع كتباً قرأها آلاف المسلمين فما أنكر أحد منها حرفاً .

وقد قلت فى كتابى (دعوة التوحيد) ما نصه :

(الأساس الثانى : أن الله عز وجل فى كل ما ثبت له من الأسماء والصفات ، لا يماثل شيئاً من خلقه ، ولا يماثله شىء ، بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التى وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به لا يشركه فيه أحد من خلقه ، وليس معنى هذا أن ما يطلق على الرب ، أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره ، فقد يكون الاسم مشتركاً بينه وبين غيره ، أو بين صفته وصفة غيره ، ولكن هذا الاشتراك فى الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء .

فتسميته تعالى عالماً ، وتسمية العبد عالماً ، لا يوجب مماثلة علم الله لعلم العبد ، وكذا تسميته تعالى حياً ومريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً ، إلى غير ذلك من الأسماء التى قد تطلق على المخلوقين لا يوجب أن تكون إرادتهم كإرادته ، ولا حياتهم كحياته ، الخ .
إلى أن قلت : وإذا فهم هذا الأساس الثانى على هذا الوجه المبين لم يكن هناك موجب أصلاً لمعنى بعض الصفات الثابتة فى الكتاب والسنة ، بحجة أن إثباتها يوهم المماثلة بين الله وبين خلقه ، وذلك لأنها إذا أطلقت على الله عز وجل حملت على ما يليق به مما لا يماثل صفة المخلوق ، وإذا أطلقت على المخلوق حملت على ما يليق به مما لا يماثل صفة الخالق ، وحينئذ لا نحتاج إلى التعسف فى تأويل هذه النصوص وصرفها عن معانيها المتبادرة منها لا سيما وأن هذه النصوص فى الكتاب والسنة من الكثرة والصراحة ، بحيث لا يمكن تأويلها إلا إذا اعتبرنا الشرع كله أحاجى وألغازاً لا يدل لفظ منه على معناه ، وهذا اتهام للشرع بأن خطابه غير مفهم ولا مبين ، ولا دال على الحق الذى يجب اعتقاده .

هذا هو شأننا فى باب الصفات كله ، تمسك بالكتاب والسنة واتباع لسبيل المؤمنين من سلف هذه الأمة كما تدل عليه كتبنا ويسمعه منا الناس فى دروسنا ومحاضراتنا

أما هذا الكاتب وجماعته فلا مرجع لهم فى باب الصفات إلا كتاب ألفه شيخهم

وسماه (إتحاف الكائنات) وقد أطلق عليه أحد إخواننا بحق (الإجحاف برب الكائنات) فهو كتاب غث متهافت لا يخرج قارئه بشيء ولا ينتهى إلا إلى الحيرة والاضطراب فبينما هو يورد بعض العبارات عن السلف تظهر منها بشاشة الإيمان ، إذا به يحشد لك جيوشاً من ظلمات أهل التعطيل والكفران ، ولا عمدة له فى باب التأويل إلا كتاب الرازى المسمى (تأسيس التقديس) كما ينقل فيه عن محيى الدين ابن عربى وغيره من ملاحدة الصوفية أصحاب وحدة الوجود وعن المعتزلة مثل الزمخشرى صاحب الكشاف ويلقبه بالإمام .

وإليك نموذجاً مما يقوله صاحب هذا الكتاب يمكنك من الحكم عليه حتى لا يتهمنا أحد بالتجنى والإسراف قال « والنصوص فى هذا (نفى المكان والجهة) كثيرة وهى كما ترى متفقة على السلف والخلف مجمعون على أن الله تعالى منزه عن المكان لما ذكر من الأدلة وقد تقدم قول الإمام على رضى الله عنه كان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان وقول الشافعى رضى الله عنه إن البارى لا مكان له لأنه كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير فى ذاته والتبديل فى صفاته ولأن ماله مكان وله تحت يكون متناهى الذات محدوداً والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك » .

« وقد تقدم تمامه أول الكتاب وتقدم أن جمهور السلف والخلف على معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقى وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو الحسن الأشعرى والباقلانى) اهـ » .

فانظر كيف ادعى إجماع السلف والخلف على أن الله منزه عن المكان ثم نسب إلى على رضى الله عنه ما لا يعقل أن يقوله ثم نقل عن الشافعى رحمه الله هذا النص العجيب الذى تبرأ منه ذمته ، ثم ادعى إجماع السلف والخلف على أن معتقد الجهة كافر ، ثم قال« وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو الحسن الأشعرى والبقلانى » مع أن

من هذا الكتاب أيضاً حتى لا يغتر أحد بما يقوله هذا الكاتب من دين شيخه الخالص ، وأنه جاء بلب اللباب وفصل الخطاب فليس فيه ما ينكر ولا يعاب .

يقول « أما ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فقد أجمع السلف والخلف رضى الله عنهم على أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم اختلفوا فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث فالسلف يفوضون علم معانيها إليه تعالى فيقولون إن الاستواء فى آية (الرحمن على العرش استوى) لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليه لأنه تعالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش لأن القرآن الذى منه الآية قديم موجود قبل إيجاد العرش فكيف يعقل أنه استقر على عرش غير موجود ؟ ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان يحل فيه بل هو غنى عنه فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها . والخلف يقولون الاستواء معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك ومذهب السلف أسلم لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف .

« ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربى والقرآن عربى وحملهم على التفسير المذكور ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبهة والمجسمة فى زمانهم الخ » اهـ .

هذا نموذج من كتاب (الدين الخالص) يسمى فيه صاحبه آيات الصفات وأحاديثها متشابهة ويدعى أجماع السلف والخلف على أنها مصروفة عن ظواهرها ويفسر مذهب السلف بأنهم كانوا مفوضة لا يفهمون معانى هذه الآيات والأحاديث ويحتج لصحة مذهب الخلف فى التأويل بوجود المجسمة والمشبهة . ونحن نتحدى هنا أيضاً أن يأتينا أحد بنقل صحيح عن أحد من السلف أنه قال عن هذه النصوص إنها مصروفة عن

ظواهرها أوسماها متشابهات . أو أن القرآن الذى منه الآية قديم موجود قبل إيجاد العرش الخ ؛ وأنه ادعى أن الله قديم موصوف باستوائه على العرش . قبل خلق العرش ؟

وبعد : فهل لا يزال هذا الكاتب مصراً على أن شيخه رجع فى آخر حياته وآخر كتبه إلى اعتناق مذهب السلف فآمن بوجود الله فوق عرشه وعلوه على خلقه أم إن آخر أمره كأوله ومذهبه فى كتبه كلها واحد لا اختلاف فيه ؟ ثم يقول الشيخ فايد (أقوال الأئمة فى ذلك) ويورد عن الحافظ بن كثير فى تفسيره وعن ابن قدامة الحنبلى صاحب (المغنى) بعض ما جاء فى رسالتيه السلفيتين (لمعة الاعتقاد) و (ذم التأويل) .

وهذا يعد فى نظرنا أكبر حدث فى تاريخ الجمعية الشرعية ، فما كانت منذ عهد قريب تطيق سماع عبارة واحدة من هذه الكتب التى ألفت فى بيان عقيدة السلف ، بل كانت تنفر من صحيح البخارى نفسه حين تُدعى إلى قراءة باب الصفات منه حتى يقول بعضهم مازحا : وما يدرينا لعل هذا البخارى الذى عندكم غير البخارى الذى يعرفه المسلمون !! وكانوا لا يطيقون حتى سماع آيات الصفات التى تتلى عليهم من كتاب الله عز وجل . .

فما هذا الانقلاب الهائل والتجديد المدهش ؟ إن شيخكم فى كل كتبه لا ينقل إلا عن جماعات المعطلة والمؤولة من أمثال الفخر الرازى والزمخشرى وبدر الدين بن جماعة وابن الجوزى ، وغيرهم ممن ملأ بفتاويهم صحائف كتابه (إتحاف الكائنات) فما الذى بدا لكم حتى خالفتم سنة شيخكم وسلكتم غير سبيله ؟ فهل هو رجوع حقاً إلى مذهب السلف ؟ نرجو ذلك ، ولكنى أحب لكم إذا كنتم صدقتم العزم على هذا التحول أن لا تقتصروا على مثل هذه الرسائل الصغيرة التى لا تشبع نهمكم بل اعمدوا إلى كتب الفحول الكبار من جهابذة هذا العلم الرفيع من أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واقرأوا كذلك كتاب (العلو للعلى الغفار) للحافظ الذهبى و (الأسماء والصفات للبيهقى) و (السنن) للالكائى و (التوحيد) لابن خزيمة ونقض عثمان بن سعيد على على كلام بشر المريسى ، لتزدادوا بصيرة بمذهب السلف .

من هذا الكتاب أيضاً حتى لا يغتر أحد بما يقوله هذا الكاتب من دين شيخه الخالص ، وأنه جاء بلب اللباب وفصل الخطاب فليس فيه ما ينكر ولا يعاب .

يقول « أما ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فقد أجمع السلف والخلف رضى الله عنهم على أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم اختلفوا فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث فالسلف يفوضون علم معانيها إليه تعالى فيقولون إن الاستواء فى آية (الرحمن على العرش استوى) لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليه لأنه تعالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش لأن القرآن الذى منه الآية قديم موجود قبل إيجاد العرش فكيف يعقل أنه استقر على عرش غير موجود ؟ ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان يحل فيه بل هو غنى عنه فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها . والخلف يقولون الاستواء معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك ومذهب السلف أسلم لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف .

« ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربى والقرآن عربى وحملهم على التفسير المذكور ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبهة والمجسمة فى زمانهم الخ » اهـ .

هذا نموذج من كتاب (الدين الخالص) يسمى فيه صاحبه آيات الصفات وأحاديثها متشابهة ويدعى أجماع السلف والخلف على أنها مصروفة عن ظواهرها ويفسر مذهب السلف بأنهم كانوا مفوضة لا يفهمون معانى هذه الآيات والأحاديث ويحتج لصحة مذهب الخلف فى التأويل بوجود المجسمة والمشبهة . ونحن نتحدى هنا أيضاً أن يأتينا أحد بنقل صحيح عن أحد من السلف أنه قال عن هذه النصوص إنها مصروفة عن

ظواهرها أوسماها متشابهات . أو أن القرآن الذى منه الآية قديم موجود قبل إيجاد العرش الخ ؛ وأنه ادعى أن الله قديم موصوف باستوائه على العرش . قبل خلق العرش ؟

وبعد : فهل لا يزال هذا الكاتب مصراً على أن شيخه رجع فى آخر حياته وآخر كتبه إلى اعتناق مذهب السلف فآمن بوجود الله فوق عرشه وعلوه على خلقه أم إن آخر أمره كأوله ومذهبه فى كتبه كلها واحد لا اختلاف فيه ؟ ثم يقول الشيخ فايد (أقوال الأئمة فى ذلك) ويورد عن الحافظ بن كثير فى تفسيره وعن ابن قدامة الحنبلى صاحب (المغنى) بعض ما جاء فى رسالتيه السلفيتين (لمعة الاعتقاد) و (ذم التأويل) .

وهذا يعد فى نظرنا أكبر حدث فى تاريخ الجمعية الشرعية ، فما كانت منذ عهد قريب تطيق سماع عبارة واحدة من هذه الكتب التى ألفت فى بيان عقيدة السلف ، بل كانت تنفر من صحيح البخارى نفسه حين تُدعى إلى قراءة باب الصفات منه حتى يقول بعضهم مازحا : وما يدرينا لعل هذا البخارى الذى عندكم غير البخارى الذى يعرفه المسلمون !! وكانوا لا يطيقون حتى سماع آيات الصفات التى تتلى عليهم من كتاب الله عز وجل . .

فما هذا الانقلاب الهائل والتجديد المدهش ؟ إن شيخكم فى كل كتبه لا ينقل إلا عن جماعات المعطلة والمؤولة من أمثال الفخر الرازى والزمخشرى وبدر الدين بن جماعة وابن الجوزى ، وغيرهم ممن ملأ بفتاويهم صحائف كتابه (إتحاف الكائنات) فما الذى بدا لكم حتى خالفتم سنة شيخكم وسلكتم غير سبيله ؟ فهل هو رجوع حقاً إلى مذهب السلف ؟ نرجو ذلك ، ولكنى أحب لكم إذا كنتم صدقتم العزم على هذا التحول أن لا تقتصروا على مثل هذه الرسائل الصغيرة التى لا تشبع نهمكم بل اعمدوا إلى كتب الفحول الكبار من جهابذة هذا العلم الرفيع من أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واقرأوا كذلك كتاب (العلو للعلى الغفار) للحافظ الذهبى و (الأسماء والصفات للبيهقى) و (السنن) للالكائى و (التوحيد) لابن خزيمة ونقض عثمان بن سعيد على على كلام بشر المريسى ، لتزدادوا بصيرة بمذهب السلف .

وأحب كذلك أن أوضح لـكم بعض عبارات وقعت فى كلام السلف قد تندعن أفهامكم لعدم الإلف بها، حتى لا تحملوها على معان لم ترد منها. فمثلا إذا قالوا (أمروها كما جاءت من غير تـكييف ولا تشبيه ولا تعطيل) فليس مرادهم بهذا الإمرار هو مجرد تلاوتها باللسان من غير فهم لمعناها . وإلا لم يكن لقولهم من غير تـكييف معنى ، لأن الـكيف صفة المعنى. وإذ قالوا أيضاً إن قراءتها تفسيرها أو لا يجوز تفسيرها . فليس مرادهم بالتفسير الممنوع هو بيان معناها، ولـكن المراد به تأويلات الجهمية مثل تفسيرهم (استوى) باستولى ونحوه ، فهذا هو التفسير المذموم عند السلف. بل يجب أن تفسر كما وردت بغير صرف للألفاظ عن معانيها مع نفى الـكيفية والتشبيه عنها .

وإنما نبهتـكم إلى ذلك لما وجدت مجلتـكم الغراء قد وضعت خطوطا تحت كلمة تفسير كأنها تريد أن تشير إلى أن مذهب السلف هو أن هذه النصوص لا تفسر بمعنى لايفهم معناها ، فحاشاهم أن يقصدوا إلى هذا الذى ظننتم، بل هم أنفسهم قد فسروها التفسير الصحيح الذى لايخرج بالألفاظ عن معانيها كقولهم فى تفسير (استوى) علا وارتفع .

ثم يقول (هذا ماورد عن أئمة السلف وهو صريح فى (١) أنهم لم يقيموا ضجة حول صفات الله التى وردت بها الآيات والأحاديث الصحيحة وأن ما أشكل عليهم قرأوه وآمنوا به ومروا عليه ولم يفسروه وسكتوا عنه) .

نعم إن السلف لم يقيموا ضجة حول صفات الله لأنهم فهموها وآمنوا بها من غير أن يتـكلفوا ردها ولا إنـكارها ولا تأويل النصوص الواردة فيها ولم يرد عنهم أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شىء منها ولو سألوا لأجيبوا إليه ، اللهم إلا مرات قليلة حين قال له أعرابى (لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ضحك الرب) أيضحك ربنا قال نعم .

فقال الأعرابى : لا نعدم من رب يضحك خيرا .

وحين سأله أبو رزين العقيلى أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فأجابه الرسول بقوله « كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء وكان عرشه على الماء » .

وحين سأله مرة أخرى كيف نرى ربنا وهو شخص واحد ؟ ونحن كثير فضرب له مثلا كالقمر يراه كل واحد منا مخليا به ، فشأن الله أعظم من ذلك .

ولكن الذى أثار الضجة بعدهم هم أهل الزيغ والضلال الذين أخذوا يشككون فى الصفات ويزعمون أن إثباتها يفضى إلى التشبيه ففتحوا باب التأويل وأكثروا القال والقيل . ومن يضلل الله فما له من سبيل .

ثم يقول (٢ - يجب الاقتصار على ماورد به السمع) .

ونحن نقول له نعم ، والأمر كما قال أمام أهل السنة وقامع أهل التأويل والبدعة أحمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله ، أنه لا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز فى ذلك القرآن والحديث) .

فنقول مثلا : إنه العلى الأعلى ، وإنه مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه ، وإنه فى السماء لورود النص به ، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، وإنه يدنو من خلقه كيف يشاء وإنه يجىء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، وأنه يفرح بتوبة عبده وأنه يعجب من قنوط عباده وقرب خيره ،وأنه يكلم كل أحد يوم القيامه بلا ترجمان ، وأنه يسلم على المؤمنين فى الجنة وأنهم يرونه ويكلمونه الخ مانطقت به الآيات والأحاديث ، لا نرد من ذلك شيئاً ولا نتكلف له تأويلا ولا نعمل فيه أقيسة عقولنا ، ولا نضرب لله الأمثال ولا نشبهه بأحد من خلقه ، ولا نخوض فى كيفيات صفاته وحقائقها كما لا نعمد إلى جحدها وإنكارها

ثم يقول (٣ - من يشتغل بالبحث عن معانى الإستواء والفوقية وغيرها من الصفات التى توهم المشابهة رجل سوء يستحق أن يخرج من المسجد كما صنع الامام مالك) .

وهنا دل هذا الكاتب على نفسه ، وأنه ليس كما فهم الناس من مقاله ، سلفياً يثبت لله كل ماوردت به النصوص من الصفات ، ولكنه يؤمن بألفاظ فقط لامدلول لها ؛ فكل ما يوهم المماثلة من ألفاظ النصوص ، يجب فقط أن نؤمن بوروده ولا نشتغل بالبحث عن معناه ، ولو طبقنا مبدأه هذا فسوف لا نثبت لله عز وجل شيئاً ، لا وجوداً ولا علماً

وأحب كذلك أن أوضح لكم بعض عبارات وقعت فى كلام السلف قد تنفلعن أفهامكم لعدم الإلف بها، حتى لا تحملوها على معان لم تُرد منها. فمثلا إذا قالوا (أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل) فليس مرادهم بهذا الإمرار هو مجرد تلاوتها باللسان من غير فهم لمعناها . وإلا لم يكن لقولهم من غير تكييف معنى ، لأن الكيف صفة المعنى. وإذ قالوا أيضاً إن قراءتها تفسيرها أو لا يجوز تفسيرها . فليس مرادهم بالتفسير الممنوع هو بيان معناها، ولكن المراد به تأويلات الجهمية مثل تفسيرهم (استوى) باستولى ونحوه ، فهذا هو التفسير المذموم عند السلف. بل يجب أن تفسر كما وردت بغير صرف للألفاظ عن معانيها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها .

وإنما نبهتكم إلى ذلك لما وجدت مجلتكم الغراء قد وضعت خطوطا تحت كلمة تفسير كأنها تريد أن تشير إلى أن مذهب السلف هو أن هذه النصوص لا تفسر بمعنى لا يفهم معناها ، فحاشاهم أن يقصدوا إلى هذا الذى ظننتم، بل هم أنفسهم قد فسروها التفسير الصحيح الذى لا يخرج بالألفاظ عن معانيها كقولهم فى تفسير (استوى) علا وارتفع .

ثم يقول (هذا ماورد عن أئمة السلف وهو صريح فى (١) أنهم لم يقيموا ضجة حول صفات الله التى وردت بها الآيات والأحاديث الصحيحة وأن ما أشكل عليهم قرأوه وآمنوا به ومروا عليه ولم يفسروه وسكتوا عنه) .

نعم إن السلف لم يقيموا ضجة حول صفات الله لأنهم فهموها وآمنوا بها من غير أن يتكلفوا ردها ولا إنكارها ولا تأويل النصوص الواردة فيها ولم يرد عنهم أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شىء منها ولو سألوا لأجيبوا إليه ، اللهم إلا مرات قليلة حين قال له أعرابى (لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ضحك الرب) أيضحك ربنا قال نعم .

فقال الأعرابى : لا نعدم من رب يضحك خيرا .

وحين سأله أبو رزين العقيلى أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فأجابه الرسول بقوله « كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء وكان عرشه على الماء » .

وحين سأله مرة أخرى كيف نرى ربنا وهو شخص واحد ؟ ونحن كثير فضرب له مثلا كالقمر يراه كل واحد منا مخليا به ، فشأن الله أعظم من ذلك .

ولكن الذى أثار الضجة بعدهم هم أهل الزيغ والضلال الذين أخذوا يشككون فى الصفات ويزعمون أن إثباتها يفضى إلى التشبيه ففتحوا باب التأويل وأكثروا القال والقيل . ومن يضلل الله فما له من سبيل .

ثم يقول (٢ ـ يجب الاقتصار على ماورد به السمع) .

ونحن نقول له نعم ، والأمر كما قال أمام أهل السنة وقامع أهل التأويل والبدعة أحمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله ، أنه لا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز فى ذلك القرآن والحديث) .

فنقول مثلا : إنه العلى الأعلى ، وإنه مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه ، وإنه فى السماء لورود النص به ، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، وإنه يدنو من خلقه كيف يشاء وإنه يجىء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، وأنه يفرح بتوبة عبده وأنه يعجب من قنوط عباده وقرب خيره ، وأنه يكلم كل أحد يوم القيامه بلا ترجمان ، وأنه يسلم على المؤمنين فى الجنة وأنهم يرونه ويكلمونه الخ مانطقت به الآيات والأحاديث ، لا نرد من ذلك شيئاً ولا نتكلف له تأويلا ولا نعمل فيه أقيسة عقولنا ، ولا نضرب لله الأمثال ولا نشبهه بأحد من خلقه ، ولا نخوض فى كيفيات صفاته وحقائقها كما لا نعمد إلى جحدها وإنكارها

ثم يقول (٣ ـ من يشتغل بالبحث عن معانى الإستواء والفوقية وغيرها من الصفات التى توهم المشابهة رجل سوء يستحق أن يخرج من المسجد كما صنع الامام مالك) .

وهنا دل هذا الكاتب على نفسه ، وأنه ليس كما فهم الناس من مقاله ، سلفياً يثبت لله كل ماوردت به النصوص من الصفات ، ولكنه يؤمن بألفاظ فقط لامدلول لها ؛ فكل ما يوهم المماثلة من ألفاظ النصوص ، يجب فقط أن نؤمن بوروده ولا نشتغل بالبحث عن معناه ، ولو طبقنا مبدأه هذا فسوف لا نثبت لله عز وجل شيئاً ، لا وجوداً ولا علماً

بالتزام ذلك فى الصلاة ، بل كان كثيراً ما يصلى حاسر الرأس وأحياناً يلبس قلنسوة بلا عمامة وأحياناً يعتم على القلنسوة وأحياناً بدونها . فلم يكن يلتزم حالة خاصة ولم يصح فى العمامة إلا حديث واحد ، وهو أنه دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه » وحتى هذا الحديث ليس فيه الأمر بلبس العمامة ولا بإرخاء العذبة ، ولكن الذى من هديه هو الذى فعله دائماً وأمر به كإعفاء اللحية وإحفاء الشارب ، واستعمال السواك والبداءة باليمين إلخ .

والحديث الذى أوردته هنا شاهد بذلك فهو يقول « كان إذا اعتم » فدل على أنه كان أحياناً لا يعتم ، فإذا جاءت جماعة بعد ذلك واتخذت من العذبة شعاراً لها تميزها عن بقية المسلمين ، وتكفر كل من خالفها ، ويخطب وعاظها على المنابر فى وجوب إرخاء العذبات ، وكيفية ذلك ، وما ينبغى أن تكون عليه العذبة فى الطول والقصر ، فبماذا نسمى هذا العمل إذاً . أليس هو التنطع الذى قال الرسول فى أصحابه « هلك المتنطعون » .

ثم ألم يأتك نبأ ذلك السبكى الذى دخل المسجد فوجد رجلاً يؤم الناس فدخل معهم فى الصلاة ، فلما سلم الرجل نظر السبكى فى عمامته فلم يجد لها عذبة فأعلن فى الناس أن صلاتهم باطلة ، ثم أقام وأعاد الصلاة ؟

ونبأ ذلك السبكى الآخر الذى دخل المسجد فوجد رجلا يصلى ، وكانت عمامته لسوء حظه من ذوات الزر فجاءه السبكى من ورائه وخلع عمامته ، ولما سأله عن سبب ذلك اعتذر إليه بأن صلاته بعمامة بلا زر أفضل ؟

ثم أنت أيها الذى تقول مالا تفعل ، إذا كنت تعتقد أن العذبة من هدى الرسول فلماذا تركتها ؟ وقد سئلتَ ذات مرة فى المجلة حين صليت بالناس بغير عذبة فكان جوابك لمن سألوك أن لا يتمسكوا بهذه الشكليات ، أو كما قلت : فإنى لا أحفظ عبارتك بالضبط .

ويدل الشيخ فايد على جهله مرة أخرى حين يظن أن ابن تيمية صاحب المنتقى ، هو

ابن تيمية الذى أنا صاحبه ، فصاحب المنتقى هو ابن تيمية الجد أبو البركات مجد الدين عبد السلام . وأما الذى أنا صاحبه فهو ابن تيمية الحفيد شيخ الإسلام ، وقدوة الأنام ، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ، حامل لواء التجديد الإسلامى وباعث نهضته .

ثم يقول : (إن الشيخ مصطفى لم يجانبه الصواب الخ ، ويحكى كلاماً طويلاً عن نقد الشيخ مصطفى لمنهاج كلية أصول الدين ، بسبب اشتماله على دراسة مذهبى البهائية والقاديانية ، وأنه كان يجب على أن اضطلع بهذا العبء) . وأنا لم أعب على الشيخ مصطفى نقده لمنهاج كلية أصول الدين ، بل قلت له : إن هـذا موضوع وما نحن فيه موضوع آخر . وقلت كذلك : إن مناهج الكليات كلها فى حاجة إلى تعديل شامل ، حتى تخرج لنا علماء يفهمون أصول دينهم فهماً تاماً ، فيعلمون أن مذاهب التعطيل باطلة ودخيلة على الإسـلام ، ويفهمون أحكام شريعتهم فهماً لا يتقيد بأقوال المذاهب ، وآراء الفقهاء .

ثم يقول (قال الهراس : إن مؤسس هذه الجماعة قد ألف كتاباً سماه (العهد الوثيق) نقل منها بعض عبارات ، ثم علق عليها بقوله : (لا نعرف أن أحداً من علماء هـذه الجماعة قد أنـكر هذا الـكلام أو اجترأ على نقده) .

نعم ، أقول هذا ولا زلت أقوله ، فما رأينا لك ولا لغيرك من علماء هذه الجماعة تناولا لهذا الـكتاب لا من قريب ولا من بعيد ، ونحن نتحداك أن تضع أيدينا على شىء مما نقدت به هـذا الـكتاب ، ولـكن يظهر أنه فى نظركم لا غبار عليه ، ولا يستحق النقد والتجريح ، لأن حبكم للشيخ أعماكم وأصمـكم ، ومجاملتـكم لآل الشيخ على حساب الدين ، وخوفـكم أن تطردوا من حظيرة المريدين ، قد أجبنكم وقعد بكم عن واجب هو فى نظرنا أهم من حربكم للملاحدة والشيوعيين ، أتدرى لـماذا ؟ لأن شيخكم فى هذا الـكتاب نصب من نفسه ومن أمثاله شيوخ الطرق أنصاف آلهة وأنصاف أنبياء ، فزعم لهم تارة من الحقوق ما لا ينبغى إلا لله ، ونحلهم تارة أخرى ما هو من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد كنت أتوقع أن ترد علىّ فى كل ما كتبته فى مقالى السابق ، إلا فيما يتعلق بنقدى لهذا الكتاب ، فإن ردك علىّ فى ذلك ودفاعك عن شيخك معناه أنك وضعت دينك كله فى مرتبة دون مرتبة شيخك ، ولم يبق فى نفسك إلا الحمية لشيخك ، وإلا فأى ضمير مسلم فضلاً عن عالم ، يقبل أن يتبع رجلًا على هذا الأساس ، على أن يكون بين يديه كالحجر الأصم ، وأن يفنى فى شيخه عن نفسه ، وأن يتمثل صورته فى جميع حالاته ، وأن يدخل عليه وفى قلبه من الخوف والهيبة ، كما لو كان داخلًا على أسد هصور . وأن وأن إلى آخر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من مخاز صوفية تكفى كل واحدة منها للانسلاخ من ربقة الإيمان .

لقد كنت أظن أنه حين يذكر هذا الكتاب ستتوارون خجلًا وتذوبون حياء ، وتصدرون قراراً إجماعياً بإعدامه والبراءة منه ، ولكنكم بدلاً من ذلك أعدتم طبعه ويسرتم اقتناءه فبعتموه بثمن بخس ، ليروج فى الناس شره . فى الوقت الذى أحرق أتباعكم فى (المحلة) كتاباً من كتب السنة المطهرة ، وهو مسند الإمام (عثمان بن سعيد الدارمى) .

ثم يقول (وقد سبق لى على صفحات هذه المجلة أن نقدت بعض ما قرأته من كتب الشيخ وسر بذلك فضيلة رئيس الجمعية ودعا لى بخير) .

فانظر كيف يريد أن يصور نفسه بطلاً ، فيزعم أنه اقتحم هذا الحمى الأقدس ، غير هياب ولا وجل ، فتناول بعض ما قرأه من كتب الشيخ بالنقد ، ثم لما أظهر له رئيس الجمعية السرور ودعا له بخير، استحيا أن يسترسل فى نقد كتب والده ، فكف وأخرس . فإذا كان نقدك لله ، فلماذا لم تمض فيه ، ولماذا لم تعلن براءتك من أخطاء الشيخ أو هناته . كما تزعم . ثم ما أثر هذا النقد فى جماعتك ؟ هل عدلت عن العمل عما أبنته لها من أغلاط الشيخ ، أم ذهب نقدك أدراج الرياح ؟

* * *

ياقوم إن الدين ليس لعبة تلعبون بها ، وليس الدين دين آل خطاب حتى ترضوهم بسخط الله عز وجل ، بل قولوا الحق ولو كان مراً ، بل ولو كان فيه القطيعة لهذه الجماعة والخروج منها ، فهى ليست باب الجنة وصكوك الغفران التى يكتبها شيخها لتوضع مع الموتى فى أكفانهم لن تغنى عنهم من الله شيئاً .

ثم يقول (ويؤسفنى أن يسترسل الهراس فيدعى أن مؤسس الجمعية ذكر فى كتابه (العهد الوثيق) هذه العبارات : يحرم عليه ، أى على المريد الخ . إلى أن يقول : وهـذا ليس بصحيح ، والحقيقة أن الشيخ قال : وأما آدابك مع الشيخ فـكثيرة) .

وأنا اقول : إننا وضعنا إصبعك على جملة من الأخطاء الفظيعة التى وجدناها فى عهدكم الوثيق ، فما بالك أغمضت عينيك عن سائر الأخطاء وانتقيت منها أقلها خطراً ؟ فدع عنك المماحكة فى الألفاظ ، فإن هذا ليس من دأب المحققين ، فسواء سمى شيخك هذه آداباً ، أم سماها محرمات ، فهى عنده قواعد للسـلوك واجبة التنفيذ على كل حال ، ولهذا سمى كتابه (العهد الوثيق) فهو التزام بين الشيخ وبين من يريد سلوك طريقه ، فلا مندوحة له عن القيام بكل ما فيه ، ولهذا قال فى مقدمته :

« إن كل من لا يعمل بهذا الـكتاب فليس منا ، ولا صلة له بنا » أو كما قال .

ثم لو سلمنا لك بأن هذه آداب وليست واجبات ولا محرمات ، فمن أين استمد شيخك هذه الآداب ؟ وهذا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة سلفنا الصالح ، من غير الصوفية طبعًا ، هل تجد أحدهم أوصى بها ، أو عدها آداباً إسلامية يجب أن يتخلق بها المسلم . إن أدب الإسلام يتمثل فى ما صنع على بن أبى طالب حين تزوج أسماء بنت عميس لما مات عنها الصديق خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحينما تبنى محمد بن أبى بكر ورباه فى حجره تربية لم يشعر معها بيتمه وفقدان أبيه .

ثم يقول (وقال الهراس ولعل هذه النزعة الصوفية هى التى حملت بعض خطباء

الجماعة أن يصرحوا على المنابر بأن محمدا ليس بشراً ـ أقول ما سمعنا بهذا وذلك لا يقوله رجل عامى الخ) .

وأنا أقول له إنى لا ألقى الاتهام جزافا كما تلقون ، ولا أسيغ أن أقول فى أحد شيئاً أو أبهته بما ليس فيه بل لا أقول إلا ببينة حاضرة والشهود على الواقعة لا يحصون كثرة وسمعوا هذا أكثر من مرة .

وإذا كنت لا تزال فى شك فسل الشيخ محمد عيسى الزفتاوى أحد خطبائكم الكبار ، فهو الذى يقول هذا ويردده .قاله مرة على منبر الجمعية الشرعية فى الاسماعيلية وكان بالمسجد أخوان من أنصار السنة فانسحبا ولم يصليا بالمسجد ، وقاله كثيراً فى طنطا والمحلة . فعدم سماعك له لا ينفى وجوده يامن تعيش فى برجك العاجى لا تدرى مايحدثه خطباء جمعيتك فى عقائد المسلمين .

وهذا الخطيب نفسه هو الذى قال إن قبر النبى أفضل من الكعبة وأفضل من العرش على الصحيح .

ثم سل مفتى جمعيتك الشيخ (على حلوة) عن أحاديث ثلاثة ذكرها فى خطبته بعمر التوفيقية ادعى فى أحدها أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الجهاد ، وفى الثانى أن الجنة والنار خلقتا من أجله ، وفى الثالث أن الصلاة على النبى أول ما يسأل عنه العبد فى قبره .

ثم يقول (ويؤسفنا أن يطلق الأستاذ كلمة الخانيث على إمام الحرمين الخ) .

ولست أنا الذى أطلقت هذه الكلمة على إمام الحرمين أو على غيره ، وإنما الذى أطلقها عليهم اتباع مذهب السلف من أهل الحديث للسبب الذى ذكرناه آنفاً، وهو أنهم جروا وراء المعتزلة فى التأويل والتعطيل وقلدوهم فيه وهجروا مذهب إمامهم الأشعرى فى الإثبات .

وأما أن إمام الحرمين رجع عن رأيه وأعلن توبته ، فهو حجة لنا على أن كل من

سلك غير طريق السلف وجرى مع أهل الاهواء والبدع ، فسيعصر قلبه ندماً فى آخر عمره وسيرى أن بحثه وجهده كله كان عبثاً لا طائل تحته .

ثم يقول (هكذا يتحدث الهراس الذى ليس من الجانيث عن شيوخ الإسلام والأزهر فيرميهم بأنهم متأثرون بالملاحدة مقلدون للأعاجم يدينون بأقوالهم من غير برهان ولا كتاب مبين) .

وأكرر ما قلته سابقاً : إنى لا أطعن فى أحد ، ولكنى أقرر الواقع المر الذى عشت فيه دهراً طويلاً ، والذى لم يكن لى بد من الاعتراف به. فإن من الظلم لهذا الدين والجناية عليه أن نتستر جنايات هؤلاء المتكلمين ، ونترك الناس يعتقدون فيهم أنهم الهداة المرشدون بعد ما جروا وراء الفلسفة يلهثون ، وبعد ما عظموا أساطين الكفر والإلحاد فأطلقوا على ابن سينا القرمطى الملحد الذى يؤمن بأرسطو ـ أكثر مما يؤمن بالله وكتابه ورسوله ـ (الشيخ الرئيس) ولقبوا أستاذه الفارابى الصابئى بالمعلم الثانى . فدع عنك هذه النعرة الكاذبة والتعلق بالمناصب والألقاب ، ولا تعرف الحق بالرجال ولكن أعرف الرجال بالحق ، وأعرف الحق تعرف أهله ، أيها السليط البذئ .

ثم يقول (ويشاء الله أن يفضح الهراس إلخ) .

أتدرون ما الفضيحة التى عثر عليها هذا الكاتب أنى قلت (ما خلفه ابن سينا وأبى نصر) بالياء دون الواو مع أنه معطوف على مرفوع وقد أكون غلطت فى هذا وقد تكون المطبعة حرفته ولكن المؤسف أن يسف هذا الكاتب إلى حد أن يتعقب غلطة نحوية لا يعقل أن تقع من مبتدئ فى النحو عن جهل ولكنه جموح القلم وسهو الإنسان ويشاء الله أن يفضح هذا الكاتب الذى تعمد فضيحتنا والتشهير بنا شفاء لكيده وحقده الأصم فيقول فى هذا المكان نفسه (لأن منهاج هذا الدعوة) فيشير بأشارة المفرد المذكر إلى المفردة المؤنثه .

ولكننا أكبر من أن ننظر إلى مثل هذه السقطات التى لا ينظر إليها إلا مثله من الأطفال الصغار .

ثم تأتى قصة خلق السموات والأرض فى ستة أيام فيتهمنا بأننا كذبنا على ابن عباس ونسبنا إليه ما لم يقل ، والحق ما قلناه من أن السلف كلهم بما فيهم ابن عباس وغيره من الصحابة حملوا الأيام على الحقيقة ، لم يشذ فى هذا الموضوع كما قال ابن كثير إلا اثنان ، هما مجاهد وأحمد بن حنبل ، وابن عباس فى رواية الضحاك وهى رواية ضعيفة . وهذه هى التى طار بها فضيلته فرحاً وظن أنه عثر لنا على قاصمة الظهر . ومن أجل هذه الرواية اختار لكلمته السمجة هذا العنوان الوقح وكتبته مجلته بالخط العريض .

ولكننا نعذرهم ويحق لهم أن لا يكذبوا الهراس ويجهلوه فقط ، بل أن يقتلوه فقد حطم بمعول الحق ذلك الطاغوت الذى ظل أكثر من ستين عاماً ينشر الخرافة والضلال فى محيط هذه الأمة المسكينة ، حتى جعل الله (وله الحمد والمنة) على يد الهراس مصرعهم ، وكشف به تلبيسهم وهتك أستارهم ، واختارنى سبحانه لهذه المهمة ، فعليه وحده أتوكل وبه أستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محمد خليل هراس

* * *

وبعد فإن الحق واضح كل الوضوح فى الخلاف الذى شجر بين جماعة أنصار السنة وجماعة الجمعية الشرعية ، واستمر زهاء ثلث قرن أو يزيد ، ولا حاجة بنا إلى القول بأن أنصار السنة هم الذين نادوا بضرورة التمسك بمذهب السلف ، كما أن أتباع الجمعية الشرعية هم الذين كانوا ينصرون قول الخلف ، ويرفضون مجرد ذكر العلو والفوقية أصلا ! ! .

والآن وقد أظهر من انتدبته الجمعية الشرعية فى مقاله الأخير أن مذهب السلف هو

الأسلم والأعلم والأحكم ، وهو الواجب اعتقاده لمن أراد التمسك بنصوص الكتاب والسنة ، فإنه بهذا بدأ التقارب بين الجماعتين فيما يظهر لنا ، والله وحده هو العلام بسرائر عباده .

أما الملاحظات الواضحة التى تخللت الإقرار بأحقية مذهب السلف ، فيكفى لفت النظر إليها ، ليكون الرجوع إلى الحق كاملا غير منقوص . ومثال ذلك القول بأن سلف هذه الأمة لم يكونوا يفكرون فى معانى الاستواء وغيره من صفات ربنا تبارك وتعالى ، فإن هذا القول بعيد عن الصحة ويدحضه ما رواه البخارى فى صحيحه عن مجاهد أنه فسر الاستواء بالعلو والفوقية الارتفاع ، كذلك قول مالك بن أنس رضى الله عنه لما سأله السائل عن كيفية الاستواء ، فأجاب بقوله (الاستواء معلوم والكيف مجهول) . أليس ذلك فهماً لمعانى ماورد من صفات الله مع عدم الخوض فى كيفيتها .

أما ما ورد فى مقال (الاعتصام) فى أمر الجهة والمكان ، فمن الحق الواضح الذى نقرره وندعوا إليه ، أن الله تعالى إنما يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فلا مندوحة من ذكر أن هناك تلازماً شديداً بين بعض المعانى والتعبيرات ، وبين بعض الألفاظ حتى ليصعب الفصل بين تلك المتلازمات ، وإننا نرى علماء المسلمين يصفون الله تعالى بالقدم والوجود ، فإذا رجعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا بحثاً عن نص وصف فيه الله نفسه بالقدم أو الوجود ، فإننا لانجد أبداً أى أثر لوصف الله تعالى بهاتين الصفتين ، ولذلك نقول بأنها ألفاظ بينها وبين بعضها من صفات ربنا تلازم شديد ، اضطر العلماء إلى وصف الله تعالى بهذه الألفاظ .

وكذلك وجد دعاة مذهب السلف تلازماً أقوى بين تقرير القرآن الكريم أن الله تعالى فى السماء ، وإشارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهة السماء وهو يشهد الله على

اعتراف الأمة بأنه بلّغ . واتجاه كل متوجه إلى الله تعالى نحو السماء ، فإنك ترى أن التلازم بين هذه النصوص والقول بأن الله تعالى فى جهة العلو والفوقية أقوى من التلازم الذى بين صفات الأزلية وكلمة قديم .

لذلك نرى أن إثارة خلاف بين المسلمين لمثل هذا عمل فاسد لاحاجة بالمسلمين إليه .

ونحن أنصار السنة المحمدية سوف نلتزم ماسبق بيانه وندعو إلى سائره بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أن من مبادىء أنصار السنة أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نعتقد بعصمة لرجل مهما كان مركزه ومهما كانت درجته ؛ فكل أحد يخطىء ويصيب ، والساكت عن الحق شيطان أخرس .
فلا يحل لمسلم فضلا عن عالم أن يجامل أحداً بالسكوت عن أخطائه ومحاولة الدفاع عن خطأ ظاهر مخالف لدين الإسلام . ألا ترون إلى أمير المؤمنين عمر ردت امرأة قوله فاستبشر وحمد الله . ألا إن أولئك هم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة فبهداهم أقتدوا .

وبهذا نضع ختاماً من ناحيتنا لهذا النقاش نحيى على خير العمل تحت راية مذهب السلف الصالح ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

عبد اللطيف حسين

(كلمة فى الأسماء والصفات)

وجاء من السيد المحترم الأستاذ فكرى زكى الجزار الموظف بكلية أصول الدين كلمة فى موضوع الأسماء والصفات ، ونظراً لضيق المجال نذكر منها ما يأتى قال بعد أن أورد بعض الآيات فى الصفات :

ونحن إزاء هذا الموضوع الخطير لن نقول فيه إلا بما يستكن له القلب ويؤمن به الفؤاد ، وندين به الله تعالى حتى نلقاه يوم القيامة وهو : أننا نثبت لله تعالى الصفات التى وصف بها نفسه فى قرآنه ، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بلا تأويل

ولا تشبيه أو تعطيل . لأن ذاته العلية فوق مدارك العقود والأفهام ولا أحد يعلم كنه ذاته جل وعلا (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وتحت مفهوم ليس كمثله شيء نثبت صفات الله تعالى الواردة فى القرآن والسنة ، كما وردت ، منعاً من الخطأ فى التأويل ، والوقوع فى التشبيه .

* * *

الشيخ فايد يرد على جمعيته

زاعماً أنه يرد على أنصار السنة

وتحت هذا العنوان جاءنا مقال طويل بقلم الأستاذ محمد جلى عبد الرحمن يرد فيه على ما كتبه الشيخ فايد فى (الاعتصام) ويؤاخذه فيما تطاول فيه على الدكتور الهراس ، وأن مذهب السلف الصالح فى الصفات ـ مبدء أنصار السنة وعقيدتهم ـ هو المنهج الصحيح الذى يجب أن يعتنقه المسلمون جميعاً .

ونحن نكتفى بما تقدم نشره بهذا العدد فى الموضوع نفسه . والله ولى التوفيق .

بيان هام إلى جميع فروع الجماعة

نرجو أن يكون معلوماً للجميع أنه يجب مراعاة إرفاق نسخ اللائحة التى أرسلت من المركز العام مع أوراق إعادة شهر الفرع عند تقديمها بدون إجراء أى تعديل فيها حتى يتم تسجيل الفرع باسم جماعة أنصار السنة المحمدية ، وتوحيداً لنظام المركز العام والفروع . مع الإحاطة بأن ذلك هام جداً لمستقبل الدعوة .

٣٤ — نظرات فى التصوف

« كتبت عن الولى فى القرآن ، وفى هذا العدد أكتب عن الولى عند الصوفية » .

الولى فى عرف الصوفية : لقد مر بنا الكثير ، ولكنى أذكرك ببعض نصوص الصوفية ، قال أبو الحسن الشاذلى : « لو كُشف عن نور الولى لعُبد من دون الله » لماذا ؟ يقول ابن عجيبة ، لأن الله يتجلى على أوليائه بكبريائه وقدرته وعلمه المحيط ، فيصبح الولى متصفاً بكبرياء الله وقدرته القاهرة وعلمه المحيط ، ولكنه يستر هذه الصفات فيهم ، وإلا كان السر غير مصون ، والكنز غير مدفون . ويستطرد ابن عجيبة فيقول : (وثبت عن الشيخ ابن يزيد أنه لما تجلى له هذا النور قال : سبحانى ما أعظم شأنى ، وقال الحلاج :

أنا أنت بلا شَكٍّ ... فسبحانك سبحانى
وتوحيدُك توحيدى ... وعصيانك عصيانى

وقال أيضاً :

سبحان من أظهر ناسوتَهُ ... سرَّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقُه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

واللاهوت الحالُّ فى الناسوت هو دين النصارى فى عيسى (١) ، وقد قال الله عنهم :

---

(١) ترجع عقيدة النصارى فى المسيح إلى ثلاثة مذاهب : النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون ، وتصرف فى الأناجيل ، وقيل إنهم ينسبون إلى نسطوريوس البطرق بالقسطنطينية ، وهؤلاء يزعمون أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم : الوجود والعلم والحياة . وقد اتحدت الكلمة بجسد المسيح كإشراق الشمس على بلور لا على سبيل الامتزاج . والمسيح عندهم إله وإنسان اتحدا ، وهما جوهران وأقنومان وطبيعتان جوهر =

(لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ٥ : ٧٢) ، والحلاج يجعل من كل بشرى إلهاً ظهر فى صورة بشر . على حين يقول النصارى هذا عن المسيح وحده ، وقد حكم الله بكفرهم ، فما بالك بمن يقول : إن كل إنسان هو الله ، وكل شىء هو الله ؟ .

قديم وجوهر محدث إله تام وإنسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صاراً مسيحاً واحداً له مشيئة واحدة ، وقالوا إن الصلب — ومعاذ الله — وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته . ومنهم من يزعم أن الإنسان إذا صفى جوهره بلغ ملكوت السموات والأرض ، ورأى الله جهرة ، وانكشف له الغيب . ولعلك تدرك التشابه التام بين هؤلاء وبين صوفية الكشف والشهود واليعقوبية . أصحاب يعقوب البرذعانى أحد رهبان القسطنطينية .

وهم يقولون بالأقانيم الثلاثة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح ، والمسيح هو الإله ، والله هو الظاهر بجسد المسيح ، بل هو هو ، فالمسيح والله جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، وأقنوم واحد هو إنسان كله وإله كله . ومريم قد ولدت إلها ، والصلب وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين ، ولو وقع أحدهما لبطل الاتحاد كما زعموا . وفريق منهم زعم أن الصلب إنما وقع على الخيال .

والملكانية وهم أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها والملكانية تزعم أن المسيح ناسوت كلى لا جزئى ، وهو قديم أزلى من قديم أزلى . وقد ولدت مريم إلها أزلياً والصلب وقع على الناسوت واللاهوت . وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل ، وعلى المسيح . وتدبر قول الله سبحانه : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ٥ ، ١٧ ، ٧٢)

وقوله جل شأنه : (وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم أنى يؤفكون ٩ : ٣٠) وقوله يضاهون يدل وحده على أن هذا القرآن من عند الله فمحمد الأمى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم من قبل مذاهب الهنود وغيرهم فى هذا . وقد ثبت أن التثليث النصرانى مأخوذ عن التثليث الهندى القديم بحذافيره . وتدبر أيضاً قول الله : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . ومن إله إلا إله واحد ٥ : ٧٣) .

وقد نقل طواغيت الصوفية هذه العقيدة الكافرة على يد الحلاج ، وأشياعه وزادوها شناعة ومع هذا يزعم الصوفية أن هؤلاء هم خير أئمة الإسلام !!

ويقول ابن عجيبة أيضاً عن الله والولى : « ظهر بعظمة الربوبية فى مظاهر العبودية » . ويقول أبو العباس المرسى : « معرفة الولى أصعب من معرفة الله . . وإذا أراد الله أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته ، وأشهدك وجود خصوصيته » ، والخصوصية هى - كما يؤكد ابن عجيبة - أوصاف الربوبية من قدرة الله وعلمه وسائر كمالاته مما تحار فيه العقول ، وتذهل فيه الأذهان ! ! .

ثم يقول : « فإذا كمل تطهر الروح من الأغيار ، وأشرقت عليها شموس الأنوار كوشفت بأسرار الذات وأنوار الصفات »[1] .

ويقول فى مكان آخر : (إذا صح منك البيع أدركت أنوار الملكوت متصلة ببحر الجبروت ، وصرت لا يحجبك عن الله أرض ، ولا سماء ، ولا عرش ، ولا كرسى ، ولا أفلاك ، ولا أملاك ، وصرت أنت قطب الوجود تدوّره بيدك كيف شئت)[2] ، وهو عين تعبير النسطورية الذى سبق ذكره فى الهامش .

ويقول صاحب النفحات الأقدسية أنه قيل لبعض الأولياء : (كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أحيي وأميت ، وأنا على كل شىء قدير)[3] .

ولا يدهشنك هذا ، فهو دين الصوفية منذ وجدت . فهى تدين بأنه ما ثم غيرُ الإنسان ، أو ما ثم غير الخلق . وهذا الخلق المشهود هو فى حقيقته رب معبود .

وتدبر قول عبد الكريم الجيلى فى هـذا : (قال الله تعالى : قل يا محمد هو ، أى الإنسان الله أحد) ، ثم يقول : (والله هو الولى) يعنى الإنسان الكامل . .(وهو يحيي الموتى ، وهو على كل شىء قدير) أى الولى ؛ فهو حق متصوِّر فى صورة خَلْقية ،

---

(١) ص ١٥٦ وما بعدها شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) ص ١١٣ وما بعدها الفتوحات الإلهية لابن عجيبة بهامش شرح الحكم له .

(٣) ص ٦ النفحات الأقدسية .

أو خلق متحقق بمعانى الإلٰهية ، فعلى كل حال وتقدير ، وفى كل مقال وتقرير هو الجامع لوصفى النقص والكمال والساطع فى أرض كونه بنور شمس المتعال ، فهو السماء والأرض وهو الطول والعرض ، وفى هذا المعنى قلت :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما سواى ، فأرجو فضله ، أو فأخشاه

وإنى رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتى مسمّاه(١)

هذا دين عبد الكريم الجيلى ، وهو ممن يخشع الصوفية فى رحابه ، ويسجدون ، يدين هو وأشياعه بأن الولى هو الله !! فهل يصدق مسلم ؟ . *

العجب أنه وُجد من يصدق هذا الكفر المقيت ، ويهفو قلبه إلى نباح هذه الزندقة الطاغية .

ونبرأ إلى الله من هذا الزيغ والإلحاد .

وأرجوا أن تتدبر مرة أخرى حقيقة الولى فى القرآن ، لتعلم أى عبد قانت خاشع يقف فى ذل العبودية بين يدى الله فى خوفه ورجائه يدعوه أو يغفر له !! .

ثم انظر ما أقام الناس بيتاً من بيوت ومقاصير لعبادة الموتى ، الذين قد يكون منهم أشد الناس لله معصية ، وقطاع طرق ، ولصوص أيتام ، وقتلة أطفال !! .

وتدبر ما يحدثون من موالد لهؤلاء ، يجدها العرابيد المجان الفساق حمأة يتلطخون فيها بردغة الآثام والخطايا . ثم استعذ بالله أن يكون قلبك من القلوب التى تهفو إلى هذا الكفر الدنس !! .

ثم استعذ بالله من أن تجعل الاستغاثة بالأولياء وغيرهم هى وسيلتك إلى الله سبحانه ، فلا تنادهم ، ولا تدعهم ، ولا تضرع إليهم ، ولا تطف حول مقاصيرهم ، ولا تغش مسجداً بنى لهم .

---

(١) ص ٢٢ وما بعدها ج ١ الإنسان الكامل ط ١٢٩٣ هـ .

وتدبر هذه الآية : (وأن المساجد لله ، فلا تدعو مع الله أحدا) واحذر أن يفتنك الفاتنون عن إخلاص التوحيد لله سبحانه ، فتقول بحق فلان أو بجاه فلان ؛ فإنه لا يجوز أن يقسم على الله بأحد من خلقه . وحق فلان له ، وجاه فلان له ، لا لك أنت (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ، واحذر التأويل الكافر لقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة ٥ : ٣٥)[1] ؛ فقد فسر ابن عباس حبر هذه الأمة الوسيلة بأنها القربة ، وكذا مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وابن زيد وغيرهم .

وقال قتادة : (تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه) ، ويقول ابن كثير : (وهذا الذى قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . والوسيلة هى التى يُتوصَّل بها إلى تحصيل المقصود) ، وقال البيضاوى فى تفسير الكلمة : (أى ما تتوسلون به إلى ثوابه ، والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى ، من وسل إلى كذا تقرب إليه) ، وقال ابن جرير : (واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه) . فماذا يريد عبدة الموتى ؟ أأتوسل إلى الله بجثة ؟ أأتوسل إلى الحى بالميت ؟ أأتوسل إلى القادر بالعاجز ؟ أأقول يارب بحق عبدك ؟ أأقول يارب ياغنى بحق هذا الفقير ؟ أم أقول : يارب أنا عاجز ، وأنت قادر ، يارب أنا فقير إليك ، وأنت الغنى .

تصور فى ذهنك عمل الطائفين حول القبور ، أو المولِّين وجوههم شطر مقاصيرهم ، فمنهم من يدعوها بنفسها فيقول : ياسيدة ، ياسيد يا ابن بنت الرسول . هؤلاء مشركون .

وآخرون يقولون : يارب بحق هؤلاء ، بجاه هؤلاء عندك ، هؤلاء كافرون ماحدون . فليس من الوسائل إلى الله هذا .

ولم ينقل عن رسول محبب ، أو ملك مقرب ، أو نبى أو ولى أنه فعل شيئاً من هذا

---

(١) فسر الصوفية الوسيلة بدعاء الموتى ، وجثث الموتى ، وأضرحة الموتى فجثة الميت وسيلة إلى الله ، وضريحه وسيلة إلى الله ، ودعاء جثته وسيلة إلى الله !!

واقرءوا تاريخ الآدمية والنبوات فى القرآن ، واقرءوا تاريخ أبى بكر فى محاربته لأهل الردة ، وتاريخ عمر وعثمان وعلى ، وصفوة أصحابه وأتباعه ، فما نادى أحدهم رسول الله ، وما توسل بحقه وجاهه ، ولكنهم جميعاً كانوا يتوسلون بطاعة الله وطاعة رسوله ، وتقوى الله وحده ؛ أفتتركون كل هذا لرواية مأفون أو عابد صنم ، وتأتون بأحاديث ما تفوه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

إن الملائكة والنبيين والرسل هم أنفسهم يجتهدون فى طلب الوسيلة إلى الله ، فبمن يتوسلون ؟ أبأنفسهم ! إنما يتوسلون إلى الله بأعمالهم .

تدبر قول الله سبحانه : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضُّرِّ عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه . إن عذابَ ربك كان محذورا ١٧ : ٥٦ ، ٥٧) .

وتدبر هذه الآية ، (قل : لو كان معه آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ١٨ : ٤٢) .

إن أقرب الخلق إلى الله يطلب الوسيلة إلى الله ، فما بالك بمن هم دونه ؟ إن أقرب الخلق إلى الله لا يملك كشف الضر أو تحويله ، فما بالك بمن هم دونه ؟ .

ولو افترضنا وجود آلهة مع الله ، لسعت هذه الآلهة تطلب سبيلا إلى رضوان رب العرش العظيم ، فماذا يا أخى بعد هذا من هداية ؟ .

ولقد يحاول بعض الناس فتنتك ببعض أحاديث قيل عنها إن سندها صحيح ، والله يعلم أن هدفها قاتل ، وسندها شيطان !! فما يقول رسول الله أبداً إلا ما يؤيد القرآن !! .

ولقد تتصور أنت أحياناً أن هذه الأحاديث لا توقع فى كبير ، ولكنك لو تدبرت لوجدتها تنحدر بك إلى ما كنت تخشاه ؛ فاحذر أن تصدق أن رسول الله يدعوك إلى التوسل إلى الله بغير طاعته واتباع ما جاء به . هدانا الله ـ وإياك ـ سواء السبيل .

« للنظرات إن شاء الله بقايا » عبد الرحمن الوكيل

تعقيب على رسالة الصبح السافر

فى الفصل الرابع والأخير من رسالة الدكتور الهلالى فى حكم صلاة المسافر المنشور بالمجلة أن المسافر إن صلى خلف المقيم قصر ولا بد ، كما أن المقيم إن صلى خلف المسافر أتم ولا بد ، وقد اعتمد فى هذا على رأى ابن حزم فى (المحلى) فما رأيه فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر ـ أنه كان إذا صلى مع الامام صلى أربعاً وإذا صلى وحده صلى ركعتين ؟ وفى العدد السادس من المجلد السادس والعشرين من (الهدى) كتب الأستاذ سليمان رشاد كلمة قيمة تحت عنوان (صلاة المسافر خلف المقيم) قال بعد أن أورد الأحاديث والآثار عن الصحابة فى إتمام المسافر خلف المقيم : فالواجب إتمام المسافر خلف المقيم ، لأنه من الأصول المقررة أن فعل الصحابى يقدم على الرأى والاجتهاد . . . . ثم يقول : إن القائلين بالقصر خلف الإمام المقيم ليس معهم دليل واحد من سنة أو فعل صحابى ، ولا قول أحد من الأئمة إلا الأحاديث العامة فى صلاة المسافرين وإلا ماروى عن ابن حزم الظاهرى فإن مذهبه فرضية القصر فى السفر . وقد غفل عن الآثار الصحيحة التى رويناها آنفاً بوجوب الإتمام مع الإمام المقيم . . . . إلخ فما رأى الدكتور الهلالى . وأخيراً ما رأى المجلة ؟ .

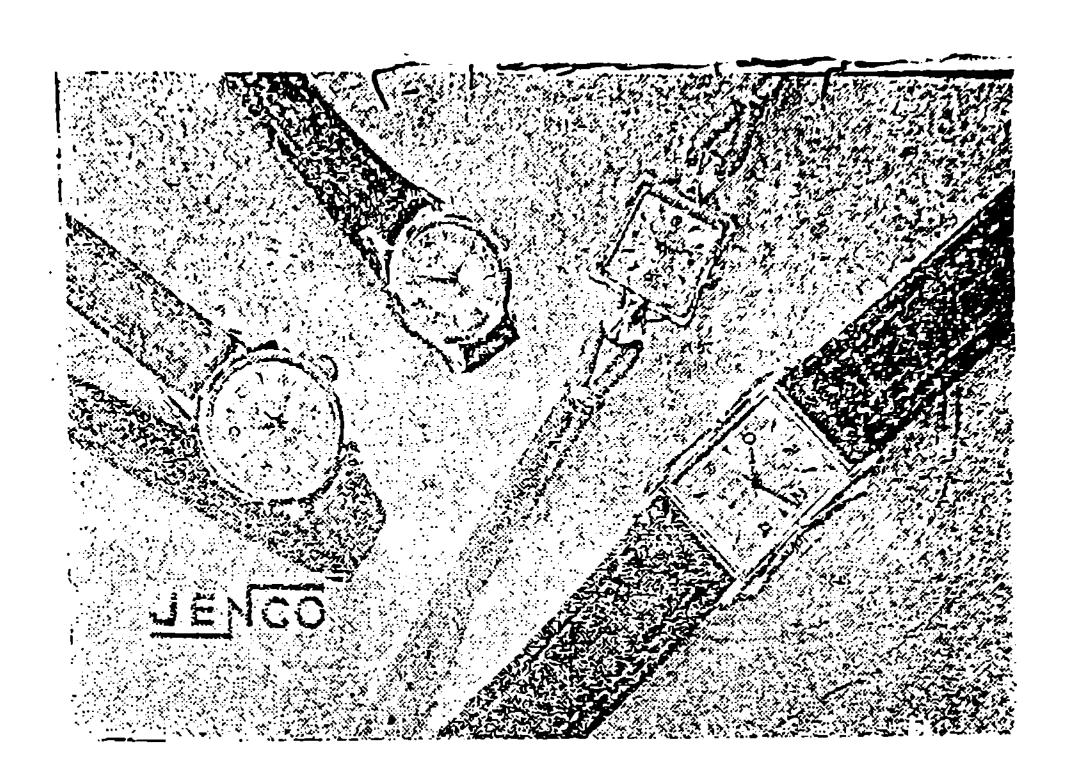
محمد إسماعيل خليفة
جزيرة نكلا ـ بحيرة

* * *

(الهدى النبوى) نحن وإن كنا قد نشرنا للعلامة الدكتور تقى الدين الهلالى رسالته فى صلاة المسافر كما هى ، فإن الذى نراه فى هذه المسألة هو ما نشرناه من قبل للأستاذ سليمان رشاد محمد ، والذى أشار إليه فى تعقيبه المتقدم الأستاذ محمد إسماعيل خليفة .

ولا جدال فى أن هناك مايشبه الإجماع من السلف على أن المسافر إذاصلى خلف الإمام المقيم أتم ولا بد ، للآثار المروية فى ذلك : عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم . والقاعدة الجليلة تقول : « إن فعل الصابى مقدم على الرأى ولاجتهاد » ويؤيد ذلك ماروى عن الإمام أبى حنيفة أنه قال : « ما جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلناه على العين والرأس وما جاء عن صحابة رسول الله قبلناه على العين والرأس كذلك . وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال » .

وخير الكلام ما قل ودل . والله ولى التوفيق .



شركة غريب للساعات

ادارة : محمد الغريب محمد الباز

١١٧ شارع محمد فريد عابدين

تساهيل في الدفع

على أقساط

شهرية



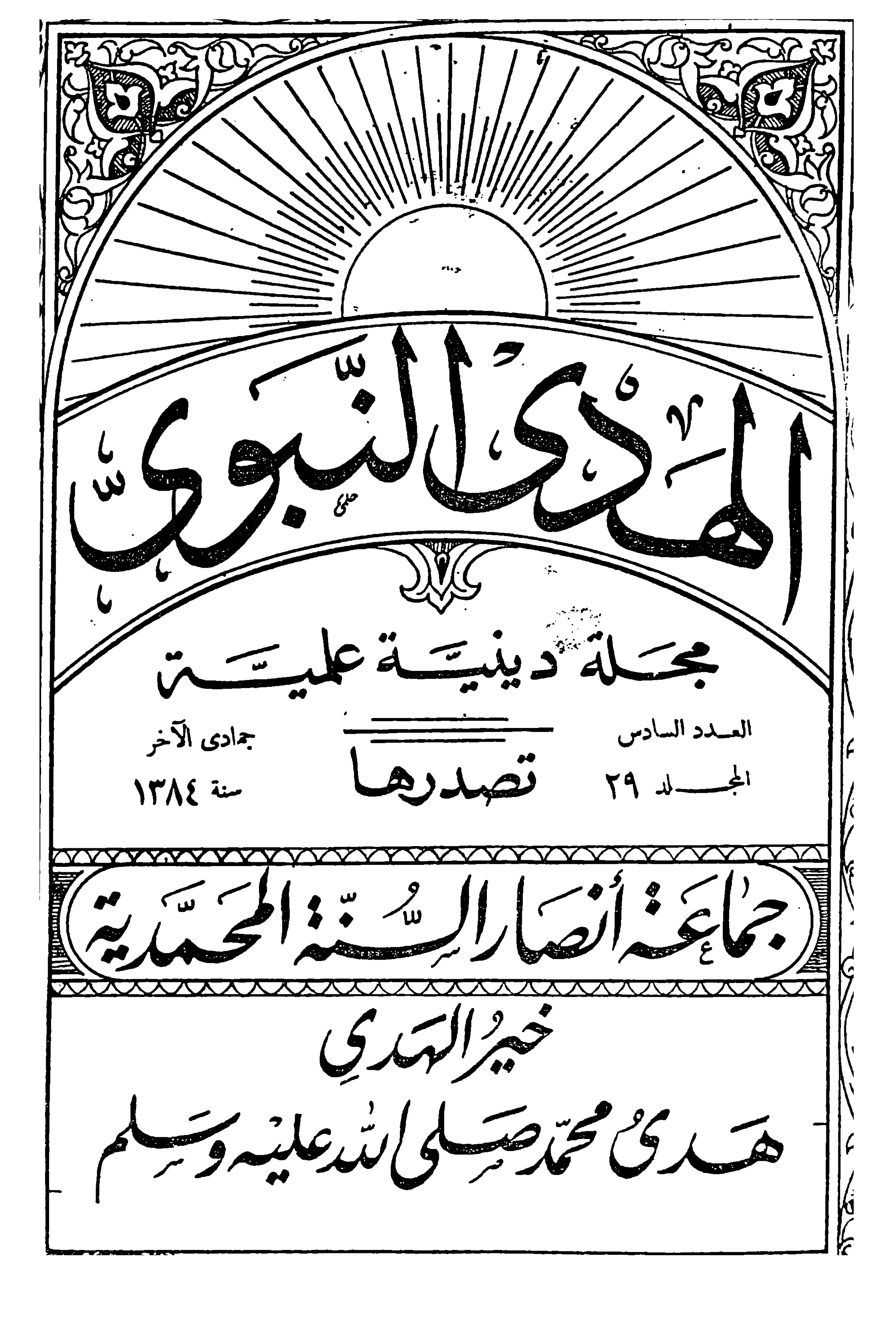
أحدث الساعات

في

المتانة ودقة الصناعة

أسعار مدهشة

الورشة مجهزة بأحدث الآلات لتصليح جميع أنواع الساعات


الهدى النبوي
مجلة دينية علمية
العدد السادس
المجلد ٢٩
تصدرها
جمادى الآخر
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

١٠ فلا تضربوا الله الأمثال . . . » » محمد خليل هراس

٢٠ تعقيب . . . . » عبد اللطيف حسين

٢٢ صرخة داعية . » عمرو محمد حسن التندى

٢٩ تعليقات على الصحف . . . . » سعد صادق محمد

٣٧ من جهاد أنصار السنة . . . » عبد الحافظ فرغلى

٤٥ باب الفتاوى . . . .

٤٨ عابد للمال . . . .

٥٠ طرائف . . . .

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة

سليمان سرور

الاشتراك السنوى

٣٠ ـ ص في الجمهورية العربية المتحدة والسودان

٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ٦ | جمادى الآخر سنة ١٣٨٤ | المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ : ﴿ ثم أَتْبَعَ سَبَبًا * حتى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشمسِ وجدها تَطْلُعُ على قومٍ لم نَجْعَلْ لهم من دونها سِتْرًا * كذلك ، وقد أَحَطْنا بما لَدَيْهِ خُبْرًا * ثم أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف : ٩٠ ـ ٩٢ .

« معانى المفردات »

« خُبْرا » الخبرُ : العِلْم وقال الراغب : العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر . وقيل : الخبرة : المعرفة ببواطن الأمور .

المعــنى

سار ذو القرنين يضرب فى شعاب الأرض وأوديتها متبعاً الأسباب التى تهديه بتوفيق الله إلى غاياته .

« حتى إذا بلغ مطلع الشمس » أى انتهى إلى مكان ظن أن الشمس تطلع منه، وظنه مؤسس على ما ترى عيناه. وقد ترى العين غير الواقع : ولكن المخبر لا يتهم بالكذب ؛ لأنه يخبر عما يرى بعينيه « وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » أى ليست لهم أبنية تقيهم الشمس ، أو مرتفعات من جبال وهضاب أو أشجار تحول بينهم وبين الشمس ، أو لا يلبسون من الثياب شيئاً يستر عنهم الشمس. وهؤلاء فى الأرض حتى اليوم كثير ، ولا سيما فى إفريقية ، ولعل هذا أقرب وأولى ، ولهذا ذكر بعض المفسرين أنهم الزنج ، وذكر آخرون أنهم السودان[1] .

فعن مجاهد : من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض. ونسب إلى سعيد بن جبير قوله : إنهم كانوا حمراً قصاراً مساكنهم الغيران « الكهوف » أكثر معيشتهم السمك. ونسب إلى قتادة أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئاً ، فهم إذا طلعت الشمس داخلوا أسرابا أسراب[2] حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم .

وقد نشطت الخرافة هنا نشاطاً ملحوظاً . إذ ليس ثمت من قرآن أو سنة صحيحة يحدثنا أحدهما عن حقيقة هؤلاء القوم سوى ما سبق ، وسوى ما سيأتى . وهو لا يشفى الذين لا يحبون الثرثرة التافهة ، ولا تأخذ بهم العبرة الشافية الهادية ، فقد روى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن سمرة حديثاً أنهم كانوا إذا طلعت الشمس تغدَّروا فى المياه « أى نزلوا فيها » ، فإذا غربت أو ارتفعت عنهم خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم .

---

(١) ولعل هذا هو الأوفق . فالآيات لم تتكلم عن هؤلاء القوم إلا بما يفيد أنهم ليس لهم ستر من الشمس . ولعل ذلك ، لأنه سبق الحديث عن قوم مثلهم فى الدين .

(٢) أماكن تحت الأرض .

ونسب إلى سلمة بن كهيل قوله : ليست لهم أكنان[1] . إذا طلعت الشمس طلعت عليهم ، فلأحدهم أذنان يفرش أحديهما ويلبس الأخرى . وقالوا عن هؤلاء القوم إنهم جاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلعن عليكم الشمس ، وأنتم بها . قالوا : لا نبرح حتى تطلع الشمس . ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا ، فماتوا . قالوا : فذهبوا هاربين فى الأرض . وهذا منسوب فى ابن جرير الطبرى إلى ابن جريج ! ! وقيل : إنهم من نسل مؤمنى قوم هود ، واسم مدينتهم : جابلق ! ! واسمها بالسريانية مرقيسيا ، وهم مجاورون يأجوج ، ومأجوج . وذكر « جابلق » يدلنا على نسب هذا القول . فجابلق هى المدينة السحرية المجهولة التى يعيش فيها الإمام الغائب من أكثر من ألف عام ، وينتظر الشيعة خروجه ؛ ليقاتلوا معه عدو أهل البيت أبا بكر وعمر وشيعتهما وغيرهم ! !

وهكذا شأن الخرافة إذا وجدت آذاناً لم تنصت إلى القرآن ، وقلوباً لم تفقه القرآن . فوالله ما تعرف الخرافة الملحدة سبيلاً إلى قلب يشع فيه نور القرآن .

والذى يهدينا ، ويعظنا ، ويشفينا ما قال القرآن ، وهو حسبنا ، وحسب كل مؤمن . ولهذا يعجبنا هنا ما قاله الزمخشرى ـ على ما فيه من مسة اعتزال يبغضها الحق ـ فقد قال : « لم نجعل لهم من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف كذلك » فقد أخذ الرجل كلمة « ستر » على عمومها . وخيرا فعل .

« كذلك ، وقد أحطنا بما لديه خبرا » أما كذلك ، فقد يكون المعنى : أى أمر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكانة ، وبسطة الملك ، وقوة الإيمان ، واتباع الأسباب المشروعة .

---

(١) جمع كن وهو كل ما يرد الحر أو البرد من المساكن .

وقد يكون المعنى : كما بلغ مغرب الشمس . بلغ مطلع الشمس .

وقد يكون : إنه كما حكم فى القوم الذين هم عند مغرب الشمس ، حكم كذلك فى الذين هم عند مطلع الشمس . والحكم بين فى قوله سبحانه الذى قصه عن ذى القرنين : ﴿ أما مَنْ ظلم فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه . فيعذبه عذاباً نكرا . وأما من آمن وعمل صالحاً ، فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ .

وقد يكون المعنى : تطلع الشمس على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم والمثلية فى الكفر والحكم ، وهو التعذيب لمن بقى منهم على الكفر ، والإحسان إلى من آمن منهم « وقد أحطنا بما لديه خبرا » يخبر الله سبحانه أنه قد أحاط علماً بكل ما لدى ذى القرنين .

وماذا عند مثل هذا الملك العظيم الذى دان له شرق الأرض وغربها بفضل الله ؟ .

لقد أحاط الله سبحانه بما لديه من جنود وعدد وآلات وقوى وقدر وأسباب يتخذها ، ويتبعها بما لديه من العلم والإيمان وحسن السياسة والتدبير والحكمة وغيرها من تلك الأشياء التى استحق بها هذا الفضل العظيم من الله ، وهذا النصر العبقرى . بما لديه مما ظهر وترونه ، ومما خفى ولا يعلمه سوى اللطيف الخبير .

بهذا كله وبغيره مما لا ندرى من أمر ذى القرنين ومما عنده تعلق علم الله سبحانه . ومن هذا البيان الحكيم ندرك عظمة وكثرة ما كان لدى ذى القرنين ، حتى استحق بأن يوصف بأن الله قد أحاط به خبراً فلولا أنه شىء عظيم وجليل ما استحق أبداً أن يُذكر عنه هذا .

« ثم أتبع سبباً » ثم سار يضرب فى الأرض متبعاً السبب الذى يصل به إلى أهدافه وغاياته . وهكذا يثنى الله على هذا الملك العظيم بأنه يعد لكل أمر عدته ، ويسلك

لكل غاية سبيلها ، ويعتد لما يريد بأسبابه الحقيقية ، فنضرع إلى الله أن يلهمنا الأسباب التي ترضيه ، وأن يوفقنا إلى الأخذ بها .

وكما أمرنا الله سبحانه أن نأمر بالمعروف ، فإنه سبحانه كذلك أمرنا أن ننهى عن المنكر . ونحن — أنصار السنة — نتتبع الخرافة لنحذر منها ، ونرجو أن يوفقنا الله إلى القضاء عليها . ولا سيما تلك الخرافات التي يرددها بعض من لهم شأن فى تاريخ هذه الأمة ، ومنهم ابن جرير الطبرى فى تفسيره . وقد ذكر عدة خرافات حول ذى القرنين ذكرت بعضاً منها ، وأذكر هنا بعضاً آخر مستهدفاً من وراء هذا التحذير منها ، وأن أقول للإخوة : حذار أن تجعلوا لامرىء سيطرة على عقولكم ودينكم إلا بالحق البين من القرآن والسنة . حذار من فخامة الأسماء وضخامة الألقاب ، فكثيراً ما كانت سحراً صارفاً عن الحق .

وقد ذكر ابن جرير هنا أن ذا القرنين سمى كذلك لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس . فلما بلغ — وكان عبداً صالحاً — قال الله عز وجل — له : ياذا القرنين إنى باعثك إلى أمم الأرض ، وهى أمم مختلفة ألسنتهم ، وهم جميع أهل الأرض . . ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله . ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله . وأمم فى وسط الأرض ، منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج ، فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض ، فأمة عند مغرب الشمس يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض . فأمة فى قطر الأرض ، يقال لها : هاويل . وأما الأخرى التى فى قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها : تاويل .

ثم ذكر ابن جرير بعد نجوى طويلة زعم أنها كانت بين الله وبين ذى القرنين . وقد ذكرتها فى العدد السابق .

أقول : ذكر ابن جرير بعد هذا أن ذا القرنين انطلق يؤم الأمة التى عند مغرب الشمس ، فلما بلغهم وجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله ، وقوة وبأساً لا يطيقه إلا الله ،

وألسنة مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وقلوباً متفرقة ، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها ، فأحاطتهم من كل مكان ، وحاشتهم حتى جمعتهم فى مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور ، فدعاهم إلى الله ، وإلى عبادته ، فمنهم من آمن له ، ومنهم من صَدَّ ، فعمد إلى الذين تولوا عنه ، فأدخل عليهم الظلمة ، فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت فى بيوتهم ودورهم ، وغشيتهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، ومن كل جانب ، فماجوا فيها ، وتحيروا ، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجُّوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم ، وأخذهم عنوة ، فدخلوا فى دعوته ، فجند من أهل المغرب أمماً عظيمة ، فجعلهم جنداً واحداً ، ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم ، وتحرسهم من حولهم ، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم ، وهو يسير فى ناحية الأرض اليمنى ، وهو يريد الأمة التى فى قطر الأرض الأيمن التى يقال لها : هاويل .

وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره ، فلا يخطىء إذا ائتمر ، وإذا عمل عملاً أتقنه ، فانطلق يقود الأمم ، وهى تتبعه ، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال ، فنظمها فى ساعته ، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود ، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ، ثم دفع إلى كل إنسان لوحاً ، فلا يَكْرِثُهُ حمله ، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل . فعمل فيها كعمله فى ناسك ، فلما فرغ مضى على وجهه فى ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها ، وجند منها جنوداً ، كفعله فى الأمتين اللتين قبلهما .

هذا بعض ما ذكره ابن جرير فى تفسيره . وستأتى إن شاء الله — بقية ما قال فى العدد القادم . ولكنى أعجل بذكر ماقاله ابن كثير عن هذا الأثر الطويل الذى رواه ابن جرير : « وقد ذكر ابن جرير هٰهنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً عجيباً فى سير ذى القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له . وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم » .

وهذه الخرافات التى كان يرددها أمثال وهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، ويرددها بعض الذين يخدعهم اللون عن حقيقة الشىء ، أو جمال الكأس عما فيه من سموم ناقعة كان لها من الأثر ما صرف كثيراً ممن تصدوا لإمامة المسلمين عن هدى القرآن .

ماذا يفعل الإنسان ، وهو يرى شعاعاً من النور تحيط به كل هذه الظلمات المركومة ؟ .

لو أن مسلماً قرأ القصة فى كتاب الله ، وأسلم مقاد مشاعره وعواطفه وقلبه وعقله إليها لشفته وهدته ، ولرأى فيما رأى من عظات بالغات وعبر هاديات . أما حين يقرأها ، ثم يسلم نفسه إلى ماقاله المفسرون ، فإنه سيدور مع دوامة مالها من قرار ، وسيضع بيده على عينيه عصابة سميكة ، وسيغلق بيده قلبه دون النور من القرآن .

وهذا هو ما رمى إليه واستهدفه الذين ائتفكوا واختلقوا هذه الخرافات ، فما قصدوا تفسيراً للقرآن ، وإنما ابتغوا قضاء عليه ، وحيلولة بين المسلمين وبينه .

وإنى لأرجو القارىء أن يقرأ القصة فى القرآن بتدبر ، وإنى لعلى ثقة من أنه سيجد أنه كان مخطئاً حين كان يلجأ إلى الموروث من تفاسير بعضها يتعهد الكيد للقرآن ، وبعضها يعين عليه ، وهو يظن أنه ينصر القرآن .

إنى أحذر الإخوة ، وأرجو أن يتدبروا قول الله : (أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوبٍ أَقْفَالُهَا) .

والذى أكتبه لا أعده تفسيراً ، وإنما أعده قبسًا من نور القرآن العظيم أقباس وأقباس ، وأرجو أن يكون ما أقول علامة تهدى إلى الطريق الطريق الذى يهدى إلى البصر بالقرآن .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

عبد الرحمن الوكيل

(فلا تضربوا لله الأمثال)

نشرت مجلة الاعتصام بعددها الصادر غرة جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ خطبة منبرية لفضيلة الشيخ عبد اللطيف المشتهرى بعنوان (اعتقادنا الأول) .

ألقاها بمسجد الجمعية الشرعية الرئيسى بالقاهرة .

وقد أحسن فضيلته فى بيان ما يجب على المرء المسلم أن يعتقده فى ذات الله عز وجل ، وأنها لايعلم حقيقتها إلا هو ، وكذلك بالنسبة لصفاته وأسمائه وأفعاله ، غير أنه وقع فى كلامه بعض عبارات كنا نحب أن لا يكدر بها صفو هذه الخطبة الجامعة البليغة . لأنها عبارات تحمل طابع التشكيك فى ثبوت الصفات وتضرب لها الأمثال والقياسات مما هو معهود فى المخلوقات .

ومعلوم أن الشئون الإلهية من الغيب الذى لا يجوز قياسه على شىء من المشاهدات فالله سبحانه لا يجوز أن يقاس بشىء من خلقه ، لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، كما لاحظت أن فضيلته يخلط بين الحقيقة والمعنى فيجعل كلا منهما لا يعلمه إلا الله مع أن إثبات الصفات يقوم أساساً على الفرق بين معانيها وحقائقها . فيقال : إن معانيها التى تفهم من الألفاظ الموضوعة لها معلومة لنا ولكن حقائقها مجهولة . إذ لو كانت المعانى هى أيضاً مجهولة لنا لأفضى الأمر إلى إثبات ألفاظ لا مدلول لها ، ولم يمكن حينئذ أن نفرق بين معنى لفظ ومعنى لفظ آخر ، ولا أن ندرك تغاير صفاته سبحانه . مع أن كل أحد من العقلاء يعلم أن علمه تعالى غير قدرته ، وأن سمعه غير بصره ، وأن كلامه غير إرادته وأن رحمته تضاد غضبه الخ . وأن أسماء صفاته يدل كل منها على صفة غير مايدل عليه الآخر ، وأن معانى هذه الصفات معلومة لنا من هذه الأسماء .

وقد تعلمنا من كتب الأزهر ونحن صغار أن القدرة مثلاً صفة قديمة قائمة بذاته بها الإيجاد والإعدام . وأن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وأن العلم صفة تنكشف له بها سائر المعلومات وأن السمع صفة يدرك بها المسموعات وأن البصر صفة يرى بها جميع المرئيات إلخ . فكيف يدعى أن معنى الصفة غير معلوم لنا وما فائدة إطلاق اللفظ إذا كان لا يفهم أحد معناه ؟ .

ثم يقول فضيلته (والرحمن على العرش استوى) نؤمن قطعاً باستوائه سبحانه لا ننفيه ولا نؤوله ولا نشبهه ، ولكن معناه المتعارف يتنزه الله تعالى عنه . لأن حقيقة الذات التى استوت على العرش مجهولة فكيف ندرك استواءها ؟

قال مالك (الاستواء مذكور والكيف مجهول والايمان به واجب) ونحن نسأل فضيلته عما يقصده بمعنى الاستواء المتعارف الذى يجب تنزيه الله عنه ، مع أن اللغة التى نزل بها القرآن لا تعرف للاستواء على الشىء إلا معنى واحداً هو العلو والارتفاع .

فهل يريد بهذه العبارة أن ينفى عن الله عز وجل مادل عليه لفظ الاستواء من كونه سبحانه فوق عرشه عاليا عليه ؟ وإذا انتفى هذا المعنى فأى المعانى للاستواء هو الذى يجب اعتقاد ثبوته ؟ أم إن فضيلته آمن بالاستواء وروداً فى اللفظ فقط ؟ .

وإذاً فما معنى قوله : لا ننفيه ولا نؤوله ولا نشبهه ؟ فهل هذه الضمائر عائدة على اللفظ وهل جهلنا بحقيقة الذات المستوية على العرش موجب للجهل باستوائها على العرش ؟ أم هو موجب فقط للجهل بحقيقة ذلك الاستواء وكيفيته بعد العلم بمعناه ؟ . .

ثم نسأله كذلك لماذا حرفت كلمة مالك فقلت عنه إنه قال (الاستواء مذكور) مع أن جميع الروايات عن مالك تقول (الاستواء معلوم) فهل هو تحريف متعمد أم هو خطأ غير مقصود ؟ وأظن أن فضيلته لا يجهل الفرق بين الكلمتين فإن كلمة (مذكور) إنما يلجأ إليها أهل التعطيل والتفويض لأنها لا تفيد إلا ثبوت الاستواء فى اللفظ فقط . أما كلمة معلوم فترجع إلى المعنى المفهوم من اللفظ من حيث إن العلم يتعلق بالمعانى غالباً .

ثم يقول فضيلته (لو أجرينا صفات الله تعالى على المتعارف لدينا ولم ننزهه عن مشابهة المخلوقين للزم عليه التناقض لدى عقولنا نفسها ولوقعنا فى حيرة لا خلاص لنا منها).

فهل يوجد مسلم يجرى صفات الله تعالى على ماهو للتعارف المعهود من صفات الخلق ولا ينزهه عن مشابهة المخلوقين ؟ .

وهل من يثبت لله الاستواء والنزول وغيرهما من الصفات التى يوجد جنسها فى المخلوق لا يستطيع أن يثبتها إلا على النحو اللائم للمخلوق ؟ فنحن مثلا إذا آمنا باستواء الله على عرشه ، فهل يقتضى هذا أن يكون استواؤه تعالى على العرش كاستواء المخلوق على المخلوق ؟ أم هو استواء خاص به يليق بذاته فلا يقتضى ما يقتضيه استواء المخلوق من محايثة واتصال واعتماد واستقرار ، بل لا يشارك استواء المخلوق إلا فى المعنى العام للاستواء وهو العلو والارتفاع .

وكذلك إذا آمنا بما ورد به حديث النزول الذى قال عنه أئمة الحديث إنه متواتر فى المعنى من أنه تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فهل يقتضى هذا أن يكون نزوله من جنس مانشاهده من نزول الأعيان المخلوقة ؟ أم هو نزول خاص به لا يقتضى ما يقتضيه النزول المعهود من هبوط أو انتقال أو تفريغ مكان وشغل آخر . أو حلول وانحصار الخ ؟ بل لا يشارك نزول المخلوقين إلا فيما يقتضيه من الدنو والقرب فهوسبحانه كما قال الشافعى رحمه الله : ينزل كيف يشاء ويدنو من خلقه كيف يشاء .

وهكذا كل صفاته جل شأنه ، يجب أن تفهم على هذا النحو الذى لا يماثل صفات المخلوقين ، ولكن جهلنا بكيفيتها لا يعنى أبداً نفيها ولا خروجها من دائرة المعنى الكلى للألفاظ العامة التى تتناولها وغيرها ، إذ لو جردنا هذه الألفاظ عند إطلاقها على الله عز وجل عن مدلولتها لكان ذلك خطابا بما لا يفهم ، وهو لا يليق بأفصح الكلام .

* * *

ثم يقول (فإذا فهمنا مثلا نزوله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

الأخير على النزول المادى المتعارف لدينا المشابه لنزول الجسم والمادة من العلو إلى أسفل لقال لنا قائل إن كل ساعة تمر على هذه الأرض فيها ثلث أخير لليل فإن اختلاف المواقيت ودوران الأرض حول الشمس يحول دون اتحاد الزمن فى العالم كله فما هو ليل هنا هو نهار هناك ففى كل لحظة تستقبل الشمس قوما وتودع آخرين ويلزم من ذلك حسب العقول المحدودة أن الله سبحانه دائماً نازل إلى السماء الدنيا) .

وهذا الكلام لا يفهم منه إلا إنكار الحديث نفسه وهو متواتر كما قدمنا فإن هذا الاعتراض كما صوره فضيلته تبعاً للفخر الرازى فى (تأسيسه) من أن كل ساعة تمر على هذه الأرض فيها ثلث ليل أخير يمكن أن يتوجه إلى كل معنى من معانى النزول ولا يختص فقط بالنزول الحسى المعهود .

فعلى أى وجه فسر نزوله سبحانه حتى على مافسره به المعطلة من أنه نزول الرحمة أونزول الملك الخ فإنه يلزم على هذا الاعتراض أن يكون نزولا دائماً لا انقطاع له ولاشك أن هذا مخالف لما يفهم من الحديث .

فلماذا نضرب لله الأمثال ؟ ونثير الشكوك حول النصوص الثابتة ولا نكتفى بإثبات نزول يعلم الله كيفيته ثم نمسك عن الخوض فيما وراء ذلك مما لا تبلغه عقولنا ولا نجعل النظم الفلكية ولا دوران الأرض واختلاف المواقيت حائلا دون التسليم لله ولرسوله والتصديق بأخبارهما فى غير تشكيك واتهام ؟ .

ثم يقول (فإذا جاء النص الآخر باستوائه على العرش وبأنه فى السماء وبأنه أقرب إلى الميت ممن حوله وأقرب إلى عبده من حبل الوريد وبأنه عند السراب الذى يحسبه الظمآن ماء جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، وبأنه سبحانه خير الماكرين (وبأنه تعالى رابع الثلاثة وسادس الخمسة وبأن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن ولتصنع على عينى) (تجرى بأعيننا) (يوم يكشف عن ساق) وجنب الله ووجهه ويده وأيديه ويداه وقدمه الخ .

أقول إذا تمشى العقل البشرى حسب فهمه ومصطلحاته مع هذه النصوص وفهمها في جانب الله كما تحدث مع المخلوقات، وقع فى كفر ووثنية . بل تخبط عقله وضل .

وأنا أقول حاشا لله أن يكون ورود هذه الصفات فى كتابه عز وجل على الوجه الذى أورده الشيخ داعياً إلى الوقوع فى الكفر والوثنية أو إلى تخبط العقل وضلاله فإن الله ما أنزل كتابه ليكون كتاب كفر ووثنية وضلال وحيرة ، بل أنزله داعياً إلى الرشد ، هادياً إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ولينقذهم به من الجهل بالله عز وجل ، ويعلمهم من أسمائه وصفاته وأفعاله ما لم يكونوا يعلمون .

والمؤمن البصير بدينه الذى يحسن الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، يؤمن بكل ما ورد فى الكتاب والسنة من أسماء الله عز وجل وصفاته دون أن يجد فيها ما يثير شكه وحيرته بل يفهم معانى هذه النصوص على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى بعد أن يكون قد نفى عنها الأوهام الفاسدة والخواطر الرديئة . وحينئذ لايجد بينها تناقضا أو إختلافا ، إذ يستحيل على الوحى المنزل أن يحمل أى معنى من معانى التناقض والاختلاف فإنه أنما نزل يصدق بعضه بعضاً .

فالمؤمن الصادق البصير بدينه يؤمن بأن الله مستو على عرشه بمعنى علوه وارتفاعه عليه كما أخبر عن نفسه بذلك فى سبع مواضع من كتابه وكما تدل عليه جميع النصوص الواردة فى العلو وهو يؤمن مع ذلك أنه فى السماء بالمعنى الذى لايتنافى مع استوائه على عرشه بل يؤيده ويوافقه لأن المراد بالسماء جهة العلو ، فهو تعالى فى تلك الجهة .

ولو فسرت السماء فى الآية بهذه السبع الطباق المعروفة كان المراد بكونه فيها أنه عليها إذ أن الحرف (فى) يأتى كثيراً بمعنى (على) كما فى قوله تعالى (فسيحوا فى الأرض) وقول فرعون للسحرة حين آمنوا برب هارون وموسى : (لأصلبنكم فى جذوع النخل) . وهو يؤمن مع ذلك أنه سبحانه أقرب إلى الميت ممن حوله بل هو أقرب إلى كل أحد

من نفسه ، والمراد قربه بعلمه سبحانه وإحاطته وسمعه ورؤيته وقهره وقدرته وكل ما ورد فى القرآن والسنة من ألفاظ القرب العام والمعية العامة إنما يراد به إحاطة علمه وقدرته وسياق النصوص نفسه يفيد ذلك .

على أن كثيراً من المحققين فسر القرب فى قوله تعالى (ونحن أقرب إليه منكم) بقرب الملائكة الذين ينزلون إلى الميت عند إحتضاره للصعود بروحه إما ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويشهد لهذا قوله تعالى بعد ذلك (ولكن لا تبصرون) فإن هذا الاستدراك معناه أن الملائكة جلوس عند الميت ولكن الناس لا يرونهم .

وهو يؤمن أيضاً بأن الكافر إذا جاء يوم القيامة طامعا فى نفع أعماله التى قدمها فى الدنيا لم يجدها شيئاً ، ولم يجد هناك إلا الله رب العالمين الذى يجىء يومئذ لفصل القضاء بين عباده ، ويكلم كل واحد منهم ليس بينه وبينه ترجمان ، وهو يؤمن بأن قلوب بنى آدم كلهم بين أصبعين من أصابع الله عز وجل .

على الوجه الذى يليق بجلاله . فإنه إذا كان العالم كله فى كف الرحمن كخردلة فى كف إنسان فما الذى يمنع أن تكون القلوب كلها بين إصبعين من أصابعه .

وهو يؤمن بأن لله عينين بلا كيف يرى بهما جميع الأشياء مهما دقت . وأما قوله لموسى عليه السلام (ولتصنع على عينى) فليس المراد أن له عيناً واحدة ، وقد جاء فى حديث الدجال المتفق على صحته : (إن ربكم ليس بأعور) . ولفظ المفرد يأتى كثيراً للمثنى كما تقول لغيرك رأيتك بعينى وسمعتك بأذنى) الخ .

وأما قوله : (تجرى بأعيننا) فليس المراد أيضاً أن له أعيناً كثيرة بل من قبيل وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى من سورة التحريم خطاباً لعائشة وحفصة رضى الله عنهما (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) والمراد قلبا كما .

وهو يؤمن أيضاً بأن لله عز وجل يدين بلا كيف لقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) وقوله لأبليس (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ) .

وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر « إن الله يطوى السموات بيمينه ويقبض الأرض باليد الأخرى ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » وأما قوله : (يد الله فوق أيديهم) فإن الكلام هنا فى شأن البيعة وهى إنما تكون بيد واحدة وهى اليمين .

وكذلك قوله : (مما عملت أيدينا) ليس المراد أن له أيديا كثيرة فإن العمل هنا مسند إلى الأيدى وليست الأيدى آلة فقط كما فى قوله : (خلقت بيدى) بل هى المباشرة للعمل . ولا شك أن الأعمال كلها صادرة بقدرته سبحانه ، مع توسط الملائكة الموكلين بها ، أو يقال إن الجمع هنا بمعنى المثنى كما تقدم فى العين .

وأما قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) فقد ورد الحديث الصحيح بأن ربنا يكشف عن ساقه يوم القيامة فيخر المؤمنون سجداً ويذهب من امتنع عن السجود فى الدنيا ليسجد فلا يستطيع ويعود ظهره طبقاً واحداً كلما هم أن يسجد خر لقفاه .

فالمؤمن يؤمن بذلك كما أخبر به الصادق المصدوق ، وكما دلت عليه الآيات الكريمة ولا يجد فى ذلك مايوهم نقصا أو تشبيها ولا ما يقتضى شكا وحيرة .

والمؤمن يؤمن بوجه ربه ذى الجلال والإكرام كما قال تعالى : (ويبقى وجه ربك) (كل شىء هالك إلا وجهه) وكما قال صلى الله عليه وسلم فى دعائه يوم الطائف :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بى سخطك أو ينزل على غضبك ولك العقبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وكما قال فى الدعاء الذى رواه عمار بن ياسر « أسألك نعيما لاينفد وقرة عين لا تنقطع أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينّا بزينة الإيمان وإجعلنا هداة مهديين » .

وكما فى حديث ابن مسعود « إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه » .

وكما فى حديث أبى موسى الأشعرى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور أو قال النار لو كشفه لأحرقت سبُحات وجهه ما أنتهى إليه بصره من خلقه إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تثبت لله الوجه ، وليس فيها بحمد الله مايوهم نقصا ولا تشبيهاً أو مايقتضى تخبطاً وضلالا .

وكذلك يؤمن المؤمن بقدم الله أو رجله ، على إختلاف الروايات فى الحديث ، وبأن جهنم « ما تزال يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه أو رجله فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك » .

ولا يجد المؤمن أى غضاضة ولا حرج فى الإيمان بذلك ، ولا يرى أى سبب يدعوه لإنكاره والتشكك فيه بعد ما ورد به الخبر الصحيح .

* * *

ثم يقول (ومعلوم لصغار التلاميذ فضلا عن الراسخين فى العلم أن القطب الجنوبى فى الأرض يضاد القطب الشمالى وأن الواقف فى الأول على الأرض رجلاه متجهة نحو السماء بالنسبة للثانى ، والعكس ، فإذا فهم العقل من فوقية الله تعالى فى الآية (وهو القاهر فوق عباده) الفوقية المحصورة فى جهة الإنسان الخاصة به فكيف ؟ ومن فى الجنوب مضاد لمن فى الشمال) .

وهنا أيضاً يحاول الشيخ أن يتخذ من كرية الأرض وإحاطة السماء بها واختلاف الواقفين عليها سبيلا إلى نفى الفوقية الثابتة لله عز وجل بصريح الآيات وصحيح السنة .

فما هو إذا الفوق الذى يجب الإيمان به ، بالنسبة لله عز وجل إذا نتفى عنه هذا الفوق الحقيق الذى يعرفه كل أحد ؟ .

إنه لا مندوحة حينئذ من تفسير الفوق بما فسره به المعطلة من أنه فوقية الشرف والرتبة أو فوقية القهرا والغلبة . فهل يتفق هذا مع قول فضيلته إنه ينفى ولا يشبه ولا يعطل ؟ وهل يكون الإيمان بالفوق على هذا إلا إيماناً بلفظ لا معنى له ؟ .

ثم ما هذه الصورة العجيبة التى رسمها للكون وجعلها ذريعة لنفى صفة من أخص صفاته سبحانه وهى صفة العلو ، وادعى أن صغار التلاميذ يعرفونها فضلا عن الراسخين فى العلم . فمن الذى يدرى عن الكون أكثر مما هو مشهود لنا من هذه الأرض التى تقلنا ، ومن هذه السماء الدنيا التى فوقنا وما جعله الله زينة لها من الكواكب والنجوم .

فأين نحن من عظمة ملك الله واتساعه ، ثم أين نحن من عظمة رب هذا الكون التى تتضاءل دونها كل عظمة ، والتى لا يعدو أن يكون الكون كله من عرشه إلى فرشه عندها كبندقة فى يد أحدنا .

ومن الذى قال إن العرش محيط بالسموات أو أنها فى جوفه كما هى فى جوف الكرسى أو أن استدارته تامة حتى يلزم أن يكون بعضه فوقنا وبعضه تحتنا ؟ إنه لم يقم على ذلك دليل لا من عقل ولا من نقل بل قد ورد الحديث فى صفة العرش أنه كالقبة المضروبة فوق السموات السبع والكرسى بين يدى العرش كحلقه ملقاة فى فلاة .

فكيف يجوز لنا أن ننكر فوقية ربنا وندفع فى وجوه النصوص المثبتة لها بمثل هذه التخيلات أليس أولى بنا أن نعرف أقدارنا وأن نسلم لله فيما لا تبلغه عقولنا ولا تحيط به أوهامنا ، وأن نؤمن بأن ربنا من فوقنا فنحن نتجه إليه جميعاً فى دعائنا لا فرق بين من فى القطب الجنوبى والقطب الشمالى . وكيف يجوز أن يقال إن فوقية الله محصورة

بجهة إنسان من الناس ، وهى فوقية حاصرة لـكل الموجودات ومحيطة بها كما قال تعالى ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ .

على أن ماذكره الشيخ خطأ ، فمن فى القطب الشمالى ومن فى القطب الجنوبى لايعتبر أحدهما فوق الآخر أو تحته وإنما الفوق بالنسبة لـكل منهما هى السماء التى تظله والتحت بالنسبة له ينتهى عند مركز الـكرة الأرضية فهو الحضيض الأسفل بالنسبة للأرض كلها ولا يصح أن يقال للأشياء الموجودة على سطح جسم كروى أن بعضها فوق الآخر أو تحته ، وإنما الذى فوقه ماعلا رأسه ، والذى تحته هو مايلى رجله ، حتى ينتهى ذلك إلى مركز الـكرة .

ثم يقول (سبحانك ياعلىُّ ياعظيم ياقدوس نحن نسلم بكل ماورد منسوباً لجنابك العلى ، ونؤمن بأن له معنى وحقيقة تعلمها أنت وهى تليق بجلالك ولـكننا نفوض وننزه) .

فإذا كان ماورد منسوبا إلى جناب الله عز وجل من الأسماء والصفات لا يعلم أحد معناه إلا الله ، فـكيف إذاً يمكن أن ندعوه بأسمائه الحسنى التى أمرنا أن ندعوه بها وكيف نختار من الأسماء مايوافق دعاءنا ؟ وكيف ناداه فضيلته بهذه الأسماء الثلاثة (العلى العظيم القدوس) من غير أن يفهم معناها ؟ .

وماذا أفادنا القرآن والسنة من المعرفة بالله عز وجل إلا كثرة الأسماء التى نطلقها عليه ؟

وبعد فهذا مافهمته من كلام فضيلته ومع ذلك أرجو أن يكون لـكلامه محامل أخرى تتفق مع ماعرف عنه من إيمان مطلق بأسماء الله عز وجل وصفاته ، والله يهدينا جميعاء سواء السبيل .

محمد خليل هراس

وبعد مرة أخرى :

يظهر أن التناقض خلق أصيل فى طبائع بعض الناس لدرجة أنهم لا يمكن أن يتخلصوا منه ولو أرادوا . وربما كان ذلك نتيجة لمكانة الرئاسة الروحية التى فرضوها على أتباعهم حتى لا ينكر عليهم أحد مهما أخطأوا ومهما تناقضوا ، ومن أمثلة ذلك هذا الذى يبدو فيما يكتب بعض المشايخ فى موضوع أسماء الله وصفاته ومذهب السلف الصالح من علماء الصدر الأول للأمة الإسلامية .

فإن أحدهم يقرر فى إصرار وقوة سلامة مذهب السلف فى ذلك ثم يأتى بعد فيقرر أن مذهب الخلف أعلم وأحكم ؟؟ .

وآخر مثال لهذا التناقض ما كتبته مجلة الاعتصام أخيراً فى نفس الموضوع . فإنها أقرت بأن مذهب السلف هو الأعلم والأسلم والأحكم ثم لم تلبث إلا قليلا إذ عادت تحاول مسخ مذهب السلف زاعمة أن السلف لم يكونوا أبداً يفكرون فى معانى أسماء الله وصفاته ؟ إلا أن التناقض المتشبث بأفكارهم عاد فقادهم إلى الاعتراف بأن السلف فسروا معنى الاستواء بالعلو ونقلوا ما رواه البخارى فى ذلك ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ! !

ولا حيلة لنا فى من يزعمون أنهم على مذهب السلف ويصور لهم الوهم والخيال ذلك بينما لا يخلو مجلس من مجالسهم أو كتاب من كتبهم من التغنى بقول الشاعر المجهول (قد استوى بشر على العراق — من غير سيف أو دم مهراق) وهذا البيت من نصوص الجهمية التى ابتكروها لصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء مخالفة ومحادة لمذهب السلف من الصحابة والتابعين الذين فسروا الاستواء بالعلو والارتفاع .

وسر ذلك يرجع لما يجدونه من الحيرة والبلبلة الناتجة من قراءة الكتب التى وضعت لهم مثل كتاب العهد الوثيق وأتحاف الكائنات .

ففى الصفحة الخامسة من هذا الكتاب يقرر أن السلف كانوا يعتقدون أن آيات الصفات مصروفة عن ظاهرها ؟ .

ثم يعود فى الصفحة ٩ فينقل أن مذهب السلف هو بقاء تلك الآيات على ظاهرها وعدم التأويل مع التنزيه .

وفى الصفحة ١٧ ينقل اجماعا لاوجود له يقول فيه أن قوله تعالى أأمنتم من فى السماء لا يمكن اجراءها على ظاهرها باتفاق المسلمين ؟ وهكذا يستمر التناقض يتتالى .

أما نحن أنصار السنة المحمدية فثابتون بتوفيق الله تعالى على نهج السلف الصالح والايمان بأن أسماء الله تعالى وصفاته واضحة الدلالة بينة المعانى بكيفية تليق بذاته العلية فنقول مثلا أن الله تعالى عال فوق خلقه مستوٍ على عرشه بكيفية تليق بذاته ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . ولا نُحس بالحيرة والبابلة التى يشكو منها المترددون وذلك لأن النظر إلى صفات الله تعالى وتوقع التباسها بصفات خلقه متفرع ولا بد من تصورهم أن ذاته سبحانه قد تشبه ذوات خلقه ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ولا نعرف أحداً من المسلمين يقول بأن شيئاً من صفات الله يشبه صفات المخلوقين ولا يخطر ذلك إلا فى أذهان الواهمين .

وبهذا انتهى الجدل الذى بدأته مجلة الاعتصام رغبة فى التحرش الذى استمر عليه كتابها زهاء ثلاثين عاما .

عبد اللطيف حسين

صرخة داعيـــة !!

إلى كل داعية إلى الإسلام ! وكل غيور على تعاليمه السامية ـ من أهل العلم ، ورجال الدين مسئولين وغيرهم ... ! إلى كل الجمعيات الإسلامية التى تقوم بالدعوة إلى الله عز وجل وكتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ... !

إلى كل هؤلاء وأولئك ! أوجه دعوتى ، ليخفوا سراعا لنجدة الإسلام ، وأن يقفوا جميعاً فى وجه كل جمود وجحود يحارب هذا الدين ، بعد أن استشرى الداء ، وطم البلاء ، وانحطت الأخلاق ، وكثر الجهل بالدين ، مما أرضى العدو ، وآذى الصديق ...

يوم جاءت جحافل الصليبيين إلى بلاد الإسلام ، مفعمة القلوب بالحقد والعداء لهذا الدين وأهله ... ردها الله على أعقابها خائبة خاسرة .

ويوم جاء أبناؤهم ليستعمروا أرض المسلمين ، تقلص ظلمهم وخرجوا من جلها يجرون أذيال الخيبة والعار . بعد أن احتلوا هذه الأرض ، وأقاموا بها المدارس والمشافى التبشيرية وبثوا فى ربوعها الآلاف من القساوسة ، ودعاة الكفر والجحود ، ونشروا فيها الرعب والفساد .

خرج الجميع وستخرج فلولهم الباقية ، ورواسبهم السامة القاتلة ، وسيحفظ الله دينه وكتابه ، بعد أن يصحو المسلمون لنجدة الإسلام (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

إلى كل هؤلاء وأولئك ، أدعوهم أن يبصِّروا الناس بدينهم ، وأن يرجعوا بهم إلى تعاليمه السامية ، وأن يحاربوا الجهل بالدين ، بعد أن يعرفوا مكامن الداء ، فيقضوا عليه القضاء المبرم ...

فداء الجمود : له ثلاثة عوامل ، أولا (عقيدة الوسيلة بالوساطات والشفاعات دون

الأعمال . ثانياً — تفشى الكتب الصفراء التى تمجد الخرافة وتطمس جمال الإسلام المشرق وهى من صنع الصهيونية والصليبية : ثالثاً — اعتماد بعض العلماء فى استدلالهم بما فى هذه الكتب القذرة المحشوة بالأساطير ، إرضاء للعامة ، وفى استخراج كل عجيب من القصص والحكايات منها . فى المناسبات وفى خطب المساجد ...)

أما العامل الأول : وهو تفسير الوسيلة بمعنى ذوات الأشخاص ، فمأخوذ من أهل الجاهلية ، ومن عبادات اليهود والنصارى ، وأما الإسلام دين الوحدانية والحق والنور ، فيفسرها بمعنى التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، طاعة لله ورسوله ، وامتثالا لأمره ...

فأما عقيدة الجاهليين فبينها الله كثيراً فى كتابه كقوله جل شأنه :

(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ربنا) الخ .

فقد كانوا يؤمنون بالله ربا خالقاً رازقا مدبراً للكون معطيا مانعاً ، غير أن هؤلاء نذروا لهم ، وحلفوا بهم ، وخافوهم ، وكل هذه الأمور عبادة . لأنهم فى زعمهم وسطاء ! (قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟! أم من يملك السمع والأبصار ؟! ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ؟! ومن يدبر الأمر ؟ ! فسيقولون الله ! فقل : أفلا تتقون ؟!) .

فهل اختلف الأمر ؟ ! هل جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم يرسله ربه ليقضى على شرك جاهلى قديم ، ليحل محله شرك جديد ؟ ! .

وأما عقيدة اليهود والنصارى : فقد بينها الله سبحانه بقوله :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .

فهل اختلفت أيضاً عقيدة اليهود والنصارى عن عقيــدة المتوسلين بالأوليـاء والصالحين ؟!

ألهذا أرسل الله رسوله . ؟! ألهذا بعث معه كتابه . ؟! ألهذا جاهد الرسول والذين آمنوا معه — أوذوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم — ؟! .

لا والله ! بل لتكون كلمة الله هى العليا : وهى : (لا إله إلا الله) :

الكلمة التى تم بها : توحيد المعرفة والإثبات ، وتوحيد العبادة والقصد . . توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية . الكلمة التى جاء بها الأنبياء ، وبذلت فى سبيلها النفائس والنفوس وبها قامت السموات والأرض . كلمة الحق وهى ثابتة فى الأرض وفروعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . بها قامت سوق الجنة للقاء المؤمنين بها العاملين لها . كما قامت سوق النار للقاء الجاحدين بها المحاربين لها[1] . .

هل يستقيم معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله ! وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله ! لعلكم تفلحون) مع تفسير الوسيلة باتخاذ الوسطاء والشفعاء دون الأعمال . ؟! ماحاجة المؤمن التقى وهو وليه وحبيبه .

فالمخاطب مؤمن مأمور بالتقوى ، والإيمان مع التقوى هى ولاية الله عز وجل (الذين آمنوا وكانوا يتقون) — إلى اتخاذ أمثاله شفعاء عند الله . ؟ !

ماحاجة المجاهد فى سبيل الله بعد الإيمان والتقوى أن يتخذ من هم أقل منه درجة وسطاء عند الله ؟! . (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) .

هل يستقيم المعنى هكذا ؟ . واتخذوا الشفعاء والوسطاء من غيركم لذلك ! ؟ وعليكم بالجهاد فى سبيل الله » لا يمكن أن يكون هذا منطقاً يناسب الآية الكريمة : (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

---

(١) أى المحاربين لكلمة لا إله إلا الله

ولـكن المعنى هكذا : (أيها المؤمنون العارفون بالله العابدون له وحده ! اخشوه واستحيوا منه ! وأكثروا من الأعمال الصالحة التى تقربكم إليه ! وكونوا من أهل الجهاد فى سبيل الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته) هكذا يستقيم المعنى . . .

التوسل بذوات الأشخاص شرك ملعون . . . . عطل كثير من المسلمين عن صالح الأعمال ، والمسارعة إلى الخيرات ، الوساطات والشفاعات وظن قبولها محاباة ، والمحاباة من أعمال الظالمين . . . « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولـكن الناس أنفسهم يظلمون » .

لقد قال علماء الأصول : « الوسائل تأخذ حكم مقاصدها أو نتائجها » ويقولون : « درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة » .

أتدرون ما جرت إليه الوسيلة بمعنى إتخاذ الشفاعات والوساطات عند الله . . . ؟ ! أدت إلى جاهلية عمياء ، ورجعية صماء ... وشرك بغيض ...

عبدت القبور وساكنوها ، والأحجار وناحتوها ، حتى العذراء فى ديرها ، والصلبان فى كنائسها . . . وانهالت النذور عليها ، وشدت الرحال إليها . . . وقامت بجوارها أسواق اللات والعزى . . . وكادت تقفر المساجد من روادها — اللهم إلا من بعض المسلمين المتمسكين بدينهم ممن هدى الله . . . وههنا فى ملوى نصرت الأطفال ـ أطفال المتنسبين إلى الإسلام طبعاً ـ فى الأديرة ... وعلقت الصلبان تمائم فى أعناقهم ـ أسوة بأبناء النصارى . . .

وهكذا أمكن للصليبية الكافرة أن تغزو القلوب ، بعد أن فشلت فى غزو الأوطان ... والعامل الثانى لهذا الجمود . هذه الـكتب الصفراء التى تباع فى المكاتب ومع الباعة ، بأسماء رنانة . فهذا كتاب العارف بالله ... العالم العلامة ، البحر الفهامة ... وهذا كتاب الإسراء عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ وابن عباس حبر هذه الأمة برىء من هذه الاسرائيليات اليهودية الفاجرة التى حشيت بها أمثال هذه الـكتب .

وهذا كتاب المجموعة المباركة ومجموع الأوراد . وكلها ضلال وإفك مفترى .

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

والعامل الثالث : وهو أشد خطراً ، وأكثر جرما . ألا وهو العلماء الذين يعتمدون على أمثال هذه الكتب الضالة المضلة . الذين مكنتهم وظائفهم من التكلم باسم الدين سواء فى المناسبات أو فى بيوت الله . فلا يتحرون الحقائق . وهم يرون العامة فى جهلهم وشركهم ، فزادوهم ضلالا بأقوالهم وخطبهم وفتاويهم . فهذا واعظ يقول :

« أمة محمد سيدخلون الجنة وهم أهلها وهو لا يفسر من هم أهل الجنة الذين دفعوا المهر ، واشتروها بأغلى ما يملكون من نفس ونفيس . ومن هم أمة محمد . ؟ ! هل كل مسلم بشهادة الميلاد يسمى مسلماً ومن أمة محمد ؟ ! » .

هل لهذا الهراء تعلم فضيلة الواعظ الهمام .؟!

هل أرسلوه لينور البصائر أم ليزيدها عمى وجهالة . ؟! ألا يخشى من قول العامة يوم القيامة : (وما أضلنا إلا المجرمون) ؟ !

وهذا آخر يقول : إن الدنيا خلقت من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ! ؟ .

أخلق الله الجبارين فى الأرض والطغاة فى الأمم من أجله ؟ .

أخلق المكذبين لمحمد من أجل محمد ؟ .

وماذا يقول فى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (ألا له الخلق والأمر) (ليس لك من الأمر شيء) (قل ما كنت بدعا من الرسل) .

وهذا ثالث يقول : خلق محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنة !؟ أين كان مقامه حتى ولد . ؟ !

وكيف صار فى صلب عبد الله بن عبد المطلب وتسرب إلى رحم آمنة بنت وهب ؟.

ألم يسمع أو يقرأ قول الله عز وجل « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ولو كان البشر بعده لم لم تنص الآية على ذلك ؟! أم عندهم الغيب فهم يهرفون ويكذبون ؟!.

لقد مكث صلى الله عليه وسلم أربعين سنة لم يقرأ فى كتاب ، ولم يعرف إيمانا ولا ولا وحيا ، حتى فوجىء به فارتعدت فرائصه وقال للسيدة خديجة زملينى دثرينى . وكان ما كان !؟.

كيف خلقت الدنيا من أجله ؟ وخلق قبل الخلق .!! وهو لا يعرف من هو . !؟

«وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان »!
« وعلمك مالم تكن تعلم » « ووجدك ضالا فهدى ! »

صلى الله على رسوله الأمين ، وصحابته المؤمنين — الذين عرفوه بشراً مثلهم — وآمنو بكل ماجاء به ، ولم يكذبوه باسم حبه . ولعنة الله على الكاذبين .

وقائل : أنه من نور الله ، كما زعم النصارى فى نبيهم . . . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

وأما الأحاديث فحدث ولا حرج — وكلها إسرائيليات وضيعة !

وأما القصص فاساطير خرافية تستهوى العامة ، لتجلب لهم المريدين كمشايخ الطرق ومن يريد أن يصحح لهم هذا الخطأ نعتوه بالوهابية . والوهابية فى عرفهم الجاهل الذى لاقى هوى فى نفوس أتباعهم هو كراهة الرسول . وكراهة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أى نعتوه بالكفر كما فعل أهل الجاهلية الأولى « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وأن يشرك به تؤمنوا ! ؟ فالحكم لله العلى الكبير » «والذين آمنوا أشد حباً لله » هذا قول ربنا . .

عمرو محمد حسن النمرى
إمام وخطيب المسجد المجيدى بملوى

خرافة ملعونة فى بلبيس

فى زيارتنا لبلبيس ، وللإخوان فى فرع (الملايقة) لقينا من الإخوة هناك خير البر والترحاب . وقد صادفت الزيارة مولد أحد الطواغيت هناك ، وهو مفروض على الناس كرهاً ، وإذا أبى تاجر الاشتراك فيه لقى مالقى من اضطهاد الصوفية هناك .

وقد دلنا الإخوان على مكان تنتشر فيه الخرافة والرذيلة علانية ، فهناك عدة أصنام سميت بما يأتى « يوسف الطيار ، وسعدون الزنجى ، من جنود سيف بن ذى يزن كما يزعمون ، وسعدون السطوحى » .

وإلى إباحة هذه الأصنام أو ردغتها ينسل الناس من كل حدب وصوب فى شهر (أبيب — أو يوليه) من كل عام ، ويستأجرون أماكن وخياماً للإقامة حول هذه الأصنام ، وفى منتصف النهار ، والشمس تشوى الوجوه والرءوس يدفن الناس رجالاً ونساء نفوسهم فى الرمال ظانين أن فى هذه الرمال العبقة بعطور الأصنام من بركات ستشفيهم مما بهم . وخرافة أخرى : هنالك حجر تفد إليه العاقرات أو العانسات ثم يقفن عليه شبه عاريات ومع الواحدة منهن إبريق أسمر ملىء بالمياه ثم تسكب ماءه على جسمها ، ثم تحطمه على الحجر ، بهذا تظن أن الجنين سيتسرب إلى رحمها ، وأن الزوج سيسعى إلى خدرها ، وأين يحدث هذا ؟ .

فى بلبيس ! ! .

فهل تنكر الصوفية أنها لا تعيش لغير الخرافة ؟ .

وهل يجوز هـذا وغيره فى عهد ثورة قامت لتصحيح القيم والمفهومات فى أذهان الناس ، وإنقاذهم من الإقطاع ، وهذا أخطر الإقطاع يفسد العقل والإرادة والفكر والخلق والدين ، إقطاع التصوف ، أو إقطاع الخرافة .

تعليقات على الصحف

حول التربية الإسلامية

طالب الرئيس الحبيب بورقيبة بزيادة الاهتمام بالعقيدة الإسلامية فى الحياتين العامة والخاصة . ووعد بورقيبة بزيادة مرتبات علماء الإســلام . وطالب بإقامة الصلاة فى الاجتماعات العامة . ناشد المدرسين تعليم تلاميذهم الصلاة . وقال : إن اهتمامه بالدين انبعث من قلقه إزاء انتشار الجو المادى بين الشباب التونسى .

« صحيفة الجمهورية فى : ١٩٦٤/٨/٣ »

* * دعوة طيبة من الرئيس التونسى لمقابلة التيار الانحلالى الذى يجتاح المجتمع التونسى لإفساد حياته والقضاء على معالم الإسلام وهداه فى بلاده .

وإنه لمن المؤسف حقاً أن نرى أكثر البلاد التى سجلت فى دستورها أن : الإسلام هو دينها الرسمى . . من المؤسف أن نرى هذه البلاد وليس فى أخلاق أبنائها أو أدبهم أو بيوتهم أى مظهر يدل على أن فى حياتهم صبغة إسلامية أو نزعة شرقية تثبت حقاً انتسابهم إلى الإسلام .

وجدير بحكام البلاد الإسلامية العربية أن يعنوا بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة فى بلادهم . وبث الروح الدينية بين أبناء أوطانهم ، حتى تعصمهم من الانحراف الوارد من أعدائهم باسم الحضارة تارة . . . وباسم الفن تارة ، للقضاء على قيم الإسلام وإطفاء نوره فى النفوس .

* * *

استغلال تشريعات الإسلام

اختلف رجل مسيحى مع زوجه . وبقصد النكاية بها رغب فى الزواج بأخرى . ولما كانت الديانة المسيحية لا تجيز الطلاق إلا فى حالات خاصة ، لجأ الزوج إلى إشهار إسلامه ليحقق رغبته . فطلق زوجته الأولى طلقة أولى رجعية . ثم تزوج بأخت زوجته التى ما زالت فى عصمته . وبذلك جمع بين الأختين « المساء يوم ١٩٦٤/٨/٧ »

* * تحريم الجمع بين الأختين جاء به نص فى القرآن الكريم عند بيانه لتشريعات الإسلام فى الزواج . فقال تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم . . .) إلى قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً ـ ٢٣ : النساء) :

وليست هذه بالمرة الأولى التى يلجأ فيها مغرض إلى الإسلام لينفذ بتشريعاته إلى بغيته الخبيثة فقد سبقه عابثون غيره فعلوا مثل فعلته . وعندما تم لهم ما أرادوا ، عادوا إلى دينهم الأول . وكأن الإسلام عندهم مطية سهلة تُستغل لقضاء المآرب ولا شيء غير ذلك .

والإسلام إنما جاء بتشريعاته ونظمه ليقيم الرحمة والخير والحق بين أهله . لا ليكون أداة لعبث العابثين الذين يتسترون وراء الإسلام لقضاء أغراضهم الدنيئة .

وحتى نقضى على هذا العبث والجرائم التى ترتكب باسم الإسلام وفى ظل تشريعاته ، ينبغى أن يصدر قانون بإنزال عقوبات رادعة بكل مغرض يعتنق الإسلام لحاجة فى نفسه . ثم إذا حلت مشكلته عاد إلى دينه ومذهبه . . ينبغى على المسئولين إصدار مثل هذا القانون منعاً لهذا العبث والفوضى ، وصوناً لتشريعات الإسلام من الابتذال والعبث .

* * *

الاحتفال بوفاء النيل

احتفل عند غروب يوم ١٨/٨/١٩٦٤ بوفاء النيل .. نظمت محافظة القاهرة مهرجاناً شعبياً وتاريخياً فى هذه المناسبة ، تحرك من مركز شباب عابدين إلى حيث مكان الاحتفال . وقد ضم الموكب : الخليفة وجنوده . وقاضى القضاة . وحملة المشاعل . وزفة العروس وجهازها وأهلها . وفانوس رمضان وبائع العرقسوس وفرقة الشيخ حسن ، والدراويش . . الخ المواكب المشتركة فى العرض . « الاهرام يوم ١٩/٨/١٩٦٤ »

* * الذى يقرأ هذا الخبر يلاحظ أن الاحتفال بوفاء النيل قد تطور هذا العام إلى درجة تدل على الاهتمام الزائد بهذه المناسبة .

فقد زعموا أن الفراعنة كانوا يحتفلون بوفاء النيل بتقديم عروس آدمية مزينة إلى النيل فى احتفال كبير معتقدين أنهم بما يفعلون يرضون النيل ويشكرونه على ما وهب لهم من الخير والبركة المتدفقة عليهم .

وقد يكون للفراعنة عذرهم لوقوعهم أسرى لسيطرة هذه الخرافات والوثنيات . ولكن . . ما عذرنا نحن اليوم وقد تطورت الأفكار . وتفتحت العقول على آفاق جديدة من المعارف والعلوم الحديثة . ومن ثم لم يعد عقل القرن العشرين ـ الذى صنع الذرة والصاروخ ـ مقتنعاً بأن يقف بإزاء عقل قرون ما قبل الميلاد ذلك العقل الوثنى المغلق الذى آمن بأن مصدر الخير والفيض هو النيل . فاتجه إليه بالتأليه والشكر .

إن الشكر والإقرار بالجميل إنما يكونان لخالق الشىء وموجده ـ سبحانه ـ لا للشىء ذاته . فالذى رفع البخار من البحار إلى الجو . والذى امسكه فى طبقات الجو العليا . . والذى سيره وحركه وأمره بالنزول ليستقر فى أعالى النيل ثم ينساب فى مجراه هو الله وحده . خالق الخلق الذى بيده أمر النيل ، بل الدنيا كلها (وهو الذى يرسل الرياح بُشراً بين يدى رحمته ، حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت . فأنزلنا به الماء فأخرجنا من كل الثمرات ، كذلك نُخرج الموتى لعلكم تذكرون) ـ الأعراف : ٥٧ .

وإذا كان هدف المسئولين من وراء هذه الاحتفالات إحاطة المناسبة بالمظاهر الأخاذة . فإن عهد الثورة ينبذ كل عمل يحمل طابع المظهر الذى لا جوهر له ، لأنه عمل سلبي غير بناء ولا جدى . ويؤيد كل عمل إيجابى فيه إنتاج وثمرة . فلنتجه إذن إلى نبذ هذه التقاليد الفرعونية البالية . ولنعمل بما يوافق عقلياتنا المتحررة .

* * *

من مفاسد الطرق الصوفية

ضبط البوليس أفراد طريقة صوفية معروفة تتاجر بالأعراض ، يرأسها رجل كان مسيحياً ثم أسلم . أدعى أن باستطاعته تحضير الجان والأرواح لشفاء الأمراض المستعصية . وقضاء الحاجات . وكان يغرى البسطاء بالانضمام إلى هذه الطريقة لتكون لهم منزلة قريبة عند الله وظلت هذه الجماعة تعمل منذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦١ . تحت ستار رخصة حصلت عليها ، إلى أن تقدمت سيدة ببلاغ إلى النيابة تكشف عن حقيقة هذه الطريقة . وعندما قام البوليس بمهاجمة الوكر الذى كانت تمارس فيه الطريقة أعمال الدعارة بالزيتون ضبط عدداً كبيراً من النساء والرجال يجلسون فى أوضاع فاضحة . وقضت المحكمة بمعاقبة كل من هؤلاء بالأشغال الشاقة ٣ سنوات وغرامة ٣٠٠ جنيه . ومما جاء فى حيثيات الحكم « أن المحكمة تأسف لعدم وجود نص يسعفها ويضاعف العقوبة ليتناسب مع فظاعة الجرم الذى ارتكبته العصابة » .

« الجمهورية يوم ١٩٦٤/٨/١٦ »

* * هذه هى قصة تلك الطائفة التى تنتمى إلى الطرق الصوفية . . وهذه هى نهايتها المؤلمة التى ختمت بالحبس والغرامة ، جزاء ما اقترفته فى حق الأخلاق والفضيلة والأدب . والسؤال الذى يبرز من خلال سطور الخبر ويفرض نفسه على الأذهان . وينتظر الجواب منها هو : ما الذى يستفيده المسلمون من هذه الطرق المنتشرة فى كل مكان من العالم الإسلامى لتمارس مفاسدها وأباطيلها باسم الدين . وتحت ستار من الدعوة إلى الإسلام . .

وأى فائدة حققتها هذه الطرق من دعوتها حتى نسمح لها بالبقاء لتنشر ما تسميه بروحانية التصوف وهداه ؟ ! . .

إن هذه الطرق لم تقدم يوماً ما أدنى فائدة للإسلام والمسلمين . بل كان نشاطها دائماً فى الضلال والإضلال ، وتاريخ الطرق الصوفية معروف فى البلاد الإسلامية التى أصيبت بآفة التصوف . ففى عام ١٨٨٢ استعان نابليون[١] بالصوفية لتثبيت أقدامه بمصر . . وفى ذلك العام أيضاً قامت الصوفية بدور مخجل فى المعارك الوطنية التى خاضها الشعب ضد المحتل . وذلك عندما سهرت قوات عرابى مع جماعة من رجال الطرق فى حفل ذكر لجلب النصر على الأعداء . ثم أدركهم التعب فنام الجيش . ثم استيقظ على أصوات بنادق قوات العدو الزاحفة نحو التل الكبير لاحتلال القاهرة[٢] .

وفى الجزائر استغل الفرنسيون تأثير مشايخ الطرق الصوفية فى نفوس العامة لمساعدتهم على احتلال الجزائر فعملوا على نشر الزوايا فى أنحاء البلاد . وإلى تلك الزوايا كانت تذهب أصحاب الأرواح الكاسدة والنفوس المريضة لالتماس البركات . وتلقى الأساطير والخرافات . وتعقد حلقات الذكر . ويبتلع المشعوذون العقارب والنار . وكان هذا الجو خير تربة ينمىٌّ فيها الاستعمارُ الأوهامَ وروح الاستكانة والهروب من مواجهة الحقائق . وبمساعدة شيوخ الطرق استطاع الاستعمار أن يحطم المقاومة الشعبية باسم الدين وعن طريق الخداع والتضليل .

وإذا تركنا ما حدث فى الماضى فى حق الوطن الإسلامى فسنجد أن الصوفية ترتكب اليوم فى حق الفضيلة والأخلاق ما لا يقبله عقل رشيد . فبالإضافة إلى حادث الزيتون قرأنا من قصة فتاة أصيبت بمرض عصبى فعرضها أهلها على دجال صوفى يدعى شفاء المرضى بواسطة الجان . فطلب الاختلاء بها لمعالجتها . ثم خدرها واعتدى عليها .

---

(١) راجع كتاب « فتح مصر » للأستاذ أحمد حافظ عوض ض ١٥٣ :

(٢) راجع كتاب « الثورة العربية والاحتلال الانجليزى » للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

وفى حق الدين ترتكب الصوفية كل يوم جريمة منكرة . ففى داخل الأضرحة . وفى موالد أصحابها ـ طول العام ـ نرى من الطرق الصوفية وثنية وخرافات وإباحية وإثماً ملعوناً . يعمل كل هذا بمعاول قوية على هدم أسس التوحيد . وطمس مبادىء الإسلام وهداه . فوق أنها تعطى لغير المسلم صورة مزرية عن الدين . حتى ليُظن أن الإسلام هو كل ما يرى من رقص وغناء يسمونها ذكراً ولبس مرقع وأعمال كلها زندقة تنافى خلق الإسلام وهداه وجماله وجلاله . .

ويتعب القلم إذا أردنا أن نحصى فساد حال هؤلاء الناس ، ولكننا نكتفى بهذا القدر راجين أن يكون ما حدث درساً بلا ثمن لأولئك الذين تخدعهم روحانية التصوف . ودعاوى المتصوفين فلا يقعون ضحايا للدجل والاحتيال كما وقع فيهما غيرهم .

شيخ الأزهر . . وزيارة الأضرحة

سألنا قارئ عن حكم الشرع فى زيارة الأضرحة والتوسل بالأولياء والنذر لغير الله .

ونحن نستسمح القارئ الفاضل أن يعفينا من الرد على هذا السؤال ليتولاه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون من واقع فتوى رسمية سبق أن أصدرها فضيلته حول حكم الشرع فى زيارة الأضرحة والتوسل بأصحابها يوم أن كان فضيلته يتولى منصب الإفتاء وقد نشرت هذه الفتوى مجلة الإذاعة المصرية بعددها الصادر يوم ١٩٥٧/٩/٧ :

نص الفتوى

سئل فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية سؤالين هامين عن زيارة الأضرحة والتوسل فأجاب فضيلته بما يلى :

س — ما حكم الشرع فى زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء ؟ .

ج — أود أن أذكر أولا أن أصل الدعوة : الإسلامية يقوم على التوحيد ، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله ، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق ، وهى رواسب جاهلية . فلو نظرنا إلى ماقاله المشركون عند ما نعى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم عبادتهم للاصنام قالوا له : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فهى نفس الحجة التى يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه ، ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة . فالطواف فى الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة الشريفة ، وكل طواف حول أى مكان آخر حرام شرعاً . والتقبيل فى الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود ، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله : « والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت » فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أى مكان به حرام قطعاً .

وتأتى بعد ذلك مسألة الشفاعة ، وهذه فى الآخرة غيرها فى الدنيا ، فالشفاعة ارتبطت فى اذهاننا بما يحدث فى هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه ، ومن بيده أمره ، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وإن كان هذا المخطىء لا يستحق العفو والمغفرة ، غير أن الله سبحانه و تعالى قد حدد طريق الشفاعة فى الآخرة ، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضى الله لهم أن يشفعوا ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة ، وهؤلاء أيضاً يحددهم الله : إذا فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه : فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى كان ، فإن هذا عبث لاننا لانستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم ، وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء ، وطلب الشفاعة منهم ،

كل هذا حرام قطعاً ومناف للشريعة وفيه إشراك بالله ، وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق فإن الكثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية ، التى تتنافى مع الإسلام ، وإذا أخذ الناس بالرفق فى هذا الأمر فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم .

س — هل يجوز النذر لغير الله مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ريع أرضه أو مبلغاً من المال لأحد الأولياء ؟ وهل يقر الإسلام هذه النذورة ؟ .

ج — وردت الآيات صريحة فى أن النذر لا يجوز إلا لله ، والنذر لغير الله شرك ، فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله .

* * *

ونزيد على هذه الفتوى ـ تأييداً لها ـ بإيرادبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : يقول الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) الجن : ٧٢ . ويحذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من إرتياد مساجد الأضرحة واتخاذها للعبادة بقوله « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ويقول « . . . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » .

ونصوص القرآن والأحاديث الواردة فى هذا الشأن كثيرة مستفيضة ، ولكننا اختصرنا ذكرها مراعاة لنطاق المجلة . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

سمر صادق محمد

من جهاد أنصار السنة

فى الأفق الغربى لمركز صدفا من محافظة أسيوط وقريباً من الجبل الغربى تقع قرية كوم (أسفحت) التي احتفظت باسمها من عهد الفراعنة ، فلم ينله التغير كما نال غيره من القرى المجاورة لها . ولعل هذه القرية من القرى القديمة التى كانت قبل الفتح الإسلامى ، وقبل غيره من الفتوح . فنشأت قبل هذا كله وسميت بهذا الاسم الذى بقى إلى أيامنا هذه .

سكانها خليط من المسلمين والنصارى ، والطريق إليها ميسرة .

فى هذه القرية التى تحكى بهيئتها قصص الذين سبقوا ، والتى طوت فى أحشائها كما طوى غيرها أنفساً شتى (ألم نجعل الأرض كفاتاً . أحياء وأمواتاً) . فيها رجال يرابطون فيها ، يحمون الحق ويذودون عنه ، ولا يزولون من أماكنهم خشية أن يقتحم حماهم أو تنتهك محارمهم ، فرؤيتهم فى هذه البلدة تذكر الناس بالحق وتوحى إليهم أن دون الحق هذه الأذرع القوية ، وهذه الألسنة الناطقة ، وهذه الحجج الساطعة ، فلا يجرؤ أحد على قول الباطل أو العمل به ، فأكثر الله من أمثالهم حماة الحق وثبت الله قلوبهم وأثابهم على جهادهم خير المثوبة فإنهم كحراس الثغور الذين يحمون الحدود أن يتجاوزها عدو ، ويحمون الشريعة أن يدخل فيها ما ليس منها أو يخرج منها شيء هو منها .

فى هذه القرية رجل اسمه الشيخ عبد الخالق عبد الرحمن ، أعطاه الله بسطة فى العلم والجسم ، والشيخ سيد الشريف من أكبر تجارها ، والحاج عبد المؤمن مرشح ليكون عمدة القرية ، والحاج محمد هدى من أصحاب الزرع فيها ، وغيرهم كثير ، ولكن هؤلاء هم دعاة التوحيد وأعلام السنة فيها . وقد حدث لأولهم — الشيخ عبد الخالق — محنة نجح فى نهايتها نجاحاً كبيراً ، ولما كانت حوادثها مما ينفع العلم بها رأيت أن أذكرها حتى يعلم قراء مجلة (الهدى النبوى) أن لهم إخواناً مرابطين للحق وبالحق ، فتنشرح صدورهم بأخبارهم وأخبار انتصارهم ويكون لهم أسوة حسنة فى هؤلاء .

قابلت الشيخ عبد الخالق عبد الرحمن فى قرية كوم اسفحت ، فى أوائل شهر ربيع الآخر من هذا العام وحدثنى هذا الحديث ، فقال :

كان فى بلدتنا — ولا زال — رجل كان يتبع البدع ويهجر السنن ، ولا يسمع الدعوة كان يقول للناس : إذا خرجتم بالجنازة فارفعوا أصواتكم بالذكر ، ويقول لهم : إن هذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان بعد الأذان يأمر بتلك التى تسمى التسليمات على النبى صلى الله عليه وسلم وفيها ما فيها من الكذب على الله والافتراء عليه ، ووصف النبى بأوصاف هى إلى الذم أقرب منها إلى المدح والثناء . وكان يأمر بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة قبل الصلاة جهراً من أحد القراء ، وكان إذا حاجه أحد من أهل السنة قال له : هذه الأعمال موجودة فى صحيح البخارى منسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فعلم بذلك الشيخ ، قال فحضرت إليه وكلمته فى ذلك ، فقال كما بلغنى ، فقلت له : إنك كافر والصلاة خلفك باطلة ، وأذعت ذلك فى الناس ، فسارع هذا الرجل وكتب شكوى إلى الجهات المختصة فى أسيوط ، وكان ذلك من خمس عشرة سنة تقريباً ، وكان هذا الرجل إماماً فى بعض المساجد ، وتضمنت هذه الشكوى أن الشيخ عبد الخالق يرميه بالكفر وأنه أبطل صلاة من ائتم به وطلب التحقيق فى ذلك ، فتألفت لجنة ثلاثية مكونة من مفتش الوعظ فى أسيوط وواعظ مركز أبو تيج ، وكانت البلدة يومها تابعة لمركز أبو تيج ، ومدرس من معهد أسيوط الدينى اسمه الشيخ أحمد عزوز ، وسافرت هذه اللجنة إلى البلدة « كوم أسفحت » وكان اليوم يوم جمعة توزع ثلاثتهم فى مساجد القرية ، وبعد الصلاة ذهبوا إلى مقر العمدة واستدعوا الشيخ عبد الخالق وخصمه ، وحضر من البلدة جم غفير .

وبعد أن انتظم عقدهم بدأت اللجنة فى سؤال الشيخ عبد الخالق .

السؤال : هل اتهمت فلاناً هذا بأنه كافر ، وأن الصلاة خلفه باطلة ؟ .

الجواب : نعم .

السؤال : وهل تستطيع أن تثبت بالدليل كفره ، ونحن نمهلك أن تحضر الدليل قدر ساعة من الزمن .

الجواب : الدليل فى صدرى الآن .

اللجنة : قله .

الشيخ عبد الخالق : قال الله تعالى : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية) لقد نفى الله الإيمان عن الذى يكذب عليه وعلى دينه ، وإذا انتفى الإيمان فقد ثبت الكفر .

فقام عند ذلك الشيخ أحمد عزوز عضو اللجنة والمدرس بالمعهد الدينى بأسيوط وقال : وأنا أقول تأييداً للشيخ عبد الخالق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب علىَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار » .

وسألت اللجنة الشيخ عبد الخالق :

وما الكذب الذى كذبه فلان على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، واستحق أن يوصف بما وصفته به ؟ .

الشيخ عبد الخالق : كذبه أنه زعم أن الذكر خلف الجنازة والتسليمات بعد الأذان شىء مشروع أَذِنَ الله فيه ووردت السنة به فى صحيح البخارى ، وفى قوله هذا افتراء على الله ، فإنه لم يرد فى كتاب من كتب السنة .

اللجنة : وما دليلك على بطلان الصلاة خلف هذا الرجل .

الشيخ عبد الخالق : إذا ثبت كفره وكذبه فقد بطلت صلاته ، وصلاة من ائتم به عالمًا حاله .

وعند ذلك انتهت اللجنة من الكلام مع الشيخ عبد الخالق ، وبدأت فى سؤال الخصم .

اللجنة : لم قدمت الشكوى ؟ .

الخصم : لأن الشيخ عبد الخالق وإخوانه من أنصار السنة يعيبون كثيراً من أعمالنا ويبطلون كثيراً من معتقداتنا .

اللجنة : أى الأعمال يعيبها عليكم هو وإخوانه ؟ .

الخصم : إنهم يقولون إن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جهراً قبل الصلاة بدعة .

اللجنة : نعم إن هذا العمل على هذه الصورة لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فهذا شىء مبتدع .

وسألته اللجنة : ثم ماذا ؟ — إننا نؤذن يوم الجمعة أذاناً أول على ظهر المسجد وعند صعود الإمام على المنبر نؤذن أذاناً ثانياً . فيقول لنا الشيخ عبد الخالق هـذا من البدع .

فأجابت اللجنة : إنه لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم غير أذان واحد عند دخول الوقت وصعود الإمام على المنبر .

ثم قال : ونحن نزور القبور المنسوبة إلى الأولياء ونحن نتبرك بهم ، والشيخ عبد الخالق ومن معه ينكرون علينا ذلك ، ويقولون إنها من الأمور التى يكفر بسببها صاحبها ، وهى من أنواع الشرك والكفر بالله .

قالت اللجنة : إن فى الموالد وعند هذه القبور من المنكرات والفضائح ما يقشعر منه جلد المؤمن ، رجال يغازلون النساء ، ولصوص يسرقون الجيوب ، ومهازل ومساخر ، الله يبرأ منها ورسوله ودينه ، وكل ذى عقل سليم يرى أن زيارة هـذه الأماكن والاحتفال بها من الصور الشركية التى كانت فى الجاهلية ، وحاربها الإسلام .

وعند ذلك انتهت اللجنة من مناقشة صاحب الشكوى من الأسئلة .

وكتبت تقريراً تضمن أن الشيخ عبد الخالق ومن معه على حق ، وأن خصومه أصحاب باطل وهوى . وقالت لعمدة البلدة : إن الشيخ عبد الخالق ينبغى اعتباره من أهل

الحق ، الذى تلزم متابعته والسماع لقوله الذى يقوله ، والذى يستدل له بالحق .

وخرجت اللجنة من البلدة بعد ذلك . ثم علم الشيخ عبد الخالق أن أعضاء اللجنة قابلوا الشيخ مصطفى جاد المولى غفر الله له ، وكان واعظاً فى مركز أبى تيج وأخبرته بما حدث ، فقال لهم ولِمَ لم تأخذونى معكم ، قالوا هذا ما حدث . فقال لهم : ومن الذى نُصِرَ ، قالوا : الذين معك — وكان الشيخ مصطفى من أنصار السنة — فقال الشيخ مصطفى وهل نصرتموهم أنتم أم نصرهم الحق ؟ قالوا نصرهم الحق ، قال — الحمد لله — (ولينصرن الله من ينصره) .

هذا ماقصه علىَّ الشيخ عبد الخالق ، وقد أعجبنى ما عليه أنصار السنة بهذه البلدة وغيرها ، وهم يُسرون جداً ، ويفرحون كثيراً بمن يَقدمُ عليهم من إخوانهم .

(لقد كان فى قصصهم عبرة) . ثبتنا الله جميعاً بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، إنه سميع مُجيب ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

عبد الحافظ فرغلى

عزاء لأنصار السنة

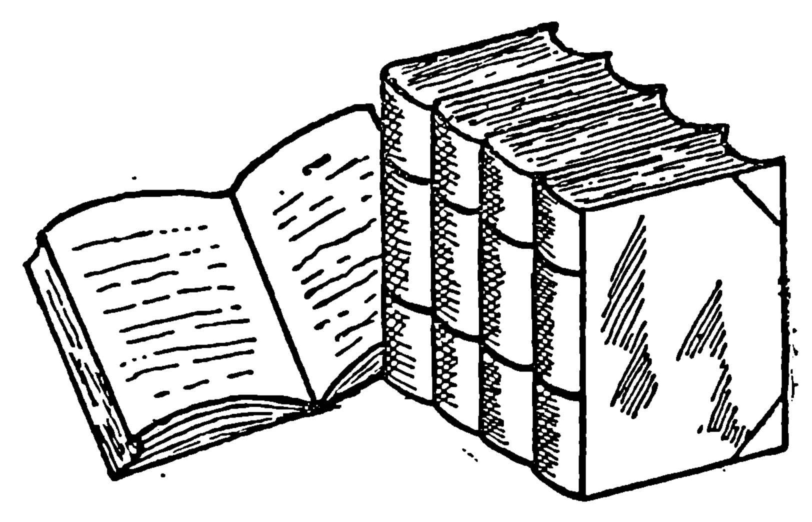
فى اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٣٨٤ توفى إلى رحمة الله تعالى الأخ المجاهد فى سبيل الدعوة إلى الله : عمران محمد مسلم .

كان — رحمه الله — يسكن قرية (قلوج) بأرتريا . وقد كان سنداً لدعاة الحق ومعيناً لهم فى دعوتهم إلى الله .

نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يعوضنا فيه خيراً ، وأن يلهم آله الصبر الجميل . و (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

شعيب مشعر الحجازى
كسلا — بالسودان

بابُ الكتب



حجة الله البالغة

للإمام الكبير المعروف بشاه ولى الله ابن عبد الرحيم الدهلوى .

أهدى إلينا الفاضل صاحب دار الكتب الحديثة بالقاهرة هذا الكتاب العظيم فى طبعته الجديدة الأنيقة التى تقع فى جزأين كبيرين على ورق أبيض مصقول وقد رأيت صفحات الكتاب على ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو بتحقيق فضيلة الأخ الأستاذ الشيخ السيد سابق . وقيام المؤلف العظيم بتأليف هذا الكتاب فى زمنه يعتبر من أعظم الأعمال التى قام بها ، وقد كانت الخرافة حينئذ دين الهند ، ومشتهاها . فأدى هذ االشيخ الكبير الواجب عليه ، وعاش حربا ضروسا على البدع والخرافات .

وقد تناول فى هذا الكتاب موضوعات قيمة شتى منها باب التوحيد ، وحقيقة الشرك وأقسامه . وباب الإيمان بصفات الله تعالى . وباب الإيمان بأن العبادة حق الله تعالى . ثم تكلم عن أسرار بعض العبادات والشعائر وتكلم عن الصلاة والصوم والزكاة والحج والبيع والطلاق والخلع والظهار والحدود والمظالم والفتن والمناقب وقد أجاد المؤلف وآفاد فى كثير مما كتب .

تحذير وتوجيه

إحذر خرافاتٍ كمثل الفول منبوذة ، بالنقــل والمعقول

فى كُـتب قوم هم مساءة ديننا ليسوا من الإسلام قيد فتيل

كتب تُقدَّس[١] دون وحى الله بل جعلوه تحت الغى والتحميل !!

فيهــا ضلالة الاتحاد وإنهــا سم ، على الإسلام شر دخيل

أيظن نجارا وصندوقا قد اتحدو ، أناس مُتّعوا بعقول ؟!

مع بُعــد ما بين الإله وبينه والله أهلُ الحمــد والتبجيل

و (دلائل الخيرات) فاحذر ؛ إنها ليست بها[٢] ؛ فيها ضلال (جزولى)

فيها ضــــلالة الاتحاد مزينـا كالسم فى مستطعم معسول

فيها الصلاة على النبى لها انتها فاحذر ـ أُخَىّ ـ صلاة ذا المخبول

ما للصلاة على النبى نهــاية من ذا يحب اللهُ بعد رسول ؟!!

صِيَغُ الصلاة على النبى مأثورة عنه ؛ فذى (للخير) خير (دليل)[٣]

إنا نحب نبينا حبــا حقيــ قيا ونعرف حقه بأصــول

إن شئت عرفانا لحق المصطفى فاقرأ كتاب (الصارم المسلول)

---

(١) يشير إلى كتب ابن عربى وابن الفارض وأمثالها من دعاة وحدة الوجود والإتحاد .

(٢) أى ليست بها خيرات . (وجزولى) هو مؤلف الدلائل .

(٣) أى إن الخيرات ودلائلها فى الصيغ المـأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لا فى الـكتاب المسمى بدلائل الخيرات .

للعالم البطل ابن تيميــة تجـد ماقى القيــام به شفاء غليل
نصر ابن تيميــة لسنة أحمد مثل الشجا فى حلق كل جهول
إن رمت تأدية لحق المصطفى فاعمل بمــا فى (الصارم المسلول)
أرأيت صوفيا يثور إذا انبرى كلب وخنزير لسب رسول ؟ !
كلا ؛ فهم أمثالهم سبوا الرسو ل كذا الإله وقربوا لعجول[١]
عبدوا الخنازير التى قد حرمت فاقوا بكفرهموا ضلال أكول !
من أجل دنيا استطعموا قاموا لحـ ـو الدين بالتبديل والتحميل
مثل النصارى واليهود ؛ فكلهم من بعضهم متخصصو تضليل
ولذا فهم إن أبصروا متمســكا بالسنة العصما مُنوا بذهــول
إذ أنه من حبه لنبيـــيه قَبِل الذى قدسن أى قبول !
ولذا تراهم ضــدنا إذا أننــا لا نرتضى من ديننا ببديل
أَلله مخزيهم هنا وهنا لـكم أخزى عذاب الله فى سجيل

عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن

---

(١) كتاب : (الصارم المسلول شاتم الرسول) من خير ما ألفه شيخ الإسلام ابن تيمية ، ونافح فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين فيه حكم من يسب الرسول أو يشتمه وما يقام عليه من التعزير والحدود .

باب الفتاوى

سؤال — هل يعد يوم الوضع بالنسبة للمولود فى الأيام السبعة بالنسبة للعقيقة أم لا ؟

محمد أحمد فرح
إمام وخطيب جامع ناوى
أمنتجو — بالسودان

الاجابة على سؤالى محمد أحمد فرح — امنتجو — بالسودان ..

نعم يوم الوضع من جملة الأيام السبعة بالنسبة للعقيقة عن المولود لقوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود رهن بعقيقته يعق عنه يوم سابعه ويسمى) والله أعلم .

سؤال — يؤدى أحد الإخوان صلاة العيد بخطبة واحدة ، على أنها السنة . وقد قرأنا لبعض الكتاب فى الأيام الأخيرة الآتى :

١ — أخرج الشافعى فى مسنده عن عبيد الله بن عبد الله قال : السنة أن يخطب الإمام فى العيدين خطبتين يفصل بينهما بجلوس .

٢ — أخرج بن ماجه عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فطر أو أضحى فخطب قائماً ثم قعد قعدة ثم قام .

وحيث أن الأخ المشار إليه على جانب كبير من الاطلاع ، فقد ترددت فى قبول المستندين السابقين حتى استفتيكم . والله ولى التوفيق .

عبد الرحمن دهب
السوكى ـ بالسودان

الاجابة على سؤال الأخ عبد الرحمن دهب بالسوكى بالسودان

الجواب : ورد فى الصحيح عن جابر رضى الله عنه وغيره أنه صلى الله عليه وسلم فى يوم العيد كان يخطب الرجال ثم يذهب إلى النساء فيعظهن وليس فيه أنه كان يخطب الرجال خطبتين يفصل بينهما بجلوس كما هو الشأن فى الجمعة وذلك لأن خطبة العيد من

السنن فهى غير واجبة ولذلك لا بأس على من انصرف بعد الصلاة دون أن يستمع إليها .

وأما ما جاء فى مسند الشافعى منسوبا إلى عبيد الله بن عبد الله فهو ليس حديثاً مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وليس هو كذلك قول صحابى حتى يكون فى حكم المرفوع .

وأما حديث جابر عند بن ماجة من قوله إنه خطب قائما ثم قعد قعدة ثم قام فليس فيه أنه قام ليخطب الخطبة الثانية بل يجوز أنه قام ليذهب إلى النساء فيعظهن كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم فى أيام العيد .

وعلى ذلك فمن خطب خطبتين فقد أخذ بالأحوط لورود هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة ومن خطب خطبة واحدة فلا شىء عيه والله أعلم .

س ١ — ما الحكم فى رجل يعبد الله من صلاة وزكاة وصيام وغيرهما من العبادات المفروضة من غير أن ينتسب إلى مذهب من المذاهب ؟

س ٢ — ما الحكم فى الصلا خلف ممن يعتقد فى الأولياء وكراماتهم ، وفى قراءة القرآن على الموتى ، ويعتقد فى الأحجبة ؟ فهل الصلاة خلف مثل هذا الإمام بالمسجد أفضل ، أم بالمنزل ؟

عبد المنعم أحمد محمد على

الدرديان — باسكندرية

ج ١ — يجب على كل مسلم أن يأخذ دينه كله عقائده وعباداته ومعاملاته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن لا يقلد فى دينه أحداً مادام قادراً على فهم النصوص واستخراج الأحكام منها فإن الله أمرنا باتباع ما أنزل إلينا وأوجب علينا فهمه وتدبره وذم التقليد ورمى أهله بالجمود والغفلة وتعطيل ملكة الفكر والتميز التى هى خاصة الانسان كما قال تعالى من سورة الملك (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) .

فإذا سعى فى طلب الدليل وبذل غاية جهده فأعياه الوصول إليه فى حكم من الأحكام فلا بأس أن يعمل فيه برأى من يثق فى دينه وأمانته وتمكنه من علم الكتاب والسنة على أنه إذا ظهر له الدليل بعد ذلك منهما مخالفاً الرأى من قلده يجب عليه أن يطرح التقليد جانباً ويعمل بما دل عليه الدليل .

جـ ٢ — ورد فى الصحيح أن صلاة الرجل جماعة فى المسجد تزيد على صلاته فى بيته أو فى سوقه بخمس وعشرين جزءاً ، وفى رواية بسبع وعشرين درجة فيجب على المسلم أن يحرص على أداء الصلوات الخمس فى جماعة جهد استطاعته بشرط أن لا يكون المسجد قد بنى على قبر فإن الصلاة فيه لا يصح وبشرط أن يكون الامام الذى يصلى بالناس غير مبتدع فإن كان ممن يعكف على قبور الأولياء فيدعوهم من دون الله ويلتمس منهم المدد والبركة ويعتقد فى قدرتهم على التأثير وقضاء الحاجات ودفع الكربات . وكذلك إذا كان يعتقد فى هذه التمائم التى يكتبها أهل الدجل والشعوذة والتى تشتمل على كلمات شركية من سحر وطلاسم فهذا لا تجوز الصلاة من خلفه .

وأما قراءة القرآن على المولى ، فهذه مسألة خلافية بين العلماء وعلى هذا فلا بأس بالصلاة وراء من يفعلها مادام أهلا للامامة .

عابد المـــال . . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس ؛ وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » رواه البخارى.

التعس : بمعنى الهلاك والعثار والسقوط والانحطاط والبعد .

والخميصة : كساء أسود له أعلام ، أى خطوط مغايرة للونه .

والانتكاس : معاودة الداء بعد البرد : وشيك : أصيب بالشوكة .

انتقش : أخرج الشوكة بالمنقاش . وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران .

طوبى : هى الحسنى والخير . وقيل شجرة فى الجنة . العنان : سير اللجام . الأشعث : منتشر الشعر : والحراسة : مقدمة الجيش . والساقه : مؤخرته

وهذا الحديث يعتبر أصلا عظيما من أصول الدين ينهى فيه النبى صلى الله عليه وسلم عن عبادة الدنيا التى رمز إليها بعبادة الدرهم والدينار والخميصة ، فالدرهم والدينار هما الوسيلة إلى قضاء اللبانات ، ونيل الأغراض والشهوات .

وحب الخميصة إشارة إلى حب الزينة ومباهج الحياة . وكل أولئك ولا شك إذا قصد إليه من الناحية المادية الصرفة وطلب لذاته ألهى عن عبادة الله والدار الآخرة .

أما إن طلب المال من حله وأنفق فى وجهه ، فكان منه الحق المعلوم ، للسائل والمحروم وكذلك إن روعى فى استعمال الزينة ما أباحه الله ولم يُتَعَدّ حدوده ، فذلك لا شىء فيه .

بل ينعكس الأمر ، فبدل أن يكون طلب المال والزينة فى الحالة الأولى عبادة لغير الله يكون فى الحالة الثانية عبادة خالصة له تعالى . والفرق بين الحالتين بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف عابد المال بأنه إن أعطى منه رضى ، وإن لم يعط سخط ، فهو حريص على جمعه والاستمتاع به على أية حالة . يفرح أشد الفرح إن توفر لديه . ويحزن أشد الحزن إن قدر عليه : وهو المعنّى بقوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا . وإذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا) .

ثم انتقل الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من التحذير من عمل ذلك المحروم والدعاء عليه : إلى حالة تغاير حالته كل المغايرة ، تلبس بها رجل وقف حياته في سبيل الله لا يبغى عن رضوانه حولا .

والواقع المشاهد أن الإغراق فى حب الدنيا والإخلاص فى حب الله لا يجتمعان فى قلب واحد . وصدق الله إذ يقول (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته وماله فى الآخرة من نصيب) .

والمقصود من إرادة حرث الآخرة : هو الإخلاص فى حرث الدنيا ، وعدم جعله غاية يقف الحارث عندها ، وإنما يكون حرث الدنيا مذموماً وحارماً صاحبه من حظ الآخرة إذا قصده لذاته ليقضى به لذاته .

فبمقدار ما حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من حالة عابد الدنيا ودعا عليه ، بمقدار ما أثنى على من أسلم وجهه وهو محسن ، وانطوت جوانحه على صدق النية ، وبشره بالدرجات العلى ، وذلك جزاء من تزكى . وهل من شىء يزكى النفس ويرفعها إلى عليين مثل إخلاص فى طليعة الناس أو فى أخرياتهم . لا يهمه إن وجد بين جماعة تعمل للخير أن يكون فيها رأساً أو ذنباً ، مادام غرضه العمل لله ، وتحرى مرضاته . فإن كانت كفايته تدفع به إلى مكان القيادة ، احتمل أعباءها وطلب من الله وحده جزاءها وإن أخرته إلى صفوف الجند ، وقف بين الصفوف ، ولم يبال على أية هيئة يكون الوقوف . واحتياج الجيش إلى أصغر جندى لا يقل عن احتياجه إلى أكبر قائد .

وقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات ذلك الرجل الذى يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله ما نعرفه به ـ حيث لا يريد ـ فهو بعد الناس عن حب الظهور ، ونسج الدعايات حول شخصه ، ودق الطبول يعلن بها عن حركاته ، فهو لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا . قليل اتصاله بالكبراء لعدم تملقه والتزلف إليهم ! بحيث إذا اضطرته الحالة إلى الشفاعة فى أحد عندهم لا تقبل له شفاعة : أسأل الله الكريم أن يجعلنا من هؤلاء برحمته وتوفيقه وإحسانه . وصلى الله على محمد إمام المهتدين وعلى آله وسلم تسليما كثيراً.

طـــــــــرائف

(١)

قال يحيي بن سـعيد سمعت على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب يقول : يا أيها الناس ، أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام . فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً .

ومما أثر عنه أنه قال : إنى لأستحى من الله أن أرى الأخ من إخوانى ، فأسال الله له الجنة ، وأبخل عليه بالدنيا . فإذا كان غداً ، قيل لى : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل وأبخل .

(٢)

قال أبو عمرو الشعبي فى ذم القياس ، واتباع الرأى :

إذا سئلت عن مسألة فأجبت فيها ، فلا تتبع مسألتك «أرأيت» إن الله تعالى قال فى كتابه : (أرأيت من اتخذا إلٰهة هواه ، أفأنت تـكون عليه وكيلا ؟)

وقال : وإذا سئلت عن مسألة ، فلا تقص شيئاً بشىء ، فربما حرمت حلالا ، أو حللت حراماً . وإذا سئلت عما لاتعلم ، فقل : لا أعلم ، وأنا شريكك .

وقال : إياكم والمقايسة ، فوالذى نفسى بيده ، إن أخذتم بالمقايسة لتحلن الحرام . ولتحرمن الحلال ، ولـكن ما بلغـكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظوه .

وقال : إنما هلـكتم حين تركتم الآثار ، وأخذتم بالمقاييس .

وقال : يوشك أن يكون الجهل علماً ، والعلم جهلاً ، قالوا : وكيف يكون هذا يا أبا عمرو؟ قال : كنا نتبع الآثار ، وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ، فأخذ الناس فى غير ذلك ، وهو القياس .

وقال : لقد بَغـّض إلى هؤلاء القوم هذا المسجد ، حتى لهو أبغض إلىّ من كناسة دارى ، قالو : من هم ياأبا عمرو ؟ قال هؤلاء الآرائيون : أرأيت ، أرأيت .

مسجد أنصار السنة المحمدية

بالخرطوم — سودان

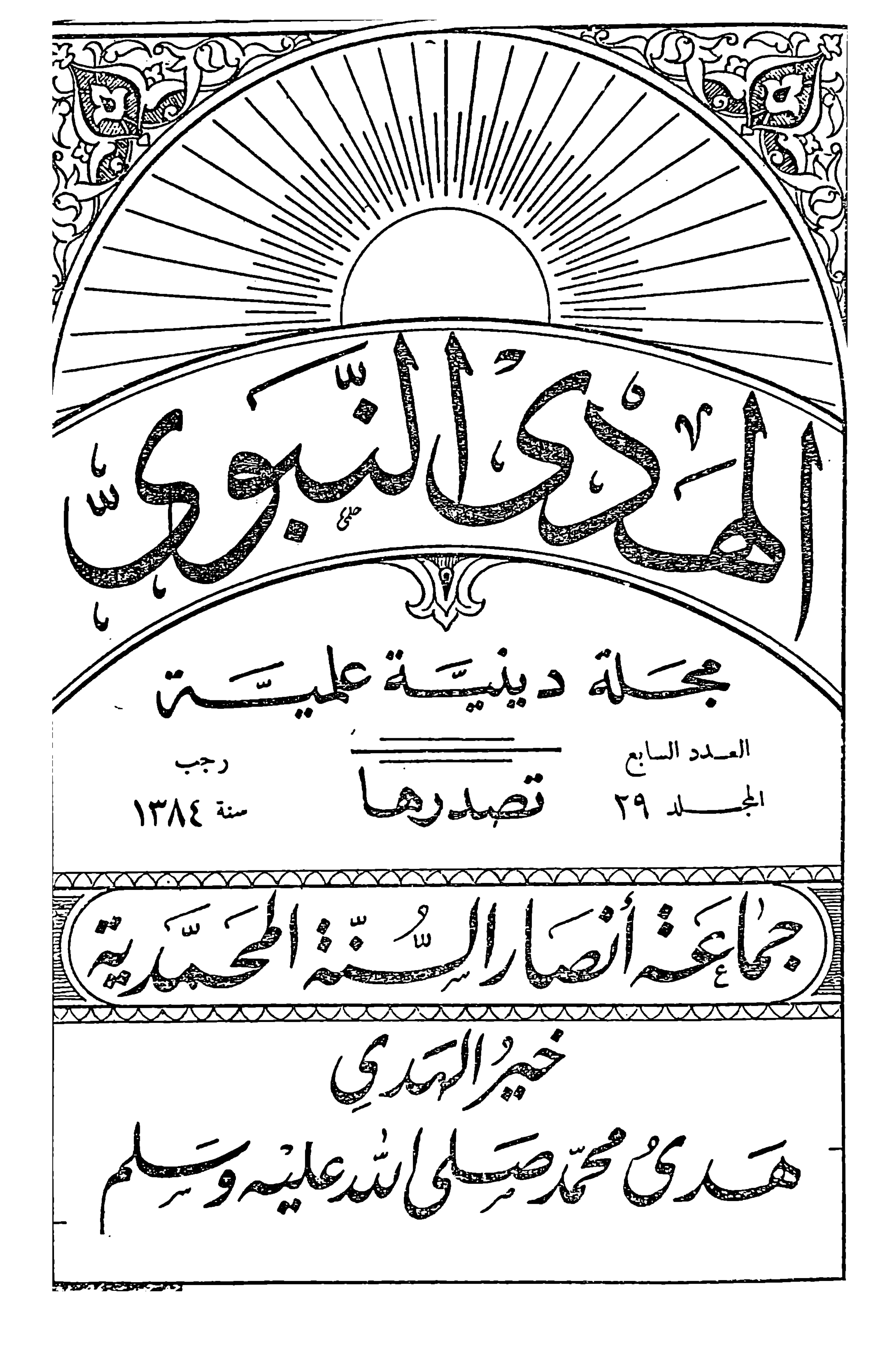
جاءنا من جماعة أنصار السنة المحمدية بالخرطوم مايأتى :

تبرعت حكومة الجمهورية السودانية مشكورة بقطعة أرض فسيحة بوسط الخرطوم لجماعة أنصار السنة المحمدية .

فقامت ببنـــاء مسجد فسيح الجنبات واسع الأرجاء وكل ذلك بعون من الله تعالى .

والجماعة تهيب بأهل النخوة وحب الخير بالقطر السودانى أن يتفضلوا بزيارة هذا المسجد وتقديم العون المستطاع لاتمـام ملحقات المسجد مثل المكتبة ودار تحفيظ القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى يتولى مثوبتهم وحسن جزائهم .

وسننشر صورة هذا المسجد بالعدد القادم إن شاء الله تعالى .



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد السابع
المجلد ٢٩
تصدرها
رجب
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع		الكاتب
٣	التفسير		للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١١	الابتداع	« «	السيد رزق الطويل
١٩	صرخة داعية	« «	عمرو محمد حسن التندى
٢٥	نظرات فى التصوف	« «	عبد الرحمن الوكيل
٣٦	تعليقات على الصحف	«	سعد صادق محمد
٤٢	رسالة (ادفع بالتى هى أحسن)	«	الشيخ زكريا على يوسف
٤٤	صراع بين الحق والباطل (قصيدة)		للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٤٦	باب الفتاوى		للأستاذ الدكتور محمد خليل هراس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد
الاشتراك السنوى
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ٧ | رجب سنة ١٣٨٤ | المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ : ﴿ حَتَّى إذا بَلَغَ بين السَّدَّين وَجَد منْ دونهما قَوْمًا لا يَـكَادُون يَفْقَهُون قَوْلاً * قالوا يا ذا القَرْنَين إن يَأْجُوجَ ومَأْجوجَ ، مُفسدون فى الأرض ، فهل نَجْعَلُ لك خَرْجًا على أن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبينهم سَدًّا . قال : ما مَـكَّنِّى فيه ربى خَيْرٌ ، فأعينونى بِقُوَّةٍ أجعل بينكم وبينهم رَدْمًا * آتونى زُبَرَ الحديدِ حتى إذا ساوى بين الصَّدَفَيْن قال : انفُخُوا حتى إذا جعله ناراً ، قال : آتونى أُفْرِغْ عليه قِطْرًا . فما اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوه ، وما استطاعوا له نَقْبًا ـ الـكهف : ٩٣ ـ ٩٧ ﴾ .

« معانى المفردات »

يفقهون : قال ابن فارس عن أصل الـكلمة إنه يدل على إدراك الشيء والعلم به ثم اختص بذلك علم الشريعة . فقيل لـكل عالم بالحلال والحرام : فقيه . وعرف الراغب

الفقه بقوله : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، وهو أخص من العلم . يقال : فقه الرجل إذا صار فقيها ، وفقه أى فهم . .

وأقول : لا يجوز تحميل مفردات اللغة مصطلحات مستحدثة . فلا نخص الفقه بعلم الشريعة وحده . بل نبقيه على عمومه .

يأجوج ومأجوج : قال الراغب : ملح أجاج : شديد الملوحة والحرارة من قولهم : أجيج النار . ويأجوج ومأجوج منه . شُبِّهوا بالنار المضطرمة ، والمياه المتموِّجة لكثرة اضطرابهم .

وقد ورد فى سفر التكوين « الإصحاح العاشر » أولاد نوح : « وبنو يافث جومر ، وماجوج » وقال الدكتور بوست فى قاموسه : « ماجوج ابن يافث الثانى ، واسم شعب متسلسل منه ، أو اسم بلاد سكنوها كان جوج ملكا[1] عليها ، وفى القرون المتوسطة سمى السوريون بلاد التتر : ماجوج ، وأما العرب ، فسموا الأرض الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود : ماجوج . وظن الأكثرون أن أهل ماجوج هم السكيثيون الذين كانوا معروفين فى أيام حزقيال ، وكانوا قاطنين فى غربى آسية ، وهؤلاء زحفوا فى القرن السابع قبل الميلاد من جبل قره قاف ، وافتتحوا ساردس عاصمة ليدية فى سنة ٦٣٩ قبل الميلاد ، ثم وصلوا إلى مصر . فأعطاهم الملك مبلغاً صرفهم به عن بلاده غير أنهم لم يطردوا من آسية الغربية قبل نهاية القرن التابع ، ووصفهم حزقيال أنهم شعب ماهر فى الفروسية واستعمال القسىّ ، ويطابق هذا الوصف ما ورد

---

(١) جاء فى سفر حزقيال من العهد القديم « الإصحاح الثامن والثلاثون » : « وكان إلىّ كلام الرب قائلا : يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال ، وتنبأ عليه . وقل : هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال » وفى الاصحاح « ٣٩ » جاء أيضاً : « وأرسل نارا على مأجوج ، وعلى الساكنين فى الجزائر آمنين فيعلمون أنى أنا الرب » .

عنهم فى تواريخ اليونان » . وقد ورد فى سفر « يوحنا » ـ وهو سفر صليبى مغرق فى التخيل والتهود كتب بين سنتى ٩٣ ـ ٩٦ ميلادية أنه رأى فى منامه ملـكاً قد هبط من السماء ، ثم قيد الشيطان ، وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه ، وختم عليه لـكيلا يضل الأمم مدة ألف سنة ثم قال ما يأتى : « ثم متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه . ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر ، فصعدوا على عرض الأرض ، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة ، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم ، وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والـكبريت حيث الوحش والنبى الـكذاب ، وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين » وسيأتى ـ إن شاء الله ـ فى التفسير عنهم .

وجاء فيه أيضاً فى مادة جوج ومأجوج ما يأتى : « جوج كان رئيساً على ماشك وتوبال ، وكان مأجوج ثانى أبناء يافث . وفى نبوة حزقيال يشير هذا الاسم إلى أهل جوج ، وقد يقصد بجوج ومأجوج فى النبوة المذكورة قبائل السكيثيين المتوحشة الذين كانوا يأتون من الشمال بقواتهم العظيمة فرساناً ومشاة متسلحين بالعصى ، وقد استعملت جوج ومأجوج بمعنى الرئيس والشعب للدلالة على القوة التى سوف تقوم . والزمن الأخير » وتوبال هو خامس أولاد يافث بن نوح كما ورد فى هذا القاموس وكذلك ماشك .

خَرْجا : قال الراغب : قيل لما يخرج من الأرض ، ومن كرى الحيوان ونحو ذلك خرجٌ وخراج . والخرج أعم من الخراج ، وجعل الخرج بإزاء الدخل والخراج مختص فى الغالب بالضريبة . أما ابن فارس فقال : الخراج والخرْج الإتاوة ؛ لأنه مال يخرجه المعطى .

رَدْمًا : قال الراغب : الردم : سد الثلمة بالحجر . . والرَّدم المردوم ، وقيل : المردَّم .

« زُبَرَ الحديد » قال الراغب : الزُّبْرَة : قطعة عظيمة من الحديد . وأصل الكلمة يدل على إحكام الشيء وتوثيقه . وعلى القراءة والكتابة ، وما أشبه ذلك .

« الصَّدَفين » صدف الجبل : جانبه . وقال ابن الأثير الصَّدَف ، والصُّدُف : كل بناء عظيم مرتفع تشبيهاً بصدف الجبل ، وهو ما قابلك من جانبه . وقال ابن فارس : الصدف جانب الجبل ، وإنما سمى لميله إلى إحدى الجهتين .

قِطْراً : قال الراغب : النحاس المذاب . وفى القاموس : القِطر : النحاس الذائب ، أو ضَربٌ منه .

يَظْهَرُوه : أى لم يستطيعوا أن يعلوا ظهره .

نقباً : خَرْقًا لصلابته وسمكه ، والنقب فى الحائط كالثقب فى الخشب .

المعنى

تقص الآيات من قصة عبد الله الصالح ذى القرنين ، فتخبر أنه بلغ مكاناً يقع بين جبلين معروفين متناوحين بينهما فتحة[1] وتخبر أنه وجد من ورائهما قوماً لا يكادون يفهمون كلام أحد ، إما لقلة الفطنة فيهم ، وإما لأن لغة الناس تخالف لغتهم .

أولا يكادون يُفْهِمون السامع كلامهم ، ولا يبينونه . وأنت تلمح فى وصفهم بهذا ذمًّا لهم مما يدل على أنهم لا يكادون يفقهون قولا عن غباء وقلة فطنة .

« قالوا : ياذا القرنين » الواضح أن القائلين قوم برموا بيأجوج ومأجوج ، وضاقوا بهم ذرعاً من إفسادهم فى الأرض ، وبهذا نحكم أن القائلين ليسوا من يأجوج ومأجوج .

---

(١) فهمت هذا من سياق الآيات الآتية . ويقول بعض المفسرين إن الجبلين هما جبلا أرمينية وأذربيجان . أو هما جبلان منيفان فى آخر الشمال فى منقطع أرض الترك وهو قول يعتمد على الحدس والتخمين .

« إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض » تكلمت عنهم فى مفردات الآيات . والآيات تثبت أنهم من بنى آدم ، وأنهم كانوا يعيثون فى الأرض فساداً إما بالقتل ، أو التخريب ، أو إتلاف الزرع ، وإهلاك الضرع ، واقتراف الفحشاء والمنكر ، مما يزعج سكون الآمنين ، ويفزع أمن الساكنين ، وخذ الكلمة على عمومها . فهم مفسدون فى الأرض وهذا يتناول ما يكون فساداً من بنى الإنسان ، ويؤذى بنى الإنسان ، فلا نطلقها على نوع معين من الإفساد ولا يستخفنا الزهو بالمعرفة ، فنجزم أنهم المغول ، أو التتار ، فإننى أخشى وأرتعد من التزيد على قصص القرآن بشىء ليس له سند يحمل على اليقين ، ويبثه فى القلب .

هم قوم مفسدون فى الأرض . وحسبنا وحسب المؤمن الذى يجد فى القرآن سكينة الروح وطمأنينة القلب والفكر :

« فهل نجعل لك خَرْجًا » عرض القوم على ذى القرنين لِما رأوا من مقدرته وبأسه أن يعطوه من أموالهم مقابل أن يجعل بينهم وبين القوم سداً .

ومن سياق هذه الآيات ، ومما قبلها تستطيع أن تجزم أن ذا القرنين وثق بما قال هؤلاء ، وأنه قد تبينت له الأدلة الواضحة المبينة على صدقهم .

وخلق ذى القرنين وسلوكه يهدينا إلى هذا القول ، فحينما قيل له عن القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس : إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً . قال — كما قص الله : « أما من ظلم فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه ، فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن ، وعمل صالحاً ، فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً » وهذا دليل على أنه رجل ثابت القلب لا تستخفه بوادر القول ، ولا تجمح به عن السنن القويم عاطفة ، ولا يبعده عن الحجة قول لا يسنده دليل ، ولا تبرز به حجة .

كل هذا يدلنا على أنه تثبّت من أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض كما قال

له من ذكر الله سبحانه ، وعرضهم الخرجَ على ذى القرنين يدلك على مدى لهفهم على خلاصهم من إفساد هؤلاء القوم وفسادهم .

« قال : ما مكنى فيه ربى خير » قال ذو القرنين المؤمن الشاكر فى عفة المؤمن وشكره ، إن الذى جعلنى فيه الله مكيناً من الملك العريض والمال الكثير هو خير مما تعرضون علىَّ . وهذا يفيد أنه قد أبى إلا أن يقيم السد صدقة منه وتبرعاً . وأنه ما طلب — كما سيأتى — إلا أن يكونوا عوناً قوياً له فيما صمم عليه .

ولقد أشبه قوله قول سليمان عليه السلام الذى قصه الله « أَتُمِدُّونَنِ بمالٍ ، فما آتانىَ الله خير مما آتاكم » .

والعون الذى طلبه ذو القرنين هو اليد العاملة والآلات ومواد البناء ، وكل ما يصلح أن يكون عوناً فى هذا الأمر . أما الأجر فقد أباه .

« فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما » طلب منهم العونَ بقوة ، وما كان فيه ذو القرنين من قوة وملك عريض ومقدرة ، ثم طلبه العون بقوة يدلك على أن ذا القرنين كان يعلم أن الأمر أمر شاق صعب يحتاج إلى جهد كبير ، وقوة قاهرة لهؤلاء القوم ، فلو أن الأمر كان يسيراً ما طلب عوناً ، وهو الفاتح الذى دان له الشرق والغرب وهذا يدل أيضاً على أن فساد يأجوج ومأجوج كان مستشرياً ، وأن طغيانهم كان طاغياً ، وأن قوتهم كانت مجرمة .

ولقد حدد ذو القرنين ما سيقوم به لهم ، وهو جعله ردماً يفصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ، والردم حاجز حصين وسد عظيم قوى للثغرة التى كانت بين الجبلين . ومن هـذا تعرف أنه صمم على إقامة بناء أقوى وأعظم مما اقترحوا عليه ؛ لأن كلمة السد تطلق على كل بناء يسد شيئاً ، سواء أكان هـذا البناء قوياً أم ضعيفاً . أما الردم فلا تطلق إلا على السد القوى العظيم من قولهم : ثوب مردوم أو مُرَدَّم إذا كان رقاعاً فوق رقاع . وردم الثوبَ رقَعَه ولفقه ، أو ضم بعضَه إلى بعض .

وتصميمه على إقامة ردم لا سَدّ فقط يدل على بصره بالأمر ، وحسن تقديره وتدبيره ووزنه للأمور ، وعلى أنه تبين من حال يأجوج ومأجوج مالم يتبينه القوم .

« آتونى زبر الحديد » طلب منهم أن يعطوه قطعاً عظيمة من الحديد[1] . وتستطيع أن تدرك التعبير بكلمة « زبر » أنه يعنى الصلب ، لأن أصل الكلمة يدل على إحكام الشىء وتوثيقه .

« حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا » . هذا يدلك على أنه ظل يضع قطع الحديد بعضها فوق بعض حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضًا ، فالمساواة بين الصدفين تعطى هذا المعنى .

ويدلك أيضاً على أنه أعد منافخ ووقوداً قوياً . ثم طلب منهم أن ينفخوا .

« حتى إذا جعله ناراً ، قال : آتونى أُفرغ عليه قطرا » . ظلوا ينفخون حتى تأجج ما أقام من بناء بقطع الحديد ، ثم طلب منهم النحاس الذائب ، وأفرغه على الحديد المتوهج المتأجج ، فالتحم هذا بذاك .

ولعل الذين يشغفون دائماً بالتطلع إلى المجهول ، أو يغريهم الغيب ، فيحاولون هتك أستاره وحجبه ، أو تراودهم الدلالات الخفية وراء آفاق النصوص .

لعل هؤلاء يسألون : وأين كان يأجوج ومأجوج ، وذو القرنين يقيم ما يقيم ، ولماذا لم يناوشوه أو يحاولوا الحيلولة بينه وبين إقامة الردم ، ولا سيما وإقامة الردم فيه قضاء على أطماعهم ، وحبس لهم ؟ .

والمؤمن الذى يطمئن إلى القرآن وبالقرآن قلبه يستطيع أن يحدس هنا مايسكن من شغفه إلى معرفة هذا المجهول ، فيتصور مثلا أن يأجوج ومأجوج كانوا بعيدين عن

---

(١) أبى المفسرون تعسفاً إلا تحديد وزنها بأن القطعة كانت تزن قنطاراً دمشقياً ! ! من أين جاءوا بهذا ؟ .

مكان البناء ، أو أنهم كانوا يخشون بأس جنود ذى القرنين ، أو غير هذا ، وحسبنا ما قص الله سبحانه .

« فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً » لقد صار الردم بناء قوياً محكما . فهو حديد قوى ملتحم بنحاس ، ثم هو يعلو حتى نهاية صدفى الجبلين ، ولهذا لم يستطع يأجوج ومأجوج عُلوَّه ، ولاَ أن ينقبوه ، وتستطيع أن تدرك أن الجبلين اللذين كان بينهما السد كانا كذلك كانا بحيث لا يستطيع يأجوج ومأجوج أن يظهروهما ، ولا أن ينقبوهما — وفى العدد القادم إن شاء الله أكمل القصة . وأضرع إلى الله أن يهب لنا الرشاد والسداد فيما أقول .

عبد الرحمن الوكيل

صدر حديثاً كتاب



كتاب قيم من تأليف الأستاذ سعد صادق محمد ، يكشف فيه أقنعة الزيف التى وضعها دعاة الباطل على وجه الحق فأخفوا عن الناس معالم التوحيد الحق . ويبين فى وضوح ما عليه دعاة غير الله من شرك وباطل ، وأن اتخاذ الناس القبور مساجد مما أضل الناس وجعلهم يلجأون إلى المدفونين فى تلك القبور . . . إلى آخر ماحواه الكتاب من بيان للحق وإزهاق للباطل . ويقع الكتاب فى قرابة ١٧٠ صفحة من القطع الكبير .

وثمنه ١٥ خمسة عشر قرشاً ويطلب من مكتبة أنصار السنة المحمدية ٨ ش قوله عابدين

نظرات فى المجتمع الإسلامى والشريعة :

الابتـــــداع

منهج البحث : تمهيد معنى الابتداع الإسلام والابتداع عوامله وأسبابه الابتداع فى عهد الخلفاء ، وهل يعتبر ابتداعاً ؟ الابتداع والتقليد

أنواع الابتداع : ١ — ابتداع فى العقيـدة ٢ — ابتداع فى العبادة

* * *

مبدأ الاجتهاد حماية للشريعة الإسلامية من آفة الابتداع .

تمهيـد : سبق أن تناولنا فى مقالاتنا السابقة على صفحات هـذه المجلة بالدراسة والبحث آفتين من الآفات التى ألمت بمجتمعنا الإسلامى هما : النفاق . والتفرق والاختلاف وقد تتبعنا حدودهما ، وبحثنا عن عواملهما وأسبابهما ، وتناولنا مظاهرهما ، وتحدثنا عن المصلحين الذين وقفوا حياتهم فى سبيل حماية المجتمع من هذه الآفات ، وتطهيره من هذه الأدواء حتى يعود صفياً نقياً كما كان فى عصر الأسلاف (خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله) .

وموعدنا الآن مع سلسلة أخرى من المقالات ، نتتبع فيها جذور آفة ثالثة عصفت بكثير من مبادىء الإسلام السامية ، وشوهت الـكثير من تشريعاته النبيلة . تلك هى آفة الابتداع .

فما معنى الابتداع ؟ وما أساسه ؟ وما العوامل التاريخية التى أوجدته ؟ وهل الإسلام فى حاجة إليه ؟ وهل هناك ابتداع حسن ، وإذا كان فما خصائصه وحدوده ؟

هذه هى الأعلام التى سنسير على هداها فى بحث هذه الآفة الموغلة الجذور فى أعماق التاريخ الإسلامى .

وسنقدم حلقات هذا البحث فى ظلال هذا العنوان الذى اصطفيناه فى أبحاثنا السابقة وهو « آفة الجماعة الإسلامية » ولا ينبغى أن يداخلنا الروع أو تتلبسنا المضاضة من تتابع هذه الآفات . فذلك واقع نحكيه وداء نشخصه ، ومعرفة الداء أول مراحل الشفاء وإذا ضل المريض عن دائه أعياه شفاؤه ولو كان الدواء منه قاب قوسين أو أدنى .

على أنى ـ برغم هذا وبرغم إيمانى بهذا العنوان ـ غيرته إلى عنوان آخر لا يختلف كثيراً عنه فى معناه ، وفى الوقت نفسه يلقى على قلب القارىء ظلالا من التفاؤل والأمل ولْيختر القارىء لنفسه بعد هذا ، العنوان الذى يرتاح إليه .

معنى الابتداع .

تدور مادة « بدع » على كل أمر يخترع على غير مثال سابق ، وسمى الله نفسه بالبديع ، لأنه لا نظير له ، أو لا يوجد من يخلق كخلقه ، فمعاد هذه المادة تفرد ، واستحداث واختراع . هذا فى النطاق اللغوى ، ولا نجد عسراً فى الربط بين هذا المعنى اللغوى والمعنى السائد فى الدراسات الإسلامية وهو أن يستحدث فى الدين ماليس منه ، وما لم يرد من مصدريه الصحيحين .

ولذا نجد قواميس اللغة نفسها عند ما تعرض المعانى اللغوية للمادة تنص على ذلك المعنى الخاص ، إذ أنه يخطر بالبال ، ويلم بالفكر عند ما يصافح الآذان لفظ البدعة أو الابتداع .

جاء فى القاموس المحيط : ـ البديع : المبتدِع ، والمبتدَع ، وحبل ابتدىء فتله ، ولم يكن حبلا فنكث ، ثم غزل ، ثم أعيد فتله ، والزق الجديد ، ومنه الحديث : إن تهامة كبديع العسل . والرجل العظيم بُدَّع ، وبناء للمتوكل سرمن رأى إلخ . ثم يقول :

والبدعة بالكسر الحدث فى الدين بعد الإكمال ، أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال [١]

وجاء فى تهذيب الصحاح . أبدعت الشىء : اخترعته لا على مثال . . . إلى أن قال والبدعة الحدث فى الدين بعد الإكمال [٢] .

ومن هذه النقول اللغوية ينكشف لنا المعنى العام للابتداع ، والمعنى الخاص له ، ومدى مابين المعنيين من علاقة وطيدة ، وصلة راسخة .

خصائصه وحدوده :

يعتبر هذا التعريف السابق بمثابة تعبير مجمل عن خصائص البدعة وحدودها ، ولكنه لا يكفى فى الكشف عن ملامحها الأصيلة ، ولذا سنتناول هذه الملامح والحدود حتى لايتورط المسلمون فى هذه الآفة . وحتى لا يخدعهم بريقها . وحديثنا هنا ـ بالطبع ـ عن البدعة التى هى آفة ، والتى حذرت الشريعة من أضرارها .

١ ــ أول سمة لها أن تكون فى المجال الدينى ، فلا ضرر إطلاقا من الابتداع فى شئون الدنيا ، بل إن الإسلام فتح العيون والآذان ، وحثّها على التفكر والاعتبار ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض حتى يسخر المسلمون قوى الكون فيما يحقق لهم النفع ، ويوفر لهم السعادة ، وحتى يبتكروا من الوسائل ، ويخترعوا من الآلات والقوى مايسمو بهم ، ويثبت كيانهم . يقول تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) (أو لم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض) (وفى أنفسكم أفلا تبصرون. وفى السماء رزقكم وما توعدون) . فبينما يذم الإسلام البدعة ومقترفها ـ إذا كانت فى المجال الدينى نجده يحث عليها ، ويدفع المسلمين إليها إذا كان فى مجال الدنيا ، وفى سبيل التفوق المادى والحضارى .

---

(١) القاموس المحيط جـ ٣ صـ ٣ :

(٢) تهذيب الصحاح جـ ٢ .

٢ — وحينما نتأمل البدعة فى المجال الدينى نجدها أبرز ماتكون فى جانب العبادة منه . والعبادة الإسلامية شعائر تمتاز بالدقة فى حركاتها وسكناتها ، وفيما يتلى فيها من آيات ، ويقال فيها من أذكار ، وما يسبقها من إعلان ، كماهى دقيقة فى أوقاتها التى تؤدى فيها ، بل وفى الأماكن التى يكلف العابد أن يرودها . هذه تقريباً ـ نواحى الدقة فى عباداتنا الإسلامية ، ولذلك فأى انحراف إلى ابتداع على صورة زيادة أو نقصان ، تراه واضح السمات ، جلىّ الأثر ، ولذا لو عملنا إحصاء للمستحدثات فى مجال العبادات لوجدنا أنها قد استأثرت بالجانب الأكبر .

وقد تكون البدعة فى جانب العقيدة . والعقيدة الإسلامية عقيدة سهلة مبسطة تتمشى مع فطرة الإنسان ، وهى أمثل عقيدة فى دقتها ووضوحها وبساطتها ، ولذا لايمكن أن يصطدم بها عقل صحيح أو تفكير سليم . وحينما تسربت للعقيدة الإسلامية الأفكار الدخيلة تعقدت ، وابتدعت فيها مسائل لم يكن لها أثر فى عصر السلف ، وكانت هذه المسائل مثار خلاف وشقاق فى صفوف المجتمع الإسلامى .

٣ — البدعة هى الأمر المستحدث الذى لا يؤيده كتاب أو سنة ، ولم يفعله واحد من خلفاء الأمة الذين أجمع المسلمون على رشادهم ، ونزاهة مسلكهم ، وهم الخلفاء الأربعة الذين تسلموا زمام الجماعة الإسلامية بعد أن لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى.

٤ — تتخذ البدعة غالباً صورة الانحراف فى المقدار ، أو الزمن ، أو طريقة الأداء ، فزيادة ألفاظ خاصة بعد الآذان تتخذ صورة الانحراف فى المقدار ، وتلحين الأذان والتغنى فيه بدعة تتخذ صورة الانحراف فى طريقة الأداء .

والطلاق فى الحيض بدعة تتخذ صورة الانحراف فى الزمن الذى ينبغى أن يقع فيه الطلاق . وهو أن يكون فى طهر لم يحصل فيه جماع ، ومنها البدع العشر التى ذكر

ابن القيم أن كثيراً من المصلين يفتتحون بها صلاتهم ، وهذه البدعة يمكن أن نسميها البدعة المحرفة أى التى يكون أساسها تحريفاً وتصرفا فى تشريع معين .

وقدتكون البدعة منشأة إنشاءفهى مبتدعة برمتها ، وليست تحريفاً لعبادة مشروعة مثل بدع المحمل والموالد وبدع الأفراح ونحوها .

عوامل الابتداع وأسبابه :

فظهور البدع فى سماء التشريع الإسلامى من عوامل وأسباب توجدها أو تساعد على وجودها . من هذه العوامل ما هو مدبر مقصود ، يدفع إليه الكيد للاسلام والنيل من تشريعه ، ومنها عوامل تتصل بشخصية الفرد الذى تورط فى هذه الآفة ، وأغراه بريقها الخلاب .

من عوامل النوع الأول : ظهور بعض العناصر المعادية للاسلام فى أواخر عهد الخلفاء من اليهود وغيرهم أمثال : عبد الله بن سبأ ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، ونحوهم أخذوا يدسون فى الروايات والأخبار والقصص الإسلامية وتفسير القرآن .

من ذلك ابتداع القراءة بصوت مرتفع فى المساجد ، أو قراءة الأذكار بصوت صاخب أمام الجنازة بحجة أن هذا العمل أفضل من الكلام فى المسجد أو أثناء تشييع الجنازة . بهذه العلة العقلية نحاول أن نلبس البدعة ثوب القبول ، وفاتنا أن الخطأ لا يصح أن يعالج بخطأ ، وأن كل بدعة فى الدين ضلالة مهما كان شأنها ، ومهما كانت حقيقتها .

ومنها الخرافات والأباطيل التى راجت فى البيئة الإسرائيلية والتى يطلق عليها المحققون « إسرائيليات » كالإسرائيليات التى دست فى تفسير «الهم» فى سورة يوسف ، والنعاج فى سورة «ص» والأساطير التى أحاطوا بها قصة الخلق فى سورة البقرة .

ولم تقتصر أساليب إفسادهم عند هذا الحد بل اتخذوا أسلوباً آخر أشد كيداً ،

وأكثر خبثاً ، وهو الزج بكثير من الأخبار المفتراة والأحاديث الموضوعة ، بين الأحاديث التى صحت نسبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لـكى تلبس على المسلمين دينهم ، وتوقعهم فى شبكة من التضليل لاحد لها .

أما العوامل التى تتصل بشخصية المبتدع فـكثيرة ، ونستطيع أن نحصر بعضاً منها فيما يأتى :

١ — جهل المبتدع بطبيعة العبادة فى الإسلام ، وأنها توقيفية فى حركاتها ، وفيما يقال فيها من أذكار ، وأن المسلم ينبغى أن يقف عند التفصيلات الواردة عنها ، لا يتجاوزها قيد شعرة ، ولـكن الجهل بطبيعة العبادة يوهم الناس أن هذه الزيادة ما هى إلا ذكر وتقديس لله ، أو أن هذه البدعة خير فى ذاتها ، ولم يعلموا أن هذا كله يتنافى مع ما للعبادة من صفة التوقيف ، وقد تدفع الجهالة صاحبها إلى تبرير ابتداعه بصفة الحسن ، مع أنه لاحسن فى كل ما يبتدع فى الدين . يقول مالك بن أنس رضى الله عنه : من زعم أن فى الدين بدعة حسنة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله تعالى يقول : (اليوم أكملت لـكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لـكم الإسلام دينا) .

٢ — سوء الفهم للنصوص الواردة يدفع إلى التحريف فى تطبيقها ، فمثلا يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قراءة سورة الـكهف سنة ليلة الجمعة ، ويقتضى هذا النص أنه يسن لـكل مسلم أن يقرأ هذه السورة ، ولـكن سوء الفهم يقلب السنة إلى بدعة ، حيث نلتمس أحد القراء ليقرأها فى المسجد بصوت جهورى بين يدى الصلاة . ومثال آخر لسوء الفهم : يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نقول مثل ما يقول المؤذن عند ما نسمع الآذان ثم نصلى عليه . فمهوم الحديث أن الأمر بالصلاة على النبى موجه لمن يستمعون الأذان ، على أن تـكون الصلاة بالصيغة الواردة المأثورة ، ولـكن سوء الفهم يصور للمبتدعين أن الأمر بالصلاة موجه للمؤذن على تلك الصورة المحرفة التى لم يأذن بها الله .

٣ — إخضاع العبادات لمبدأ التعليل العقلى ، مع أن السمة العامة للعبادة أنها ـ فى معظم أحوالها ـ فوق مستوى التفكير العقلى من حيث حكمتها وتبرير أوضاعها ، ولكنها فى مستوى الفطرة الإنسانية . هذا الإخضاع يدفع الإنسان إلى التورط فى بدعة يراها حسنة ، لكنها عند الله أسوأ ما تكون .

٤ — عدم الدراية بأصول الفقه الإسلامى دفعهم إلى التخبط فى القول بالإجماع ، معتمدين على الأثر المروى « مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » مع أن الإجماع المعتبر فى الإسلام هو إجماع الصحابة على رأى بعض الفقهاء . أو إجماع علماء الأمة ، والطائفة المثقفة المتفقهة فى دين الله منها . على رأى جمهور الفقهاء ، وهؤلاء الذين نعتقد بإجماعهم هم الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم أمة بتبريرنا لكثير من البدع نظراً فى قوله « لا تجتمع أمتى على ضلالة » . ومن مظاهر هذا التخبط فى الاستناد للإجماع لشيوعها . وسكوت كثير من العلماء عليها .

٥ — ضيق الأفق فى علم الحديث وضوابطه التى تتصل بروايته وإسناده وما قد يتعارض من النصوص المروية منه ، مع الجهل بالقواعد التى وضعها العلماء لفهم الحديث ، والاستنباط منه . فزيارة النساء للقبور اعتماداً على نص يبيحها كقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، « زوروا القبور فإنها تذكر بالموت » بدعة أساسها العلة السابقة ، وإلا لو كان لهؤلاء المبتدعين دراية بالحديث كما أسلفنا لما تورطوا فى هذه البدعة استناداً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زائرات القبور . . . . الخ »

٦ — الجهل بقواعد اللغة العربية ورطت الكثيرين فى بدع مفتراة لا أصل لها نتيجة لعدم الدراية بكثير من أساليب اللغة وتعبيراتها ، فلو تمعنا فى الدعاء الذى يقوله المسلم عند نومه كما رواه البخارى ، وفيه يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« اللهم إنى آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت » وأخذ أحد الصحابة يردد الدعاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، غير أنه قال : « ورسولك » بدلا من « ونبيك » فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : قل : « ونبيك » نجد فيه إحكامًا ودقة فى الأسلوب تجعلنا نقف موقفاً حاسماً من هذه الأدعية المزخرفة التى نسجها خيال المبتدعين . وبدعة صلاة المؤذن — بالصورة التى نسمعها — بعد انتهائه من الأذان لها أساس آخر هو عدم الدراية بمفهوم الخطاب فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ثم صلوا علىّ » .

٧ — قد تكون البدعه لعوامل سياسية ، واتباعاً لهوى معين ، ورغبة فى الظهور الكاذب ، كبدعة المحمل التى اخترعتها شجرة الدر ، لتدعم عرشها الذى يتهاوى تحت أقدامهافى مصر ، وكذلك هذه الآلاف المؤلفة من البدع التى خلفها العصر الفاطمى فى مصر ، وكانت سبباً فى زوال ملكهم ، والقضاء على سلطانهم كما يذكر المؤرخون ، ولا زال الكثير من هذه البدع يملأ حياتنا ، فهذه الأضرحة التى لا نعرف أصلاً لكثير من أصحابها ، والموالد التى تقام لزوارها المزعومين دليلٌ على تركة الأوزار التى خلفها العصر الفاطمى .

هذه الأسباب التى أسلفت ذكرها أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى إيجاز ودقة وإحكام ، إذ يقول : « يحمل هذا الدين من كل خَلَف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وإذا كانت تلك أسباب وجود الابتداع فى محيط المجتمع الإسلامى ، فثمت أسباب ساعدت على انتشار البدعة بعد وجودها ، منها :

« يتبع »

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

صرخة داعيـــة !!

[بقية المنشور بالعدد المـاضى]

فالمؤمن الحق هو الذى يحب الله ورسوله ، والحب معناه الطاعة ، فهو يطيع الله عز وجل ورسوله فى كل ما أمر به ربه فى كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويتجنب كل ما نهى عنه . . . وهو الذى يعلم تمام العلم : قدرة الله على خلقه ، وأنه هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، والمحيي المميت الذى لا إله غيره ، ولا رب سواه ، يعلم دبيب النملة الخرساء على الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء . ليس بيننا وبينه وسيط ولا شفيع . . . فالوسطاء والشفعاء جهلة ، وهو الذى أحاط بكل شىء علما...وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فضلا عمن سواهم ، وهم الفقراء إليه ... أكثرهم حباً له ، أعظمهم تذللا لديه ، وأكثرهم عبودية ومعرفة به ، هم السباقون إلى الخيرات الناجون من فعل المنكرات الموحِّدون المؤمنون . . .

أقول لأهل الوسيلة والتوسل : هل الكذب على الله يسمى حباً أم بغضاً أيها الجاهلون ؟! .

وقد حدثنى صديق لا أشك فى صدقه ، عن حادثة وقعت له مع رجل ينتمى إلى إحدى الجمعيات الإسلامية بالمنيا . . . حيث سأله الصديق : مالى أراك دائماً تؤم (السينمات) صحبة بعض الفتيات المتبرجات ... ؟! .

فقال الرجل : إنى مكلف من قبل الجمعية أن أشرف على الساقطات منهن . . . حتى يهتدين إلى الدين والحشمة والوقار . . . !!! .

فقال الصديق : ولكنك تدخل بهن أمكنة اللهو ، لا أمكنة العبادة ـ كالمساجد ، أو دار جمعيتك مثلا ـ تلقى عليهن فيها الدروس والمحاضرات ... ؟! .

فقال الرجل : إنى أحب اصطحابهن إلى ما يرغبن فيه ، المرة بعد المرة حتى يكرهن ذلك . . . ! ! ! .

فقال الصديق : وأنت ألا تخشى على نفسك ، وأنت لا أراك مصلياً ولا عاملا لدينك شيئاً ... ؟ ! .

فقال : نحن فى حالة سكر ! ومن كان منا فى هذه الحالة سقطت عنه التكاليف .. !! .

فأعرض صديقى عنه وهو فى أسف وحسرة على الدين الذى كاد أن يضيعه أهله تماماً .

فهل يكون هذا الضلال المسموم دينا وإسلاما . . . ؟ ! .

ألهذا أنشئت بعد الجمعيات لخدمة هذا الدين ... ؟ ! .

هذه بعض العوامل الجامدة الضالة المضلة . . .

أما الجحود وهو الإلحاد : فقد رسمه أعداء الإسلام فى الكتب والمقرزات . . . ونادى به الملاحدة بدون حياء ، فقد وجدوا القلوب خالية من الإيمان ، خاوية من العقيدة السليمة ... ووجدوا لدعوتهم كثيراً من الوسائل كالصحافة وغيرها ... وشنوا حملتهم على الدين باسم التقدم والمدنية ومحاربة الرجعية . . . وقد خلبت بعض صغار المتعلمين فى الجامعات الأسماء الرنانة ، والشهادات العالية التى حصل عليها بعض الملاحدة الذين ضربوا لهم الأمثال من واقع الحياة فى بلادنا الإسلامية ، تحقيراً للدين وأهله فى محاضراتهم . . . فأصبح كثير من المتعلمين المتخرجين ـ وللأسف ـ بعيدين عن الإسلام وتعاليمه ، مغرورين بما درسوه من صور باهتة للإسلام وأهلِهِ ؛ فكانوا حرباً عليه ، وكان علمهم جهالة به ... وحسبنا الله ونعم الوكيل ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

« أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله . . ؟ أفلا تَذَكَّرون ؟ » .

وكان من آثار هذا الإلحاد ، إباحية نكراء ، وتبرج فاضح ، وخروج عن الدين وتعاليمه السامية . . . وانحط الوازع الدينى فى النفوس . . . ففسدت الأخلاق ، وتركت الفضائل ، واتبعت الرزائل . . . واضطربت حياة المسلمين . . .

أدعوكم جميعاً إن كنتم من دعاة الإسلام وأهله ، أن تجمعوا أمركم ، وتوحدوا صفوفكم ، وأن تكونوا عوناً لهذا الدين ؛ فطهِّروهُ أولا مما ألصقه المتصوفون وأعداء الإسلام به . . . وبينوه للناس مشرقاً جذاباً ، وحاربوا رواسب الاستعمار والصليبية واليهودية التى كانت سبباً فى طمس الحقائق ، وإلباس الباطل بصورة الحق « والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

وقد نظمت هذه القصيدة بهذا المعنى :ـ

لِمَ تتركون الناس يا علماء ؟ ... يتخبطون فتعظم الأرزاء ؟

حملوا النذور إلى الدفين بقبره ... والبؤس يصلى ناره الأحياء !

والدير قد حجوا إليه تبركاً ... يُرْجىٰ الصليب ، وتُعْبَدُ العذراء

تُكْسَىٰ قبور الهامدين بحلة ... فوق اللباس ستائر ورُواء

تعلو القباب على القباب بزينة ... تحت القباب دعائم وبناء

أما الفقير ففى العراء مقامُهُ ... الأرض فرش ، والسماء غطاء

يا من توسل بالدفين أحجةٌ ؟! ... نص الكتاب ، فبيِّن الفقهاء !

هل ترفضون من الكتاب بيانه ؟ ... أم ترتضون الشرك ؟! ذاك بلاء

أم تتركون الجاهلين على الردى ... عُمْيًا ، وصمًا ، للدعاة أساؤا ؟

كم حاربوا أهل الهداية حقبة ... بالإفك ! تلك ضلالة عمياء

تلك الموالد بالفساد مليئة ... أما المساجد أمَّها الضُّعفاء

جل النســاء تبرجت وتزينت ... للإثم ، حتى طمت الفحشاء
ماذا يفيـــد إذا تـكلم عالم ... فى مجمع ؟ أو أفصح الخطباء ؟
إن كان من غير الـكتاب دليـله ... فالقول إفك كله وهُـراء
لن ينفع القول الفصيح إذ التوى ... فعل يضل ؟ فتـكثر الأدواء

أفضى التوسـل للتبرك بالدمى ... حتى الصليب ! أكلها وسطاء ؟ ؟ !
ودَعَوْا دفينا فى القبور ضـلالة ... بالله(١) ! هل بلغ الدفين دعاء ؟ !
بالله ! هل ذاك الدفين بمالك ... نفعاً لحيٍ ؟ ! والممات فنـاء
بالله ! هل عند الفقير(٢) لبائس ... رزق !! وهل عند العليل شفاءُ ؟!
هل يمنح الضعفاءُ طالبَ قوة ... ما يرتجيه ؟! وكلهم ضعفاء !

يارب ما للعبد دونك موئل ! ... أنت الرحيم ! ودونك الرحماء
لم يعرفوك فـآمنوا بوسائط ... حتى نسوك ، ويعبد الشفعاء
أنت القدير ومن سواك فعاجز ... أنت القريب ! وكلهم بُعداء
أنت الغنى وكلهم فى حاجة ... للفضـــل منك ، وكلهم فقراء
يا سامعا للـكائنات ، وعالما ... للغيب ، لا تخفى عليك خفاء !
يا حافظا للعبـــد يهجع ليله ... ياما لـكاً للـكون ! كيف تشاء
أنت العزيز ! ومن سواك بذله ... يدعوك ، حتى تـكشف الضراء
أنت المجير ! وفى جوارك رحمة ... أنت الـكبير ! ويخضع الـكبراء
ما للعباد إلى جنابك شـافع ... إلا اتبـاع الحق ، فيه نجـاء
هذا كتابك بالشريعة ناطق ... بالحق ، هل غير الـكتاب ضياء !؟

---

(١) أى قل لى بالله (٢) أى إن هذا الدفين فقير إلى الله فـكيف يعطى غيره ؟

أرسلت بالحق الرسـول محمدا ... للعالمين ، فآمن النجبـاء
باعوا النفوس كريمة وعزيزة ... فتزينت للقـــاءهم فيحاء
ما عاقهم حب الحياة وإنمـا ... هم للرسالة والرسول فـداء
خطوا الصحائف بالمداد على الثرى ... إن المداد على التراب دماء
نادَوْك فى الأسحار أنت رجاؤهم ... ما كان فى غير الكريم رجاء
فتح لهم فى الشرق يظهر نوره ... فى الغرب ، حتى ضاءت الأرجاء
لم يطلبوا عند الرسول وقبره ... أو غيره ، ما يطلب البلهـاء
هذا (بلالٌ) والعدو يذوقه ... مُرَّ العذاب ، موحِّدٌ رَجَّاء
حتى النساء أبين قولة مشرك ... كم فاز بالدين القويم نسـاء !
قد علَّموا الدنيا فكان لعلمهم ... سعد يفيض ، وعزة ورخاء
فيهم ولى الله يعبد ربه ! ... وله جهـاد صـادق ، وولاء
إن الولاية نُصْرة وتحالف ... للمؤمنين : محبـة وإخاء
لم يعرفوها حيـلة وضلالة ... فى الناس ! تلك خديعة ودهاء
والله ينصر بالولاية عبـده ... نعم الولىُّ ، ودونه النصراء
أما الرسول له ولاية مرشـد ... للمسلمين ؟ أمانة ووفاء
لا تكتموا شرع الحكيم وبينوا[1] ... للناس حقا إنـكم أمناء
نادوا كما نادى الرسول ودققوا ... فى البحث حتى تصدق الأنباء
لا تذكروا قولا يفيض جهالة ... إفكاً عليه ، والرسول براء
وإلى الكتاب تحاكموا فدليله ... صدق ، وفى قول الرسول شفاء

---

(١) الخطاب للعلماء الذين وجه إليهم الكلام فى مستهل القصيدة .

لا تتركوا الإلحاد يقطع أمره حتى تزيغ بأمره الأهواء
قد حاربوا التوحيد حتى أشركوا والشرك شر كله ، وشقاء
لا تشتروا بالعلم جاهاً إنما بالعلم جاهد أهله السعداء
أنتم دعاة الحق لا تتملقوا إن التملق قومه الجبناء
لا تطلبوا الدنيا فعمر زائل والموت حق ، والحياة هباء
الله يغضب ، والكتاب مبين والناس تبغض ، والجحيم جزاء

عمرو محمد حسن الشنرى

إمام وخطيب المسجد المجيدى بعلوى

[لا تنسوا قراءة رسالة (ادفع بالتى هى أحسن) ففيها تبصرة بالدين ، وخالص عقيدة المسلمين ، وبيان لما عليه بعض المنتسبين إلى السنة من مفارقة الدين ، ومخالفة سنة سيد المرسلين ، عليه صلوات الله وتسليماته]

٣٥ – نظرات في التصوف

عبادة الأولياء فى القـديم والحديث

وإنه ليحسن – وقد تكلمت عن الأولياء – أن أعرض عليك صوراً مما كانت عليه البشرية من معتقدات فى تاريخها السحيق العتيق الموغل فى القدم ، لتقارن بين ما كان ، وبين ما يقع تحت حسنا ، فتعلم – فوق علم – أن ضلالة البشرية متصلة الأسباب وأن البشرية قد ترقى فى معارفها إلى ماهو الأرفع والأعظم ، ولـكنها فى معتقداتها التى لا تنتسب إلى هدى النبوة تنحط إلى الدرك الأسفل ، وتعلم كذلك أن البشرية هى هى فى خرافاتها وأساطيرها ، وسأنقل لك عن الذين يشهد لهم العلماء بالتخصص فى هذا الأمر ، أو عن الذين لا يتهمهم الصوفية بأنهم منا !!

الآلهة فى مصر القديمة : « كل جهة كبيرة أو صغيرة كان لها إلهها الخاص الذى كان يعبده ،ويوقره سكانها دون غيرهم ، وهكذا عبدوا الإله « بتاح » فى مدينة منفيس فى العصور المتأخرة ، وهو الذى كان ينسب إليه عابدوه أنه أدار البيضة التى نشأ عنها العالم فى عجلة الفخار .. وفى هليوبوليس كان «أتوم » هو إله المدينة ، وفى الأشمونين كان « تحوت » ، وفى أدفو « حوريس » ...

وكان الـكثير من الآلهة يتجلون على عابديهم فى أشياء وأدوات مختلفة يحلون فيها . فإله « بوسيرس » فى الدلتا مثلا كان يحل فى عمود خشبى ذى شكل خاص . . على أن الآلهة كانت تحل غالباً فى أجسام الحيوان ، فـكان « بتاح » و« أتوم » يظهران فى العجلين أبيس ومنفيس ، و«أمون» فى كبش ، و «حسبك » إله الفيوم فى تمساح .

الكهنة فى خدمة الإله : كما كان على الكاهن أن يتولى إلباس إلهه وخدمته كان عليه كذلك أن يطعمه ، فقد كان من الواجب أن توضع المآكل والمشارب على مائدة القرابين ، وكانت تزيد العطايا فى أيام الأعياد [١] » .

ثروات المعابد : وذكر المؤلف ما منحه تحتمس الثالث لأمون من حقول وبساتين وأبقار حلوب ومقادير كبيرة من الذهب والفضة واللازورد ، وأسرى وزنوج يملأون مخازن الإله ويغزلون وينسجون ، ويفلحون الأرض .

ثم قال : وكانت الهدايا الحقيقية تتألف من معدن ثمين وغير ثمين ، وأحجار كريمة وأخشاب ثمينة وكثير من أدوات البخور . ثم من تبرعات تخصص لأعياد المعابد ، وتتألف من مقادير من الخبز والفطائر والنبيذ وعسل النحل والبخور وأنواع الفاكهة والزهور ، والخضروات والماشية والغزلان والطيور ، وأشياء أخرى كثيرة » .

ثم ذكر المؤلف قائمة بأملاك معبد طيبة وهليوبوليس ، ومنفيس فكان تعداد ما تملك هذه المعابد من ماشية يبلغ « ٤٧٦٩٥٣ » أى قرابة نصف مليون ، يملك معبد طيبة منها وحده « ٤٢١٣٦٢ » ويملك أيضاً واحداً وخمسين « كيلو جرام » من الذهب وقرابة ألف من الفضة ، وألفين ونصف من النحاس .

فى سومر : « كانت كثرة الآلهة تسكن المعابد حيث يقرب لها المؤمنون القرابين من مال وطعام وأزواج ، وتنص ألواح جوديا على الأشياء التى ترتاح لها الآلهة ، وتفضلها عن غيرها ، ومنها الثيران والمعز والضأن واليمام والدجاج والبط والسمك والبلح والتين والخيار والزبد والزيت والكعك » .

إثراء الكهنة : « وأثرى الكهنة من هذه القرابين حتى أصبحوا أكثر الطبقات

---

(١) ألا يحدث هذا فى الموالد الآن ؟

مالا ، وأعظمها قوة فى المدن السومرية ، وحتى كانوا هم الحكام المتصرفين فى معظم الشئون .. فلما أسرف الكهنة فى ابتزاز أموال الناس نهض «أوروكا جينا» كما نهض « لوثر » فيما بعد . وأخذ يندد بنهمهم وجشعهم ويتهمهم بالرشوة فى توزيع العدالة وكان الكهنة يعلمون الناس العلوم ، ويلقنونهم الأساطير ، وما من شك فى أنهم كانوا يتخذون من هذه الأساطير سبيلا إلى تعليم الناس ما يريدونه هم ، وإلى حكمهم والسيطرة عليهم » .

والسومرية أقدم الأديان التى كتب عنها التاريخ ، وهى أقدم من البابلية والأشورية.

فى بابل : كل مدينة كان لها رب يحميها ، وكان يحدث فى بابل ما يحدث عندنا اليوم ، وفى ديننا نحن ، فقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها ، وتخلص لها ، وإن كانت تخضع رسمياً للإله الأعظم » .

فى اليونان : « كان كل شىء ، وكل قوة فى الأرض ، أو فى السماء ، وكل نعمة أو نقمة ، وكل صفة ـ ولو كانت رذيلة ـ من صفات الإنسان تمثل إلٰها فى صورة بشرية عادة ، وليس ثمة دين يقرب آلهته من الآدميين قرب آلهة اليونان ، وكان لكل حرفة ولكل مهنة ، ولكل فن إلٰه خاص أو راع حارس بلغة هذه الأيام ...

وما من شك فى أن من أكبر النعم التى ينعم بها هؤلاء الأقوام أن يكون لهم كل أولئك الآلهة ، وكل هاته القصص الفتانة الساحرة ، وكل هذه الأضرحة المقدسة والحفلات المهيبة المرحة ... وإن مسيحية البحر الأبيض المتوسط فى هذه الأيام لا يعبد فيها الله بقدر ما يعبد فيها الأولياء والقديسون ، ذلك أن الشرك هو الذى يوحى إلى السذج الأساطير ، وما فيها من خيال وسلوى ، ويهب النفس الذليلة المعونة والراحة اللتين لا تجرؤ على انتظارهما من كائن أعلى رهيب بعيد لا يستطيع الوصول إليه .. والمؤلف يتكلم عن الشرك بالنسبة إلى المشركين ؛ أما المؤمن الصادق ، فلا يرى الشرك إلا لعنة وجهلا ، ولا يجد الراحة والطمأنينة إلا فى عبادة الله وحده .

ثم يقول : « وكان لكل إله من الآلهة أسطورة ، أى قصة متصلة به تشرح سبب وجوده فى حياة المدنية ، أو تفسر الطقوس التى تقام تكريماً له »

عبادة الموتى : « كانت الموتى ـ فى اعتقادهم ـ كائنات مقدسة ، وقد خلع القدماء عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً ، وكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء ، وكانوا يكنون لهم كل التبجيل الذى يستطيع الإنسان أن يكنه للمعبود الذى الذى يحبه ، ويخشاه ، فكل ميت فى فكرهم إله . . وإنا لنجد عبادة الموتى هذه عند الإغريق وعند اللاتينيين ، والأتروسك كما نجدها أيضاً عن الآريا القاطنين فى الهند . وكان الهندى كالإغريقى يعتبر الموتى كائنات إلهية تتمتع بوجود سعيد ، بيد أنه كان هناك شرط لسعادتهم ، وهو أن تحمل الأحياء القرابين لهم بانتظام ، فإذا ما انقطع حمل السر إذاً لميت ، فإن روح هذا الميت تخرج من مسكنها الهادى ، وتصبح روحاً هائمة على وجهها تعذب الأحياء ، فإنه إذا كانت أرواح الأسلاف آلهة فإنما يكون ذلك على قدر ما يكرمها به الأحياء من عبادة .

كانت للاغريق والرومان نفس العقائد بالضبط ، فإذا انقطع تقديم الفداء الجنائزى للموتى ، فإن الموتى يخرجون فوراً من قبورهم أشباحاً هائمة يسمعها الناس متأوهة فى الليل الساكن ، وهى تلوم الأحياء على إهمالهم الآثم ، وتحاول أن تعاقبهم ، فترسل عليهم الأمراض ، أو تصيب الأرض بالجدب . . إذا كان الميت الذى يهملونه كائناً شريراً ، فان الميت الذى يكرمونه إله واحد يحب الذين يحضرون له الفداء ، وفى سبيل حمايتهم يستمر على المشاركة فى شئون الانسان ، وكثيراً ما يقوم فيها بدور خاص ، ومع أنه ميت ، فإنه يعرف كيف يكون قويا ونشيطا : فكانوا يرجونه ، ويلتمسون تأييده وعطفه . وعند مايجد أحدهم فى طريقه قبراً كان يقف ، ويقول : أنت الذى هو إله تحت الأرض ، عطوفا علىّ .

ويمكن أن نحكم على السلطان الذى كان يعزوه الأقدمون للموتى من هذا الدعاء الذى وجهته إليكترا إلى روح والدها : « كن رحيما بى . وبأخى أوريستيس . دعه يعد إلى هذه البلاد ، اسمع دعائى يا أبتى ، تقبل رجائى ، وأنت تتلقى ما أقدمه من السوائل المهراقة » ولا تفتقر هذه الآلهة القوية على منح المنافع المادية ، إذ أن إلكترا تضيف . « وهب لى قلباً أعف من قلب أمى ، ويدين أطهر من يديها . . . ويبدو أون ديانة الموتى هذه هى أقدم ديانة ، فقد عبد الإنسان الموتى قبل أن يتصور « إندرا » أو « زوس » ويعبدهما ، وخاف منهم ، ووجه إليهم صلواته » . دى كولانج .

ويقول ول ديورانت فى كتابه مباهج الفلسفة عن عبادة الأسلاف: « أصبح الأقوياء فى حياتهم مخوفين بعد موتهم . الحق إن هذا الخوف من الموتى أصبح أعظم قوة مؤثرة فى الديانة البدائية . . . وكان لابد من استرضاء أشباح مثل هؤلاء الرجال ذوى القوة الهائلة ، وأصبحت الطقوس الجنائزية الممنوحة لهم أول صور الاحتفالات الدينية لتمجيد ذكراه وشرفه وعمله ، وقد أخذت جميع صور تمجيد الإله من شعيرة العبودية للرؤساء فى الأرض ، مثل رفع الأيدى ، والسجود ، والركوع والتعظيم وغير ذلك[١] وإلى هذا اليوم لا يكمل أى مذبح كاثوليكى لا يضم رفات بعض القديسين[٢] . . . وكان الإغريق ومعظم الشعوب القديمة تتوسل إلى موتاها ، كما يتوسل المسيحيون بالقديسين .

وتحت عنوان : « الإله الميت » كتب نفس المؤلف يقول : « إن فكرة البشرية عن الله فى تغير دائم . حقاً يمكن أن يدون تاريخ الإنسانية فى صنع من تجسدات الله نعنى الموت المتكرر لإله قديم حتى يفسح الطريق لآلهة قد تمثل أخلاقا ومثلا عليا أرقى فى جنس يتطور وسيبلغ منك العجب مبلغه حين تطلعين على الآلهة المتعددة مما كان

---

(١) ولم لايقول : إن جميع صور تمجيد البشر مأخوذة عن تمجيد الله فقد عرفت الإنسانية السجود لله منذ البدء ثم جاءها الشرك بعد هذا .

(٢) هذا بعينه يفعله من يزعمون أنهم ينتسبون إلى الإسلام اليوم .

الإنسان يعبدها بين حين وآخر على أنها أبدية ، فالآلهة الكبرى تبلغ المئات ، والصغرى تبلغ الملايين ، ولو أمكن للأجيال الماضية أن تعود إلى ظهر الأرض لا فتضح أمرها حين تعلم أن آلهتها حتى القادرة على كل شيء والتي كانت تتقرب إليها بالصلاة إنما يعرفها اليوم علماء الأنتروبولجيا فقط ، وقد أول كل شعب فى كل عصر الله على هواه ، وكان راغباً فى الموت ، أو على الأقل فى القتل للدفاع عن ذلك التصور العابر[1] » .

تجمع هذه النصوص التى تحتفى بالصدق واليقين فى أكثر ما ذهبت إليه على أن كثيراً من الأمم العريقة قد اتخذت لها مع الله آلهة أخرى كثيرة . وما كانت هذه الآلهة الكثيرة سوى الأولياء أو القديسيين .. ولئن كانت الإنسانية فى تاريخها الغابر قد سمتهم آلهة ، ووصفتهم بصفات الله ، فإن الإنسانية فى عصور مدنيتها ظلت تنسب إلى الأولياء صفات الله سبحانه ، فما غير شيطان الضلالة من الحقيقة سوى اسمها ؛ بل إن التصوف المعتّق قد سمى الأولياء أرباباً وآلهة ، فوق أنه وصفهم بصفات الله ، وحكم بأنهم عين ذاته ، وهوية هويته !!

كل ما يجادل فى شأنه عبد الأولياء هو أن أسلافهم المشركين سموا الأولياء آلهة ، أما هم ، فلم يسموهم آلهة بل أولياء !!

وهذا الجدل مأفون الضلالة محموم الخداع والنفاق ؛ فإنهم ينسبون إلى الأولياء قدرة الله القاهرة ، ومشيئته التى لا ترد ، وعلمه المحيط بكل ظاهر وباطن ، وغناه الذى لا تنفد خزائن ملكه ، وإلا ما توجهوا إليهم بضراعات القلوب ، ودعوهم فيما هو من شأن

---

(١) اقرأ النصوص السابقة على التوالى فيما يأتى ص ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ مصر لأدولف إرمان ، وهرمان رانكه « مترجم » ، ص ٢٩ ، ٢١٣ جـ ٢ قصة الحضارة « الشرق الأدنى » لول ديورانت « مترجم » ، ص ٣١٨ جـ ١ م ٢ قصة الحضارة أيضا ، ص ٢١ — ٢٧ المدينة العتيقة لفوستيل دى كولانج « مترجم » ، ص ٢١١ ، ٢٦٢ جـ ٢ مباهج الفلسفة لول ديورانت .

القدرة الإلهية ، ومشيئتها ورحمتها . وهم بهذا يقيمون الحجة على إيمانهم بأن للولى صفات الله . والصفة أقوى دلالة على حقيقة الموصوف من الاسم على حقيقة المسمى . فإطلاقهم صفة الله على الولى أقوى دلالة على حقيقة معتقدهم فى الأولياء من إطلاقهم الأسماء الإلهية عليهم ؛ فإننا قد نطلق على الأشياء أسماء لانقصد بها الدلالة على معان قائمة بالمسمى من أجلها أطلقنا هذه الأسماء ؛ لماذا سمينا إنساناً بالأسد ، أو الذئب دون أن يكون فيه شىء من صفات الأسد أو الذئب . ولـكننا حين نطلق صفة ما على موصوف ، فإن هذا الإطلاق يدل على أمرين أحدهما : أن هذا الموصوف توجد فيه هذه الصفة ومن أجل هذا نسبناها إليه ، وأننا نعتقد فى صدق هذه الصفة إليه .

وقد لايدل هذا الإطلاق إلا على أمر واحد فقط ، وإذا خدعنا الظاهر ، وقصرت التجربة أو خدعتنا تصورات العاطفة ، فقد يتراءى لنا إنسان بالـكرم ، وهو بخيل ، وقد يفتننى جب الشخص عن حقيقته ، فأصفه بما ليس فيه . فإذا نسب إنسان إلى ، ولى ما القدرة على الإحياء ، أو الرزق ، أو النفع ، أو الضر ، أو علم الغيب ، فإنه بهذا يقيم الدليل على أنه يعتقد فى هذا الولى أنه رب وإله ، وإن سماه ولياً ، أو عبداً ، فإن هذه التسمية لاتنجيه من الحـكم عليه بأنه مشرك !!

وعباد الأولياء يقترفون جريمتين الأولى : أنهم يسألون أولياءهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه . والأخرى : أنهم يسألون الأولياء أكثر مما يسألون الله ، وإن سألوا الله أقسموا عليه بالموتى ، بل إنهم ليطلبون من الله أن يكون شافعاً لهم عند عبيده الذين قهرهم دود التراب وسوس القبور !! فمن دعائهم : « شىء لله يا سيد » ألا ترى — فوق ما مضى — أنهم يطلبون من السيد أن يعطيهم لله شيئاً !!

كما تلحظ فيما عرضت عليك من صور لمعتقدات البشرية فى تاريخها القديم زعمها أن روح الإله المصرى « يوسيرس » تتجلى فى عمود خشبى ، وأن روحى « بتاح وأتوم » المصريين تتجليان فى العجلين أبيس ومنفيس !!

والبشرية في مدنيتها الزاهرة الحاضرة مازالت تدين بمثل هذا ، بل بما هو أشد منه تسفلا وانحطاطاً ! ! ولن نعرض إلا ما نشهده في قومنا الذين ينتسبون إلى الإسلام ، فعند عباد الأولياء « صارى المولد » وعجل السيد ، وعجل العزب . والصارى عمود خشبي ينصب في الموالد ، فيكون مطاف التقديس ، ومهوى قبلات الشفاه ، ورجاء القلوب وآمالها طيلة أيام المولد ؛ لأن روح صاحب المولد ترفرف عليه ، ولأن القطب الغوث يطوف حوله ! ! بدليل أن هـذا الصارى نفسه يصير في غير أيام للمولد ردغة من البول والغائط !!

وكان للسيد البدوى ساقية تدار بالعجول ، وكان العجل الذى يديرها مقصداً للناس من كل جهة ابتغاء بركاته ، فتراهم يقبلونه ، أو يضعون أيديهم عليه في خشوع وحب . ثم يرفعونها إلى أفواههم لتقبيلها !! ولقد شهدت هذا بعيني رأسي ، وشهده معي المئات من طلاب المعهد الأحمدى ورواد طنطا .

أما عجل العزب ، فهو معروف عند الريف ، وهو عجل صغير مدرب يضع أصحابه غطاء على ظهره ورأسه ثم يرتادون به الريف ، فيفتح الأبواب برأسه ، فيستقبله أصحاب الدار بالتقبيل والتهليل ، ويتسابقون إلى لمس جسمه ، ولثم فمه !!

وما من عجل أو كبش ينذر للسيد البدوى أو غيره إلا ويصير حيواناً مقدساً له الطعام الجيد ، والفراش الوثير ، والحب الوثيق العميق ، والتقبيل له ، والتبرك به .

وتأمل شأن الكهنة في التاريخ البشرى القديم وقيامهم على الأضرحة وخدمتها ، ودعوتهم الملوك وأفراد الشعب إلى تقديم القرابين لها ، وتلك الثروات الضخمة التى كانت وقفاً على الأضرحة ، ومغدى ومراحاً للكهنة .

وذلك الثراء الفاحش الذى كان يستمتع به الكهنة ، والسلطان القاهر لهم ، وتحديد نوع خاص من الأطعمة يزعم الكهنة أن الآلهة يحبونها !! ثم قارن هذا بما تقترفه

البشرية فى حاضرها . تجد الضلالة عين الضلالة ، والخرافة نفس الخرافة . فما زال للأضرحة كهنة يقومون على خدمتها ، وأوقاف ينفق منها عليها ، ونذور توضع فى صناديقها ، أو يسعى بها العابدون إليها من أقاصى الأرض ، وقرابين تحشد إلى ساحات موالدها . وتأمل معابد الأضرحة تجد الثريات الضخمة ، والبسط الفاخرة ، والعطور الغالية الثمن تفاض على ديباج أضرحتها ، والبخور العبق الذى ينطلق فى أجوائها والمصابيح الكهربية التى على مآذنها . ثم قارن بين حال هذه المعابد ، وبين مساجد الله !! ففى المعابد ترف مجنون سفيه ، ومساجد الله عارية خالية تكاد لا يؤمها أحد !!

لقد جمع صندوق « السيد »[1] فى أسبوع مولده ذات مرة قرابة ثمانية آلاف من الجنيهات ، فماذا جمع الذين يطلبون من الناس زكاة الله فى عام ؟!

ولقد هدم أحد المحافظين مسجداً من أجل تنظيم أحد الشوارع ، ولكنه أبقى على الضريح القائم فى منتصف هذا الشارع نفسه خشية من صاحبه ! !

أما تجديد نوع خاص من الأطعمة للآلهة ، فقد بقى كما هو ، فللسيدة فى مصر الفول وللسيد البدوى فى طنطا العجول !!

ويقول تاريخ البشرية القديم أنه كان لكل مدينة معبود خاص ، ويقول تاريخ البشرية الحاضر أنها ما زالت على سخف ضلالتها هذه . فلطنطا السيد البدوى ، وللاسكندرية أبو العباس المرسى ، ولدسوق إبراهيم الدسوقى ، ولقنا عبد الرحيم القنائى وهكذا ! ! وبجوار هؤلاء تقوم أضرحة صغار الأولياء ! !

ويحدثنا تاريخ البشرية العتيق عن الحفلات المهيبة المرحة التى كانت تقام للآلهة ، ويحدثنا واقع بشريتنا الآن أن هذه الحفلات الصاخبة الماجنة العربيدة ما زالت تقام للأولياء ، وهى التى يسمونها موالد ، ولا ينكر هذا إلا جماد لا يشعر بما حوله .

ومن تراث البشرية تلك الأساطير التى تقص سبب وجود الإله أو القديس ، وعلة ما يقام له من طقوس . ونحن أيضاً نقرأ أمثال هذه الأساطير فى كتب الشعرانى وغيره !

---

(١) إذا قيل « السيد » عند أهل مصر فإنه لا ينصرف إلا إلى « البدوى » كقولهم : عجال السيد ، خروف السيد ، حمص السيد ، وهكذا .

ويحدثنا تراث الوثنية عن تقديس الموتى ، وعن التوسل بهم ، ورفع الضراعات إليهم ، فهل يمترى أحد فى ان هذه الوثنية ما زالت ديناً لألوف الألوف من البشر ؟!

إنى لأرجو أن تقرأ ما عرضت عليك ، وأن تقارن بينه وبين حاضر البشرية ، وثمت تتجلى لك هذه الحقيقة ساطعة مشرقة ، تلك هى أن البشرية لا تسمو فى معتقداتها أو أخلاقها إلا حين تعتصم بوحى الله ، وأنها تتردى فى أحط ما للضلالة والسفاهة من ردغات منتنة ، كلما بعدت عن هدى الله . وأنها إذ كانت ترقى فى معارفها وعلومها المادية ، فإنها تتسفل ، وتنحط فى معارفها الدينية وأخلاقها ، بل إنها فى تدينها تعود إلى ما كان عليه الوثنيون من حماقة الوثنية المسرفة فى البغى والعدوان . ولكن هناك فارق بين هو : أن كفر البشرية القديم كان كفرا صريحاً ، أما كفر البشرية الحاضر فلئيم ما كر يزعم أنه إيمان !! لقد سمى الكفر القديم بعض البشر آلهة ، وسماهم الكفر الجديد أولياء ، وهو يعتقد فيهم أنهم أرباب وآلهة !! إن الحاضر يزعم أن ما ساد الشرك فى الماضى إلا بسبب الجهل . والماضى يستطيع أن يقول للحاضر : فما بال الشرك فى أيامك أشد طغيانا ، وأكثر جنودا ؟ إنك لتجد الرجل يحمل شهادة كبرى من أرقى الجامعات ، ويعالج الملايين من الأرقام وسواها ، ولكنك تراه فى أمر الدين يلقى بخطامه إلى درويش عرفته السجون ، ودنسها بجرائمه !! تراه لا يفقه من أمر دينه شيئاً . ومن يمترى فى هذا ، فليخط بقدمه إلى ساحة المعبد المسمى باسم الحسين ، وهناك يجد أناسا ممن يوصفون بأنهم كبار فى الجاه والمنصب يخضعون فى ذل ، لعجول لا تمتاز إلا بأنها تنطق فحسب !! عجول تنتسب بصورتها إلى الآدمية وله ، وبحقيقتها إلى أبيس ، أو الخنزير المنتن !! وهى حقيقة لا ينال منها أن يجحد . وهكذا يؤكد واقع هؤلاء الناس قول الله سبحانه : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون) .الروم :

وقوله سبحانه : (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وَقْرٌ ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد .) : فصلت ٤٤

وقوله سبحانه : (فإنها لا تَعمَى الأبصارُ ولـكنْ تَعمَى القلوب التى فى الصدور) الحج : ٢٢

تدبر وصف الله لهم بأن القرآن عليهم عمى !! ثم تدبر قوله سبحانه : (وقيَّضنَا لهم قُرَنَاءَ ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) فصلت : ٢٥ .

وتدبر قول الله سبحانه : (الذين كذبوا بالـكتاب ، وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون . إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل ، يسحبون فى الحميم . ثم فى النار يسجرون . ثم قيل لهم : أين ما كنتم تشركون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا ، بل لم نـكن ندعوا من قبل شيئاً ، كذلك يضل الله الـكافرين) غافر : ٧٠ ـ ٧٤ .

وتدبر تاريخ البشرية العتيق فى ضلالتها ، وتاريخها الحاضر فى حضارتها ، ثم اقرأ قول الله سبحانه : (أتواصَوْا به ، بل هم قوم طـاغون) . الذاريات : ٥٣ فإن شرك الأسلاف عين شرك الأخلاف ، وكأنما تستعيد البشرية ماضيها مع الوثنية ، فـكأنما وصى السلف الخلف !!

عبد الرحمن الوكيل

(أبو حنيفة والبخيل)

قيل أن الهيثم بن عدى قال : ماشيت الإمام أبا حنيفة رضى الله عنه فى نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الـكوفة ، وكان المريض بخيلا ، وتواصينا على أن نعرِّض بالغداء . فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال : فتمطى المريض وقال : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج) .

فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال : قوموا فما لـكم هنا من فرج . اه

تعليقات على الصحف

غضبة من أجل الوثنية

« عملية توسيع ميدان السيدة زينب . سيترتب عليها نقل ضريح السيدة إلى الضريح المجاور له » « الجمهورية يوم ٥/ ١٠/ ١٩٦٤ »

فى اليوم التالى لنشر هذا الخبر انزعج كثير من الناس لهذا القرار . فهرعوا إلى مسجد السيدة زينب يسألون عن صحة ما نشر بشأن نقل الضريح ، فعلموا أن المسجد هو الذى سيتم توسيعه . ليستوعب عدداً كبيراً من الوافدين على الضريح لزيارته . . أما الضريح نفسه فإنه مازال باقياً فى مكانه . ثابتاً على أركانه .

انزعج كثيرون لهذا الخبر ، وكأنه نزل على قلوبهم نزول الصاعقة فأخذتهم غضبة جامحة عارمة ، ولكن على ماذا تحركت فى نفوسهم هذه الغضبة المحمومة ؟ هل تحركت إشفاقاً على دين الله الذى ينطفىء نوره من قلوب الناس بفعل الأفكار الهدامة التى يروجها الملاحدة والشيوعيون الضالون ؟

هل غضبوا على السموم التى ترد من مباءات الانحلال والتهتك والفساد فى أوربا باسم التطور . . وباسم الفن . . وباسم اللهو . فى شكل كتب وأفلام وأزياء ، فتحت على الأحداث وغيرهم أبواب الانحراف و العقوق والميوعة .

هل ثارت وفارت فى دمائهم الحمية ، فأرسلو يحتجون على انحراف بعض أجهزة

الإعلام[1] التى تدخل كل بيت من بيوتنا بالأغانى والتمثيليات الماجنة المفسدة ، وفى كل عبارة فيها دعوة إلى عبادة الجنس ، أو حب داعر أو إثارة لغريزة بهيمية ؟

هل غضبوا وثاروا لإقرار أدب . أو دعوة إلى فضيلة ، أو نشر خلق طيب فى المجتمع حتى يصلح حاله ويستقيم ؟ .

هل ثاروا وتحركت هممهم لدرء المفاسد والعادات المذمومة التى تعمل فى المجتمعات الإسلامية كالمعاول لتحطيم الأخلاق . ووأد القيم الروحية ، وقتل المعنويات ؟ ..لا ،: لم يحدث أن ثاروا لشىء من هذا أو ذاك ، وإنما ثارت نفوسهم وهاجت وماجت . وسألت لتتأكد من أن صرح الوثنية باق لم يتهدم .

ولتثبت من أن الشرك مازالت مفتوحة منابعه ، تمد خيالهم المريض بما يزيدها مرضا ، ولتشبع هواجسهم النفسية .

ولكنهم لو وقفوا على حقيقة الضريح المنسوب زوراً للسيدة زينب (رضى الله عنها) ولو عرفوا شيئاً عن الأسطورة القابعة تحت الضريح ماهزهم الخبر . وما انتفضوا وثاروا «وهاجوا وسألوا» .

والحقيقة التى يبرزها التاريخ الصحيح لهذا الضريح تقول : إن هذا الضريح لا يضم رفات السيدة زينب بنت على - رضى الله عنهما - . فالمقطوع به عند المؤرخين المحققين أن السيدة زينب قضت حياتها بأرض الحجاز ثم توفيت ودفنت بالبقيع . ولم تطأ قدماها أرض مصر البتة . وتقول رواية : أن المكان المقام عليه الضريح الآن كان ساقية . فلما

---

(١) قرأنا — ونحن نكتب هذه التعليقات — الخبر الآتى المنشور بصحيفة الأهرام عدد يوم ٢٤ - ١٠ - ١٩٦٤ : تبحث وزارة الشئون الاجتماعية الآن فى استصدار تشريع يحمى المجتمع عامة . والنشء بصفة خاصه من انحراف وسائل الاعلام التى يتجه بعضها إلى نشر المواد التى تؤثر فى عقائد الشباب الدينية والفكرية .أو تقدم مايسبب الإثارة الجنسية . ويؤدى إلى الجريمة

رأى صاحبها أنها لا تدر له مع التعب إلا اليسير زعم للناس : أنه رأى السيدة زينب فى المنام تأمره أن يقيم لها قبة فى هذا المكان . فأقامها . وأعانه العوام ، ثم كان سادناً لها ، فجاءته الأموال الكثيرة .

وتقول رواية أخرى عنها « أما المشهد القائم بالقاهرة . فلا يضم رفات السيدة الطاهرة بنت الإمام على . وقد يكون قائما على ضريح إمرأة تسمى زينب أيضاً ، كما يجوز أن يكون المدفون فيه أى مخلوق من أى نوع كان .. حتى ولو ممن عبده المصريون على عهد الفراعنة .

وبعد . . فماذا يكون تحت المشهد الزينبى إلا الوهم ، أو الخيال ، أو الشيطان الذى تجسد فى اسم السيدة زينب (رضى الله عنها) وهى منه ومما يعملونه هناك براء ! .

***

هل ستنجح المرأة فى غير وظيفتها ؟

انتقدت كاتبة موقف المسؤلين من عدم إسناد وظيفة رئيس نيابة إدارية ، إلى سيدة لأن المسئولين قالوا : إن وظيفة « رئيس نيابة » تتطلب شخصية قوية بعيدة عن غريزة العاطفة التى تقود المرأة .

« الاهرام يوم ٧ ـ ١٠ ـ ١٩٦٤ »

ماذا يريد هؤلاء الذين مازالوا يلحون لإقحام المرأة فى الوظائف العامة الشاقة التى لا تتحملها تكوينها . ولا تطيقها شخصيتها ؟ هل يريدون أن يدخلوا فى معركة تحد مع الواقع الذى أقنع كل ذى لُبٍّ بأدلته الدامغة بأن وظيفة المرأة الأصلية هى : رعاية شئون بيتها . وتربية أولادها ؟! .

إنهم يريدون بهذه المحاولات اليائسة والصيحات الجوفاء . أن يجردوا المرأة من من فطرتها التى أوجدها الله الحكيم الخبير عليها . فقد أثبتت التجارب أن المرأة

لا تستطيع أن تقوم بوظائف الرجل لأنها تتطلب قوة بدنية واستعداداً فطرياً يلائم هذه الوظيفة . كما ثبت أن عاطفة المرأة تتغلب عليها . فتجعلها تنقاد بسرعة لما تمليه عليها العاطفة ، لا ما يمليه عليها العقل والحزم والعدل .

إن محاولات المرأة وشيعتها لاقتحام المجال المخصص للرجل فى كل شىء هى محاولات فاشلة مادام غايتها التمرد على الحقائق . ومغالبة أمر الله . والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الصحافة . . والأخبار التافهة

« عادت المياه إلى مجاريها بين اليزابيث تيلور . وديبى رينولدز . خلال الرحلة البحرية التى جمعت العدوين اللدودين مصادفة فوق الباخرة (. . . . .) ومع اليزابيث زوجها ريتشارد . ومع ديبى المليونير صاحب مصانع الأحذية هارى كارل . الذى تزوجته بعد أن خطفت منها اليزانيث تيلور زوجها إيدى فيشر وتزوجته . وكان الأربعة فى طريقهم من نيويورك إلى أوربا . وقد تجاهلت كل من العدوتين عدوتها فى اليوم الأول من الرحلة . وفى اليوم الثانى دعت ديبى رينولدز وزوجها . اليزابيت تيلور وزوجها إلى الغداء ثم ردت اليزابيت الدعوة فى اليوم التالى . وخلال الدعوتين تبادلت اليزابيث تيلور . وديبى رينولدز حديث ذكرياتهما مع زوجيهما إيدى وفيشر » .

« الأهرام يوم ١٥/١٠/١٩٦٤ »

** نشرت الأهرام فى صفحته الأخيرة هذا الخبر . كما نشرت فى نفس المكان خبراً آخر يحكى قصة خطف طفل وقعت فى أمريكا .

والقصتان إذا تصفحهما القارىء الباحث لا يمكن أن يخرج من أى منهما بفائدة تذكر . فليس فى سطورهما عبرة . ولا فى مدلولهما عظة . ولا تحملان فى معنييهما هداية أو إصلاحاً وتقويماً .

وإذا كان المفروض فى الصحافة أن تكون أداة لنشر الأفكار الهادفة للإصلاح والخير . والأقلام التى تحمل الثقافة إلى الناس جميعا . . وإذا كان المفروض فى الصحافة أن تكون منبراً ترتفع منه صيحات الحق . وتنطلق من عليائه أصوات تهدى الإنسانية إلى ما ينفعها ويفيدها . ويبعدها عما يضرها ويؤذيها .. إذا كان المفروض فى الصحافة أن تكون كذلك . فلماذا إذن تنشر الأهرام مثل هذه الأخبار التى أقل ما توصف به أنها أخبار تافهة مضرة غير مفيدة .

ماذا يفيد الأمة من نشر أخبار عشاق أوربا وأمريكا من الممثلين وغيرهم وذكر تفاصيل رحلاتهم . وعبثهم ومجونهم ؟ ! لماذا تشغل الصحافة صفحاتها بنشر أخبار داعرات أوربا وأمريكا وعرابيدهم . وذكر حياتهم الخاصة فتصرف أنظار القراء إلى مثل هذه الأخبار التى لا فائدة ترجى من ورائها ولا عائدة تعود عليهم إلا القدوة السيئة ؟! .

إن فى حياتنا من العلل والأمراض الاجتماعية والاخلاقية الكثير مما نشكو منه كل يوم مُرَّ الشكوى ، والأجدر بالصحافة أن تنشر بين المواطنين ما يقوِّم الاعوجاج والانحراف . ويصلح من تلك المفاسد فتؤدى الصحافة بذلك دورها فى تهذيب الأمة وإرشادها لكل ما هو قيم وحسن . فالصحافة عامل مهم جداً من عوامل تربية الأمة . ونشر الوعى الصحيح بين أفرادها . وإشاعة المفاهيم الطيبة الصحيحة . والمبادىء التربوية البناءة بينهم .

لِتؤد الصحافة دورها فى ميادين الإصلاح والتهذيب والبناء ، خير لها ولأمتها من شغل صفحاتها بنشر أخبار الفساق والعرابيد . وتضييع جَهْدها فى التهريج والتفاهات والنقائص

* * *

وماذا بقى بعد ذلك ؟ !

قتل مواطن أمه ذبحاً بالسكين لأنها امتنعت من إعطائه نقوداً يشترى بها مخدرات
« الأخبار يوم ١٩/١٠/١٩٦٤ »

* * وماذا بقى بعد ذلك . . ماذا بقى بعد أن تجرد الإبن من بنوته . ونسى ما تحملته أمه من آلام وأوجاع وهو جنين فى ظلمات رحمها . ثم بعد أن خرج إلى الحياة . وهى فى كل طور من أطوار نشأته تحافظ عليه وتصونه من كل ما يؤذيه ويؤلمه ؟ . ماذا بقى بعد أن طغت على الإبن شهوة العبث والانحراف ، واستبدت به نزعة الإثم والجريمة فلم يجد إلا أمه الرحيمة فطالبها بأن تمده بوقود الانحراف والفساد . فلما رفضت إشفاقا عليه من إهلاك بدنه وماله ، قال لمُدْيته : أن امتدى إلى رقبة هذه الأم العاصية وأريحينى من بخاها .

لقد أوصاه الله بالإحسان إلى والديه ، فقال تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً .) الاحقاف . ولكنه بدلا من أن يقدم لها الإحسان والمعروف نظير ما تحملته من آلام الحمل والوضع والتنشئة حتى كبر وترعرع ، قدم لها الإساءة والغدر . . بل قدم لها الموت .

ماذا جرى لابن آدم ؟ . هل انقلب إلى وحش ضار يفتك بأخيه . . بل وبألصق الناس به وأقربهم إليه دماً ، حتى صاروا عنده أقل من حشرة ، تنهى حياتهم الرخيصة وطأة قدم ؟ أن ماحدث ويحدث ـ من قتل وسفك وجرائم خلقية واجتماعية لا حصر لها فى عالم الناس اليوم ينذر بقرب مجيء الساعة ، فهذه بعض علاماتها !! .

سعد صادق محمد

(رسائل القراء)

جاءتنا رسائل ومقالات عديدة من السادة الكتاب والقراء سننشرها فى الأعداد القادمة إن شاء الله .

باب الكتب . رسالة :

(إدفع بالتى هى أحسن)

هى رسالة جامعة ، بل مجموعة رسائل فى عقائد السلف ومبادئهم ، والدفاع عنها . قام بجمعها وتنسيقها وطبعها ونشرها الأخ الأستاذ الشيخ زكريا على يوسف ، صاحب « مطبعة الإمام » أجزل الله مثوبته .

وتحوى هذه المجموعة القيمة على صغرها :

أولا — بعض ما نشرته مجلة (الهدى النبوى) من مقالات للأستاذ الدكتور محمد خليل هراس رداً على منكرى علو الله على خلقه ، وما نشرته مجلة (الاعتصام) لسان حال الجمعية الشرعية من قبل عن محاضرة الأستاذ عبد اللطيف المشتهرى بدار جماعة أنصار السنة المحمدية ، وإقراره واعترافه بأن عقيدة السلف الصالح التى تعتنقها جماعة أنصار السنة هى العقيدة التى يجب اعتناقها .

* * *

وثانياً — الأسئلة العشرة التى سبق أن وجهتها (الهدى النبوى) منذ ربع قرن إلى أمثال من رد عليهم الدكتور محمد خليل هراس أخيراً ، ولم تجد لها رداً إلى اليوم . وهى أسئلة موجهة إلى المعطلة ونفاة صفات الله تعالى وإلى الجهمية المعاصرين الذين يقدسون ماقاله شيخهم الأول فى الصفات .

* * *

وثالثاً — رد شبهة وبيان حجة للإمام ابن القيم ، وهو فصل قيم من كتابه : « الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة » فند فيه مايحتج به نفاة علو الله

على خلقه بحديث : « لو دليتم بحبل » إلخ . ويبين فى جلاء ووضوح خطأ ما وقع فيه هؤلاء النفاة .

* * *

ورابعاً — كلة قيمة ورسالة جامعة للعلامة الندوى أحد كبار علماء الهند ، فى بيان خطورة مسلك المعطلة ، ونفاة صفات الله تعالى ، وأنهم ضالون بهذا المسلك .

* * *

وخامساً — رسالة : « شيخ يدعو الناس إلى عبادته » ، وهى بيان لما فى كتاب : «العهد الوثيق» من ضلال وبهتان ، حيث طالب الشيخ مؤلف العهد الوثيق أتباعه ومريديه بكثير مما لم يأذن به الله ، ولم ينزل به من سلطان . ومن العجيب أن أحداً من أتباع ذلك الشيخ ومريديه لم يستنكر شيئا مما جاء فى ذلك الكتاب من شنيع القول إلى اليوم ، مع زعم جماعته أنهم هم الداعون وحدهم إلى الكتاب والسنة ، وأنهم العاملون بهما وحدهم كذلك دون غيرهم . . . (إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) .

* * *

هذا وإننا ننصح إخواننا أنصار السنة المحمدية فى جميع الأقطار ألا تفوتهم قراءة هذه المجموعة القيمة المفيدة ، وهى فى خمسين صفحة من حجم صفحات (الهدى النبوى) وثمنها ثلاثة قروش .

«صراع بين الحق والباطل»

تحية وتقـــدير

لمؤلفه الـكاتب المدقق الأستاذ سعد صادق محمد

ألهمت يحـدوك ترحيبٌ وإقبال ... من القلوب وتقـــديرٌ وإجلال
فانشر علينا حـديث الدين إن له ... مباحثاً طال فيها القيـــل والقال
وفِضْ علينا بعـلمٍ قد أُحطت به ... مرت عليـه ببطن الغيب أجيال
تخبّط النـــاس فى استجلاء غامضه ... لم تتفق فيـــــه آراء وأقوال
وخاض فيـــه من المسترزقين به ... دعاةُ معرفة فيه وجهـــــال
رأوه موردَ رزق غـــير منقطعٍ ... فأمَّ شطّيه مخبـــــولٌ ودجال

* * *

صناعةً صار ، لا علمـــــا ومعرفةً ... يغرى بهـــا بسطاء الناس ختال
كشفت بالبحث ستراً عن حقيقته ... والبحث يكشف ما لا يكشف المال
وأُبت تبحث لم تقعدك مضنيةٌ ... من المتاعب والإجهاد فعّـــــال
للدين والعـــــلم ما قد خطه قلمٌ ... فى راحتيك من الأقلام سيال
جرى وسطر للأجيـــال مفخرة ... كالشمس ليس لها فى النور أمثال

* * *

أتمم أخا «الصدق» بحثاً أنت مصدره ... وأحيِ علماً تقضّت فيـــه آجال
واكشف لنـــا سره إنا لفى شغفٍ ... إليـــه والناس بالأسرار بُخّال
ما كنت يوماً ضنيناً بالذى وصلت ... إليه عقلية بالفيض تنهـــــال
ما زلت فى عالم الأبحاث تسـمعنا ... ما لم يجل خاطر فيـــه ولا بال

حلّقت فى جوها حيناً وعدت لنا　　يضفى عليك من التوفيق سربال
فتحت بالبحث باباً مغلقاً وُضعت　　عليه من خالص الفولاذ أقفال
أظهرت من خلفه ما كان يحجبه　　فى عالم الغيب لم تفزعك أهوال
من جدَّ يطلب إدراكًا لغايته　　فلن تخيب له ما عاش آمال
ومن تعهد فى قفراء مجدبةٍ　　زرعاً ، نما وترامت منه أظلال
إن الجزاء على قدر الجهاد ولن　　يضيع مِن عاملٍ فى الأجر مثقال

* * *

سبحت فى محكم القرآن ملتمساً　　كشف الحقائق لم تعبأ بما قالوا
وطالب الغاية القصوى وإن بَعُدت　　لا يستكين ولا يثنيه تَجوال
ولا يميل به عن قصده نصبٌ　　وليس ينهكه حلٌّ وترحال
أحييت « بالحق » أبحاثاً مكبلةً　　تكسَّرت دونها للجهل أغلال
فى كل « فصل » طريف من طرائفكم　　ومنهل ، فيضه عذب وسلسال
موفَّق الرأى أنَّى سرت متجهاً　　يحدو خطاك بحمد الله إقبال
ضربت للناس عن نور الهدى مثلاً　　« للحق » حتى كأن « الحق » تمثال
فانشر « صراعك » يدوى فى مناكبها　　كما يزمجر بين الغاب رئبال
لتسمع الأذن الصماء صيحتَه　　كما يسمِّع أذنَ الصم زلزال
واستنهض القوم قد طال الرقاد بهم　　وغيرهم يقظٌ فى الكون صوال
يا « سعد » أعرض عن الجهال إن نقموا　　إن الجهول سقيم الرأى « خمال »
ذرهم وأعوانهم واغفر جنايتهم　　فالعلم يقتله نومٌ وإغفال
سر فى طريقك لا تأبه لغايتهم　　فالجهل كالداء يستعصى ويغتال
أجملت فى القول والتفصيلُ يلزمنى　　لكنَّ موقفنا يكفيه إجمال

« الجيزة »　　نجاتى عبد الرحمن

بابُ الفتاوى

أسئلة

١ — سافر أحد الإخوان من بلدة إلى أخرى تبعد عنها حوالى ٥٠ كيلو متراً تقريباً . وكان ذلك يوم جمعة وحضرت الصلاة ودعى إلى الخطبة لأنه من رجال الدين - أو - على الأقل إلى الصلاة . . فامتنع وقال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا جمعة على مسافر » فغضب منه القوم وكل الإخوان . ولكنه أصر على موقفه تمسكاً بالحديث الشريف . فما الحكم فى هذا مع العلم بأنه أقام بالبلدة طوال اليوم ؟

٢ — ما معنى قول الله تبارك وتعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) . نرجو بياناً شافياً ؟

٣ — « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » هل هذا حديث قدسى صحيح ؟

٤ — حضرت فى مسجد جماعة إسلامية تدعو إلى السنة فقال الخطيب بعد أن حمد الله واثنى عليه : خلق الله نور روح سيدنا محمد قبل كل الأرواح . وصحح ذلك بحديث « كنت نبياً وآدم بين الطين والتراب » فأى ذلك صحيح ؟ أفيدونا .

متولى محمود عيسى

بسنهوت - شرقية

جـ — إن قوله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسافر جمعة » إنما يفيد إسقاط وجوب الجمعة على المسافر وليس معناه أنه لو صلى الجمعة وهو مسافر لم تصح صلاته ، بل كل من لا تجب عليهم الجمعة كالمسافر والمريض والمرأة لو شهدوها أجزأتهم وأغنت عن صلاة الظهر . قال الإمام مالك فى الموطأ (إذا نزل الإمام بقرية تجب فيها الجمعة والإمام مسافر فخطب وجمع بهم فإن أهل تلك القرية وغيرهم يجمعون معه) .

وعلى هذا فقد كان ينبغى للأخ الذى دعى للخطبة أو للصلاة أن يجيب لاسيما إذا لم يجد القوم خطيباً غيره ، وتمسكه بالحديث لا ينفعه لأن الحديث يسقط الوجوب ولا ينفى صحة الصلاة .

جـ ٢ — ورد فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه « اللهم ربَّ السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء ، إقض عنى الدين وأغننى من الفقر » .

فتضمن هذا الدعاء العظيم تفسير هذه الأسماء الأربعة أحسن تفسير وأبينه وإذا ورد التفسير عن المعصوم عليه صلوات الله وسلامه ، فليس لأحد بعده مقال . غير أنا نزيد الأمر بياناً فنقول : إن هذه الأسماء الحسنى الأربعة دلت على إحاطته سبحانه بجميع الأزمنة ، والأمكنة فالأول والآخر دالان على الاحاطة الزمانية حيث إنه الأول قبل كل شىء والآخر بعد كل شىء ، والظاهر والباطن دالان على الإحاطة المكانية حيث إنه الظاهر أى العالى الذى فوق كل شىء والباطن أى القريب الذى ليس دونه شىء ، بل هو أقرب بعلمه وقهره وحكمه إلى كل شىء من نفسه ، فاسمه تعالى (الباطن) دال على وصول علمه إلى كل خفى وإحاطته به ، بحيث لا يفوته منه شىء ، وإذاً فلا تعارض أصلا بين اسمه الظاهر واسمه الباطن ، فإن الأول دال على علوه على جميع خلقه والثانى دال على وجوده بعلمه مع كل شىء من خلقه . والله تعالى أعلم .

جـ ٣ — حديث « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » حديث موضوع لا أصل له نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الحفاظ ، ومعناه باطل وهو من وضع الصوفية أصحاب مذهب (وحدة الوجوة) فإنه يتفق مع أصولهم الفاسدة فى أن الله كان فى الأزل حقيقة مطلقة مبهمة لا تعين لها ولا صورة

ولا صفة ، ثم برزت هذه الحقيقة فى تلك التعينات المختلفة ولبست صور الخليقة لتظهر فيها وتعرف بها ، ولذلك قالوا فى حديثهم المزعوم « فبى عرفونى » للإشارة إلى أنه عين الخلق ، ولو أرادوا الخلق علامة أو دليلاً فقط على وجود الله ، لقالوا (فبه عرفونى) أى بالخلق .

جـ ٤ — لم يرد دليل من كتاب ولا سنة صحيحة أن روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خلقت قبل كل الأرواح ، وإنما ورد فى الحديث الصحيح « أن الله خاق الأرواح قبل الأجساد بألنى عام » وأما الحديث الذى استدل به خطيب هذه الجماعة على ما افتراه وهو قوله عليه السلام « كنت نبياً وآدم بين الطين والتراب » فهو لا يدل على ذلك قطعاً وإلا لزم أن يكون هناك أمة فى ذلك الوقت قد بعث إليها ، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم ينبأ إلا على رأس الأربعين من عمره . فالمراد بالحديث والله أعلم أن الله الذى قدر أن يكون آدم أول البشر قدر أيضاً أن أكون أنا خاتم النبيين وأن قدر الله بذلك موجود ولما يتم الله خلق آدم ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الصحيحة « كنت عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته » .

وليس بغريب على هذه الجماعة أن تفترى الكذب على الله وعلى رسوله ، فإن أكثر كلامها فى شأن النبوة مبالغات وادعاءات يبرأ منها الله ورسوله ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد حذر أمته من الغلو فيه وقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » .

وقد سمع بعض خطباء هذه الجماعة يقسم على المنبر أن محمداً ليس بشراً ويزعم أن البقعة التى ضمت جسده الشريف أفضل من الكعبة ومن الجنة ومن العرش على الصحيح

بل إن مؤسس هذه الجماعة له كتاب سماه (المقامات العلية) ادعى فيه أن الذات المحمدية كانت موجودة فى الأزل مع الله قبل وجود الزمان والمكان وقبل العرش والقلم واللوح وسائر المخلوقات فنسأل الله أن يعافينا من شر هذه الوثنية الجائرة بمنه وكرمه .

س — نذر رجل أمى نذراً قائلاً - إن شفيت من مرضى فعلى شاة نذر لأهل الله - ونحن لا يمكننا تحديد غرضه فى قوله (لأهل الله) هل يقصد بهم الأولياء فيصير نذره باطلاً أو يقصد بهم الفقراء ليعطيهم بل أنه هو لو سئل لا يمكنه أن يحدد غرضه أيضاً أكثر منا ويوجد فى البلد مسجد واحد ليست له دورة مياه وأهل البلد لم يوفقوا فى جمع نقود تكفى لأقامة الدورة وينقصهم بعض النقود فأفتى أحد الفقهاء بأنه يجوز أن تباع هذه الشاة ويدفع ثمنها فى تكاليف دورة مياه المسجد . فهل هذا الأفتاء صحيح أو ماذا ؟ أفيدونا على صفحات مجلة الهدى النبوي الغراء

محمد حامد الشاذلى

إمام وخطيب مسجد بحوش عيسى بحيرة

ج — إن هذه الكلمة (أهل الله) لا تستعمل عند العامة فى قرى مصر إلا على أحد معنيين : فهم إما أن يريدوا بها المشايخ أصحاب الأضرحة الذين يقصدون للبركة ويتوسل إلى الله بهم لشفاء الأمراض وقضاء الحاجات ، وإما أن يريدوا بها مشايخ الطرق من الأحياء وأتباعهم من الدراويش ، ويقصدون بالنذر أن يذبح لهم لعمل الحضرة التى يجتمعون فيها على الذكر الراقص مع أنغام الناى وتطريب المنشدين . وعلى كل من فالنذر باطل لا ينعقد ، لأنه نذر فى معصية وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » وعلى هذا يجوز التصرف فى الشاة المنذورة بالبيع وتحويل ثمنها إلى عمل من أعمال الخير كبناء دورة للمسجد وخلافه . والله أعلم .

سـؤال

قرأت فى مجلة الهدى النبوى - نظرات فى التصوف - أن فى كبار المتصوفة طواغيت ، وأن الشيخ الغزالى صاحب (الإحياء) له فى بعض كتبه ما يفيد بخطأه ، بل زندقته ، فكيف يكون ذلك وهو عالم كبير مؤمن بالله ورسوله ، فمن أى ناحية يكون طاغوتاً أرجو أن تثبتوا ذلك بالأدلة ، لأن الغزالى رجل مؤمن فكيف يكون شأنه كذلك ؟ .

وقد بحث فى كل العلوم وقال عن نفسه أنه درس الفلسفة والفلاسفة والسفسطة والسوفسطائيين والصوفية مع العلم بأنى وجدت الصوفية مشغولين بذكر ربهم وحب نبيهم ، ويرونه فى المنام دائماً ؟

أرجو من أنصار السنة التوضيح الكافى ؟ التجانى عبد الرحمن النجومى

النهود ـ بالسودان

الجـــــــواب

إن جماعة أنصار السنة المحمدية حين تتعرض للحكم على شخصية من تلك الشخصيات ذات الشهرة الواسعة والصيت الذائع كشخصية أبى حامد الغزالى غفر الله لنا وله ، لا تضع فى حسابها أبداً ما أحرزه الرجل من مجد ولا ما ظفر به من إعجاب الجماهير وتصفيقهم ، ولكنها تحكم له أو عليه بمقدار اتباعه للكتاب والسنة أو انحرافه عنهما . فهذا هو ميزانها الوحيد الذى تزن به أقدار الرجال ، وهذا هو الذى ميزها عن كل الهيئات الدينية فهى لا تحابى ولا تجامل أحداً على حساب الحق ولا تسكت على باطل . وبناء على هذا فما نشر على صفحات مجلة (الهدى النبوى) مما يتعلق بالغزالى صاحب الإحياء بقلم رئيس هذه الجماعة لم يقصد به الطعن فى الرجل ولا التحامل عليه ، وإنما أريد به بيان الأخطاء والانحرافات التى وقع فيها حتى يحذرها الناس ولا يتابعوه فيها . وسبيله فى ذلك إنما هو الرجوع إلى كتب الغزالى نفسها ونقل النصوص المتضمنة لهذه الأخطاء وبيان وجه الخطأ فيها . ولا نستطيع الآن أن نحصر جملة الأخطاء الكبار التى وقع فيها الغزالى فى (الإحياء) وغيره من كتبه ، وكانت موضع النقد الشديد من العلماء قديماً وحديثاً . ولكنا نقول للأخ السائل إرجع إلى ما كتب فى مجلة الهدى من نقد للغزالى ثم انظر فى كتب الغزالى هل تجد شيئاً من ذلك لم يقله الغزالى ؟ وإذا وجدته قد قاله وخفى عليك وجه الخطأ فيه ، فراجعنا ونحن نبينه لك إن شاء الله .

ونكتفي الآن بأن نقدم لك حكم رجلين من أئمة الإسلام على أبي حامد الغزالي :
فأولهما وهو الحافظ العراقي الذي خرج أحاديث (الإحياء) يعتبر تلميذاً للغزالي ، ومع ذلك يقول فيه (إن شيخنا الغزالي دخل في بطن الفلسفة ثم حاول أن يخرج فلم يستطع)

وأما الثاني فهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يقول فيه (إن الغزالي يعتبر جسراً بين الإسلام والفلسفة فلا هو إلى الإسلام المحض ، ولا إلى الفلسفة الصريحة . فالمسلم يتفلسف على كتبه تفلسف مسلم والفيلسوف يسلم على كتبه إسلام فيلسوف) .

وبعد فننصح لك أيها الأخ أن لا تؤخذ بفخامة الألقاب ، وأن لا تجعل عظمة الشخصية حجاباً يحول بينك وبين إدراك الحق واجتلاء نوره من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا تحاول أن تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الرجال بالحق ، واعرف الحق تعرف أهله . والسلام .

ســــــؤال

سمعنا كلاماً كثيراً عن ناكح يده فهل يوجد حديث بمعنى أن ناكح يده وناكح أمه ملعون أينما كان وأينما حل ؟ أرجو أن توفوا هذا الموضوع حقه . أفادكم الله .

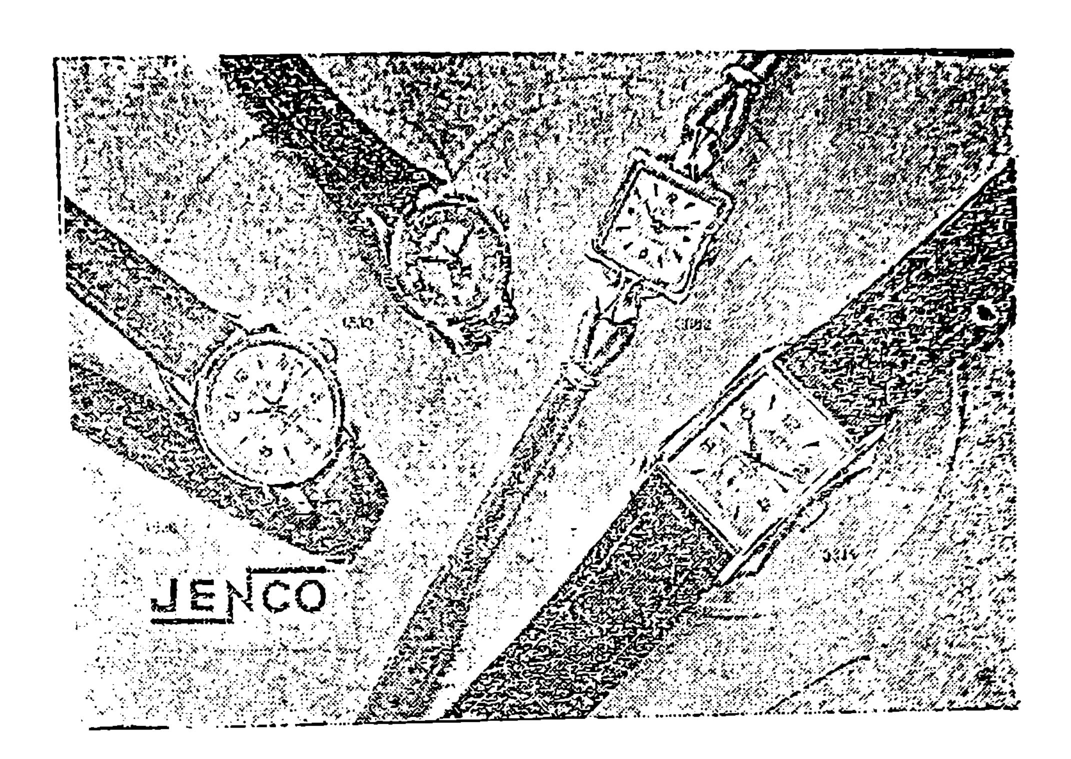
عبد البصير حسن
بنك مصر ـ الفيوم

(الجـــــــواب)

لا أحفظ في نكاح اليد حديثاً يدل على لعن فاعله ، ولكن قرأت أن شاباً كان في مجلس ابن عباس رضي الله عنهما فانتظر حتى انصرف الناس ، ثم سأل ابن عباس عن ذلك : فقال ابن عباس ، أف أف ، نكاح الأمة خير منه ، وهو خير من الزنا .

وقرأت كذلك في بعض كتب الحنابلة جواز الإمناء باليد لمن خشي العنت ، وهو الوقوع في الزنا ، ولكنه يكون بمنزلة أكل الميتة للمضطر فلا يباح منه إلا قدر الضرورة والله أعلم .

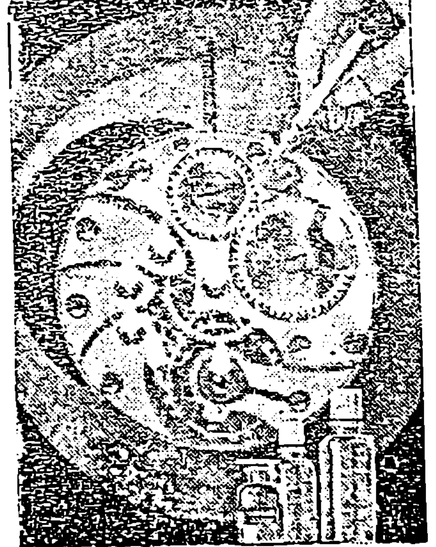
محمد خليل هراس



شركة غريب للساعات

إدارة : محمد الغريب محمد البان

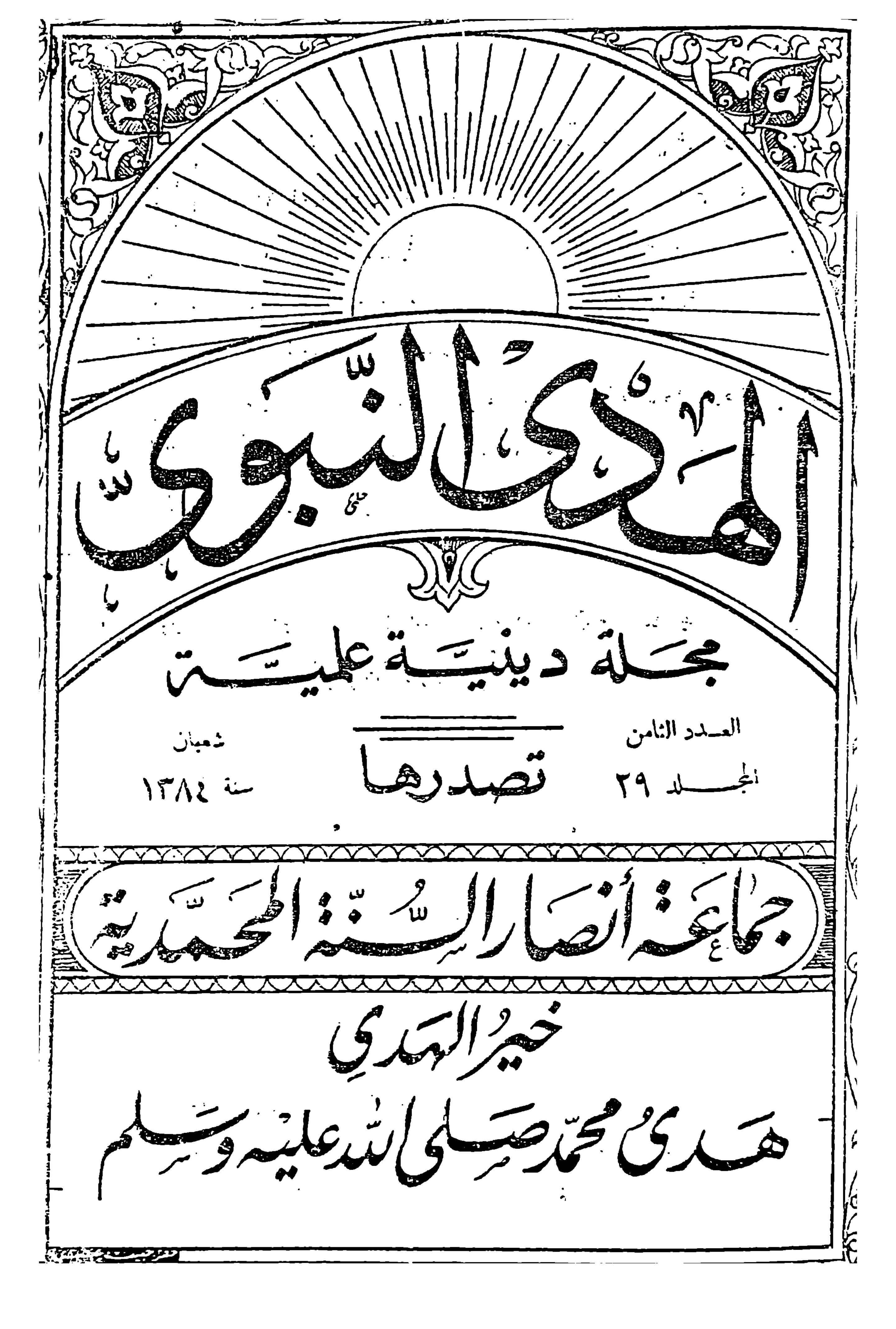
١١٧ شارع محمد فريد عابدين



تساهيل في الدفع
على أقساط
شهرية

أحدث الساعات
في
المتانة ودقة الصناعة
أسعار مدهشة

الورشة مجهزة بأحدث الآلات لتصليح جميع أنواع الساعات



الهدى النبوي
مجلة دينية علمية
العدد الثامن
المجلد ٢٩
شعبان
سنة ١٣٨٤
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهـرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

١٢ الابتـداع . . . . » » السيد رزق الطويل

٢٠ أسئلة وأجوبتها . . . . . . » الدكتور محمد خليل هراس

٣٤ تعقيب . . . . » عبد اللطيف حسين

٣٥ مميزات الذكاء الإنسانى . . . » الدكتور أمين رضا

٤٠ فلسطين فى ذكرى الإسراء . . لسماحة الأستاذ مشهور ضامن بركات

٤٥ تعليقات على الصحف . . . . للاستاذ سعد صادق محمد

٤٨ رسائل القراء . . . .

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
سليمان حسونه

الاشتراك السنوى
٣٠ — في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ٨ — شعبان سنة ١٣٨٤ — المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — (قال : هـذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وكانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا . وتَرَكْنَا بَعْضَهُم يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بعضٍ ، ونُفِخَ فى الصور ، فَجَمَعْنَاهُمْ جمعاً) — الكهف : ٩٨ — ٩٩

معانى المفـــردات

دكاء : قال الراغب : الدك : الأرض اللينة السهلة . وأرض دكاء : مسوّاة . وقال ابن فارس : الأرض الدكاء الأرض المستوية .

« الصور » قيل : إن الكلمة جمع صورة . ينفخ فيها فتحيا مثل سُور جمع سورة . وقيل : هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل ، فقد ورد فى حديث رواه مسلم : « إن إسرافيل التقم الصور ، وحنى جبهته ينتظر حتى يؤمر فينفخ » وفى حديث رواه

أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان أن أعرابياً قال : يارسول الله : ما الصور ؟ فقال الرسول — صلى الله عليه وسلم « قرن ينفخ فيه » . وقد روى ابن كثير فى تفسيره حديثَ الصور بطوله من طريق أبى القاسم الطبرانى فى كتابه المطولات ، رواه فى مقدار ثلاث صفحات ، كل صفحة تحتوى على خمسة وثلاثين سطراً ، كل سطر يحتوى على أكثر من عشرين كلمة ، ومع هذا لم يروه بتمامه ، وكان من تعقيبه عليه : « ثم قال — أى الطبرانى — هذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة ، وفى بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة . وقد اختلف فيه » ثم قال ابن كثير : « وقد اختلف عليه فى إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها فى جزء على حدة ، وأما سياقه فغريب جداً » .

أرأيتم كيف شغل التراثُ السفيهُ الباحثين عن الحق ؟ .

ونعوذ بالله أن يضلنا عن كتابه ضالٌّ أو تراث .

المعـــنى

أتم ذو القرنين بناء الردم بفضل الله ، ثم قال كما قص الله :

« قال : هذا رحمة من ربى » ويتجلى لك من هذا القول صدق إيمان ذى القرنين ، وتوكله على الله سبحانه ، فهو لم يستخفه العُجْب بنفسه ، ولا الزهو أو التعالى بما أقام من بناء عظيم يدل على قوة ومقدرة وعبقرية وذكاء رائع ، وإنما أشار إلى الردم إشارةً مؤمنة لا تحس فيها أبدًا بخيلاء أو كبرياء ، وإنما بروحانية التواضع والإيمان قائلاً : (هذا رحمة من ربى) أى هذا الردم ، أو هـذا التمكين[1] من إقامته ، رحمة من ربى بعباده ، ووصفه للرحمة بأنها من ربه تعظيم لشأن هذه الرحمة ، ونسبة الفضل إلى ربه ، واختياره لكلمة « ربى » بدلا من كلمة « الله » مثلا ، يدل على عمق الحب وصدقه وسموه واعتزازه وسعادته بأنه حُبٌّ للرب .

---

(١) والمعنى الأول أولى بدليل ما سيأتى بعده .

« فإذا جاء وَعْدُ ربى جعله دَكَّاءَ[1] ، وكان وعدُ ربى حقاً » والدكاء الأرض المسوَّاة وهو كما أخبر الله عن يوم القيامة : (ويَسْأَلُونك عن الجبال ، فقل : ينسفها ربى نسفاً . فيذرها قاعاً صَفْصَفًا ، لا ترى فيها عِوَجًا ، ولا أمتا » أى أرضاً خالية منبسطة كأن أجزاءها على صف واحد ، أو كأنها بساط واحد ، لا ترى فيها يومئذ وادياً ولا رابية ، ولا مكاناً منخفضاً ، ولا مرتفعاً .

هذا إذا فهمنا أن الوعد المذكور هو وعد الآخرة عند النفخة الأولى .

وقد يكون الوعد المذكور هو المشار إليه بقوله سبحانه فى سورة الأنبياء (حتى إذا فُتِحَتْ يأجوج ، ومأجوج ، وهم من كل حَدَب ينسلون) من كل مكان مرتفع يسرعون كالذئاب . وهذا يكون قبل يوم القيامة . وقد اضطر كثير من المفسرين إلى أن يقولوا إنهم التتار أو المغول الذين نسلوا من وراء سد الصين الكبير ، فقد نسلوا كالذئاب وخَرَّبوا وسفكوا ، ودمروا ولم تنحسر موجتهم الطاغية إلا بالوقفة العظيمة التى وقفها المسلمون فى مصر بقيادة « سيف الدين قطز » فى معركة عين جالوت بغزة . والذى دعا هؤلاء المفسرين إلى هذا هو أنه لا يوجد الآن فى الأرض مثل هذا السد ، ولا هؤلاء القوم ، إذ لم يبق فى الأرض اليوم من مكان إلا وقد صار تحت سمع العلم وبصره .

« وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض » بعض يأجوج ومأجوج ، والبعض الآخر منهم أيضاً ، كلاهما يختلط فى اضطراب كالموج بصاحبه .

أو قد يكون البعض هم يأجوج ومأجوج والبعض الآخر هم الناس .

« ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا » هذا عند النفخة الثانية ، وهو يوم البعث .

وأنت ترى معى أن الآيات ليس فيها غموض ، ولا لبس ولا إبهام . ولكن أبى

---

(١) تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستوياً لا سنام لها .

المفسرون ، وبعض الذين ينتسبون زوراً إلى المحدثين إلا أن يجعلوا الواضح غامضاً ، والبين مبهماً ، والمفصَّل مشكلا ملتبساً .

وقد أخذتنى فى أول الأمر هذه الأقوال الكثيرة التى نثرت بكثرة حول قصة ذى القرنين مع يأجوج ومأجوج ، ثم لويت نفسى عنها وتدبرت كتاب الله وحده ، فلم أجد إلا الإشراق والوضوح العظيم . لم أجد عقبات كئوداً ، ولا عوجًا ، ولا مسارب ، ولا ضلالات .

ولكنى للعبرة ، وللعظة سأنقل لكم عن ابن كثير بعض ما قيل ، لتروا كيف يجهد الإنسان نفسه ، ويشق عليها ، ويضل فى شعاب ومسارب قد لا يجد لها نهاية ، ولا غاية ، وأرجو من الإخوة أن يتدبروا كتاب الله بعد أن يقرأو ما سأنقل عن ابن كثير الذى ذكره فى الجزء الثانى من تاريخه البداية والنهاية .

«هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه . ثم الدليل على ذلك ماثبت فى الصحيحين من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول : يارب وما بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة ، فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى ، وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . قالوا يارسول الله ، أيُّنا ذلك الواحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً[1] وفى رواية فقال : أبشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه أى غلبتاه كثرة ، وهذا يدل على كثرتهم ، وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة ثم هم من ذرية نوح ، لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لنوح فى دعائه على أهل الأرض بقوله : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً) وقال تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة) .

---

(١) وفى رواية : تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد .

(وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم فى الحديث المروى فى المسند والسنن أن نوحاً ولد له ثلاثة : وهم سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك . فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء ، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم .

وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم فساد كفسادهم . فتركوا من ورائه فلهذا قيل لهم الترك . ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك ، وأنهم ليسوا من حواء ، فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوى فى شرح مسلم وغيره ، وضعفوه ، وهو جدير بذلك ، إذ لا دليل عليه ، بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن . وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً ، فمنهم من هو كالنخلة السحوق ومنهم من هو غاية فى القصر ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ، ويتغطى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ، ورجم بالغيب بلا برهان ، والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً » ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . وهذا فيصل فى هذا الباب وغيره . وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً ، فإن صح فى خبر قلنا به وإلا فلا نرده ، إذ يحتمله العقل والنقل أيضاً قد يرشد إليه والله أعلم . بل قد ورد حديث مصرح بذلك إن صح قال الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهانى حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبى إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معائشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً . وإن من ورائهم ثلاث أمم (ناويل وناريس

ومنسك) وهو حديث غريب جداً وإسناده ضعيف وفيه نـكارة شديدة . وأما الحديث الذى ذكره ابن جرير فى تاريخه أن رسول صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم ليلة الإسراء فدعاهم إلى الله ، فامتنعوا عن إجابته ومتابعته وأنه دعا تلك الأمم التى هناك (ناريس وناويل ومنسك) فأجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الـكذابين الـكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله أعلم . فإن قيل فـكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة وأنهم فى النار ولم يبعث إليهم رسل وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والإعذار عليهم كما قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

فإن كانوا فى الزمن الذى قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم مذ أتتهم رسل منهم فقد قامت على أولئك الحجة [1] وإن لم يكن قد بعث الله إليهم رسلا فهم فى حكم أهل الفترة . ومن لم تبلغه الدعوة [2] وقد دل الحديث المروى من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من كان كذلك يمتحن فى عرصات القيامة فمن أجاب الداعى دخل الجنة ومن أبى دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الأئمة عليه عند قوله : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعرى إجماعاً عن أهل السنة والجماعة ، وامتحانهم لا يقتضى نجـاتهم ، ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار [3] لأن الله يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الله يقول : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وذو القرنين نفسه كان نذيراً وبشيراً كما بين القرآن ، فـكيف يكون فى هذا خلاف ؟! .

(٢) بل قد بلغوا الدعوة من ذى القرنين

(٣) كل هذا خرف لا قيمة له لأن الآخرة دار الجزاء : لا دار التـكليف وقد بين الله الله لنا فى الدنيا شأن يأجوج ومأجوج أو أنهم جاءهم نذير ؟ !

على ما يشاء من أمر الغيب وقد أطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء ، وأن سجاياهم تأبى قبول الحق والانقياد له ، فهم لا يجيبون الداعى إلى يوم القيامة ، فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيباً للحق فى الدنيا لو بلغهم فيها(١) لأن فى عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذباً فى الدنيا فاتباع الإيمان هناك لما يشاهد من الأهوال أولى وأحرى منه فى الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) . وأما الحديث الذى فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم ليلة الإسراء فلم يجيبوا فإنه حديث منكر موضوع وضعه عمرو بن الصبح . وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال ، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه فى أمر دنياهم . قال البخارى ، وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم رأيت السد ، قال وكيف رأيته ؟ قال مثل الْبُرَدِ المحبَّر ، فقال رأيته هكذا . ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ولم أره مسنداً من وجه متصل أرتضيه ، غير أن ابن جرير رواه فى تفسيره مرسلا فقال حدثنا بشر حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال (يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج . قال : انعته لى ، قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء ، قال قد رأيته. « البرد : جمع بردة كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب » .

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلا من جهته وكتب لهم كتبا إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد ، فيكشفوا عن خبرهم وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أى صفة ، فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أقفال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً وأن بقية اللبن الحديد والآلات فى برج هناك . وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد ومحلته فى شرق

---

(١) وقد بلغهم فعلا فلم يستجيبوا .

الأرض من جهة الشمال فى زاوية الأرض الشرقية الشمالية . ويقال إن بلادهم متسعة جداً وأنهم يقتاتون بأصناف من المعائش من حراسة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر ، وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم . فإن قيل : فما الجمع بين قوله تعالى : (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) وبين الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه محمراً وجهه وهو يقو : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردمة يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق تسعين . قلت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا ، وحلّق تسعين » . .

فالجواب : أمّا على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن ، وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال . وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس ، كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال أيضاً ، لأن قوله : (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) أى فى ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفى وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم فى ذلك قدراً ، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم الأجل وينقضى الأمر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى : (وهم من كل حدب ينسلون) ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الإمام أحمد فى مسنده قائلا : حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله

ويستثنى، فيعودون إليه وهو كهيئته يوم تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس فيستقون المياه، وتتحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً[١] فى أقفائهم فيقتلهم بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم[٢] ودمائهم» ورواه أحمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به، وهكذا رواه ابن ماجة من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال حديث أبو رافع رواه الترمذى من حديث أبى عوانة عن قتادة به. ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. فقد أخبر فى هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا ينظرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار[٣]، كما قاله بعضهم قد استرحنا من المؤونة، وإن كان محفوظاً فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الأحبار أو يكون المراد بقوله:

(وما استطاعوا له نقباً) أى نافذاً منه فلا ينفى أن يلمسوه ولا ينفذوه والله أعلم. وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما فى الصحيحين عن أبى هريرة: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين، أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم!!.

---

(١) النغف الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نغفة.

(٢) شكرت: امتلأت من لحومهم وسمنت.

(٣) قال ابن كثير نفسه فى تفسيره: «ولكن متنه فى رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتفاعه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته.. ثم قال: ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه. ثم استدل ابن كثير على نكارة هذا الحديث بالحديث الآخر الذى فيه: ويل للعرب من شر قد اقترب.

كل هذا الجدال مع النفس ، وحول الحق الواضح البين ما كان يمكن أن يكون لو أننا جعلنا للقرآن السيطرة والهيمنة على كل قول يقال ، أو حديث يروى ، أو فكرة تدور فى النفس ، فالله ما نزل القرآن ليجعل منه شيعاً ، وإنما جعله صراطاً مستقيما ، وجعله نوراً ، وجعله حياة .

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) . وتدبر إسناد الضمير إلى مفرد وهو « دعا » مع أن الاستجابة مطلوبة لاثنين هما الله ورسوله ، ليبين لنا الله سبحانه أن مايدعو إليه رسله هو عين ما يدعو إليه الله ويحبه ، وأنه لا يمكن أن يقول الرسول قولاً يخالف قول الله رب العالمين فى شىء .

اللهم اجعل القرآن نوراً فى قلوبنا ، ونوراً نمشى به فى الناس ، إنك أنت السميع العليم .

عبد الرحمن الوكيل

الابتـــــداع

٢ — تابع ماقبله

وإذا كانت تلك أسباب وجود الابتداع فى محيط المجتمع الإسلامى ، فثمت أسباب ساعدت على انتشار البدعة بعد وجودها ، منها :

١ — الاعتقـاد بالعصمة لغير المعصوم ، وتلك آفة شاعت فى العصور المتأخرة ، ظهرت على صورة ولاء عبادى ، وخشوع مزرٍ من الأتباع والمريدين لشيوخهم . فأمر شيوخهم حكم ، وقولهم فصل ، ولا عجب إذ نجد بعض هؤلاء الشيوخ الذين ضل سعيهم ينصح مريديه بأن يكونوا بين يدى شيخهم كالميت بين يدى من يغسله ، وألا يتزوج امرأة شيخه إذا توفى عنها ، وألا يعترض على كلام شيخه . هذه الهالة المزورة التى أحاط بها الضالون طائفة من شيوخهم ، ساعدت على انتشار ما يتورط فيه أولئك الشيوخ من مبتدعات وافتراءات لا تحكم على شيوخهم بغير الانحراف ؛ إذ لو استقاموا على الطريقة لأخذوا بيد من وراءهم إلى سواء السبيل .

٢ — وهناك سبب آخر ساعد على انتشار البدعة وهو تهـاون العلماء فى بيان الشريعة ، والسكوت على البدعة المستحدثة ، ونسيانهم أهم أصل من أصول الإسلام ، وهو التناصح الذى بين الله تعالى أنه سمة أمة محمـد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يقول تعالى : (ولتـكن منكم أمة يدعون إلى الخـير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر ، وأولئكهم المفلحون) .

ولـكن شيوع الاتـكالية بين العلماء ، وتنكرهم لذلك الواجب المقدس الذى يعتبر أهم مظهر لتكافل الجماعة الإسلامية، ترتب عليه انتشار البدعة ، كما تنتشر الآفة في المرتع الخصب ، وقد نامت عنها أعين الرقباء .

أنواع البدعة :

الباحث فى البدع الكثيرة التى تملأ حياتنا ، يجدها أنواعًا شتى لاعتبارات مختلفة ، فمن جهة الموضوع نجدها قسمين : ابتداع فى جانب العقيدة ، ومثاله : ما تسرب إلى العقيدة من تحريف على يد المشبهة والمعطلة ونحوهما من الفرق التى اتخذت الفلسفة وسيلة لدراسة العقيدة ، فخرجت بآراء ومذاهب بعيدة كل البعد عن جادة العقيدة الإسلامية مثل القول بعصمة الإمام ، والقول بالرجعة عند الشيعة ، والقول بوحدة الوجود ، والاتحاد والحلول ، والتثليث عند ملاحدة التصوف ، والابتداع فى هذا الجانب هو أخطر أنواع الابتداع وقد يفضى بصاحبه إلى الكفر الصريح .

والقسم الثانى : ابتداع فى جانب العبادة : وهو ما كان أساسه انحرافًا فى ناحية من نواحى العبادة كطريقة أدائها ، أو وقتها ، أو مكانها ، أو نحو ذلك من الصور التى أشرنا إليها عند حديثنا عن عوامل الابتداع .

وتنقسم البدعة من حيث حقيقتها ، وكيفيتها إلى قسمين آخرين :

١ — بدعة محرفة ، وهى ما كانت تحريفًا لأمر مشروع كقراءة سورة الكهف ليلة الجمعة أو يومها ، وهو فى حد ذاته أمر مشروع ، وإنما جاء الابتداع من ناحية التحريف فى الأداء .

٢ — والنوع الثانى : البدعة المخترعة من أساسها كبدعة المحمل .

وقد أشرنا لكلا القسمين عند حديثنا عن خواص البدعة .

وللابتداع تقسيم ثالث من حيث الكيفية ، وهو ينقسم بهذا الاعتبار أيضًا إلى قسمين :

١ — ابتداع بإلحاق غير المشروع بالمشروع ؛ إذ يزيد المبتدع عن الحد المطلوب فى التشريع ، فيتعبد مثلاً بترك السحور ؛ لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية

الصيام ، أو يتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله ؛ زيادة فى تحقيق الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير .

ومنه أيضاً اختيار أشد الأمرين على النفس عند ما تتعارض النصوص .

٢ — الابتداع باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل ، والعزوف عن الزواج ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك كله إذ قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فو الله إنى لأعلمهم بالله ، وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » .

ويمتاز هذا النوعان الأخيران من الابتداع بأنهما يصدران عن دافع كريم ، ونية طيبة ، ورغبة صادقة فى الخير ، ولكن ذلك كله لا يقلل من جرم الابتداع ، ولا يعفى من المسئولية ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين أرادوا أن يبتدعوا — عن حسن نية — رهبانية كرهبانية النصارى ، فقال لهم : « أما أنا فإنى أصوم وأفطر ، وأقوم وأرقد ، وآتى النساء ، هذه سنتى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

الإسلام والابتداع :

الإسلام بما له من خصائص امتاز بها عن غيره من الأديان ، والشريعة التى سمت عن سائر الشرائع ، لا يقبل الابتداع ، بل إن طبيعته تأباه وترده ، وذلك أن أول سمة للإسلام أنه دين سماوى ، أى أنه من عند الله ، وكونه من عند الله قضية تتبعها عدة قضايا محكوم بصدقها ، هى أنه تشريعات صادقة ، مناسبة للعقل والفطرة ، صادرة عن العليم الخبير الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فهو عليم بالبشر واستعدادهم وما يطيقون ، فوضع لهم من التشريع ما يناسبهم . والابتداع فى هذه الحالة افتئات على سلطان الله ، وتشريع لما لم يأذن به الله ، فهو مظهر من مظاهر الإشراك (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن

به الله) ! ثم هو افتئات ممن ؟ افتئات من بشر غير معصوم ، ولا يعلم شيئاً عمن يشرع لهم ، ولا عما يصلحهم ويسعد حياتهم . . إذن الابتداع يتنافى مع أبرز سمة من سمات الإسلام ، وهو أنه دين سماوى من عند الله .

٢ — من سمات الإسلام أنه رسالة عامة للبشر جميعًا ، بل وللجن أيضـاً ؛ لقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) ولقوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) فمن يضع للبشرية جميعاً شريعة تقودها إلى طريق الحق والخير والسلام ؟ .

بالطبع لا يستطيع ذلك إلا خالقهم وبارئهم ؛ لأنه وحده هو العليم بهم على اختلاف بيئاتهم وألوانهم وألسنتهم ، والمبتدع فى هذه الحالة يفتات على هذه السلطة الإلهية بغير حق ؛ لأنه مهما أوتى من علم وخبرة بطبائع البشر ، فلن تتعدى خبرة أهل بيئته ، ولو فرض ووسع علمه طبائع البشر جميعاً ، فلن يصل علمه إلى خلق آخرين ، حجب الله عنا علمهم ، وخفايا حياتهم .

٣ — وهناك خاصة ثالثة من خواص الإسلام تتنافى مع الابتداع ، هى أن الإسلام دين وضعت تشاريعه لتصلح البشر على اختلاف ازمنتهم وأمكنتهم ، فلو استحدث المبتدع بدعة يرى فيها صلاحاً لبلده أو لزمنه ، فلن تصلح بلداً آخر غير بلده ، ولن تسد حاجة زمان سوى زمانه .

من هـذا كله يتضح لنا أن الإسلام يمقت البدعة ، لأنها تتعارض مع طبيعته وتتنافى مع خصائصه ، ويتجلى موقف الإسلام واضحاً من الابتداع عند ما نتأمل النصوص الواردة بشأنه .

لحينما نضع المبتدع موضع من أعطى نفسه سلطة التحليل والتحريم نطبق عليه النصوص الواردة فى هذا المضمار ، يقول الله تعالى فى شأن النصارى منددًا بهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه) . ويقول الله تعالى فى شأن المشركين ، وما ابتدعوه فى الأنعام من

بحيرة وسائبة ووصيلة وحام ، ووجهوا ذلك كله لغير الله ، فيقول تعالى : (وقالوا : هذه أنعام وحرث حِجْر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) .

ويقول تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) .

والمبتدع يخلط الخير بالشر ، ويلبس الحق بالباطل ، فيقع عليه قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ؟) .

والمبتدع هو المسئول عما اقترفه من جرم فى حق التشريع الإسلامى ، وسيتحمل وزر من اتبعوه ، وحذوا حذوه ، يقول تعالى : (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) . وهذا هو عقاب الله العادل لمن يعتدى على حرمة التشريع ، ويبتدع فى المجتمع الإسلامى بزور السوء ، ويعبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا بقوله : « من سَنَّ سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سَنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

ومن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعد تطبيقاً لهذا المبدأ « ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ؛ لأنه أول من سنَّ القتل » .

والمبتدع ونصيره فى ابتداعه ملعونان ، يقول صلى الله عليه وسلم : « من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . »

وإذا كان هذا جزاء المبتدع وعقابه عند الله ، فمن البديهى أن نقول : إن عمله ذاك مردود عليه . يقول صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » .

والابتداع طريق إلى الضلال ، والبدعة ماهى إلا ضلالة وتلبيس .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذراً من الابتداع مبيناً حقيقته : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

والمبتدع ضال مضل ، ولهذا يحق عليه قوله تعالى : (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) . وقوله تعالى (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) .

والابتداع سبب من أسباب الفرقة والانقسام ، فيقع عليه قوله تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

والمبتدع منحرف عن صراط الله المستقيم ، متبع لطرق الشيطان المعوجة ، يقول تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

هذه النصوص كلها تحدد بصراحة ووضوح رأى الإسلام فى الابتداع .

بقى أن نعرف رأى المسلمين فيه ، وخير من نحرص على تعرف رأيهم ، ونهتدى بإرشادهم هم الصدر الأول للإسلام ، فالإمام مالك بن أنس يرى أن المبتدع متهم لصاحب الرسالة ، فيقول : من زعم أن فى الدين بدعة حسنة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله تعالى يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

ويوصى عمر بن عبد العزيز عدى بن أرطاة ، فيقول فى كتابه إليه : « عليك بالسنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وتقوى » .

وها هو حذيفة رضى الله عنه يحذر المسلمين من ظهور ظلام البدع على نور السنن ، فينغمس المسلمون فى ليل بهيم من الشكوك والشبهات . فيأخذ حجرين ويضع أحدهما على الآخر ، ثم يقول لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا بمقدار ما بين هذين الحجرين من النور .

ويتناول ابن عباس رضى الله عنه هذا المعنى فيقول : ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن .

ويقول الشاطبي فى كتابه الاعتصام : وقد اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد إيمانه ، وقد شهد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيها ، وجاءه البيان الشافى ، وذلك قوله تعالى : (كيف يهدى الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدى القوم الظالمين) . واشترك أيضًا مع من كتم ما أنزل الله وبينه فى كتابه ، وذلك فى قوله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) .

فقد أشرك الشاطبي رضى الله عنه المبتدع هنا مع طائفتين ساءت أعمالهم ، وضل سعيهم ، وانحرفوا عن الصراط السوى ، فسجل الله عليهم اللعنة فى كتابه .

وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله ، فتوجع واسترجع ، ثم قال : قوم أرادوا وجهًا من الخير فلم يصيبوه ، فقيل يا أبا محمد : أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب ؟ فقال : ليس فى خلاف السنة رجاء ثواب .

هذه النقول المأثورة عن الصحابة والتابعين تشير إلى أنهم دأبوا على مكافحة الابتداع ، وحذوا حذو الكتاب والسنة فى محاربته والقضاء عليه ، وذلك لما له من أخطار بالغة على التشريع الإسلامى نفسه . فالابتداع ما هو إلا مظهر من مظاهر التحريف ، تحريف الكلم عن مواضعه ، وما وقع فى اليهودية والمسيحية من تحريف ما كان فى حقيقته سوى صورة من صور الابتداع .

ولكن الإسلام الذى تكفل الله بحفظ أصوله ومصادره فتح عيون المسلمين على مواضع الخطر حتى يكونوا منها فى حذر .

السيد رزق الطويل

أسئلة وأجوبتها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد فقد وصلنى هذا الخطاب من الأخ صاحب الامضاء .

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه ...

من عبد الرحمن سالم نصر الدين المفتش السابق بالثانوى ووكيل مدرسة الأمة الاعدادية بالمنصورة إلى صاحب الفضيلة الدكتور محمد خليل هراس المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فيقول تعالى : فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول الآية .

وقد سمعت محاضرتكم بجماعة أنصار السنة بالمنصورة ، ولقد تابعتك وكلى مسامع ولقد علق بذهنى أمور حاكت فى صدرى وبدرت فى ثنايا المحاضرة وداخلنى ريب فيها واتهمت نفسى بالجهل ، والعلم رحم بين أهله ، لذا رأيت الرجوع إليكم أستقى من مناهلكم العذبة ولا يزال الرجل عالماً ماطلب العلم . . .

أولا — قلت إن رسول الله لم تكشف له الحجب ولم ير ربه ليلة الإسراء ، ومبلغ علمى أنا أن الجمهور وابن عباس حبر هذه الأمة قد قرروا أن رسول الله رأى ربه رؤية حقيقية . بلا كيف ولا انحصار . وإذا كانت عائشة أم المؤمنين قد قالت: من زعم أن محمداً قد رأى ربه فقد أعظم الفرية تريد نفى الإحاطة لا نفى الرؤية ، على أن عائشة عقد عليها رسول الله بمكة وسنها ٦ سنين وبنى عليها بعد بدء سنة ٢ هـ وسنها حول ٩ سنين .

ثانياً — قرر جل العلماء أن محمداً رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة فى تخفيف

الصلاة الحسين و ٩ فى المراجعة بين موسى وربه . وأنا أؤمن بهذا كل الإيمان فما رأيكم فى ؟ .

ثالثاً — هل ترون أن دعوتكم هذه مقصورة عليكم لا يشرككم فيها العلماء الآخرون أو سبقكم بها علماء السلف والخلف ؟

رابعاً — هل ترون أن مصدر التشريع هو القرآن والسنة الصحيحة . فلا إجماع ولا قياس ؟ .

خامساً — هل ترون أن العبادة لها طريق مقصورعليها (رغباً ورهباً) (خوفا وطمعاً) .

وما رأيك أن الآيات لا تفيد القصر وليس فيها ما يدل على القصر البتة ؟ وأين هو ؟

وما رأيك فيمن يعبده ويرقب شرح قلبه وطهارة نفسه ويعبد الله ليستنير فؤاده وتتوالى عليه الفيوضات الربانية والتجليات الإلهية كالحلاج ورابعة العدوية ؟

سادساً — لقد أنحيت باللائمة على الحلاج ورابعة العدوية وأولت كلامهما وخرّجته تخريجاً أخرجهما من زمرة العابدين والمسلمين . وقد ماتا والسنة تقول : أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم . ألسنا نستطيع أن نؤول كلامهما على المجازات ولا نتهم أحداً بالشرك أو العصيان أو العته والبلس ولن! نقر أن يلعن آخر هذه لأمة أولها . .

سابعاً — من أصحاب الطرق مشايخ إسلام كالشرقاوى والدمهوجى وكانوا يذكرون ويطعمون ويدعون إلى الله فهل يدخلون فى زمرة من يطبل ومن يزمر ، أكلهم سواء ؟

هناك من ينذر لله ، ومن ينذر لخالق الله ، فلم لا نسدده ؟ وهل نكفره ؟ لا . لا . لا

ثامناً — أرجو نشر هذا وأجوبتكم على صفحات مجلتكم لنفع المسلمين والسلام على من اتبع الهدى .

محمد عبد السلام نصر الدين
مدرسة الأمة الاعدادية بالمنصورة

ويتلخص هذا الخطاب فى الأسئلة الآتية :

١ — دعوى أن ابن عباس ومعه جمهور الصحابة قد قرروا أن رسول الله رأى ربه ليلة الأسراء .

٢ — تأويل حديث عائشة رضى الله عنها أنها أرادت نفى الأحاطة لا نفى الرؤية .

٣ — دعوى أن جمهور العلماء قد قرروا أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة فى تخفيف الصلاة وتسع مرات أخرى أثناء المراجعة .

٤ — سؤال مصدر التشريع هل هو القرآن والسنة وحدهما أم معهما الإجماع والقياس .

٥ — سؤال عن العبادة هل يجوز قصرها على كونها بدافع الرغبة والرهبة وما دليل القصر ؟ وما حكم من يعبد الله يبتغى بذلك شرح قلبه وطهارة نفسه وتنزل الفيوضات الإلهية .

٦ — دفاع عن الحلاج ورابعة العدوية وإنكار التعرض لهما ووجوب تأويل كلامهما .

٧ — سؤال عن أصحاب الطرق العلماء من أمثال أبو الوفا الشرقاوى والدمهوجى وهل يجوز أن ننظمهم فى سلك الجهلة الصوفية أصحاب الطبل والزمر ؟

هذا هو موجز ماجاء فى خطاب الأخ الكريم من دعاوى وأسئلة ونحن نستعين بالله عز وجل فى الإجابة عليها واحدة واحدة عسى أن ينتفع بها جمهور المؤمنين .

الجـــواب

ج ١ — أما دعوى أن ابن عباس وجمهور الصحابة رضى الله عنهم كانوا متفقين على إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الأسراء فهى دعوى غير صحيحة ، بل إن هذه المسألة كانت موضع خلاف بين الصحابة أنفسهم فكانت عائشة وابن مسعود وجمهور الصحابة ينفون الرؤية ولم يثبتها فيما نعلم إلا ابن عباس ومن أخذ عنه من التابعين .

وأنا أورد هنا كل ما يحضرنى من الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع تجلية للأمر :
روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن مسروق قال (كنت عند عائشة فقالت يا أبا عائشة : ثلاث من تكلم بواحدة منها فقد أعظم على الله الفرية .

قلت ما هى ؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى ؟) فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رآه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والارض » .

فقالت أولم تسمع الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وأن الله يقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه على حكيم) .

قالت : ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)

قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله[١]) .

فأنت ترى فى هذا الحديث أن عائشة رضى الله عنها اعتمدت فى إنكارها للرؤية على أن المراد بالذى رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى آيات النجم والتكوير إنما هو جبريل عليه السلام وليس هو الله سبحانه ، وذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخبرها بذلك وسياق الآيات نفسه يفيد ذلك قطعاً . فإن الحديث فى كلتا السورتين كان عن جبريل ففى سورة النجم يقول الله عز وجل : (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى) فالضمائر كلها فى : استوى ودنا وتدلى وكان وأوحى ورآه ، راجعة إلى جبريل حتماً وكذلك فى سورة التكوير يقول الله سبحانه (إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثَمَّ أمين . وماصاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين) .

فهذه كلها أوصاف جبريل عليه السلام فيكون الضمير فى قوله (ولقد رآه) عائدا عليه قطعا . وأما احتجاج عائشة رضى الله عنها على نفى الرؤية بقوله : تعالى (لا تدركه الأبصار) فهو باجتهاد منها حيث ظنت أن نفى الإدراك مستلزم لنفى الرؤية .

والحق أنه لايستلزم فإن الإدراك رؤية خاصة وهى الرؤية على جهة الإحاطة والوقوف

---

(١) وقد روى الإمام أحمد عن مسروق رضى الله عنهما أنه قال : قلت لعائشة رضى الله عنها ؛ يا أماه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله ، لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . . إلخ » .

وذلك أن مسروقا سمع كعبا يحدث ويقول : «إن الله قسم الكلام والرؤية بين محمد وموسى : كلم موسى مرتين ورآى محمد ربه مرتين » فبادر إلى أم المؤمنين ليسألها ، فأجابت بما ذكر .

على الحقيقة ، فنفيه لايستلزم نفى مطلق الرؤية كما أن قوله تعالى : (ولا يحيطونه به علما فكذلك يرونه ولا يحيطون به رؤية . .

وأما احتجاجها بالآية الأخرى وهى قوله تعالى من سورة الشورى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) فلعله أقوى من سابقه حيث حصر الله عز وجل تكليمه لأحد من البشر فى هذه الثلاثة وليس من بينها أنه يكلمه مع الرؤية .

على أنه ينبغى أن يحمل النفى فى الآيتين على كونه فى الدنيا فهو عام مخصوص بما ثبت بالآيات والأحاديث الصحيحة من أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة عيانا بأبصارهم كقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب لا تضامون فى رؤيته) . . إلخ

وأما الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد اختلفت ، فبعضها مطلق وبعضها مقيد برؤية القلب أو الفؤاد وفى بعضها أنه رؤية النور الذى هو الحجاب . أخرج الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال :

« رأى محمد ربه » قلت : أليس الله يقول : (لا تدركه الأبصار) الآية قال : « ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وقد رأى ربه مرتين) .

فقول ابن عباس ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، دليل على أنه صلى الله عليه وسلم لم ير نور الذات الذى هو نوره وصفته ، ولكنه رأى نور الحجاب .

ويشهد لهذا ما روى عن أبى ذر رضى الله عنه فى صحيح مسلم قال : « سألت رسول الله صلى الله عايه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال نور أنى أراه » أى حال بينى وبين رؤيته النور الذى هو حجابه فكيف أراه ، وفى رواية أخرى (رأيت نورا)[1] .

---

(١) القول الفصل فى القضية يظهر جليا فيما رواه مسلم فى صحيحه وابن خزيمة . من حديث عبادة بن الصامت ، وحديث أبى أمامة الذى قال فيه : « واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا »

وأخرج مسلم فى صحيحه أيضا بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رآى) (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رآه بفؤاده مرتين .

وأصرح من ذلك فى أن الرؤية إنما كانت بالقلب لا بالعين ، ما رواه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه » .

ومن مجموع هذه الأحاديث نستخلص أن الصحابة رضى الله عنهم متفقون على نفس الرؤية البصرية للذات العلية ، بل إن من أثبت الرؤية منهم كابن عباس فإنما عنى بها رؤية القلب ومن نفاها كعائشة وابن مسعود فإنما أراد رؤية العين للذات. قال العلامة ابن كثير فى تفسيره بعد ما ساق رواية مسلم عن ابن عباس .

« وفى رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لا يصح فى ذلك شئ عن الصحابة رضى الله عنهم » .

وأما ما روى عن جماعة من السلف كعروة بن الزبير والحسن البصرى وابن شهاب الزهرى والإمام أحمد بن حنبل أنهم كانوا يثبتون الرؤية البصرية فلعلهم فهموا ذلك من الروايات المطلقة عند ابن عباس أو أرادوا رؤية الحجاب .

وعلى كل حال فهم محجوجون بما تقدم من الأحاديث التى تنفى الرؤية بالبصر لا سيما حديث أبى ذر وقد نفى العلامة ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال : (رآه بعينى رأسه) .

وقال : إن من حكى ذلك عنه فقد غلط . ونقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية قوله « ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى أنه رآه بعينى رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم ، ولكن قال مرة رآه بقلبه ومرة قال رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك) ا . هـ

وبعد : فلعل حضرة السائل حين يقرأ هذا البيان والتحقيق يذهب عنه ماحاك فى صدره ، واتهامه لعائشة بأنها كانت صغيرة لم تشهد حادثة الإسراء ، فابن عباس كان أصغر منها وهى إنما تخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى رآه نزلة أخرى ورآه بالأفق المبين إنما هو جبريل ، ولو سلم أنه الحق تعالى كما رأى ابن عباس فهى رؤية فؤاد لا عين قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) والله أعلم .

ج ٣ — وأما دعوى أن جمهور العلماء قرروا أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة وتسع مرات عند المراجعة ، فلست أدرى من أين جاء حضرته بهذا الكلام وفى أي كتاب وجده ؟ اللهم إلا أن يكون قد وقع عليه فى كتاب من كتب هؤلاء الصوفية الذين هم موضع إعجابه وثقته[1] .

وكان الأجدر بالمفتش السابق بالتعليم الثانوى أن لايلقى الكلام هكذا على عواهنه ، فهو لم يبين لنا مَن مِن العلماء قرر ذلك ولا فى أى كتاب كان ذلك التقرير الخطير . لعل انتصار سيادته لمذهب القائلين بالرؤية هو الذى خيل إليه ما لاوجود له . ونحن على كل حال فى انتظار تقرير من سيادته عن ذلك التقرير الذى يرويه عن جمهور العلماء . على أن مراجعة النبى صلى الله عليه وسلم لربه لم تكن تسعا إلا على رواية أنه حط عنه خمسا خمسا ، وفى بعض الروايات الصحيحة أنه كان يحط عنه عشرا عشرا فتكون المراجعات خمسا لاتسعاً

ج ٤ — وأما سؤاله عن مصدر التشريع هل هما الكتاب والسنة ، أم يضاف إليهما غيرهما كالإجماع والقياس ، فأنا أقول بملء الفم أنه لامصدر لهذا الدين كله ، أصوله وفروعه عقيدته وشريعته ، عباداته ومعاملاته ، إلا كتاب الله عز وجل الذى أنزله تبياناً لكل

---

(١) يتضح مما سبق أن من قالوا بقول ابن عباس رضى الله عنهما إنما استندوا فقط إلى رأيه الذى لايعدو أن يكون اجتهاداً ، يحتمل الصواب والخطأ . وخالفه فيه جمهور الصحابة . ولا يكون اجتهاد الصحابى حجة إذا خالفه صحابى أو أكثر .

أما عائشة رضى الله عنها فقد استفتت المعصوم صلى الله عليه وسلم وقالت بما سمعته منه .

شئ وما فرط فيه من شئ . وإلا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى جاءت تفسيراً وبيانا لآيات الكتاب ، تقيد مطلقه وتخصص عمومه وتوضح مبهمه ، كما قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) .

وأما الإجماع فإن حجيته مقيدة بالاستناد إلى النص إذ لا يعقل أن يجمع الصحابة على أمر لايجدون له مستنداً . ولكن أحيانا يضاف الحكم إلى الإجماع لظهوره فيه ويندى النص الذى كان أصلا له . ووقوع الإجماع من الصحابة رضى الله عنهم على أمر بعد وفاة رسول الله صلى عليه وسلم كان متعذراً لتفرقهم فى الأمصار والبلدان ، ولو فرض وقوعه فلا يمكن أن يقع على خلاف النص ، فإن الله عصمهم أن يجتمعوا على ضلالة .

وأما إجماع من بعدهم فاختلف فى حجته لو وقع مع أنه يكاد يكون مستحيلا .

وأما القياس فصحيحه لا يكون إلا موافقاً للنصوص ، ولا يمكن أن يأتى قياس صحيح على خلاف النص أبداً ، ولا يجوز اللجوء إلى القياس إلا بعد البحث والتفتيش عن النصوص . وقد رجح أحمد رحمه الله الأخذ بالحديث الضعيف على العمل بالقياس ، ولم يتفق العلماء على حجية القياس . بل إن الظاهرية ينكرون أشد الإنكار . وللعلامة ابن حزم الأندلسى رحمه الله كلام بديع جداً فى إبطال القياس فى مقدمة كتابه العظيم الموسوم (بالمحلى) لولا خوف الإطالة لنقلته ، فليرجع إليه من شاء .

وأخيراً نحب أن نقول لحضرة السائل وغيره ممن يتعلقون بما لايدرى صحته أو وقوعه من إجماع أو قياس ، ليتفلتوا بها من سطوة النص ويتخذوا منها مطايا للابتداع ، إن ذلك ليس من شأن المؤمنين الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ـ أى إلى حكم الله ورسوله ـ قالوا سمعنا وأطعنا فلا يشككون فى النصوص ولا يعارضونها برأى ولا استحسان ولا قياس .

ج ٥ — وأما سؤاله عن العبادة وهل يجوز قصرها على كونها بدافع الخوف والرجاء ، فلا يجوز أن تكون مثلا من أجل طهارة القلب واستنارته وتنزل الفيوضات عليه .

فنقول له : إن كل عبادة لا تقوم على أساس من الخوف والرجاء فهى ليست عبادة معتداً بها ولا يسمى صاحبها عابد الله عز وجل . وإنما هو عابد لهواه فإن العبادة مأخوذة من قولهم عبدت الطريق أى أذللته ليسهل السير فيه ، فلابد فيها من تمام الذل لله وكمال الخشية ونهاية الرجاء والحب .

ومن أطاع أحداً لمحبته دون أن يخافه لا يقال إنه عبده كطاعة الرجل لزوجته وولده ، وكذلك من أطاع أحداً خوفاً منه وهو يكرهه لا يقال عبده ، كطاعة الناس للرؤساء الظلمة والجبارين وقلوبهم تلعنهم ، ولولا خوف بطشهم ما أطاعوهم . على أن الخوف فى ذاته عبادة أشاد القرآن بها ومدح أهلها وأثنى عليهم بما لم يثن على غيرهم ، فجعلهم وحدهم هم أهل المعرفة والعلم بالله قال تعالى (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) ومعنى هذه الآية أن من لم يخش الله فهو أجهل الجهلاء ، كما خصهم بالتذكر والانتفاع بالآيات المنزلة فقال (سيذكر من يخشى) وجعلهم هم أهل الفوز والفلاح فقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

وجعل الخوف علامة الإيمان الصحيح لقوله : (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) فشرط للحكم بإيمانهم خوفهم من الله عز وجل .

وجعل الجنة للخائفين فقال (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) وقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

وجعل الخشية هى الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فقال لموسى وهارون عند ما أرسلهما إلى فرعون (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) .

وجعلها من صفات السابقين المقربين فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) .

وجعل الخوف شرطاً فى الذكر والدعاء ، فقال من سورة الأعراف (واذكر ربك

فى نفسك تضرعاً وخيفة) وقال من سورة الأعراف نفسها (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب المحسنين) .

وجعله كذلك صفة المنعم عليهم بالهداية والتوفيق فقال من سورة المائدة (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب) .

وأهل الخوف من الله فى الدنيا هم أهل الأمن فى الآخرة ، كما جاء فى الحديث القدسي « لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ، من خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ، ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة » .

وأثنى بالخوف على كثير من أنبيائه ورسله ، فقال عن زكريا وأهل بيته (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين .) وقال (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا) .

وليت شعري إذا كان العبد لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، فما الذى يبقى فى قلبه من معانى الذل والفقر والاضطرار واللجأ إلى الله والاستغاثة به ؟ .

أليس هذا هو التأله ، وإظهار الاستغناء عن الله ، فإن الذى لا يخاف أحداً ولا يرجوه هو الله عز وجل وحده .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق كلهم عبودية لله فلا مطمع لأحد فى الوصول إلى درجته يقول « والله إنى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية » .

وبعد ، فلعل حضرة السائل قد اقتنع أن هذه النزعة الصوفية نزعة الكبرياء والتأله ومعاملة العبد لله عز وجل معاملة الند للند فليس هو بحاجة إليه ولكن يبادله حباً بحب كما يحب الصديق صديقه مع استغناء كل منهما عن الآخر فهو لا يبالى بناره الذى خوف بها عباده ، ولا يرغب فى جنته التى شوقهم إليها ، ويزرى بكل ما ورد فى القرآن من وعد ووعيد وترغيب وترهيب ولا يحدث فى نفسه أى أثر ، فأين هذا الصوفى الجرىء على

ربه الذى لا يخاف عاقبة ذنبه ولا يخاف لقاء ربه من عمر الفاروق الذى قام الليل بآية من كتاب الله ذكرته بهول الموقف وشدة المطلع، وهى قوله تعالى من سورة الصافات (وقفوهم إنهم مسئولون) فما زال يرددها حتى وقع مغشياً عليه، وكذلك عند ما قرأ من سورة الطور (إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع) .

وأين هذا الصوفى المتغالى من قوله صلى الله عليه وسلم « ألا من مشمر إلى الجنة، فإن الجنة والله لا خطر لها » . وقوله « من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة » .

نعم إن الجنة سلعة الله من عمل لها نالها، ومن رغب عنها حرمها، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهلها بمنه وكرمه، فإنها الدار التى أعدها لأحبابه وأوليائه وأهل مخافته ورجائه، إنه سميع الدعاء .

* * *

وأما دفاعه عن الحلاج ورابعة العدوية وأشباههما من الصوفية بأنهم قد ماتوا وأفضوا إلى ما قدموا فلا يجوز إلا ذكر محاسنهم والغض عن مساويهم، فنقول له : إننا لا نحارب أشخاص هؤلاء الموتى فليس بيننا وبينهم ترة، ولكن نحارب المبادىء الهدامة والعقائد الفاسدة التى وضعوها فى طريق الدين وأضلوا بها عامة المسلمين وأشباه العامة من المثقفين المدنيين، وهذا أمر متعين على علماء الدين الذين أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا للناس الكتاب ولا يكتموه، وأن يحذروا الناس من البدع والضلالات التى تركها هؤلاء الصوفية وراءهم، ولأجل هذه الغاية قامت جماعة أنصار السنة تبين للناس كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحض على الاستمساك بهما والوقوف عندهما، وتحارب كل دخيل مستحدث لم يشرعه الله ولا رسوله، وتكشف للناس عن تلبيسات المبتدعة من الصوفية وغيرهم . وأنا لم أقل فى الحلاج إلا ما يفهم من صريح كلامه، وهو أنه حلولى يدين بحلول الله عز وجل فى بعض عباده ممن وصلوا إلى درجة

خاصة من الصفاء والمحبة . وكل كلامه صريح فى الحلول كقوله [مافى الجبة إلا الله] وقوله فى بعض شعره .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

فأى ضمير مسلم يوقر الله وينزهه عن ممازجة خلقه يستسيغ مثل هذا الكلام أو يتردد فى الحكم على صاحبه بالكفر والزندقة ؟ وهذا هو ماحصل فعلا فقد حكم العلماء فى عصر الحلاج بكفره وأفتوا بحل دمه .

وأما محاولة تأويل كلامه بما لا يحتمله من معان مقبولة كما يحلو لبعض الناس الذين يحسنون الظن بهؤلاء الصوفية ويستبعدون أن يكونوا قد أرادوا بكلامهم هذه المعانى الفاسدة ، فهى محاولات لتبرير الكفر والاعتذار عنه .

وأما رابعة العدوية فيظهر أنها لم تكن من هؤلاء الصوفية النظريين أصحاب عقيدة الحلول ووحدة الوجود ، ولكنها غلت فى دعوى الحب حتى خرج بها عن القصد مثل قولها وهى تطوف بالكعبة [لم يبق بينى وبينك إلا هذا الصنم] .

فما معنى هذه العبارة . إذا لم يكن هو الإزراء ببيت الله الذى أمرنا بتعظيمه وحبه وإنكارها لشريعة الطواف واعتقاد أنها لا تقرب إلى الله بل تحجب عن الله ، ومثل قولها فى شعرها :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك

فهل يجوز لمسلم يوقر الله ويعظمه أن يطلق مثل هذه الكلمات فى جنب الله فيقول إنه يحبه حب الهوى ؟ أليس ذلك هو سمة الحب الرخيص المبتذل حين يهوى الرجل المرأة أو تهوى المرأة الرجل لقضاء مآرب دنىء . وما معنى اشتغالها بذكر الله عمن سواه

والرسل عليهم الصلاة والسلام وهم كانوا أشد الناس ذكراً لله، كانوا يقومون بمصالح أممهم وبيوتهم، ويحدثون الناس ويسمعون منهم ويفصلون فيما يقع من المنازعات بينهم.

فهل يعقل أن يتمخص أحد من البشر لذكر الله حتى لا يذكر غيره. بل هذا شأن الملائكة الذين خلقوا للعبادة وحدها، فلا تشغلهم عنها مطالب الحياة وحاجات البشرية. وما معنى أن تطلب من الله أن يكشف لها الحجب حتى تراه وهى تعلم أن موسى وهو كليم الله طلب الرؤية فمنعها، ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد وصل إلى أعلى درجات القرب، ومع ذلك حال الحجاب بينه وبين رؤيته لربه، إنه ليس لله حبان كما تدعى رابعة وإنما هو حب واحد يحمل العبد على الذل له والتعظيم لأمره ونهيه، واتباع رسله والاعتراف بفضله وإحسانه، والرغبة فيما عنده والشوق إلى لقائه والرجاء فى رحمته واتقاء مساخطه، ودوام ذكره وشكره وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، والجهاد فى سبيله بالنفس والمال، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وولده ومن أبيه وأمه ومن الناس أجمعين.

٧ — وأما سؤاله عن أمثال الشرقاوى والدمهوجى وغيرهما من مشايخ الطرق فنحن لا نفرق بين أحد منهم فعالمهم وجاهلهم سواء، إذ لو كان هؤلاء يحترمون علمهم لوقفوا عند حدود الكتاب والسنة ولم يتخذوا لهم دراويش وأتباعاً يأتمرون بأمرهم ويسارعون فى طاعتهم، بل لاكتفوا بنشر العلم الصحيح ولم يجعلوا من بيوتهم قبلة يحج الناس إليها متبركين متوسلين.

ونحن كما قلت غير مرة لا نغمط لأحد فضلاً ولا ننتحل له عيباً، بل نقول له أحسنت فيما أحسن فيه، ونقول له أسأت فيما أساء فيه. وميزان إحسان الرجل وإساءته هو مدى اتباعه للكتاب والسنة فهما عندنا ميزان كل ما يصدر عن الناس من أقوال وأعمال.

ونسأل الله العصمة من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ؟

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

تعقيب

وبعد ، فيا هؤلاء : ـ

إن فقهاء الإسلام جميعاً يعلمون أن الإسلام لا يبيح كلمة الكفر الا لدرء النفس من هلاك مؤكد ، ويعلمون أيضاً أن الله تعالى كفر النصارى لظنهم أن الله حلّ فى المسيح ابن مريم عليه السلام وحده :

فإذا ادعى ناس أن الله تعالى حالٌّ فى سائر خلقه حتى فى القردة والخنازير ، وإذا تغنى بعض الغلاة المهاويس من أهل مذهب وحدة الوجود ودعاته ، مستغشين ثيابهم واضعين أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا نداء القرآن الكريم ، ويمسك أحدهم جبته قائلاً (ما فى الجبة إلا الله) ، ثم إذا نفخ آخر منهم أوداجه وصاح فى أتباعه البلهاء (سبحانى ما أعظم شأنى) كذلك إذا تمايل كبير منهم يمنة ويسرة وترنم قائلا :

(العبد رب والرب عبد ، فليت شعرى من المكلف) ؟ ؟ ؟

كل ذلك دون ما حاجة تدعو ، ولا مصلحة ترتجى ولا خطر يدفع ؟ .

إذا كانوا كذلك فأى سبب يدعو لتأويل هذا الكلام الشنيع والكفر الوضيع ، وانتحال معان لا تفيدها تلك العبارات التى لا تتفق ودين المسلمين ، مع إصرارهم على تلك الأحوال ودفاعهم عنها ، حتى حكم عليهم بالقتل بسبب ذلك .

ثم هل يباح مثل هذا الكلام للمسلمين كافة أم يباح للحلاج وابن عربى والبسطامى واتباعهم فحسب ؟ .

يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به كإيمان الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، اللهم احفظ علينا نعمة الإيمان الخالص ونعمة العقل .

عبد اللطيف حسين

أحسن ما قرأت

مميزات الذكاء الإنسانى[1]

نقلت مجلة (لايف) العالمية الأمريكية فى عددها الصادر فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٦٤ ، (المجلد ٣٦ ، العدد ٤ ، صفحات ٥٠ ـ ٥٥) فصلا من كتاب « عجائب العالم » لمؤلفه الأمريكى « جون رادربلات » أستاذ الطبيعة والطبيعة الحيوية بجامعة شيكاغو .

وعنوان الفصل : « الانطلاق العظيم المنتظر للذكاء الإنسانى » ، ونحن نقتطف الفقرات التالية من هذا المقال لطرافتها :

* * *

إننى مولع بدراسة ثلاثة أنواع من مميزات العقل الإنسانى : الفرق بين عقل الرجل وعقل المرأة ، والفرق بين العبقرية والبلاهة ، والفرق بين الكفايات الفطرية المتباينة .

والفرق بين عقل الرجل وعقل المرأة شاسع ، ومميزات هذا الفرق كثيرة ، وكلنا نتبادل الدعابات المضحكة عنها . فمثلا إذا صدم رجل بسيارته سيارة نقل خاصة بمغسل وأراد أن يطمئن زوجه . فتحدث إليها تليفونياً وقص عليها ما حدث ، فإن أول ما تسأله عنه عادة لن يكون كيف حاله ، وهل خرج من هذا الحادث سليما ، وما مقدار إصابة سيارته . وإنما تسأله عن اسم المغسل الذى يمتلك سيارة النقل . وهذا هو كل ما يتفتق عنه عقلها فى هذا المقام .

وإننى أتساءل دائماً : هل هذه الاختلافات البارزة بين عقل المرأة وعقل الرجل

---

(١) نقله إلى العربية وعلق على هوامشه الدكتور أمين رضا . والمصطلحات العلمية المستعملة هى التى أقرها مجمع اللغة .

ترجع إلى اختلاف أصيل فى التكوين الجنسى الطبيعى للمخ والجسم . أم هى فقط نتيجة تنشئة الصبيان والبنات تنشئة مختلفة تبعاً لنظام وضعى اخترعه الكهول لتنظيم المجتمع تنظيما سليما .

وعلى سبيل المثال يجب علينا أن نحاول أن نرد على سؤالين يتعلقان بتأثير هذا النظام الوهمى .

وهذا هو السؤال الأول : نحن نعلم أن الرجال قوامون على النساء فى جميع أنحاء العالم . فهل الاختلافات العقلية الفطرية بين الرجل والمرأة هى التى أدت إلى هذا الوضع ؟ أم هل الذى حدث هو العكس ؟ . فقد لا تكون الاختلافات العقلية هى التى أدت إلى هذا الوضع ، وقد يكون السبب هو أن الرجال تغلبوا بالقوة فأصبحت النساء مستضعفات وأدى هذا الوضع الاجتماعى إلى الاختلافات العقلية التى نلاحظها الآن . كلا ! فقد ازدهرت فى حقب كثيرة عبر التاريخ حضارات تتميز بأنظمة الانتساب للأمهات . بل إن الأوربيين ، وكذلك « فيلب ويلى » يدعون أن هذا النظام النسائى لا يزال سائداً فى أمريكا بشكل مستتر .

والسؤال الثانى : لماذا لا تتجه أغلب النساء إلى مهنة الهندسة والمهن الفنية الأخرى ؟ .

هل تكره البنات بفطرتهن الموضوعات الفنية التطبيقية فى حين يولع بها الصبيان ؟!

هل هذه هى السنة فى الخلق ؟ أم السبب هو أن هذه الاتجاهات المختلفة فى الصبيان والبنات راجعة إلى أن كل البنات يعطين فى طفولتهن العرائس ليلعبن بها ، فى حين يلعب الصبية بلعب هندسية إنشائية ؟ فأيهما هو السبب فى أن النساء يكرهن الهندسة والمهن الفنية الأخرى ؟ .

ولكن يمكننى أن أذكر مضمارين توجد فيهما عندنا فى أمريكا فرص اجتماعية

متكافئة للمرأة والرجل ليظهرا كفاءاتهما من غير مؤثرات خارجية ، ومع ذلك فتوجد فى هذين المضمارين أيضاً اختلافات شاسعة بين الجنسين .

من الذى يتلقى أكبر عدد من الدروس فى الموسيقى فى أمريكا ؟ البنات . أى جنس يؤلف الأغلبية الغالبة بين أعضاء الفرق للموسيقية ؟ البنات . إذاً فإننا إذا سمعنا عن امرأة تؤلف شيئاً عن الموسيقى فلا يجب أن يذهلنا ذلك ! !

ولننظر الآن إلى نفس هذه البيئة الأمريكية التى تغلب فيها النساء الرجال فى ميدان الاهتمام بالموسيقى ، ماذا نجد ؟ من الذى يعزف تلقائياً على البيانو فى نوادى الجامعات ؟ الطلبة لا الطالبات . وبين البالغين من الجنسين ، من الذى يؤلف المقطوعات الموسيقية ؟ الرجال لا النساء . ومن ذا الذى يكوّن الفرق الموسيقية ويقودها ؟ الرجال لا النساء .

إن العبقرية الموسيقية تكاد تكون منعدمة فى النساء ، وسأكون فى غاية السرور لو أن أحداً أمكنه أن يقنعنى بعكس ذلك .

ونلاحظ مثل هذا فى ميدان الشعر . فهناك الكثير من النساء الشاعرات ، وبعضهن يُجدن الشعر ، ولكننى لا أعتقد أن من يقرأ شعرهن يجد فيه قوة أو عبقرية ، ولا براعة أو إبداعاً .

وإننى أعتقد أنه لا يوجد الآن فى أمريكا أى تحيز ضد الشاعرات بين الناشرين أو القراء ، وأنه يوجد منهن فى أمريكا الكثيرات . ومع ذلك فإن عدد المجيدات بينهن أقل بكثير جداً من عدد المجيدين من الشعراء .

إننى أحترم النساء الذكيات . فهن مصدر قوة قد تكون مختفية فى بيئتنا الأمريكية فى أغلفة اجتماعية ناشئة من تصوراتنا العاطفية للزواج والعمل . هذه القوة قد تكون ضائعة فى أمريكا فى ندوات نسائية للعب الورق أو غيرها من الندوات التى لا جدوى منها ، فى حين أنه كان يمكنها أن تساهم فى تطوير العلوم الطبية ، أو فى إعادة تنظيم للدن . ولكنى أعتقد أن النساء إن حررن من هذه الأربطة الخفيفة فلن يظهر بينهن إلا القليل

النادر جداً ممن يكون عندهن استعداد فطرى حقيقى للابداع الفكرى الائتمانى مثل التأليف الموسيقى أو الشعرى أو غيرهما من النشاط العقلى .

إن غلبة عبقرية الرجال فى هذين المضمارين الذين ضربنا بهما المثل ، وفى غيرهما من الميادين ، تشبه غلبتهم فى بعض الأمراض الوراثية المعروفة ، مثل العمى اللونى[١] والتدمام (الهيموفيلية)[٢] .

فقد يحدث أن تمرض بها النساء ، ولكن ذلك نادر جداً . وهذه الأمراض ثبت أنها تورث عن « مورثة » (جين) جنسية منفورة[٣] . ويهيأ لى أن عبقرية الرجال فى الإبداع الفكرى تنتقل وراثياً مثل هذين المرضين ، فهى خاصية فى العقل تورث عن طريق « مورثة » جنسية منفورة .

وطبيعة المورثات فى المرأة تنشىء عندها « مناعة » ضد هذه العبقرية ، ولكنها يمكنها أن تنقلها إلى ذريتها . وذلك يشبه بالضبط ما يحدث فى مرضى عمى الألوان الهيموفيلية[٤] .

---

(١) بعض الناس يبصرون جيداً . ولكنهم لا يميزون الألوان وهذا هو ما يسمى « عمى الألوان » .

(٢) التدمام أو الهيموفيلية مرض ينزف المصاب به إذا جرح جرحاً بسيطاً ، وقد يودى ذلك بحياته إن لم يكتشف المرض مبكراً .

(٣) أثبت علم الوراثة أن الصفات الوراثية تنتقل من الأب والأم فى خلاياها التناسلية (البويضة والحيوان المنوى) وتوجد أجزاء فى نواة الخلية التناسلية تحمل هذه الصفات الوراثية . هذه الأجزاء حاملة الصفات تسمى « مورثة » أو « جين » وإذا كانت هذه الصفة غالبة فهى « نافرة » أى إذا اجتمعت مع صفة أخرى ظهرت عليها ، فمثلا لو اجتمعت صفة طول القامة بصفة قصر القامة وظهرت صفة الطول على القصر فتوصف صفة طول القامة بأنها « نافرة » وصفة قصر القامة بأنها صفة « منفورة »

(٤) من الظواهر العجيبة لمثل هذه الأمراض أنها وراثية وتظهر فى عائلات وسلالات معينة . ومع ذلك فإن الذكور فقط هم الذين تظهر عليهم علامات المرض أما النساء فلا تظهر عليهن علامات المرض ، ولكن يظهر المرض فى أولادهن الذكور دون الأناث

إنه من المقرر اليوم أن الوراثة هي السبب فى الفروق بين الجنسين . إن نسبة تركيز بعض الأدوية فى الجسم لها تأثير بالغ على التصرفات العقلية . ولكن الهرمونات الجنسية لها تأثير أبعد خطراً من جميع المواد الكيميائية الأخرى . فإذا أخذنا بعض الفئران ذكوراً وأناثاً وحقنا بضعة معينة من مخها بكمية قليلة من الهورمون المذكر ، فإنها تقوم مشتدة متهيجة تتقاتل .

أما إذا حقنت هذه الفئران نفسها فى بقعة معينة أخرى من مخها بأثر زهيد من الهورمون المؤنث فإنها تتحول إلى حيوانات دمثة ناعمة تدلل كل شيء تلقاه . ولا شك فى أن ما نسميه « غريزة المحافظة على النوع » ناشئة من توازن المواد الكيميائية المختلفة الموجودة فى أجسامنا وأجسام الكائنات الحية كلها .

فإذا تقدم العلم فى المستقبل فقد نتمكن من فهم هذه المسائل بطريقة أوضح ، وقد نتمكن من معرفة الفروق الطبيعية بين التصرفات العقلية المتباينة فى الجنسين وعلاقتها بالكيمياء الجنسية .

وقد نتمكن من أن نعرف كيف تتغير هذه الكيمياء ، وما ينشأ عن هذا التغيير فى أحوال الحياة المختلفة مثل النمو والحب وحالة الأبوة والأمومة والشيخوخة . ومن يدرى فقد يجيء الوقت الذى يمكننا فيه التأثير على الاستعدادات الفطرية بتعاطى الهورمون المناسب[1] .

الدكتور أمين رضا

---

(١) توجد فى الجسم غدد تفرز افرازاتها فى الدم مباشرة . هذه الغدد تسمى « الغدد الصم » وإفرازاتها هى « الهرمونات » والخصية غدة صماء تفرز الهرمون المذكر . والمبيض غدة صماء تفرز الهرمون المؤنث .

فلسطين
فى ذكرى الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد فمن جميل عناية الله تعالى بالأرض المقدسة ـ فلسطين ـ ذكرها فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية العديدة التى وردت فى شأنها .

ففى سورة الإسراء قال الله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وأصحابه بمكة إلى جهة الكعبة ولما هاجر إلى المدينة أمره الله عز وجل أن يصلى نحو بيت المقدس ، وبقيت المقدس قبلة المسلمين ستة عشر شهراً وقيل سبعة عشر شهراً ، حتى نزل قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد الأقصى) .

وان فلسطين فوق مكانتها الدينية وقداستها الروحانية لها مميزات من نواح عدة ، فإنها تحتل موقعاً جغرافياً هاماً لانها ملتقى قارتى آسيا وأفريقيا وفى مركز متوسط بالنسبة إلى أوروبا كما هى لافريقيا وآسيا ، وهى الطريق الذى يصل البادية وسهول الجزيرة بالبحر المتوسط وهى الجسر الموصل بين البلاد العربية المختلفة ، ثم إن موقعها الجغرافى كوّن تاريخها ، فإن موقعها بين الدول العظيمة القديمة كمصر وبابل وآشور والفرس واليونان ، صيرها مسرحاً لجيوش العالم القديم وقد وقعت فيها أهم الوقائع لأكبر الفاتحين . وقد ذكر بعض المؤرخين (انه ليس فى الدنيا من بقعة جرت فيها من الحوادث التاريخية الحربية ما جرى فى البلاد الفلسطينية) .

وتستمد فلسطين أهميتها فى الشئون الدولية إلى حد كبير من وقوعها على مواصلات طبيعية فضلاً عن أن يكون لها أهمية استراتيجية وأهمية تجارية ، حيث كانت الطريق التجارى الهام الذى تمر منه القوافل بين المشرق والمغرب ، الأمر الذى أكسبها فوائد التمدن والعلوم والصنائع من الأمم المجاورة لها ، أكسبتها المميزات الدينية الشعور الدينى العام نحو المقدسات الإسلامية والمسيحية .

فلا غَرابة بعد هذا أن نرى ونسمع التفاف العالمين العربى والإسلامى حول هذه البقعة المقدسة وافتداءها بالمهج والأرواح .

ولا غرو إذا دافع المسلمون عنها فى مختلف العصور ومنذ فجر الإسلام وبذلوا فى سبيل الحفاظ عليها أرواح مئات الألوف من الأبرار . لتكون أمانة فى أعناق العرب والمسلمين ولتبقى الرمز الإسلامى الخالد الذى يضم المسجد الأقصى ومعابد المسلمين وآثارهم.
وكان عدد من استشهدوا فى فلسطين فى الحروب الصليبية التى استمرت أكثر من مائتى عام بما يزيد عن مليون شهيد قدموا من أنحاء العالم الإسلامى للدفاع عن فلسطين ومسجدها الأقصى المبارك .

وفى الثورات والحروب التى قام بها أهل فلسطين من المسلمين والعرب ضد عدوان الانكليز واليهود ، خلال ثلاثين سنة ، استشهد فيها ألوف من رجال فلسطين وشبابها ، والألوف من الشهداء الذين ماتوا فى معارك فلسطين . بعد دخول الجيوش العربية إليها . ووقوع الكارثة المفجعة .

ولعل البعض يتساءل :

ما هى الأسباب المباشرة ، لثورة فلسطين ؟ ولاعتداء اليهود على حق العرب والمسلمين ؟ .

لقد تظاهر اليهود بالقرب من المسجد الأقصى ، وحاولوا إقامة صلواتهم الإسرائيلية ، وطقوسهم الدينية ، مكان مربط البراق النبوى الشريف بجانب الجدار الغربى للمسجد

الأقصى المبارك . زاعمين أن لهم حقاً فى ذلك المكان الإسلامى المقدس . بدعوى أن بعض الحكام من المسلمين سمحوا لليهود بالبكاء فيه . فرفض المسلمون والعرب فى فلسطين أن يعترفوا لليهود بأى حق فى جدار مسجد المسلمين ولا فى ساحته . واحتدم النزاع فى ذلك . وتدخلت حكومة الانتداب . فأوفدت عصبة الأمم . لجنةً دوليةً للنظر فى قضية مكان البراق الشريف . وبعد استماع اللجنة لأقوال وفود العرب والمسلمين واليهود . أصدرت اللجنة قراراً بأن المكان المذكور . ملكٌ خاص للمسلمين ، ومع ذلك سمحت لليهود بممارسة ما اعتادوه من البكاء إلى جانبه ، وقد قوبل هذا القرار بموجةٍ من السخط والغضب فى الأقطار الإسلامية والعربية ، وتوالت الاجتماعات والمؤتمرات فى فلسطين وغيرها ، وقرروا فى هذه الاجتماعات بالإجماع . رفض قرار اللجنة الدولية ، وعدم الاعتراف لليهود بأى حق فى إقامة طقوسهم فى مكان البراق النبوى الشريف ؛ إلا أن الاستعمار البريطانى استمر فى تنفيذ أهدافه وتحقيق مؤامراته ، وأعلن قراره الجائر . بتقسيم فلسطين والاعتراف بإقامة دولة إسرائيل بعد أن خرج الانكليز من فلسطين . ومكنوا لليهود من الاستيلاء على معظم مدن وقرى فلسطين الكبيرة وأدى إلى وقوع النكبة وخروج الألوف من الفلسطينيين العرب من ديارهم وأموالهم .

لقد وقعت فلسطين فريسةً بأيدى أعداء الإسلام والمسلمين ، كما وقعت من قبل بأيدى الغزاة الصليبيين نتيجة تخاذلِ حكام المسلمين وقادتهم فى ذلك العصر ، ولكن لم يمض زمن طويل حتى هب المسلمون والعرب لإنقاذ الأرض المقدسة فلسطين ، وجاء صلاح الدين رضى الله عنه ، والتف حوله المجاهدون من العرب والمسلمين المخلصين ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم رخيصة فى سبيل الله . وأيدهم الله بالنصر والتوفيق . ومكنهم فى حطين وغير حطين . من هزيمة الصليبيين . وانقاذ المسجد الأقصى وما حوله وأبقوها لمن بعدهم إسلامية عربيــة . تتردد فى جنباتها وفوق منائرها : الله أكبر ، الله أكبر .

والآن ها هو التاريخ يعيد نفسه ، وما على العرب والمسلمين وقد اجتمعت كلمتهم ، وتوحدت صفوفهم بعد دعوة رئيس الجمهورية العربية المتحدة السيد جمال عبد الناصر فى اجتماع مؤتمرى القمة العربى ، إلا أن يعدوا أنفسهم حكومات وشعوباً للعمل على استرداد ما فقدناه من الوطن الحبيب . ويعلنوها كلمة صريحة واضحة مقرونة بالعمل الجدى المنتج : فلسطين عربية وستعود عربية خالصة إلى أهلها العرب والمسلمين ، لنكون حقاً جديرين بالانتساب إلى عروبة أصيلة ، وإسلام عظيم ، وإلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ولنذكر فتح الصحابة لفلسطين ، وشهود عمر بن الخطاب بنفسه ذلك الفتح المبين ، ولنذكر كلمة عمر الخالدة لجلسائه ، حين استقر الأمر لهم فى فلسطين حيث قال لمن معه :

(أى الناس أعظم أجراً ؟ فذكروا له الصوم والصلاة ، ويقولون فلان وفلان بعد أمير المؤمنين . فقال : ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين . قالوا بلى : قال : رويجل بالشام آخذ بلجام فرسه ، يكلأ من ورائه بيضة المسلمين لا يدرى أسبع يفترسه ، أم هامة تلدغه ، أو عدو يغشاه ، فذلك أعظم درجة ممن ذكرتم ، ومن أمير المؤمنين) .

وبهذه الكلمة الرائعة وبهذا الشعور بالمسئولية العظمى يوجه سيدنا عمر بن الخطاب الأنظار إلى وجوب المحافظة على الأرض المقدسة والحرص على كرامة العرب وعزة الإسلام والمسلمين ، ويدعو إلى التضحية والبذل والفداء مهما اعتور ذلك من المتاعب . ويعتبر العاملين فى هذا المجال المقدس أحق من غيرهم وأحق من أمير المؤمنين بالأجر الكريم والشرف العظيم . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وليعمل العاملون .

ولنذكر كلمة أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد :

يا خالد : احرص على الموت توهب لك الحياة .

يا خالد قابل الاعداء السيف : بالسيف ، والرمح بالرمح .

ولو أننا قدرنا وجود أبي بكر بيننا في هذا العصر المادي ، ورأى تكالب الاستعمار وظهور آلات الدمار . . لقال :

أيها العرب . أيها المسلمون :

قابلوا أعداءكم : العلم بالعلم . السيف بالسيف . البندقية بالبندقية . المدفع بالمدفع . الدبابة بالدبابة . الطائرة بالطائرة . والغواصة بالغواصة الصاروخ بالصاروخ . القنبلة الذرية بالقنبلة الذرية . القمر الصناعي بالقمر الصناعي .

أيها العرب . أيها المسلمون .

إنه من حق الأرض المقدسة التي ضمت المسجد الأقصى ومهد المسيح عليه السلام ، أن يهب العرب والمسلمون لنجدتها ويعبئوا سائر الطاقات لمواجهة إسرائيل اداة الاستعمار وصنيعته التي يستخدمها في حماية مصالحه وتنفيذ سياسته ومؤامرته للتغلغل في البلاد العربية والإسلامية الأخرى . وان فلسطين بلد المسجد الأقصى والإسراء والمعراج لن تعود إلى أهلها ولن نصد الخطر الداهم عن سائر الأقطار المجاورة لها الا بالاعداد ، وبقوة الإيمان ، وقوة الوحدة ، ويمثل قوى الاستعمار العالمي .

(وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

مشهور ضامن بركات

مفتي نابلس والقضاء

وعضو الهيئة العلمية الإسلامية في الاردن وعضو مجلس النواب الاردني السابق

ورئيس الجمعية الإسلامية لرعاية الفتيات في مدرسة الكرامة

تعليقات على الصحف :

لجنة الفتوى بالأزهر

وردت إلى لجنة الفتوى بالأزهر عدة أسئلة من أحد قراء مجلة الأزهر ، ومنها السؤالان الآتيان :

س ١ : هل يجوز قراءة القرآن حول القبر ؟ .

س ٦ : هل يجوز قراءة القرآن فى المآتم ، كما يفعل الناس الآن ، وهل ورد من السنة شىء فى هذا ؟ وهل يثاب الميت بالقراءة ؟ .

وتفضلت اللجنة فأجابت على السؤالين بما يأتى : —

ج ١ : تفيد بأن قراءة القرآن للميت جائزة شرعاً ، ويكون ثوابها له ، متى كان القارىء قد وهبها له ، ويكون للقارىء ثواب على ذلك ، وسواء أكانت القراءة عند القبر ، أو بعيداً عنه ، وهذا عند كثير من الأئمة ، كما تنفعه الصدقة والدعاء له بإجماع العلماء .

ج ٦ : تفيد بأن قراءة القرآن مطلقاً عبادة يثاب عليها القارىء والمستمع ، فإذا كان ذلك فى المآتم كما يفعل الآن ، فلا مانع منه ، وينتفع الميت بالقراءة إذا قرأ بقصده ، أو قرأ عنده ، أو وهب ثواب القراءة له

مجلة الأزهر

« عدد جمادى الأولى عام ١٣٨٤ — أكتوبر عام ١٩٦٤ »

• • هذه هى بعض أسئلة القارىء ، وهذا جواب لجنة الفتوى بالأزهر عنها ، وهى لجنة لا شك أن لها الكلمة المسموعة والقول المطاع لدى جمهور المسلمين لأنها لجنة رسمية شرعية تمثل الأزهر ، الذى يعتبره مسلمو العالم مركز إشعاع للفكر الدينى ، والعقيدة الإسلامية ، والعلم الصحيح .

ولا ندرى من أين جاءت اللجنة بهذه الأجوبة فى شرعية قراءة القرآن للميت ،

وإمكان هبة ثوابها له ، ولا ندرى كذلك بأى دليل أفتت اللجنة بجواز إقامة المآتم لقراءة القرآن على الميت ، وانتفاع الميت بما يقرأ له فيها ؟! لا ندرى من أين جاءت اللجنة بهذا العلم ، فخرجت على السائل بهذه الأجوبة العجيبة ؟.

هل استمدت حكمها من نصوص الشريعة الإسلامية ؟ لا نعتقد ذلك ، وسنبين فيما يأتى حكم الكتاب والسنة فيما أفتت به لجنة الأزهر .

أولا — لم يحدث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فى عهود الصحابة والتابعين لهم ، أن قرأ أحد القرآن على ميت فى مأتم أو غيره .

ومن المعلوم أن القرآن لم ينزل ليقرأ على الموتى ، ولا ليتخذ أحجبة وتمائم من أجل شفاء أمراض الأبدان ، وغيرها من الأغراض المادية التى تعلق بها الجاهلون وقد صرفهم ذلك عن الانتفاع بآيات الله ، بل نزل القرآن من لدن الحكيم الخبير للعمل بأحكامه وشرائعه ، عقائده ، وعظاته ، وعبره ، ينبغى للمسلم أن يعرف تلك العقائد والأحكام والشرائع لينتفع بها فيعالج بها أدواءه ، مثل : ظلمات الوثنية ، وشبهات الباطل ، وشهوات النفس ، وضلال العادات والخرافات ، فيكون على بينة من أمور دينه وعابدًا لله على حق ، ومسترشداً به فى كل الأمور .

لهذه الغايات والمقاصد السامية أنزل الله القرآن فقال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم) — المائدة : ١٥ ، ١٦ — كما خاطب الأحياء بقوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدًى ورحمة للمؤمنين) — يونس : ٥٧ . وقال تعالى عن وظيفة القرآن (تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون — يس : ٦) و (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين) يس : ٧٠ .

ولقد آمن السلف الصالح رضى الله عنهم بهذه الآيات البينات ، فأقبلوا على القرآن حفظًا ودراسة ، واستطاعوا الانتفاع به ، فهداهم الله به إلى الخير والصلاح والسعادة . .

أما نحن اليوم فقد انحرفنا بالقرآن عن وجهته المستقيمة . وخرجنا عن الخط الذى رسمته لنا الشريعة الإسلامية ، فاستعملناه فى استمطار الرحمة على الأموات فى المآتم والبيوت ، وفتحنا بذلك باباً للعاطلين والكسالى يتسولون بآياته . كما اتخذناه أحجبة لشفاء أمراض الأبدان .

على أن فى إقامة المآتم واستئجار القراء لقراءة القرآن نوعاً من الإسراف والتبذير الذى ذمه القرآن ونهت عنه السنة النبوية لأن ماينفق من الأموال فى هذه الوجوه أحق بها أهل الميت من أولاده وذوى قرباه ، فضلاً عن أن إقامة المآتم لم يكن منها على عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولا أثر عن الصحابة رضوان عليهم جميعاً .

ثانياً — تنفى آيات القرآن حدوث انتفاع الميت بما يقرأ عليه من آيات . واستمع إلى قوله تعالى (ألاّ تزر وازرة وزر أخرى .وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى) ٣٨ ، ٤٠ النجم (يوم لا يغنى مولًى عن مولًى شيئاً) الدخان : ٤١ (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) — النبأ : ٤٠ .

فها أنت أيها القارىء ترى أن القرآن الكريم نفى نفياً قاطعًا انتفاع الميت بقراءة القرآن له بعد موته ، وأنه لا ينفعه من الغير إلا الدعاء ، كما ورد ذلك فى القرآن والسنة الصحيحة . فكيف إذن تفتى اللجنة بجواز انتفاع الميت بقراءة القرآن ، فى حين أن القرآن نفى ذلك ، وهو أولى مصادر الشريعة التى أفتت اللجنة ، وأفادت به السائل .

الحق أن مجتمعنا تسوده روح خرافية باطلة قديمة تغلغلت فى القلوب منذ العصور المظلمة ، وهى التى أملت على الناس جواز قراءة القرآن على الميت ، وإمكان هبة ثواب القراءة لروحه ، ووصوله إليها .

* * *

عزة الإسلام

قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ عبد المنعم محمد عبد الرحمن فى الدعوة إلى محاربة الإلحاد والعكوف على قبور الأولياء وحولها ، وعدم شد الرحال إليها . وأن سبل العبادة واضحة فى عمل النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وأن عزة الإسلام فى اتباع شريعته لا فى الابتداع .

المرأة فى الإسلام

مقال للأستاذ رجب صابر أحمد . عن خروج المرأة على آداب الدين وقواعده ، واستهتارها بكل ذلك ، وينتقد أولئك الكتاب الذين يشجعون المرأة للخروج على الآداب والتقاليد الإسلامية الموروثة . وأن على المرأة أن تدير مملكتها ، وأن تقوم على شئون منزلها وأطفالها (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وأن على المرأة المؤمنة الاقتداء بأمهات المؤمنين ، أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأسئلة السلفية لرد مطاعن السبكية

وتحت هذا العنوان أرسل إلينا الأخ محمد داود - ميكانيكى - ببنها ، أسئلة فى صميم عقيدة السلف الصالح ، وجهها إلى من أشار إليهم بالعنوان المتقدم ، ويأخذ فيها على بعضهم رجوعه عن عقيدة السلف ، بعد اعترافه بأحقيتها ، وأن ذلك منه اتباع للهوى ، وخوف من سادته ، ومراعاة لجانبهم . ثم بين عقيدة السلف الصالح بالأدلة والنصوص من الكتاب والسنة ، وأنها عقيدة الفرقة الناجية ، وما على مدعى السلفية إلا التزامها ، لا النكوص عنها إلى مذهب الخلف الذى هو الضلال بعينه .

الإســلام يدعو قومه

عنوان لقصيدة من جيد الشعر ، تزيد على الخمسين بيتاً لفضيلة الأستاذ عمرو محمد حسن التندى إمام وخطيب المسجد المجيدى بملوى وهو من دعاة التوحيد فى صعيد مصر ، يذكر فيها مفاخر الإسلام فى الصدر الأول - خير القرون - وأن الإسلام يدعو أهله للأخذ بناصره فى العمل بأحكامه وشرائعه وأنه لا ينقذهم ولا ينشلهم من الضعف الذى هم فيه إلا الرجوع إلى التوحيد الخالص والعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا الله فى ختامها أن يوفق المسلمين إلى العودة إلى دينهم الصحيح ، وان يجمع كلمتهم على الإيمان والهدى .

لا تقربوا الفواحش

مقال قيم للأستاذ محمد عبد الكريم أحمد فى مضار الزنا وانه يؤدى إلى دمار البيوت وخرابها فضلاً عن اختلاط الانساب ، وضياع المواريث تبعاً لها . وأن الإسلام يأبى كل ذلك . ولذا فقد توعد مقترفيه بالويل والثبور وشديد العقاب ، ثم أورد آيات من سورة النور وأنها بينت أحكام الزنا وقررت إقامة الحدود . ثم بين مايشترط فى إقامة حد الزنا وفيمن يتولى ذلك وكيف أنه لابد وأن يشهد إقامة الحد طائفة من المؤمنين .

تأثير الإيمان فى الأخلاق

هو عنوان مقال قيم للأستاذ الشيخ السيد عبد الحليم محمد حسين سننشره فى عدد تال إن شاء الله .

عرض وتلخيص

الكتاب « الصراع بين الحق والباطل »

مقال بقلم الأستاذ محمد صالح سعدان عن الكتاب المذكور بين فيه مزايا الكتاب ، وطريقة مؤلفه الفاضل فى مباحثه وتحقيقاته فيه . سننشره فى العدد القادم ، إن شاء الله .

من البدع التى ألبست ثوب السنن

هى سلسلة مقالات بهذا العنوان ، نقداً لبعض الكتب التى ألفت من بعض المنتسبين إلى السنة ويخالفون فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتبها بعض طلبة العلم مبيناً لما فى تلك الكتب من أخطاء، سنبدأ بنشرها إن شاء الله من العدد القادم .

* * *

« مسجد أنصار السنة بالخرطوم »

قصيدة رائعة من شعر الأستاذ نجانى عبد الرحمن عن مسجد جماعة أنصار السنة المحمدية بالخرطوم جنوب . سننشرها إن شاء الله بالعدد القادم مع بيانات عن المسجد وإنشائه .

نهى النساء عن زيارة المقابر

فى سنن أبى داود فى (باب التعزية) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ميتاً — فلما فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرفنا معه ، فلما حاذى بابه وقف ، وإذا نحن بامرأة مقبلة ، قال أظنه عرفها ، فلما ذهبت ، إذا هى فاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ فقالت : أتيت يا رسول الله ، أَهْلَ هـذا البيت ، فرَحَّمْتُ إليهم ميتهم ، أو عزيتهم به ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعلك بلغت معهم الـكُدَى ؟ قالت : معاذ الله ! ! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر ، قال : لو بلغت معهم الـكدى ، فذكر تشديداً فى ذلك[1] ـ فسألت ربيعة عن الـكدى ؟ فقال : القبور فيما أحسب .

---

(١) الذى حذفه أبو داود ، وعبر عنه بالتشديد . رواه النسائى مصرحاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك » . وهذا الحديث الشريف صريح فى أن النساء ، محرم عليهن زيارة القبور ، فهذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوعدها رسول الله أنها لو ذهبت إلى المقابر مادخلت الجنة ويؤيد هذا حديثه الآخر « لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » .


الهدي النبوي
مجلة دينية علمية
العدد التاسع
المجلد ٢٩
تصدرها
رمضان المعظم
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشوان

الاشتراك السنوى
٣٠ ـ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـدد ٩ | رمضان المعظم سنة ١٣٨٤ | المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا) ـ الكهف : ١٠٠ ـ ١٠٢ ﴾ .

« معانى المفردات »

عَرَضْنَا : العُرض : الجانب والناحية من كل شىء . وقال ابن فارس : عرض المتاع يعرِضه عرضا ، وهو كأنه فى ذاك قد أراه عرضه .

جَهَنَّمَ : قال ابن الأثير فى النهاية : « هى لفظة أعجمية ، وهو اسم لنار الآخرة ، وقيل : هى عربية ، وسميت بها لبعد قعرها ، ومنه رِكِيَّة[1] جِهِنَّام بكسر الجيم والهاء

(١) الرَّكِيَّة : البئر .

والتشديد ، أى بعيدة القعر ، وقيل هى تعريب كهنام بالعبرانى » ، وجاء فى مفردات الراغب أنها من جهنام الفارسية ثم عربت .

نُزُلًا : قال الراغب : النُّزُل : ما يُعَدُّ للنازل من الزاد . وجاء فى النهاية أنه قِرى الضيف . وقال ابن فارس : ما يُهَيَّأ للنزيل ، وكلها متقاربة . والنزل بضم الزاى أو سكونها .

أَعْتَدْنَا : أَعْتَدَ الشىء : هَيَّأه وأعدَّه . ويقول ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على حضورٍ وقرب . وقد أعتدناه : هَيَّأناه لأمرٍ إن حَزَبَ .

لا يستطيعون : قال الراغب : « الاستطاعة من الطوع ، وذلك وجود ما يصير به الفعلُ مُتَأَتِّياً ، وهى عند المحققين اسم للمعانى التى بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل وهى أربعة أشياء : (١) بِنْيَةٌ مخصوصة للفاعل (٢) وتَصَوُّر للفعل (٣) ومادَّةٌ قابلة لتأثيره (٤) وآلةٌ إن كان الفعل آليًّا كالكتابة ، فإن الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة فى إيجاده للكتابة ، وكذلك يقال : فلان غير مستطيع للكتابة إذا فقد واحداً من هذه الأربعة فصاعدا ، ومتى وجدت هذه الأربعة كلها فمستطيع مطلقاً ، ومتى فقدها فعاجز مطلقاً . فمتى وجد بعضه دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه ، ولَأنْ يوصف بالعجز أولى ، والاستطاعة أخص من القدرة . وقد يقال : فلان لا يستطيع كذا لما يصعب عليه فعله لعدم الرياضة ، وذلك يرجع إلى افتقاد الآلة وعدم التصوُّر . وقد يصح معه التكليف ولا يصير الإنسان به معذورا . . وعلى هذا الوجه : ما كانوا يستطيعون السمع ـ لا يستطيعون سمعا » انتهى كلام الراغب .

« المعـــــنى »

قصَّت علينا الآيات البينات قصة الرسالة المُخْبِتة لأمر الله متمثلة فى موسى عليه السلام ، والولاية الصالحة المذعنة لأمر الله ـ وإن شق على النفس الامتثال له ـ متمثلة فى العبد الصالح صاحب موسى ، وقصة الملك القوى الصالح المجاهد فى سبيل الله

متمثلا فى ذى القرنين ، ليكون لعباده قدوة فى سير هؤلاء البررة الأتقياء . ليتخذ الملك أو الحاكم من ذى القرنين مثله الأعلى ، فيؤمن كما آمن ، ويجاهد كما جاهد ، فتدين الأرض له بأمر الله وسلطانه ، باسطًا على أرجائها ظل العدل ، ناشراً فيها روح الأمن والطمأنينة والسكينة .

وليتخذ عباد الله من العبد الصالح قدوة وأسوة ، فلا يقضون إلا عن بينة ، وإلا عن أمر الله ، ولا يجبنون عن أمر ألقى الله إليهم أن يقوموا به .

وليجعل الرسل من قصة موسى مع العبد الصالح لهم عظة وعبرة . وليست فى المقياس الشامل عظة للرسل وحدهم ، وإنما هى عظة لكل عبد منيب . وكذلك للناس فى سيرة ذى القرنين .

إنما هو ذكر أصناف البشر الذين أطاعوا واتقوا وأحسنوا ، لنرى البشرية فى كل صف كيف آمنت ، واتقت ، وأحسنت ، ولنرى البشرية فى عبوديتها القانتة البارة ، وهى فى رسول قوى ، وولى نبى ، ومَلِك كبير قوى .

فلا يقعد عن عبادة الله صنف . أو واحد من الناس بدعوى أنه ينتمى إلى طبقة خاصة لا يطالبها الله بعمل ، ولا يلقى إليها بأمر ، ولا نهى ، كما زعمت الصوفية الملحدة أن الله يرفع التكليف عن أقطابها الواصلين !!

وكما يزعم الملوك أو الحاكمون أنهم لا يجوز لهم أن يصلوا كما يصلى الناس ، أو يحجوا كما يحج الناس ، وإنما لهم أن يفعلوا من هذا ما يلائم جلال الملك وأبهة الحكم ، أو أن يفعلوه بصورة تلائم ما هم عليه من عظمة ، وما هم فيه من سلطان .

ولهؤلاء أن يتدبروا ما قصه الله عن ذى القرنين فى قوله : « قال هذا رحمة من ربى » لا خيلاء ، لا غطرسة لا عنجهية ، وإنما إيمان قوى ، وتقوى نبيلة ، ونسبة كل فضل إلى خالقه سبحانه .

ثم قص الله علينا قصة الكفر الوحشي المقيت متمثلا فى البغاة يأجوج ومأجوج . . كما قص طرفاً من المصير ، حين يُنفَخ فى الصور ، ثم قال سبحانه عن بعض ما سيكون عقب النفخ فى الصور :

« وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً » يكون العرض ويأجوجُ ومأجوجُ يضطرب بعضهم فى بعض كما يفعل الموج المضطرب الثائر ، أو ويأجوج ومأجوج وغيرهم من الخلق يموج بعضهم فى بعض ، وعرض جهنم يقتضى بروزها ، وظهور ما فيها من ويل وثبور ونكال .ومن فنون العذاب وأفانينه ، ليجعل للكافرين الهم والغم والعذاب النفسى الشديد ، والخوف الرهيب الذى لايقضى عليهم فيموتوا ، ولا ينجاب عنهم ، فيخفف عنهم من عذابه .

ولك أن تتصور حال المحكوم عليه بالإعدام ، وهو يرى الآلة الرهيبة التى أعدت له ، والوجه الباسِر الذى يمسك بالحبل الشديد الأسود !!

وأن تتصور حال من يرى هوة سحيقة لا يُرى غَوْرُها ، وقد أمسك بيديه رجال غلاظ شداد ، يسوقونه رويداً رويداً إلى شفا الهوة الساحقة ؛ ليقذفوا به إلى هنالك حيث لايدرى .

وأضف إلى هذا التصور تصوراتٍ وتصوراتٍ ، كلٌّ منها رُعْبٌ قاتل ، وخَوْف مدمِّر ، ورهبة صاعقة ، ورغم ذلك كله ، فإنك لن تتصور بعض ما سيكون فيه هذا الكافر ، وهو يرى جهنم بعينى رأسه ، فهو إحساس لايعبر عنه إلا إحساس مثله ، أى لايبين عنه إلا هو .

وإنهم ليستحقون هذا الهول والويل ، يستحقون عذاب النفس وعذاب الجسد معاً ، يستحقون التعذيب برؤية مكان العذاب ، فيسحقهم الرعب ، ولكنه لايفقدهم الوعى ، ففقدان الوعى رحمة ، ولا رحمة لهم يوم القيامة .

ولهذا قال الله عن أصحاب النار آيتين تدلان على أنهم دائماً فى إدراك للعذاب وإحساس به ووعى كامل لما يكونون فيه ، ليبقى لهم العذاب شديداً شديداً لا يبرد ولا يخمد .

تدبر قول الله سبحانه : (والذين كفروا لهم نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عليهم ، فَيَمُوتُوا ، ولا يُخَفَّفُ عنهم مِنْ عَذَابِها ، كَذٰلِكَ نَجْزِى كلَّ كَفُورٍ . وهم يَصْطَرِخُونَ فيها : رَبَّنَا أَخْرِجْنا نعمل صَالِحًا غير الذى كنا نعمل ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يتذكَّر فيه مَنْ تَذَكَّرَ ، وجاءكم النذيرُ ، فَذُوقُوا ، فما للظالمين من نصير) فاطر : ٣٦ ، ٣٧ » .

وتدبر هذه الآية : «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصْلِيهم نارًا، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلودُهم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غيرَها ؛ ليذُوقُوا العذابَ ، إن اللهَ كان عزيزاً حكيما ـ النساء : ٥٦ » .

تثبت الأولى أنهم فى إدراك ووعى لما هم فيه ، والأخرى أنهم فى إحساس دائم بالعذاب .

ويدفعك إلى التسبيح بقدرة الله ، وإلى الضراعة إليه أن ينجيك من هذا العذاب ، أن تتذكر أن من يحترق جلده بالنار فى الدنيا يفقد الحس بجراحه وحروقه . فيكون فى هذا رحمة له .

أما الكافرون فتدبر حالهم وتدبر قوله سبحانه « نضجت » الدالة على بلوغ العذاب بالإحراق شدته وغايته ، ثم العود بهذه الجلود إلى حالها الأولى .

هكذا يعذب أصحاب النار : بعرضها عليهم قبل دخولهم فيها ، تَذَوُّقِهم لعذابها[1] بالدخول فيها .

---

(١) ينكر ابن عربى عذاب جهنم بالمعنى الذى بين القرآن ، وآمن به المسلمون ، وأجمعوا على أنه هو المقصود من الآيات ، ولهـــذا يقول فى ص ٩٤ من فصوص الحكم – ج ١ طبع الحلبى : =

وجاء كلمة « عرضًا » مؤكدة للحقيقة المتجلية من قوله سبحانه « وعرضنا » حتى لا يجمح بنا الهوى ، فنزعم أن العرض مجازى لا حقيقى . وإليك من آيات العرض ما يعظ ويشفى ويهدى .

(ويَوْمَ يُعْرَض الذين كفروا على النار ، أَذْهَبْتُمْ طيباتكم فى حياتكم الدنيا ،

= فلم يَبْقَ إلا صَادق الْوَعْد وحده — وما لوعيدِ الحق عَيْنٌ تعاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم — على لذَّةٍ فيهـا نعيمٌ مُبَاينُ

نعيمَ جنان الْخُلْد ، فالأمر واحدٌ — وبينهما عند التجلى تباين

يُسَمّى عذاباً من عذوبة طعمه — وذاك له كالقشر والقشر صائن

يشير إلى ما وعد الله به المؤمنين من الثواب الطيب فى الجنة ، وإلى ما أوعد به الكفار من العذاب فى النار والأول يسمى وعداً والآخر يسمى وعيداً ، ثم يزعم أن الله سيفى بوعده ، ولكنه لن يفى بوعيده ، أى سيكون الثواب فى الجنة ، ولكن لن يكون العذاب فى النار . ستكون هناك جنة ونار غير أنه سيكون ما فى الجنة هو النعيم ، وسيكون ما فى النار هو نعيم أيضاً غير أنه يختلف عن نعيم أهل الجنة» .

فهل يستهدف هذا سوى القضاء على قيم الإسلام ، ومقومات الأمة الإسلامية ، وإلا تمجيد الرذيلة ونشر الفسوق والمجون والإباحية المتهتكة . ولم لا ، وهو ينفى العذاب حتى عن عبدة الأوثان ، وكيف يحكم عميد كلية أصول الدين الدكتور عبد الحليم محمود على مثل هذا الرجل الملحد بأنه مسلم ؟ ، ترى هل يستطيع الدكتور أن ينكر العذاب كما أنكره ابن عربى ؟ وهل يستطيع الدكتور الكبير أن يدلنا على معنى آخر لكلام ابن عربى فشم منه رائحة حق أو خير ؟ وهل يمثل هذه الكلمة الكافرة يعد ابن عربى قطباً كبيراً تصح به القدوة وتعقد له الإمامة ، وإذا زعمنا أنها شطحة فهل يصلح هذا الشطح للاقتداء أو الاهتداء ، وهل يعد هذا الشطاح إلا مخبول العقل لا يجوز أن نقدمه للمسلمين مثلا أعلى ، وكيف تنشر مجلة الأزهر دفاعاً عن ملحد ؟ .

واستمتعتم بها ، فاليوم تُجْزَوْنَ عذابَ الْهُونِ بمـا كُنتُمْ تَسْتَـكْبِرُونَ فى الأرض بغير الحقّ ، وبما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) الأحقاف ٢٠ .

وفى نفس السورة وردت هذه الآية التى رقمها من السورة فى المصحف « ٣٤ » (ويوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النار أليس هذا بالحقّ ؟ قالوا : بَلَى وَرَبِّنَا ، قال : فذوقوا العذابَ بما كُنْتُمْ تـكفرون) ثم تدبر ما ورد فى سورة الشورى : (وترى الظالمين لمـا رَأَوُا العذابَ يقولون : هَلْ إلى مَرَدٍّ من سبيل . وتراهم يُعْرَضُونَ عليها خاشعين من الذُّلِّ يَنظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ ، وقال الذين آمنوا : إن الخـاسرين الذين خَسِرُوا أنفسَهم وأَهْلِيهِم يوم القيـامةِ . ألاَ إِنَّ الظالمين فى عذابٍ مُقِيمٍ ، الشورى : ٤٤ ، ٤٥) .

تؤكد هذه الآيات عرض الـكافرين على النار ، وعرض النار على الـكافرين ، تؤكد أنها ستبرز لهم بما فيها من عذاب ، وأنهم سيعرضون عليها فى حال وصفها بأنها خشوع من ذلهم ، وأنهم سيسترقون النظر إليها أحياناً ، وأنهم سيتمنون الرجوع إلى الدنيا زاعمين أنهم لو رُدوا إلى الدنيا لعملوا صالحاً ، وأنهم سيعبرون عن هـذا التمنى بتعبيرات ذكر القرآن نصها ، فمنها : (هل إلى مرد من سبيل — ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل) كما تبين الآيات ما به استحقوا هذا العذاب المهين ، وهو الاستكبار فى الأرض بغير الحق ، وأنهم فسقوا عن أمر الله ، ويفيد التعبير بالفسق أنهم عرفوا الحق والإيمان وغيرهما مما بين الله فى كتابه وأمر به ، وأنهم خرجوا عن كل هذا ، وكفروا به . وكذلك استحقوه بالـكفر والظلم .

(الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) . هذا وصف لأصحاب جهنم وبيان لما استحقوا من أجله عذاب جهنم .

والصفة الأولى أن أعينهم كانت فى غطاء عن ذكر الله يحول بينهم وبين رؤية ما يذكرهم بالله ووعده ووعيده ، أما الصفة الأخرى ففى قوله سبحانه : (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) كانوا لا يرون آيات الحق ، ولا يسمعونها . ومن وضع الغطاء فى أعينهم ؟ إنه القادر سبحانه .

ولماذا ؟ لأنهم هم الذين طلبوا ذلك ، وسعوا إليه .

تدبر قول الله عن ثمود : (وأمَّا ثمودُ فهدَيْنَاهم فاستحبوا العَمَى على الْهُدَى ، فأَخَذَتْهُمْ صاعقةُ العذاب الْهُونِ بما كانوا يَكْسِبُون) فصلت : ٧ .

إذنْ لا جَبَرِية صارمة ، وإنما هو اختيار بادٍ واضح ، وجزاء على الاختيار ، يفيد الاختيار قوله سبحانه « فاستحبوا العمى على الهدى » . والتعبير باستحبوا بدلاً من أحبوا ، يفيد أنهم سعوا فى سبيل العمى وطلبوه ونشدوه .

ويفيد الجزاء على الاختيار قوله سبحانه (بما كانوا يكسبون) والباء تفيد السبب .

ثم تدبر هذه الآية لترى المسئول عن الغطاء ، وأن الله لا يظلم الناس شيئاً ، وأنه جل شأنه ما وصفه إلا بعد أن طلبوا هم وصفه : (وقالوا : قلوبُنا فى أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وَقْرٌ ، ومن بيننا وبينك حجابٌ فاعمل : إننا عاملون ــ فصلت : ٥) .

وتدبر قوله سبحانه : (وَخَلَقَ الله السَّمٰوَاتِ والأرضَ بالحقّ ، ولِتُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بما كسبت وهم لا يُظْلَمُونَ . أفرَأَيْتَ من اتخذ إلٰهَهُ هواهُ وأضَلَّهُ الله على علمٍ وخَتَمَ عْلى سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غِشَاوَةً ، فَمَنْ يهديه من بعد اللهِ ؟ أفلا تَذَكَّرُون . وقالوا : ما هى إلا حياتُنا الدنيا نموت ، ونحيا وما يُهْلِكُنا إلا الدهرُ ، وما لهم بذلك من علم ، إنْ هُم إلا يَظُنُّونَ . وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنَا بَيِّنَاتٍ ما كان حجَّتَهم إلا أن قالوا : ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين . الجاثية ــ ٢٢ ، ٢٥) .

بين الله أنه لا يجزى إلا بما كسب الإنسان ، وأن الكفار لن يمسهم ظلم ، ثم بين

ما كسب هؤلاء : اتخاذ الهوى إلهاً[1] ورفضهم أن يسمعوا وأن يبصروا ، وكفرهم بالخالق وعبادتهم للدهر ، ورفضهم الإيمان بيوم القيامة .

أفتشم رائحة جبرية ظالمة ؟ أم تجد العدل النظيم ، والإحسان الكبير ، والجزاء العادل على الاختيار الحر الذى ليس فيه شائبة من إكراه ؟ ! إن الله لا يجبرك على فعل المعصية ، وإلا كان ظالماً ، والله له العدل والإحسان ، فاحذر أن يضلك عن الحق همسات الظنون ، ووسوسات الشياطين ، وشبهات المارقين .

وقوله سبحانه : « فى غطاء » يفطينا أن هـذا الغطاء مُحْـكم مستدير يحيط بالعين من كل جهاتها ، فلا ترى لمحاً ، ولا بارقة من نور . ونفى استطاعة السمع عنهم لا ينفى عنهم المسئولية ، ولا استحقاق الجزاء ، إنمـا هو لبيان أنهم فى حال من الصمم الذى لا يستطيع معه الإنسان أن يسمع شيئاً ، وأنهم بما كسبوا ، وبإعراضهم وإبائهم السمع قد جعلوا وقراً ثقيلاً فى آذانهم يحول بينهم وبين السمع ، حتى لو طلبوا بعد هـذا سمعاً فلن يسمعوا ، فلقد جاء الطلب بعد فوات الأوان ، وتدبر قول ربنا سبحانه : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عند الله الصُّمُّ الْبُـكْمُ الذين لا يعقلون . ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خَيْرًا لأسمعهم ، ولَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون) الأنفال : ٢٢ ، ٢٣ .

---

(١) صَـوَّب ابن عربى دين الذين يعبدون الهوى ، وحكم بسبب إيمانه بوحدة الوجود التى تزعم أن كل شىء هو الله — أن الهوى هو أعظم المجالى التى عبد الله فيها ، وإليك نص كلامه فى فصوص الحـكم :

« قضى — أى الله — ألا يعبد إلا إياه فى درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهاً عبد فيها ، وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى » ثم يقول : « والعـارف المـكمل — أى من كل معبود مجلى للحق يعبد فيه » ص ١٩٤ وما بعدها ج ١ طبع الحلبى » .

أفيليق بعميد كلية أصول الدين أن يدافع عن رجل يصف عباد الهوى بأنهم عبدوا الله فى أعظم مجاليه ويدين بأن الله هو الهوى ، وهو الصنم وهو عجل السـامرى ، أرجو أن يتفضل الدكتور الكبير بالإجابة عن هذا السؤال .

فهل يجوز بعد هذا أن يحيرك السؤال الماكر الخبيث : إذا كان الله قد ختم على سمعهم ، فلماذا يعذبهم ؟ .

إن الإجابة الصادقة تبدو لك جلية واضحة فى هاتين الآيتين . فلو أنه سبحانه علم فيهم خيراً لأسمعهم ولو طلبوا صادقين السمع لسمعوا ، ولكنهم أبوا ، ولو أنه أسمعهم لأعرضوا عن الله . فهل نعد الله ظالماً وهو يعطينا ما نريد ، وما نرجو[1] ؟ ! .

معاذ الله أن نبغى على قضائه بسوء ، أو نبهت قدره الحكيم بجَوْر ، وما ربنا بظلام للعبيد ، وهو على ما يشاء قدير . على أن نفى الاستطاعة عنهم يدل على بغى أحقادهم المتأججة ضد القرآن وضد الرسول ، إذ كانوا شديدى العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن ، وقد نفت هذه العداوة عنهم استطاعة السمع ، وفى تعبيراتنا عما نكره من صوت أو قول ، لا أستطيع أن أسمع هذا ؛ لأن ما فى القلب من كراهية ينفى هذه الاستطاعة .

(أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) هذا استفهام حُذِف جوابُه وقد ترك لنا أن نأتى بالجواب الذى يتلاءم والحق البين من الكتاب . كأن نقول : أَفَظَنَّ الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، وأنى لا أغضب لنفسى ، فلا أعاقبهم ، أو نقول : أفظن هؤلاء المقترفين لهذا أن اتخاذهم الأولياء من دون الله نافع لهم ؟ أو نقول : أفظن الذين كفروا أن هذا يصلح لهم ، وأن هؤلاء أولياء لهم ، كلا إنما هم لهم عدو ، وهذا كما قال الله سبحانه فى سورة مريم : (واتَّخَذُوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عِزًّا . كَلَّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا) مريم ٨٠ ، ٨١) .

---

(١) وتدبر قول الله هنا : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً ، فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » الله بين السبيل ، والقرين يصد صاحبه عن السبيل .

وهذا يؤكد لنا أن اتخاذ الولى هو اتخاذه إلهاً من دون الله ، فلا يُدَجِّلَنَّ بالأساطير عَبَدَةَ الأولياء من دون الله ، وقد قال المفسرون : إن المقصود بهذا هم الذين عبدوا عيسى وعزيراً ولـكن الآية عامة غير خاصة ، وقيل عن ابن عباس : أن المقصود من أطاعوا الشياطين » وعن غيره من عبدوا لأصنام ، وهو ظن ضعيف ، إذ جرت العادة أن « عباد » تـكون جمعاً لعابد ، أما عبيد فجمع لعبد[1] . ولا يقال عن الشياطين أنها عابدة لله ، ولا عن الأصنام ، والذى ورد فى الآية « عبادى » لا عبيدى . فهـل يعقل الذين يتخذون الحسن والحسين رضوان الله عليهماوغيرهما أولياء من دون الله ؟ وإذا كان اتخاذ الصالحين أولياء من دون الله يستحق عذاب جهنم ، فما بالك باتخاذ الذين عادوا الله ورسوله كابن عربى وابن الفارض وغيرهما ؟ .

« إنا أعتدنا جهنم للـكافرين نزلا » والنزل قرى الضيف . وهذا يثبت أن هؤلاء الـكافرين سيكونون ضيفاً على جهنم وأنه مالهم فى الآخرة سواها من قرى لهم .

اللهم إنا نعوذ بوجهك .

« ربنا آتنا فى الدنيا حَسَنَةً ، وفى الآخرة حَسَنَةً ، وقنا عذاب النار » .

عبد الرحمن الوكيل

إلى الذى لا يتهجد

يا أيها الراقد كم ترقد   يا نائماً قم دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة   تحظى إذا ما هجع الرُّقَّد
من نام حتى ينقضى ليله   لم يبلغ المنزل ، لو يجهد

---

(١) ولهذا قال سبحانه (وما ربك بظلام للعبيد) ليؤكد سبحانه أنه لا يظلم من يعبده هو ولا يظلم من يعبد غيره ، لأن العبيد تطلق على من يعبدون الله . وعلى من يعبدون غيره ، إذ كل منهم عبد بالقهر الإلهى ، فـكل عابد عبد وليس كل عبد عابدا .

خصائص رمضان

رمضان أحد الشهور العربية التى كان يعرفها العرب فى جاهليتهم ، وقد روى فى سبب تسميته بهذا الإسم أنه جاء فى وقت قيظ قد التهبت منه حصباء الأرض فسمى رمضان من الرمضاء ، وهى شدة الحر ، وقد جاء فى الحديث : (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) .

وقد امتاز رمضان على سائر الشهور بعدة خصائص جعلت له فى نفوس المسلمين أعظم مكانة ، ولهذا يفرحون بمقدمه ويستقبلونه كل عام بمزيد من البشر والغبطة والحفاوة والتقدير .

وقد رأيت بمناسبة هلال هـذا الشهر الكريم أن أعرف إخوانى أهل السنة والتوحيد من قراء مجلة« الهدى النبوى» بما لهذا الشهر من الخصائص ومزايا ، فإنهم أولى الناس أن يعرفوا لهذا الشهر قدره ، وأن يرعوا حرمته ، وأن يتخذوا منه موسماً لتجارة رابحة مع الله عز وجل فى كل عام .

١ — فمن خصائص هذا الشهر أن الله قد اختاره لإنزال القرآن فيه كما قال تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

فقد نزلت الآيات الأولى من القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجاور بغار حراء يتعبد لربه ، حيث جاءه الملك بها فى نمط من ديباج فعرضها عليه وأمره بقراءتها ؛ فلما اعتذر بأنه ليس بقارىء تلاها عليه المَلَك . وهى الآيات الأولى من سورة العلق : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) .

وأما ما روى منسوباً إلى ابن عباس رضى الله عنهما من أن القرآن نزل كله فى ليلة

القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، ثم أخذ جبريل عليه السلام ينزل به نجوماً وأقساطاً فى مدى ثلاث وعشرين سنة ، فهو قول لا يساعد عليه ظاهر الآية ، فإنها سيقت فى معرض المدح لرمضان والتنويه بشأنه ، والامتنان علينا بإنزال القرآن ليكون هدى لنا . ومعلوم أن القرآن لا يكون هدى للناس بنزوله من سماء إلى سماء ، ولكن بنزوله إلى الأرض .

وعلى كل حال فقد أفادت هذه الآيات أن شهر رمضان هو الشهر الذى وضعت فيه اللبنات الأولى فى بناء الدستور الإلهى الذى أراد الله به أن يرحم أهل الأرض ، وأن يخرجهم مما كانوا فيه من ظلام الجهل والظلم إلى نور الحق والعدل، كما ابتدأ فيه تخطيط الملامح الأولى للجماعة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس ؛ فرمضان هو شهر الابتداء والتأسيس كما كان ذو الحجة شهر التمام والكمال .

ولقد جعل الله الليلة التى ابتدأ نزول القرآن فيها خيراً من ألف شهر ، وسماها ليلة القدر ، وذلك لأنها الليلة التى ابتدأ فيها اتصال السماء بالأرض بعد زمان طويل من انقطاع الوحى : فكانت أعم الليالى بركة وأعظمها عائدة ، ولهذا سجلت فى القرآن ، وخلدت على مر السنين ؛ ففى كل عام يحتفل بها أهل السماء وأهل الأرض من المؤمنين .

ومن أجل أن رمضان كان ظرفاً لهذه النعمة الكبرى بإنزال القرآن ، وكان ذلك يقتضى من العباد أن يقوموا لله بواجب الشكر والعرفان ؛ فقد اختار الله رمضان ليكون موسماً لعبادة من أحب العبادات إليه ، وهى عبادة الصيام التى أضافها إلى نفسه ، وجعل جزاءها موكولا إليه ، كما جاء فى الحديث القدسى الصحيح : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » .

فالصوم هو التعبير العملى عن فريضة الشكر لله على أعظم نعمة أنعم بها على عباده ، وهى إنزال القرآن كما أنه أنسب العبادات كلها لتلك النعمة ؛ فإن الغرض من إنزال القرآن هو أن يكشف للإنسان عن جوهره ، ويبرز له خصائصه الإنسانية التى أهملها

ونسيها ، ويحدد مركزه فى هذا الوجود ، ويعرفه بالغاية من وجوده على الأرض ، ويرسم له الطريق الذى يوصله إلى تلك الغاية ، ويرتفع به عن غمار البهيمية السافلة ، وينأى به عن سيطرة الغرائز والشهوات الدنيا ، ويؤهله للقيام بواجب الخلافة عن الله فى أرضه .

ولا شك أن هذه الأهداف هى بعينها الأهداف التى تثمرها عبادة الصيام ، فإنه عبادة روحية إنسانية تهدف إلى إصلاح الإنسان وتقويمه ، وإبراز كيانه الإنسانى الذى ميزه الله به عن سائر الحيوانات التى تعيش معه على الأرض ، وهو أنه كائن ممتاز له إرادة حرة وعقل مفكر ؛ فلا ينبغى أن ينساق وراء شهواته ورغائبه ، بل يختار أعماله حسبما توجبه الشريعة العادلة ويقتضيه العقل والحكمة .

فإذا كان القرآن هو كتاب الإنسان الذى يصحح له وجوده الإنسانى وينفى عنه كل ما ران على هذا الوجود من عوج وانحراف بسبب غلبة الشهوات وسوء الطبع وجمود الفكر وسيطرة الوهم وحجب التقليد ، فإن الصوم كذلك هو عبادة الإنسان الذى يكشف له عن وجوده الأسمى وهو روحه التى صار بها إنساناً ، ويخرجه من مذلة الاستخذاء أمام الشهوات إلى عزة الانتصار عليها ، ومن ضعف النفس حيال حاجات الجسد ومطالبه إلى قوة الاستعلاء عليها ، ولهذا ربط الإسلام بين رمضان والقرآن ، فهو ليس شهر نزوله فحسب ، بل هو أيضاً شهر تلاوته ومدارسته ؛ فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين ينزل عليه جبريل فيدارسه القرآن » ، وكان جبريل عليه السلام يعارض النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل عام فى شهر رمضان مرة ؛ فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه به مرتين .

٣ — ومن خصائص هذا الشهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم سن لأمته قيام لياليه وإحياءها بالصلاة وتلاوة القرآن ، ورغب فى ذلك وجعله كفارة لما تقدم من الذنوب وقد روى البخارى فى صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان إيماناً

واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وقيام رمضان بجماعة فى المسجد سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يواظب عليها خشية أن تفرض على الناس ، فقد جاء فى موطأ مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد ذات ليلة ، فصلى بصلاته أناس ، ثم صلى الليلة القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال : « قد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم ، وذلك فى رمضان » .

فدل هذا الحديث على أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنعهم من الصلاة خلفه إلا لخشيته أن تفرض عليهم هذه الصلاة جماعة فى المسجد فيشق ذلك على كثير منهم ، وبقى الأمر على ذلك مدة حياته صلى الله عليه وسلم وزمان خلافة أبى بكر رضى الله عنه وصدراً من خلافة عمر يقوم الناس رمضان فى بيوتهم أو فى المساجد فرادى متفرقين .

ثم إن عمر خرج فى رمضان إلى المسجد ذات ليلة فوجد الناس أوزاعاً متفرقين ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط ؛ فقال عمر : والله إنى لأرانى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ؛ فجمعهم على أبى بن كعب ، فلما خرج ليلة أخرى إلى المسجد ووجد الناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال : نعمت البدعة[1] ! هذه والتى تنامون عنها أفضل من التى تقومون - يعنى آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله .

ولا تجوز الزيادة فى قيام رمضان على ما واظب عليه الرسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً فى قيامه الليل ، وهو ثمان ركعات ، ثم يوتر بثلاث ؛ فقد صح عن عائشة رضى الله عنها

---

(١) هذا تعبير من عمر ، ولكنها ليست ببدعة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلاها بالناس جماعة ، ولكنه خشى أن تفرض على الناس ، كما فى حديث عائشة السابق ، فلم يداوم عليها جماعة .

أنها قالت : « ما كان يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً » .

وأما ما روى عنها وعن ابن عباس من أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يصلى عشراً ثم يوتر بثلاث ، فقد أجاب عنها بعض المحدثين بأن الحديث الأول إخبار عن صلاته الغالبة المعتادة ، والثانى إخبار عن زيادة وقعت فى بعض الأوقات أو أنها ضمت فيه ما كان يفتتح به صلاته من الليل من ركعتين خفيفتين قبل الإحدى عشرة ، ولم يرو أحد عنه صلى الله عليه وسلم أنه زاد على ذلك فى قيام الليل .

وعلى هذا فما يعمله الناس اليوم من صلاتهم التراويح عشرين ركعة أو أكثر هو مجاوزة لما حده الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن خير الهدى هديه .

ويحلو لبعض الناس أن يكذب على عمر رضى الله عنه ، فينسب إليه أنه هو الذى أمر بصلاة التراويح عشرين ركعة ، وحاشا لعمر الفاروق أن يخالف هدى نبيه . بل قد روى مالك فى الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميما الدارى أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة ، قال : وقد كان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا فى بزوغة الفجر » .

وأما ما رواه مالك عن يزيد بن رومان من أن الناس كانوا يقومون رمضان فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة . فهذا إن صح غلط من الناس لا يسأل عنه عمر ، ويكون مخالفاً لأمره السابق لهم بالاقتصار على إحدى عشر ركعة .

٤ — ومن خصائص رمضان أيضاً أنه شهر النصر ، فأكثر المعارك الفاصلة فى حياة الدعوة الإسلامية إنما وقعت فى هذا الشهر ، فكانت غزوة بدر التى سماها الله فرقاناً ، وجعلها آية على تأييده لنبيه والمؤمنين فى السابع عشر من شهر رمضان ، وقد نزلت فيها

للملائكة من السماء تثبت قلوب المؤمنين وتبشرهم بالنصر ، وقيل : إنها قاتلت معهم بناء على أن قوله تعالى من سورة الأنفال (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) خطاب للملائكة وللمؤمنين .

وأياً ما كان ، فقد كانت غزوة بدر أول غزوة وأعظم غزوة خضد فيها شوك الشرك وقلمت أظفاره ، وعلت فيها كلمة الإسلام وتجلت أنواره ، ولهذا غفر الله لكل من شهدها من الصحابة وقال لهم فى الحديث الصحيح : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ولما أراد عمر أن يقتل حاطب بن أبى بلتعة حين كتب كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له النبى : إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وكان فتح مكة كذلك فى اليوم الرابع والعشرين من رمضان ، وهو ذلك اليوم الأغر المحجل الذى استخذى فيه الشرك وذل ، وألقى السلاح وأسلس القياد بعد طول تمرد وعناد ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخولا لم يدخله أحد قبله ، وقد طأطأ رأسه تواضعاً لربه حتى كادت ذقنه تمس رحله ، ودخل المسجد الحرام الذى بناه أبواه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فحطم ما كان يعلوه ويحيط به من الأوثان والأصنام وأخذ يطعنها بقضيب فى يده فتخر صريعة على وجهها وهو يتلو قوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) .

وهناك وقائع أخرى كثيرة وعاها التاريخ ، وكان لها أكبر الأثر فى عزة الإسلام وعلو كلمته وقعت فى ذلك الشهر العظيم . أذكر منها تلك الموقعة التى كانت بين المسلمين والتتار ، والتى سميت بوقعة (مرج الصُّفر) أو (شقحبار) وفيها انتصر المسلمون على التتار انتصاراً ساحقاً واتبعوا فلولهم المنهزمة يقتلون ويأسرون . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ممن شهد هذه الغزوة وأبلى فيها بلاء عظيما ، ووقف قبلها وقفة طويلة رافعاً يديه إلى السماء يدعو الله ويستغيثه ، ثم حارب هو وأخوه شرف الدين حرب الأبطال . وقد

أفتى شيخ الإسلام الجند بالفطر فى هذه المعركة لكى يقووا على لقاء عدوهم كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه صبيحة بدر أن يفطروا ، وجعل ذلك عزمة عليهم .

ولا غرو فشهر رمضان هو شهر الانتصار المادى والمعنوى ، فهو انتصار على الأعداء من الكفرة والمجرمين ، وهو انتصار للروح على الجسد وللعقل على الهوى ، وللإرادة الحرة على شهوات النفس ونزغات الشياطين .

٥ — وكذلك اختص هذا الشهر بأن فيه ليلة هى خير من ألف شهر وهى ليلة القدر التى تنزل فيها الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر .

وهذه الليلة إنما حازت هذا الشرف لنزول القرآن فيها ، فهى ظرف لأعظم حادث هز كيان الإنسانية كلها فأيقظها من سباتها وبعثها من جمودها وفتح أعينها على نور الحق وهداها صراطها المستقيم ؛ فحق لها أن تفخر على الليالى جميعاً بما اشتملت عليه من خير وبركة ، وأن تكون هى الليلة التى يشمر المسلمون عن ساعد الجد فى التماسها رغبة فيما أعده الله لمن صادفها من الأجر العظيم والغفران الكبير . ومن أجلها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان إلى أن فارق الدنيا وأمرنا بتحريها والتماسها فى الوتر من العشر الأواخر ، وقال عنها : « من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقال أيضاً : « من حرم خيرها فقد حرم » .

وهكذا يستقبل المؤمنون الصادقون رمضان وهم يحملون له فى قلوبهم كل هذه الذكريات العظيمة ، راجين من الله سبحانه أن يخرجوا بمغفرة ورحمة وأن يوفقهم الله لحسن صيامه وقيامه حتى يكون حجة لهم يوم القيامة ، والله ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد خليل هراس

الابتداع

— ٣ —

الابتداع فى عهد الخلفاء :

أشرنا آنفاً إلى موقف الإسلام من الابتداع ، وإلى رأى المسلمين الأول فيه ، ولكن قد يبادرنا البعض بسؤال ، قد يقصد الاستفهام ، وقد يريد به التعجب والإنكار فيقول : ما رأى الإسلام فيما سار فيه الصحابة ، ونادوا به من آراء جديدة ، أو مستحدثات لم يكن لها وجود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! . فهل هى بدع كما يفهم من ظاهرها ، وعلى هذا تأخذ حكم البدع ، وتكون لها نتائجها ، أم ما هو التقدير الصحيح لها ؟ ! .

وقبل أن نجيب نحب أن نقف على جانب من هذه المستحدثات :

ا — الطلاق الثلاث بلفظ واحد . كان يوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقة واحدة وقد طلق ركانة بن زيد زوجته ثلاثاً بلفظ واحد ، فاعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم ، طلقة واحدة ، وسار على ذلك النهج أبو بكر رضى الله عنه فى خلافته ، وكذلك عمر فى السنتين الأوليين من خلافته أيضاً ، ثم رأى شيوع هذا النوع من الطلاق بين الناس ، فأوقعه ثلاثاً ، ليكون ردعاً وتأديباً لهؤلاء المتلاعبين بألفاظ الطلاق .

ب — المؤلفة قلوبهم : ذكرهم الله تعالى فى القرآن الكريم من بين طوائف ثمان ، هم أصحاب الحق فى الزكاة وسار المسلمون على ذلك إلى عهد عمر رضى الله عنه الذى رأى أن الإسلام قد قوى وكثر أنصاره ، فليس له اليوم حاجة إلى أن يتآلف قلوب ضعاف الإيمان بالمال ، وبناء على ذلك منع عنهم الزكاة .

حـ — صلاة التراويح : فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام كان الناس يقومون رمضان فرادى ، وفى بيوتهم[1] ، وبعض منهم فى المسجد إلى أن جاء عهد عمر ، فرأى

---

(١) يراجع ماقاله الأستاذ الدكتور هراس بهذا الصدد بالصفحة ١٧ من هذا العدد ، مع التعليق بالهامش (الهدى النبوى) .

القائمين وقد ارتفعت أصواتهم بذكر الله وبقراءة القرآن فى رمضان ، فأشار عليهم أن يجتمعوا على إمام واحد ، تنظيماً للعبادة ، وبعداً عن التشويش .

د — الأذان كان يكتفى فى الجمعة بأذان واحد بين يدى الخطيب ، فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخليفتين الأولين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلى أن جاء عهد عثمان رضى الله عنه ، فرأى أن الأسواق تشغل لرواد بصخبها وضجيجها ، فلا يستطيعون الاستماع إلى الأذان ، فأمر أن يؤذن على الزوراء قبيل الجمعة ، حتى يشعر من بالسوق بدنو وقت الصلاة ، فينصرفون إليها .

هـ — أفتى عمر رضى الله عنه بفتوى فى الميراث لم يسبق إليها ، عرضت عليه مسألة يحجب فيها الأخ الشقيق ، ويرث فيها الإخوة لأم ، فأمر بإشراك الأخ الشقيق مع الإخوة لأم فى نصيبهم . وذلك حينما احتج عليه الأخوة الأشقاء قائلين : لنفرض أن أبانا حجر ماقى فى اليم ، ألسنا كلنا من أم واحدة ، فاستحسن ذلك فقضى لهم ، وعرفت هذه المسأله فى الميراث بالمسألة « المشركة » أو « العمرية » أو « اليمنيّة » .

هذه طائفة من المستحدثات التى ظهرت على عهد الراشدين من الخلفاء ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نقول إنها من البدع المستنكرة ؛ لأن البدعة كما قلنا فى خصائصها لها حد زمنى وشخصى فى الوقت نفسه ؛ إذ أن تصرفات الراشدين من الصحابة استثناها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وألزمنا باتباعها ؛ إذ يقول : « عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كبيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » . فاتباع الراشدين عمل تكميلى لاتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأعمال الصحابة هى فى الواقع تفسيرات حية لما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يقول فيهم : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم »[١] .

ويقول أيضاً «لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم

---

(١) هذا الحديث فيه مقال — الهدى النبوى .

ولا نصيفه » . لكننا لا نلتزم هنا التزام تبعية إلا بمن نص عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم الراشدون من الصحابة .

أضف إلى ذلك أن هذه المستحدثات التى ذكرناها قد أقرها الصحابة ورضوا عنها ، ولو كان فيها ما يخالف روح التشريع وخصائصه ، لهبوا معارضين لها ، كما عارض الصحابة كثيراً من تصرفات بنى أمية التى ابتدعوها ؛ إذ كانوا يجابهونهم بالحقيقة قائلين : غيرتم والله ! !

كذلك لو نظرنا لهذه المسائل وجدنا معظمها ينتسب لعمر رضى الله عنه وهو المشهود له بالفقه فى الدين ، والبصر فى التشريع ، وهو الذى كان يقترح على الرسول أشياء ينزل الوحى بتصديقها حتى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنه كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون ، وإذا كان فى أمتى منهم أحد فعمر » .

كما يروى الرسول رؤيا — ورؤيا الأنبياء صدق — أنه على بئر ومعه صاحباه أبو بكر وعمر « فأخذ أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها عمر ، فاستحالت فى يده غربا ، فلم أر عبقرياً يفرى فريَّه » .

هذا الحديث الأخير شهادة لا شك فيها من خير شاهد ، وأحكمه وأصدقه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه بالعبقرية والنبوغ ، وتوقد الذهن والبصر بالدين ، ولا عجب فقد استحالت البئر غرباً فى يديه ، وانتشر ماؤها وفاض ! ! وصدق ذلك اتساع رقعة الإسلام على يديه ، وانتشاره فى عهده ، فهو إذن مجتهد ، وليس بمبتدع ؛ إذ هو على درجة من الإيمان والتقوى ، والفهم للدين تسمو به إلى مرتبة المحدثين الصادقين ، ومن هنا نستطيع أن نقول : إن عصر الخلفاء مكمل لعصر النبوة ، أو على الأصح عصر توضيح وتطبيق لأحكام النبوة ، فكل ما قال به الراشدون فيه سنن متبعة ، وليس بدعاً ممقوتة .

التقليد والابتداع :

لو نظرنا نظرة عابرة إلى الخطوات التى تناولناها فى هذا البحث لتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين التقليد والابتداع ؛ إذ التقليد عامل من أهم العوامل التى تدعم أصول

الابتداع ، وتساعد على انتشار البدع ، فما يكاد المبتدع يفترى بدعة حتى يتلقفها الأذناب والأتباع والمريدون — عن عمى وجهالة — يشيعونها بألسنتهم ، ويسارعون إلى العمل بها ، ورفع أعلامها ، وهكذا يتلقاها جيل عن جيل من غير تمحيص ولا تفكير حتى تشتد جذورها ، وتزاحم بمنكبها السنن الصحيحة ، فالمقلدون إذن هم آلات صماء يحركها المبتدعون ، وشيوع التقليد فى مجتمع ما دليل على عراقة البدع فيه .

ولما كان التقليد ينشأ من وجود متبوع أوتى بسطة فى العلم أو المال أو الجاه ، أو أى ناحية من النواحى التى يتفاضل بها الناس فى دنياهم ، وتابع لم يحظ إلا بالقليل من هذه النواحى ؛ ولذا فهو يتخذ هـذا الممتاز مثله الأعلى الذى يسير نحوه ، وعلى نهجه بغير هدى وبصيرة .

ولما كان ذلك كذلك خشى الأئمة رضوان الله عليهم ، وقد أعطاهم الله فقها فى الدين ، وقوة فى الاستنباط ، وفهماً واسع المدى لنصوصه ، حتى قدموا للمجتمع الإسلامى ذخيرة تشريعية يدين لها بالفضل كثير من المشرعين والمقننين من المسلمين وغيرهم ، تراهم لهذا يخشون على أنفسهم أن يفتتن الناس بغزير علومهم ، فيخبطون وراءهم خبط عشواء ، يظنون أنهم أوتوا عصمة فى الفكر ، فلا يخطئون ، وهنا يشيع فى الناس ضلال كبير لم يرده هؤلاء الأعلام ، وما جال — قط — بخاطرهم ، فأخذوا يحذرون أتباعهم من تقليدهم ، ومن الخبط وراءهم بدون برهان .

فالإمام أبو حنيفة يأمر تلاميذه بطرح كلامه إذا رأوه مخالفاً لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والإمام مالك يقول : كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد ، إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويقول الشافعى رضى الله عنه : لا تقلدونى ولا تقلدوا مالكاً ، ولا الأوزاعى ، وخذوا من حيث أخذوا .

وهم بهذا يريدون أن يوجهوا نظر المسلمين إلى المرجع الصادق ، والقول المعصوم الذى ينبغى أن يتحاكم الناس إليه إذا دب النزاع بينهم ، ومن هنا نرى الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم ينفرون من التقليد ، وينفرون منه ، حتى لا يقفوا عند الله موقف المضللين ؛ ولأن الذين يحبون التقليد ، ويسعون إليه ، ويسرون بتقليد الناس لهم هم المبتدعون ، وعلى النقيض منهم المجتهدون الصادقون .

الاجتهاد والابتداع :

إذا كان التقليد بمثابة وقود لآفة الابتداع ، يمدها بالقوة والحياة والانتشار فإن الاجتهاد على العكس من ذلك حماية للمجتمع الإسلامى من تلك الآفة الشائنة .

وبيان ذلك أن البدعة — كما أسلفنا — أمر مستحدث فى الدين لم يرد به نص فى سنة أو كتاب ، فهو محض فرية . أما الاجتهاد فهو بذل الفقيه الوسع فى استنباط حكم شرعى من نص شرعى . وفرق كبير جداً بين فرية لا أساس لها من سنة ، ولا سند لها من كتاب ، وبين رأى لفقيه يعتمد على مصادر صحيحة ، ونصوص صريحة ؛ ولذلك حبب الإسلام فى الاجتهاد ورغب فيه ، بقدر ما مقت البدعة وأعوانها .

وقد يُحَسِّنُ الوهم لقائل ان يقول : بمرور الزمان ستجد قضايا ، وتنشأ أحداث ، ويظهر على مسرح المجتمع أشياء لم تكن على عهد المشرِّع الأول ، فما السبيل إلى معالجتها وما موقف المجتمع الإسلامى حينئذ منها ؟ أيتنكر لها ويتخذ ذيل القافلة البشرية مكاناً له ، أم يعالجها على ضوء ماله من تراث وما عنده من تشريع ؟ ! .

ثم كيف يعالجها ؟ ! هل تعالج بالبدع ، والأفكار الجديدة ، والمذاهب المستوردة ، والقوانين المستعارة ؟ .

قد يكون هذا مقبولاً لو لم يكن لديننا طابع المرونة والبساطة ، والفطرية ، والصلاحية لكل زمان ومكان . أما وقد امتاز ديننا بهذه الخصائص الحيوية ، فلا مبرر إطلاقاً لأن نتورط ، ونتخبط فى ظلمات البدع ؛ ولذلك أمر الإسلام بالاجتهاد ، وفتح

بابه على مصراعيه أمارة على هذه الخصائص التى اختص بها الإسلام ، وحماية للمجتمع من آفة الابتداع .

وحينما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المشكلة على معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن ، كان الحل الأخير لها تشريع الاجتهاد ، يقول رسول الله : « أرأيت يامعاذلوصادفك أمر لم تجده فى كتاب الله ؟ قال معاذ : أبحث عنه فى سنة رسول الله ، قال الرسول : « فإن لم تجده ؟ » قال معاذ : أجتهد رأيى ولا آلو . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله ! ! »

ويشير القرآن الكريم إلى مبدأ الاجتهاد ، واستنباط الأحكام ، فيقول تعالى : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .

فالاجتهاد إذن وهو محاولة لإعطاء الأحداث الجديدة الصعبة الإسلامية والتماس حكم لها فى الإسلام بإدراجها فى إحدى قضاياه العامة ، أو بإلحاقها بمسألة أخرى تناظرها ، سبق وقوعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولها حكم صريح فى كتاب الله أو سنة رسوله . والاجتهاد وهو بهذه المثابة يسد كل منفذ للبدعة ، فلا تستطيع أن تخلص إلى أحكام الإسلام وتشاريعه ، حيث لا توجد ـ بعد هذا ـ أدنى شبهة تسوغ وجودها أو العمل بها .

وعند ما أصيب التفكير الإسلامى بالجمود ، وفشا بين المسلمين التقليد حتى اعتبروه واجباً على كل مسلم ، حيث يقول صاحب جوهرة التوحيد : « وواجب تقليد حبر منهمو » أى من الأئمة الأربعة ، وبالتالى يعنى قفل باب الاجتهاد ، وأصبح المسلمون يدورون فى حلقة مفرغة من آراء العصور المتأخرة ، كما استسلموا عاجزين أمام قضايا الحياة الجديدة . وجدنا فى هذا الظلام الدامس أن البدعة قد شاعت وكثر أصحابها وأذنابها ، بينما كانت فى عصور الاجتهاد ، قليلة الأثر ضعيفة الخطر . وذلك وضع طبيعى ؛ لأن الاجتهاد إذ ذاك كان بمثابة الحماية والسد المنيع الحائل دون طوفان البدع ، أما وقد انهار السد ،

وتحطم الحاجز بمعاول التقليد والجمود ، فلا بد أن يلجأ الناس للحل الآخر ويصابوا بالداء الذى حذرهم الشارع منه ، فيبتدعوا ما يشاءون ، ويستعيروا من ابتداع غيرهم ما يشاءون ، وما يسد مطالبهم فى دنياهم . وفى هذه الحالة لا محل لتراثهم المجيد وكنوزهم التشريعية الثمينة ، إلا أن توضع على هامش الحياة حتى يغطى عليها غبار الزمن بينما يضعها غيرهم فى مكان الصدارة ـ لا فى الأغلفة المزركشة ، أو على المناضد الثمينة ـ وإنما الصدارة فى علاج مشاكل الحياة ، وشئونها ، وقضاياها .

وإنى ألمس فى هذه الآونة أن شمس الاجتهاد عادت للبزوغ وأن كثيراً من العلماء بدءوا يدرسون ، ويبحثون ، ويخرجون على المسلمين بآراء جديدة ، وبالتالى فإنى أرى أن سلطان البدعة بدأ ينهار ، وأن مجد السنة عاد للظهور ، وذلك يبشر بمستقبل عظيم للإسلام والمسلمين إن شاء الله .

خاتمـــــة :

هذه دراسة عابرة للابتداع كآفة ثالثة من آفات الإسلامى تناولت فيها ظروفه ، وعوامله ، وتاريخه ، وخصائصه ، ثم بينت مدى صلته بالاجتهاد والتقليد ، وأفضت القول فى موقف الإسلام والمسلمين من هذه الآفة . أرجو أن أكون قد وفقت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وإن كانت الأخرى فجل من لا يخطىء ، وحسبى حسن النية وسلامة القصد ، والرغبة الصادقة فى الإصلاح ، والله لا يضيع أجر المخلصين . وهو — وحده — خير مسئول وأعظم مأمول .

السيد رزق الطويل

مدرس

بتجارة الجيزة الثانوية للبنين

وحدة الوجود ووحدة الموجود :

ابن عربى والحلاج والجيلى

يقرونهما ويدعون إليهما

كتب الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين ، فى مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ مقالاً بهذا العنوان يقوم على ما يلى :

١) فرق الدكتور بين وحدة الوجود ووحدة الموجود وقال : إنه لم يقل أحد من الصوفية بوحدة الموجود ، وإنما فسر خصومهم كلامهم على ضوء ما ذهب إليه الأشعرى فى فلسفته بأن الوجود هو عين الموجود ، وخالفه فى ذلك الصوفية وغيرهم ؛ لأن الصوفية يقولون بأن الوجود الواحد هو وجود الله المستغنى بذاته عن غيره إلخ .

٢) قوله بأن الصوفية (أصحاب مذهب وحدة الوجود) مهما عبروا فى ذلك وأسرفوا واشتطوا فلن يبلغوا المدى الذى بلغته الآية « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » .

٣) سوقه آيات قرآنية أخرى جاءت لتذكير الناس بربهم ومعبودهم، ونعمه وآلائه عليهم ليستدل بها على نظرية وحدة الوجود .

٤) احتقاره لفكرة تصديق ما يشاع عن الحلاج من عبارة تناثرت هنا وهناك مخترعة ملفقة مزيفة ضالة تافهة فى قيمتها الفلسفية غريبة عن الجو الإسلامى وأنها لا توجد فى كتاب من كتبه ولم يخطها قلمه ، ويكفى أن يتشبث بها إنسان ليكون غير أهل للثقة فى منطق البحث .

١ ـ ونقول عن الأولى :

فرق الدكتور بين وحدة الوجود ووحدة الموجود ، والفرق بين الوجود والموجود كالفرق بين المعنى والذات ، فالوجود اسم معنى والموجود اسم ذات ، فإذا كان يقول بأن الوجود هو الله ؛ فهل يريد أن يقول إن الله مَعْنًى ؟

ثم قوله بأنه لم يقل أحد من الصوفية بوحدة الموجود ، وردنا عليه من كلام ابن عربى الذى ينفى عنه القول بوحدة الموجود :

الفصوص من ١ ـ ١٠ من كتاب فصوص الحكم لمحيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ، طبع دار إحياء الكتب العربية ، بتحقيق وتعليق الدكتور أبو العلا عفيفى يقول ابن عربى صفحة ٦٨ :

« فالحق محدود بكل حد ، وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ؛ فلذلك يجهل حد الحق ، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة ، وهذا محال حصوله ، فحد الحق محال » .

والحد هو التعريف التام للشيء ، فيكون معنى قوله : إن كل تعريف يجب أن يحمل على الله . ولما كانت الأشياء غير متناهية كان تعريف الله محالا ؛ لأنه عين هذه الأشياء التى لا يمكن أن يحاط بها وبتعريفها .

وإذا أردت بياناً أشفى وتفسيراً لكلامه أوضح فالنص التالى من المصدر عينه ص ١١١ .

« تحققنا بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ! ! والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود . فما يحد شيء إلا وهو حدّ الحق . فهو السارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود فهو عين الوجود « فهو على كل شيء حفيظ » بذاته « ولا يؤوده » حفظ شيء ، فحفظه تعالى

للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته ، ولا يصح إلا هٰهنا ، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الـكبير » .

لا يوجد وضوح فى شرح الأسطورة التى يؤمن بها ابن عربى كهذا الوضوح ، فهو ينص فى قوله على أن الله عين الأشياء فى المعقول والمنقول ، وأكد مرة أخرى أن كل تعريف يجب أن يحمل على الله ، وأنه عين الشاهد وعين المشهود ، وأنه عين الوجود ، وعين كل موجود .

وفى الصفحة ٧٠ من المصدر نفسه يقول :

فما أنت هو بل أنت هو وتراه فى عين الوجـــود مُسَرَّحًا ومقيداً

أى لست أنت هو عين الله وهو فى مرتبة الإطلاق ، إذ كان وجوداً صرفاً لم يتعين فى شىء ولم تـكن أنت ، ثم لما تعينت الذات الإلٰهية فى الأشياء صرت أنت هى ؛ لأنها هى باطنك وأنت ظاهر لها . ويعنى بمُسَرَّح ومقيد مرتبتى الإطلاق والتعين .

فنتـدرج فى الإيضاح والإفصاح أكثر وأكثر ليرد ابن عربى على الدكتور عبد الحليم فى النص التالى فى الصفحة ٧٦ من المصدر السابق حيث يقول ابن عربى :

« ومن أسمائه الحسنى (العلى) ، عَلَى من وما ثمّ إلا هو ؟ وهو العلى لذاته أو عن مَاذا ، وما هو إلا هو ، فعلوّه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات . فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو » .

والنص صريح جداً فى إيمان ابن عربى بوحدة الوجود والموجود ، وتوكيده أن المحدثات عين الله سبحانه .

ثم نتدرج مع الدكتور فى إيراد ماهو أكثر وضوحًا وأشـد إفصاحًا وأنـكى فى الـكفر والزيغ والضلال ، حيث يقول ابن عربى فى ص ٧٧ .

« إن الله تعالى لايعرف إلا بجمعه بين الأضداد فى الحكم عليه . فهو الأول والآخر والظاهر والباطن . فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن فى حال ظهوره . وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه . وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » .

هو عين ما ظهر وهو عين ما بطن !! إيمان واضح بوحدة الموجود والوجود ، ويؤكد هذا الإيمان بقوله عن الصوفى أبى سعيد الخراز أنه عين الله ، أى هو عين الكلى وأفراده ، وحكمه على الله بأن له أسماء المحدثات جميعها حكم يدمغه بالكفر ، ونحن نبرىء الدكتور الفاضل عن أن يكون من المدافعين عن الكفر والضلالة .

ثم نتدرج إلى أسفل الردغة الضالة لنضع الدكتور أمام ابن عربى وجهاً لوجه ، ففى الصفحة ١١٢ من المصدر السابق :

« ولهذا الكرب تنفس ، فنسب النفس إلى الرحمن ؛ لأنه رحم به ما طلبته النسب الإلهية من إيجاد صور العالم التى قلنا هى ظاهر الحق ، إذ هو الظاهر وهو باطنها ، إذ هو الباطن وهو الأول ، إذ كان ولا هى وهو الآخر ، إذ كان عينها عند ظهورها » .

فماذا نقول للدكتور عبد الحليم بعد أن يرى ابن عربى وهو يسوى بين المعبودات كلها من الأصنام والأوثان والكواكب والحيوانات وبين الله ؛ لأنها هى الله فى نظره .

وذلك بصفحة ١٩٥ من المصدر نفسه :

« والعارف المكمّل من رأى كل معبود مَجْلًى للحق يعبد فيه ، لذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك » .

أما عبد الكريم الجيلى ففى كتاب الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل طبعة المطبعة الأميرية الجزء الأول ص ٦٩ يقول « إن الألوهية فى نفسها تقتضى شمول النقيضين وجمع الضدين بحكم الأحدية وعدم التغاير فى نفس حصول المغايرة وهذه مسألة

حيرة . ثم فسر الجملة بقوله لا إله إلا أنا يعنى الالهية المعبودة ليست إلا أنا ، فإنه الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفى كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا أثبت لهم لفظة الآلهة وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية ولا كما يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث إنهم سموهم آلهة لا من حيث إنهم فى أنفسهم لهم هذه التسمية ، وهذا غلط منهم وافتراء على الحق لأن هذه الأشياء كلها بل جميع ما فى الوجود له من جهة ذات الله تعالى فى الحقيقة - هذه التسمية تسمية حقيقية لأن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء وتسميتها بالإله تسمية حقيقية لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب إنها تسمية مجازية ، ولو كان كذلك لكان الكلام أن تلك أن الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التى تعبدونها ليست بآلهة ، وأن لا إله إلا أنا فاعبدونى . لكن إنما أراد الحق يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهية منهم حقيقة ، وأنهم ماعبدوا فى جميع ذلك إلا هو فقال : لا إله إلا أنا ، أى ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا ، فما فى العالم من يَعْبُدُ غيرى وكيف يعبدون غيرى وأنا خلقتهم ليعبدونى ولا يكون إلا ما خلقتهم له قال عليه الصلاة والسلام : « كل ميسر لما خلق له » أى لعبادة الحق لأن الحق تعالى قال : « وما خلقت الجن والإنس إلا لعبدون » وقال تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » إلخ .

وقال الجيلى فى صفحة ٨٩ : « ولفظ إله فى قوله لا إله يراد به تلك الأوثان التى يعبدونها، سماها الله تعالى إلها كما سموها موافقة لهم لسمو وجوده فى أعيانها - إلى أن قال : « فما فى الوجود شىء إلا الله تعالى فهو عين الموجودات » .

(٢) ونقول عن الملاحظة الثانية :

كنا نربأ بالدكتور وورعه وتقواه أن يتهم القرآن بالاسراف والشطط فى التعبير وذلك فى قوله : « ومهما اسرفوا واشتطوا فان يبلغوا المدى الذى بلغته الآية القرآنية : « هو الأول والآخر » إلخ .

هذه الآية التى لم تسكن إلا لتثبت أفئدة المرتابين وتسكن النفوس القلقة الحائرة قال أبو داود « حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعنى ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت : ما شىء أجده فى صدرى ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به قال : فقال لى أشىء من شك ؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد حتى أنزل الله تعالى : (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) الآية قال وقال لى : « إذا وجدت فى نفسك شيئاً فقل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » وقال الإمام البخاري : قال يحيى : « الظاهر على كل شىء علماً والباطن على كل شىء علماً ». والله معكم أينما كنتم «بعلمه» وسمعه وبصره وصفاته ، لا بذاته كما يقول الحلوليون دعاة وحدة الوجود ، ودعاة الوجود المطلق الذى هو عماء وعدم . فالمجسمة يعبدون صنماً والحلوليون وأصحاب الوجود المطلق يعبدون عدماً . وتعالى الله وتنزه عن إفكهم أجمعين .

(٣) ونقول عن الثالثة :

إن هذه الآيات يفسر بعضها بعضاً ، ويفسر سياق كل آية بمنطوقها مفهومها . فلا ينبغى أن يتوهم منها أحد تبريراً لعقيدة شعوبية بوذية برهمية مجوسية نصرانية ، دخيلة على المجتمع الإسلامى غريبة عنه . ويكفى أن تجد كتب القوم وتصريحاتهم تطفح بالاصطلاحات المستعارة من شتى الديانات الوثنية حتى التثليث والأقانيم ، كما يقول ابن عربى :

تثلث محبوبى وقد كان واحداً كما صير الأقنام بالذات أقنما

أليس هذا الكلام غريباً على الجو الإسلامى ؟ . . .

وحسبك أن تعلم أن هؤلاء لم يعرفوا الله من كتاب الله وسنة نبيه ، وإلا لوقفوا حيث وقف الرسول والمؤمنون ، ولكنهم تاهوا المعرفة من طرق كثيرة قال الحارث بن أسد المحاسبى الصوفى « ما تعلمت المعرفة إلا من راهب » .

ثم أليس هذا الكلام أيضاً غريباً على الجو الإسلامى ؟ . . .

أما الحلاج فقصته مع الإسلام أغرب من قصة ابن عربى والجيلى والبسطامى[1] وأمثالهم ممن حرفوا وخرفوا وجعلوا للدين ظاهراً وباطناً ، وأخذوا القاب القرامطة والمجوس والمانويين ، من أقطاب وأبدال وأنجاب وأقطاب غوث إلخ . تلك الألقاب الغريبة عن الجو الإسلامى النقى الصافى من كل تلك البدع الضالة . فقد زعم الحلاج الحلول فى شخصه وادعى الألوهية . وقد ثبت فى التحقيق بعد أن ضبطت الخطابات التى كان يبعث بها إلى أتباعه أنه كان يستهل كتبه بقوله « من الرحمن الرحيم[2] إلى عبده فلان » وكذلك قوله : « من الهو هو الأزلى الأول النور الساطع اللامع والأصل الأصلى وحجة الحجج ورب الأرباب ومنشىء السحاب ومشكاة النور ورب الطور المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان إلخ .

وضبط عنده خطابات من أتباعه يقولون : « سبحانك يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات يا عظيم يا كبير أشهد أنك البارىء القديم المنير المتصور فى كل زمان وفى زمننا هذا فى صورة الحسين بن منصور وبعد :

عبدك ومسكينك وفقيرك والمستجير بك المنيب إليك الراجى رحمتك يا علام الغيوب كذا وكذا .

ومن شعر الحلاج قوله :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

---

(١) البسطامى : أبو يزيد أول من أدخل ما يمهد لنظرية وحدة الوجود التى تلقاها من أستاذ له شعوبى سندى يدعى أبا على السندى وهو الذى يمكن أن نرجع إليه على التحقيق نقل نظرية أو عقيدة الشمول البرهمية إلى المتصوفة

(٢) من كتاب الآثار الباقية وكتاب التصوف الإسلامى فى الشرق للاستاذ محمد أبو المكارم رسالة قدمت للتخصص سنة ١٩٣٦ .

وقوله فى الطواسين :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنـــا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنـــا

وقول ابن عربى : —

الرب عبد والعبد رب فليت شعرى من المكلف

ولو أردنا إيراد بعض ما تراكم من شعوبية دخيلة على ثقافتنا بل على عقائد الملة الإسلامية الأصيلة لما اتسعت لذلك صحائف هذه المجلة .

سيدى الدكتور الجليل :

(أما بعد) فقد كان الأليق بمقامكم الكبير أن تصدروا فى بحثكم عن روح المحايد غير المتحيز فتأتون بالنصوص معزوة إلى قائليها محددة المكان والمصدر ، حتى يكون لكلامكم أثره المحقق وثمرته المرجوة . ولكن الذى ساد مقالكم هو الإحجام التام عن نقل أى نص من كتب الحلاج أو ابن عربى أو غيرهما ، من النصوص التى فسرها خصومهم ، أو أولوها على ضوء مذهب وفلسفة أبى الحسن الأشعرى ، الأمر الذى دعانا إلى أن نتولى النقل حتى يحكم القارىء وتحكموا ، والسلام على من اتبع الهدى وعرف وأذعن .

وكتبه

محمد نجيب المطيعى
وكيل الأخبار بالعباسية

* * *

(الهدى النبوى) :

وبعد ، فإن العقيدة الإسلامية الصحيحة هى ما دعى إليها النبى صلى الله عليه وسلم وقامت البراهين من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على أنها دون سواها هى الحق والصراط المستقيم .

ولما كانت الدعوة إلى العقيدة الإسلامية موجهة إلى سائر الناس على اختلاف

طبقاتهم ودرجاتهم وأفهامهم ، كان من حكمة رب العالمين أن جعلها واضحة مجلوة لا تعقيد فيها ولا غموض ، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » .

والتزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نهجه الواضح فى شرح العقيدة الإسلامية المنجية ، فلا ألغاز ولا رموز . ولا شطحات ولا شيء مما ابتدعه كثير من متأخرى المتكلمين والمتصوفة الذين ابتكروا أقوالاً وعقائد لم يعرفها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، ولا هى من كتاب الله تعالى ولا هدى رسوله عليه السلام ، بل كلها بقايا من عقائد وآراء ضالة فاسدة ، بينها وبين العقيدة الإسلامية بعد ما بين السماء والأرض .

ومن أفسد تلك الآراء (وحدة الوجود) مذهب غلاة المتصوفة والزنادقة التى أنكرها العلماء السلفيون ووصموا أهلها والداعين إليها — المغترين بزائف زخرفها — بالكفر والزندقه .

وبمناسبة ما ينشر فى بعض المجلات عن هذا الموضوع نرى أن ننقل هنا بعض ما جاء فى هامش دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (ابن عربى) وهو الطائى ، بقلم الأستاذ أبو العلا عفيفى .

قال سيادته : (قد أثار مذهب ابن العربى اختلافاً كبيراً فى آراء المسلمين فى عقيدته ، وكثر محبوه والمعجبون به . كما كثر الناقمون عليه ، ووصفت عقيدته بأعظم المتناقضات ، فسماه قوم قطب الله ووليه والعارف بالله . كما نعته آخرون بأنه أكبر زنديق وأدنأ مشرك)

وبعد أن ذكر بعض المعجبين وبعض الناقمين — شرح مذهب ابن عربى وعقيدته فقال :

(أما مذهبه فوحدة الوجود (Panthiesm) ، وليس من الإسلام فى قليل ولا كثير . لأنه يرى أن الوجود حقيقة واحدة . ويعد التعدد والكثرة أمراً قضت به الحواس الظاهرة والعقل الإنسانى القاصر عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء — ويتلخص مذهبه فى عبارته الواردة فى الفتوحات وهى — « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » —

فإنه يقرر فيها وجود الأشياء ووجود خالق لها ، كما يقرر الوحدة الذاتية أو العينية للاثنين الخالق والمخلوق . . . وأشار إلى هذا المعنى فى البيتين الواردين فى الفصوص :

يا خالق الأشياء فى نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه فيك فأنت الضيق الواسع

فلا فرق فى نظره بين الواحد والكثير أو الحق والخلق إلا بالاعتبار والنظر العقلى ، أما العارف فيدرك بطريق الذوق وحدتهما .

وقد أداه قوله بوحدة الوجود إلى قوله بوحدة الأديان (جميعاً) لا فرق بين سماويها وغير سماويها ، إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلى فى صورهم ، وصور جميع المعبودات. والغاية الحقيقية من عبادة العبد لربه هى التحقق من وحدته الذاتية معه ، وإنما الباطل من العبادة أن يقصر العبد ربه على مجلى واحد دون غيره ويسميه إلهاً ؟ ؟ .

وهكذا غيَّر ابن العربى عقيدة التوحيد الإسلامى من (لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق إلا الله) إلى مذهب وحدة الوجود الذى يقرر أن ليس فى الوجود على الحقيقة إلا الله ولا معبود فى الواقع غير الله) !

ويكفى هذا القدر الذى رأينا نقله من التعليق فى هامش دائرة المعارف الإسلامية . أما الدائرة نفسها فقد ذكر فيها أن ابن عربى كان باطنى العقيدة ، وأنه ذهب إلى أن الوجود كله واحد ، وأنه ليس إلا مظهراً للذات الإلهية وأن الأديان المختلفة كلها فى نظره متكافئة . . انتهى .

ويحضرنا من شعره أبيات تدل على صحة ما ورد فى دائرة المعارف وهامشها ، من أن ابن عربى كان يدين بمذهب وحدة الوجود ووحدة جميع الأديان ، وذلك حيث يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلاً كل حالة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

تأثير الإيمـــان

فى الأخلاق والميول

كان الناس ـ عرباً وعجماً ـ يعيشون حياة جاهلية يعبدون فيها ماراق لهم ، ويسجدون فيها لكل ما خلق لأجلهم ويخضع لإرادتهم وتصرفهم . لا يثيب معبودهم الطائع بجائزة ولا يعذب العاصى بعقوبة ، ولا يأمر ولا ينهى ، فكانت الديانة سطحية طافية فى حياتهم ، ليس لها سلطان على أرواحهم ، ونفوسهم وقلوبهم ، ولا تأثير لها فى أخلاقهم واجتماعهم .

كانوا يؤمنون بالله كصانع أتم عمله واعتزل ، وتنازل عن مملكته لأناس خلع عليهم خلعة الربوبية ، فأخذوا بأيديهم أزمة الأمر ، وتولوا إدارة المملكة ، وتدبير شئونها وتوزيع أرزاقها ، إلى غير ذلك . . . فكان إيمانهم بالله لا يزيد عن معرفة تاريخية ، وكان إيمانهم بالله وإحالتهم خلق السموات والأرض إلى الله لا يختلف عن جواب تلميذ من تلاميذ المدارس ، يقال له « من بنى هذا القصر العتيق ؟ » فيسمى ملكاً من ملوك الأقدمين من غير أن يخافه أو يخضع له[1] . فكان دينهم خالياً عن الخشوع لله ودعائه ، وما كانوا يعرفون عن الله ما يحببه إليهم ، فكانت معرفتهم مبهمة غامضة ، قاصرة مجملة لا تبعث فى نفوسهم هيبة ولا محبة .

وهذه الفلسفة اليونانية قد عرّفت بواجب الوجود ، فى معرفة ليست فيها صفة مثبتة من صفات القدرة والربوبية والإعطاء والمنع والرحمة . ولم تثبت له الا الخلق الأول ، ونفت عنه الاختيار والعلم والارادة ، ونفت الصفات ، وقررت كليات كلها حط من قدر الخالق ، وقياس على الخلق . والسلوب إذا اجتمعت لم تفد فائدة إيجاب واحد ، ولا نعلم مدنية واحدة ، ولا مجتمعاً ولا نظاماً ولا عملا ولا بناية قامت على مجرد السلوب فتجردت

---

(١) راجع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٠

الديانة فى أوساط الفلسفة الإغريقية عن روح الخشوع والاستكانة لله والالتجاء إليه فى الحوادث، ومحبته بالقلب كله. وهكذا فقدت الديانة السائدة على العالم إذ ذاك، وأصبحت طقوساً وتقاليد وأشباحاً للإيمان[١].

انتقل العرب والذين أسلموا، من هذه المعرفة العليلة الغامضة الميتة، إلى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح، ذات تأثير فى الأخلاق والاجتماع، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها، آمنوا بالله الذى له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، آمنوا برب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارىء المصور، العزيز الحكيم، الغفور الودود، الرءوف الرحيم، له الخلق والأمر، بيده ملكوت كل شىء، يجير ولا يجار عليه، إلى آخر ما جاء فى كتابه الكريم من وصفه، وأنه يثيب بالجنة، ويعذب بالنار، الرازق لمن يشاء ويقدر، يعلم الخبء فى السموات والأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. إلى آخر ما جاء فى القرآن من آيات قدرته وتصرفه وعلمه، فانقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلاباً عجيباً، فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله، انقلبت حياته ظهراً لبطن، وتغلغل الإيمان فى قرارة قلبه، وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم، واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها، وغمر العقل والقلب بفيضانه، وجعل منه رجلاً غير الرجل، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة، ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل.

فكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية أضفى على صاحبها الفضائل الخلقية، من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس، عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية. حتى إذا

---

(١) المصدر السابق.

جمحت السَّوْرَةُ البهيمية فى حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة ، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تناوله يد القانون ، تحول هذا الإيمان نفساً لوّامةً عنيفة ، ووخزاً لا ذعاً للضمير ، وخيالا مروعاً لا يرتاح معه صاحبه ، حتى يعترف بذنبه أمام القانون ، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة .

وقد حدثنا المؤرخون الثقات فى ذلك بطرائف لم يحدث لهـا نظير إلا فى التاريخ الإسلامى ، فمنها ما رواه الإمام مسلم : أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله : إنى ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى » فرده ، فلما كان من الغد أتاه فقال : « يا رسول الله إنى قد زنيت » فرده الثـانية ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال : « أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا : ما نعلمه إلا وفىّ العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة . فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلمـا كانت الرابعة حفر له حفرة ثم أمر فرجم . قال : فجاءته الغـامدية فقالت : « يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى » وأنه ردها . فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله لم تردُّنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزاً ، فو الله إنى لحبلى . قال : إمَّا لا ، فاذهبى حتى تلدى . قال : فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة ، قالت هذا قد ولدته . قال : فاذهبى فأرضعيه حتى تطعميه ، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبى الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع بالصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر فحفر لهـا إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجهه فسبها ، فسمع نبى الله سبه إياها ، فقال : « مهلا ياخالد ، فو الذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[1] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحدود .

وكان هذا الإيمان حارساً لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته ، يملك نفسه النزوع أمام الشهوات والمطامع الجارفة ، وفى الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد ، وفى سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحداً ، وقد وقع فى تاريخ الفتح الإسلامى من قضايا العفاف عند المغنم ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، والإخلاص لله ، ما يعجز التاريخ البشرى عن نظائره ، وما ذاك إلا نتيجة رسوخ الإيمان ، ومراقبة الله ، واستحضار علمه فى كل مكان وزمان . حدث الطبرى قال : لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض ، أقبل رجل بحق معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض . فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه . فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله ، لا أخبركم لتحمدونى ، ولا غيركم ليقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن قيس(١) .

وكأن هذا الإيمان قد رفع رأسهم عالياً ، وأقام صفحة عنقهم ، فلم تحن لغير الله أبداً ، لا لملك جبار ، ولا لحبر من الأحبار ، ولا لرئيس دينى أو دنيوى ، وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته ، فهانت فيها وجوه الخلق وزخارف الدنيا ، ومظاهر العظمة والفخفخة . فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف ونعيم ، وزينة وزخرف ، فكأنهم ينظرون إلى صور ودمى ، وقد كسيت ملابس الإنسان(٢) » .

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : انتهينا إلى النجاشى وهو جالس فى مجلسه ، وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره ، والقسيسون جلوس سماطين ، وقد قال عمرو وعمارة إنهم لا يسجدون لك ، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : أسجد للملك . فقال جعفر(٣) : لا نسجد إلا لله(٤) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٦ (٢) ماذا خسر العالم .

(٣) هو جعفر بن أبى طالب . (٤) البداية ج ٣ .

وقد أرسل سعد بن أبى وقاص قبيل القادسية ربعى بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحرير ، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وعليه تاجه ، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعى بثياب ضيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إنى لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمونى ، فإن تركتمونى هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : إئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق نخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام(١) .

ولقد بعث الإيمان بالآخرة فى قلوب المسلمين الأولين شجاعة خارقة للعادة ، وحنيناً غريباً إلى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة . قال شداد بن الهاد : جاء رجل من الأعراب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ، فقال أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسمه ، وقسم للأعرابى ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فجاء به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا يارسول الله ؟ قال : قسم قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا — وأشار إلى حلقه — بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال : إن تَصْدق الله يصدقك ، ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقتول ، فقال : أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صَدَق الله فصدقه(٢)

---

(١) ماذا خسر العالم ص ٦٤ . (٢) زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٠ .

ولما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة وذكروا له أن أن فيهم إسلاماً ، وسألوه أن يرسل معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن ، وبعث فيهم بعثاً ، وكان معهم خبيب بن عدى ، وغدروا بهم وقتلوا عامتهم ، واستأسروا خبيباً وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما وباعوهما بمكة ، وكانا قتلا من رءوسهم يوم بدر ، وخبيب مكث عندهم مسجوناً ، ثم أجمعوا على قتله ، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم ، فلما أجمعوا على صلبه قال : دعونى حتى أركع ركعتين ، فتركوه فصلاهما ، فلما سلم قال : والله لولا أن تقولوا أن ما بى جزع من الموت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم مدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، ثم قال :

لقد أجمع الأحزاب حولى وألبوا	قبـائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبنـاءهم ونسـاءهم	وقربت من جـذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى	وما جمع الأحزاب لى غير مضجعى
فذا العرش صبرنى على مايراد بى	فقد بضعوا لحمى وقد يُؤّس مطعمى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه	فقد ذرفت عيناى من غـير مدمع
وما بى حذار الموت إنى لميت	وإن إلى ربى إيابى ومرجعى
ولست أبالى حين أقتـل مسلماً	على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وان يشـأ	يبارك على أوصـال شلو ممزع

قال له أبو سفيان : أيسرك أن محمـداً عندنا نضرب عنقه ، وإنك فى أهلك ، فقال : لا والله ما يسرنى أنى فى أهلى وأن محمـداً فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[١] .

---

(١) زاد المعاد ج ٢ ص ١٠٩

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض فقال عمير بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم قال بخ بخ . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ قال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فانك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة . فرمى بما معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[1] .

هذا هو المثل الرفيع فى الإيمان . وكانوا قبل هذا الإيمان فى فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والأخذ والترك والسياسة والاجتماع ، لا يخضعون لسلطان ولا يقرون بنظام ولا ينخرطون فى سلك . يسيرون على الأهواء ، ويركبون العمياء ، ويخبطون خبط عشواء ، فأصبحوا الآن فى حظيرة الإيمان والعبودية لا يخرجون منها ، واعترفوا لله بالملك والسلطان والأمر والنهى، ولأنفسهم بالعبودية والطاعة المطلقة. وأعطوا من أنفسهم القيادة واستسلموا للحكم الإلهى استسلاماً كاملاً ووضعوا أوزارهم ، وتنازلوا عن أهوائهم وأنانيتهم ، وأصبحوا عبيداً لا يملكون مالاً ولا نفساً ولا تصرفاً فى الحياة الا ما يرضى الله ، ولا يصالحون الا بإذن الله ولا يرضون ولا يسخطون ولا يعطون ولا يمنعون ولا يصلون ولا يقطعون إلا بإذنه ووفق أمره . وعرفوا الإسلام معرفة صحيحة . وعرفوا أنه خروج من حياة إلى حياة . ومن مملكة إلى مملكة . ومن حكم إلى حكم ، أو من فوضوية إلى سلطنة أو من حرب إلى استسلام وخضوع . ومن الأنانية إلى العبودية ، وإذا دخلوا فى الإسلام فلا افتيات فى الرأى ولا نزاع فى القانون الإلهى ، ولا خيرة بعد الأمر ، ولا مشاقة للرسول : ولا تحاكم إلى غير الله . ولا إصرار على الرأى ، ولا تمسك بتقاليد وعادات ، ولا ائتمار بالنفس . فكانوا إذا أسلموا انتقلوا من الحياة الجاهلية بخصائصها وعاداتها وتقاليدها، إلى

---

(١) رواه مسلم .

مسجد جماعة انصار السنة المحمدية

بالخرطوم جنوب[1]

(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

منذ ما يقرب من ستة عشر عاماً وجماعة أنصار السنة المحمدية بالخرطوم تحاول بناء مسجد لها . ولذا فقد تقدموا للحكومة إذ ذاك بطلب قطعة أرض يبنون عليها مسجداً ، فلم يتمكنوا من ذلك . ثم تقدمت لجنة المسجد بعد ذلك بطلب قطعة أرض فأعطيت ما مساحتها ٤٥٠ متراً فبنت عليها مسجداً صغيراً . ثم ما زالت الجماعة تلح على الحكومة فى أن تزيد فى مساحة الأرض . فكان من توفيق الله أن أجيبت إلى طلبها وزيدت مساحة الأرض إلى أن بلغت (٧٠٠) متراً بعد أن كان ٤٥٠ متراً . فعملت الرسوم لبناء المسجد ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومكتبة عامة ، وسيتكلف المشروع مع هدم المسجد القديم وبناء المسجد الجديد ما يزيد على العشرة آلاف من الجنيهات . على أن يشرع فى البناء من الشهر القادم إن شاء الله تعالى .

وإننا نهيب بإخواننا أهل السودان الحبيب وكل محب لعمل الخير وإقامة مساجد لله أن يسارعوا بتقديم العون المستطاع لبناء ذلك المسجد . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وترسل التبرعات باسم رئيس الجماعة بالخرطوم — جنوب .

* * *

هذا ولما علم الأستاذ الشاعر نجاتى عبد الرحمن بأمر بناء هذا المسجد العظيم ، جادت قريحته الوقادة بهذه القصيدة العصماء ، يدعو الناس بها إلى المسارعة والمعاونة فى بناء هذا المسجد الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه :

---

(١) هذه المعلومات مستقاة بتلخيص من الأستاذ جيلانى الشريف بركات سكرتير الجماعة .

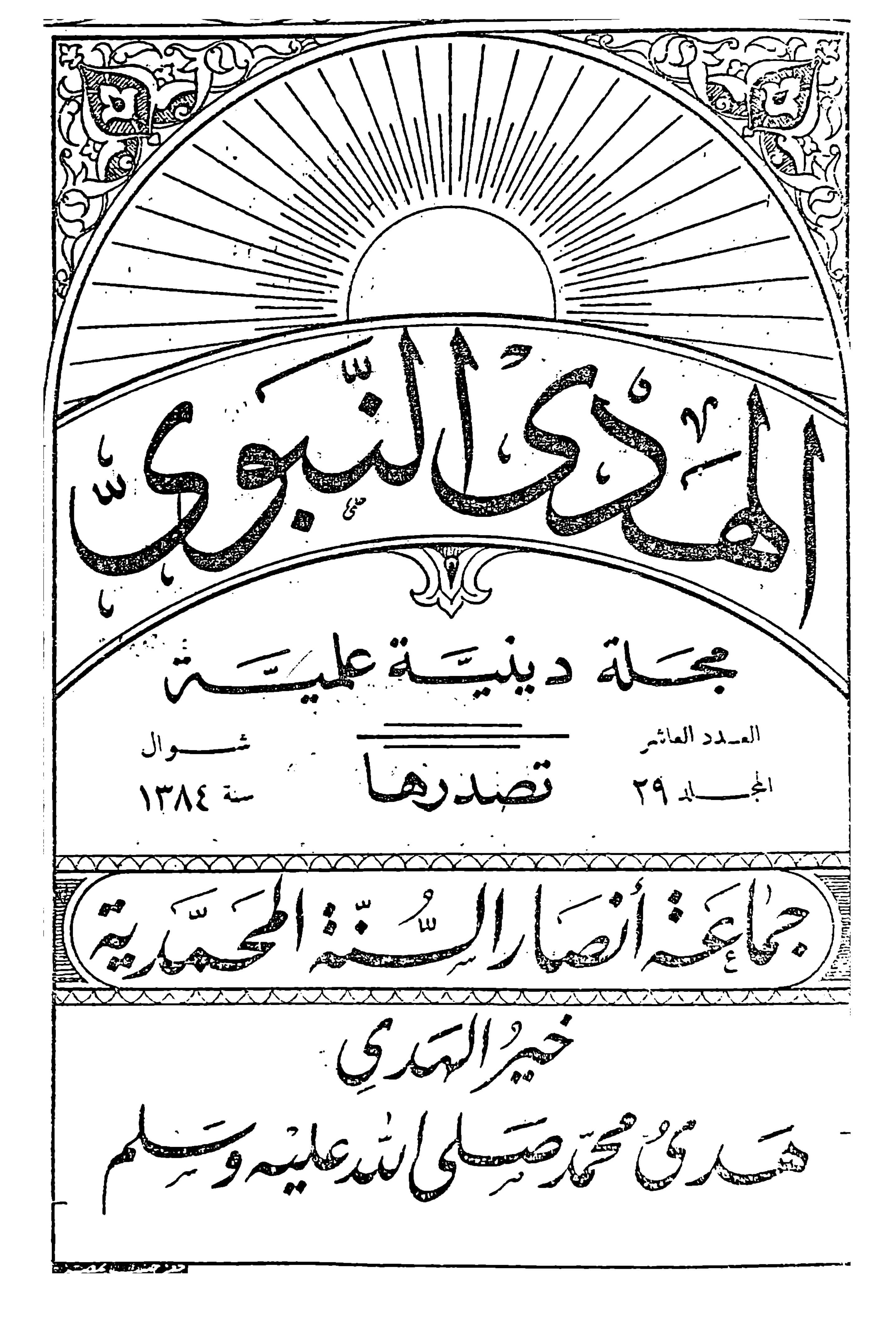
أقم البناء على الصَّلاح وشيِّد | وارفع بما شيَّدت دين « محمد »
وأعد إلى الإسلام تالد مجده | بالمنشآت الباقيات وردِّد
واعمل ولا تك وانياً متقاعداً | فيما يقام من المحامد واجهد
إن الجهاد عزيمة وجلادة | فانهض على عزم الشباب وجدد
وأعِنْ بما ملكت يداك وجُدْ به | تنل الثناء مدى الحياة وتُحمد
فالمرء فى الدنيا حديثٌ بعده | جارٍ على أفواه كل مردِّد
والخلد بالأعمال فى الدنيا ومَنْ | ألِفَ التقاعد مات غير مخلد

* * *

« جمعية الأنصار » ذكرك قائمٌ | فى كل صوب ، ظاهراً لم يُجحد
سلك الشباب على ضيائك مسلكاً | قبل اختيارك كان غير ممهد
ومشوْا على النهج القويم وطالما | ضلوا بميْدان الغرور الأسود
ألَّفتِ بين قلوبهم فتضافرت | وتضامنت بعد النفور ، الأنكد
ونظمتهم نظم القلائد زانها | ما قد حوت من لؤلؤ وزبرجد
وصفت كسلسال النمير وراقنا | ما حاطها من ألفةٍ وتودد
زوَّدتِ ألباب الشباب من الهدى | أكرم بمن يهدى ونعم المهتد
وأرحتهم من طيش سلطان الهوى | بالصالحات فكنتِ خير المرشد
فغدت بموفور الوداد زواخراً | وبدت كعقد بالجمان منضد
لله أندية تضم شتاتهم | ضم الصحابة فى رحاب المسجد

* * *

قل للذى انتفخت خزائن ماله | ماذا ادَّخرت من المحامد للغد ؟ !
سارع إلى الخيرات قبل فواتها | ومن الفعال الصالحات تزود
واضرب على البدع الذميمة إنها | كم أفسدت من مسلمٍ متعبد
وابسط يديك وجد بمالك مخلصاً | فالمال إن لم يبن مجدك ينفد


الهدي النبوي
مجلة دينية علمية
العدد العاشر
المجلد ٢٩
تصدرها
شوال
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

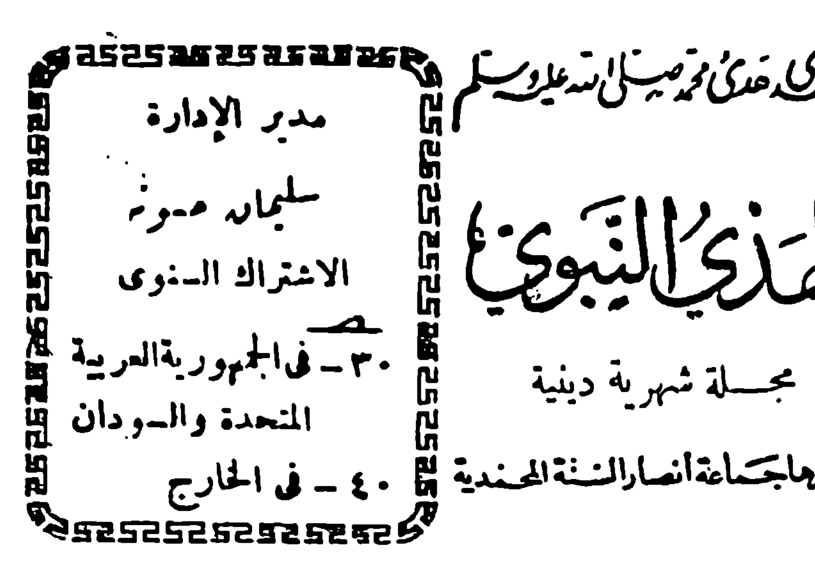
صفحة			
٣	تفسير القرآن الكريم . . .	للأستاذ الشيخ	عبد الرحمن الوكيل
١٢	ولينصرن الله من ينصره	»	محمد عبد العزيز الجابي
١٤	الدواء في تشريع السماء . . .	»	الشيخ السيد عبدالحليم ملاقى
٢١	تعليقات على الصحف	»	سعد صادق محمد
٢٥	من علم السنة	»	محمد نجيب المطيعى
٣٠	ذكريات (قصيدة)	»	نجاتى عبد الرحمن
٣١	لماذا يامجلة الأزهر ؟	»	محمد نجيب المطيعى
٣٣	الفتاوى	»	الشيخ محمد خليل هراس
٤٠	خطبة منبرية	»	سليمان رشاد محمد
٤٩	(يهدى الله لنوره من يشاء)	»	أحمد الغندور

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ١٠ | شــوال سنة ١٣٨٤ | المجـلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ــ جل ذكره ــ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ؟! ❁ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ❁ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْنًا ❁ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف : ١٠٣ ــ ١٠٦ .

« معانى المفــردات »

ننبئكم : قال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاث . أما ابن فارس فقال عن أصل الكلمة إنه يدل على الإتيان من مكان إلى مكان ، ومن هذا القياس : الخبر لأنه يأتى من مكان إلى مكان .

الأخسرين : قال الراغب : الخُسْرُ والخسران انتقاص رأس المال ، وينسب ذلك

إلى الإنسان وإلى الفعل ، ويستعمل فى المقتنيات الخارجة كالمال والحياة فى الدنيا . والمقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب . وقال ابن فارس فى معجمه عن أصل المادة : أنها تدل على النقص تقول : خَسَرت الميزان ، وأخسرته إذا نقصته .

ضَلَّ : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على ضياع الشىء وذهابه فى غير حقه . قال : ومما يدل على أن أصل الضلال ما ذكرناه . قولهم : أُضِل الميت إذا دُفن ، وذاك كأنه شىء قد ضاع . ويقولون : ضَلَّ اللبن فى الماء . وقال الراغب : الضلال العدول عن الطريق المستقيم . ويقال : الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً ، فإن الطريق المستقيم الذى هو المرتضى صعب جداً ، وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلًا كان أو كثيراً ، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما . ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار .

سعيهم : قال الراغب : السعى : المشى السريع ، وهو دون العدْو ، ويستعمل للجِد فى الأمر خيراً كان أو شراً .

يَحْسَبُون : قال ابن فارس عن أصل المادة إنها تدل على أربعة أصول منها : الْعَدُّ . ومن قياس الباب الحِسْبَانُ : الظَنُّ . وذلك أنه فرق بينه وبين العد بتغيير الحركة والتصريف ، والمعنى واحد ؛ لأنه إذا قال حسبته كذا ، فكأنه قال : هو فى الذى أعده من الأمور الكائنة .

صُنْعًا : قال الراغب : الصنع إجادة الفعل ، فكل صنع فعل ، وليس كل فعل صنعا .

وزناً : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على تعديل واستقامة ، والزِّنة قدر وزن الشيء .

وقال ابن فارس : الْوَزْن معرفة قدر الشيء ، وقوله سبحانه : (والوزن يومئذ الحق) فإشارة إلى العدل فى محاسبة الناس .

وذكر فى مواضع ـ فى القرآن ـ الميزان بلفظ الراشد اعتباراً بالمحاسِب ، وفى مواضع بالجمع اعتباراً بالمحاسَبين .

هُزُوًا : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على السخرية . وقال الراغب : إنه يدل على مَزَح فى خفية ، وقد يقال لما هو كالمزح . وفى المختار : هَزِئَ منه وبه يهزَأ هُزْءا أو هُزُءا . وهَزَأ به مثل قطع .

المعـــنى

فى الآية السابقة بين الله ـ سبحانه ـ مصير الذين يتخذون عباده من دونه أولياء . وحسبنا بيانا عنه قول ربنا : « إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا » .

هذه صيحة الحق تتجاوب بها الأرض والسماوات . فمن ذا الذى يجرؤ على أن يجعل له من دون الله ولياً[1] ؟ ! .

---

(١) لا يتولى أمر الخلق سوى الخالق سبحانه ، فهو الذى يعرف ما يصلح لهم ويقدر وحده على تحقيقه . فإذا ما اتخذ امرؤ له من دون الله ولياً ، فقد أثبت له الخالقية ، ونفاها عن الله جل شأنه .

وإذا كان هذا شأن الذين يتخذون الأصفياء لهم أولياء . فما بالك بمن يتخذون الأساطير الحمقاء ، والأباطيل البلهاء ، والأكاذيب البلقاء ، والأحجار الصماء ، والحيوانات العجماء ؟ ! .

ما بالك بمن يلوذ بعدو الله ، وبمن اضطرم حقده على الله ؟

ما بالك بمن يجنح إلى ابن عربى وابن الفارض والحلاج وهم ضرام أحقاد ، ومقت عداوات ، وضراوات بغضاء لله رب العالمين ؟ ؟

=

تقويم العمل فى الإسلام : يقول الله سبحانه لأعظم خلقه : (لئن أشركت ليَحْبَطَنَّ عملُك) . الزمر : ٦٥ ويقول جل شأنه : (فمن كان يرجو لقاء ربِّه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) : الكهف : ٠٠ وبهذا يتجلى لنا أن العمل الذى يتقبله الله هو العمل الذى تكون وراءه إرادة خيِّرة تنبع من عقيدة صافية ، والذى يكون موافقاً لما سَنَّه الله سبحانه . أى أن يكون خالصاً ، وأن يكون صَوَاباً .

ولقد وجَّه الله الخطاب بهذا إلى أعظم خلقه ، وخاتم أنبيائه كيلا تخدعنا أباطيل الهوى عن الحقيقة ، فنظن غير الحق ظن الجاهلية ، ونزعم أن لكل عمل يشْغَفُنا مظهر الطيبة فيه ثواباً فى الآخرة عند الله . ونزعم أنه لا يُقَوِّم العمل سوى النية الطيبة ، فكل عمل مقبول وإن كان ضلالاً ! ! إذ تكفى النية[1] الطيبة فى قبول العمل .

ولنتدبر معا هذه الآيات : (فَمَنْ يَعْمَلْ من الصالحات ، وهو مُؤْمِنٌ ، فلا كُفْرَان لِسَعْيِه ، وإنَّا له كاتبون) الأنبياء : ٩٤ فالسعى المقبول عند الله هو الذى يكون عن إيمان صادق ، ويأتى بعمل صالح .

وتدبر قوله سبحانه (فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ، ومن تاب مَعَك ، ولا تَطْغَوْا ، إنه بما تعملون بصير) . هود : ٢١٢ (فلذلك فادع واستقم كما أُمِرْتَ ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل : آمنتُ بما أنزل الله من كتاب ، وأُمِرْتُ لِأَعْدِل بينكم ، الله رَبُّنا ورَبُّكم ،

= إنهم يدعوننا إلى اتخاذ الجيف النتنة ، والرمم العفنة آلهة . إلى سواع ويغوث ، إلى أوثان قوم إبراهيم ، إلى عجل السامرى . إلى كل صنم عبد ، وكل وثن أُله . يدعوننا إلى كل هذه لنجعل منها آلهة مع الله . لا . بل إلى الإيمان بأنها هى الله . ولست أدرى – وهذا دينهم – كيف يطلب منا عميد كلية أصول الدين أن نجعل من ابن عربى والحلاج لنا قدوة وإماما ، وكلاهما ضرب المثل فى خسة الكفر ووقاحته ، وسُعره . وفجره ؟ !

(١) لم يرد لفظ النية فى القرآن ، فقد استعمل القرآن الإرادة والعزم والمشيئة ، وتعمد القلب . ولكن ورد لفظ النية فى الأحاديث

لنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم ، لا حُجَّة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا وإليه المصير) الشورى : ١٥ .

وفى هذا ما يؤكد لنا أنه لا عمل مقبول عند الله سوى عمل يصدر عن استقامة على أمر الله سبحانه دون مجاوزة باغية ، ثم هى استقامة مؤمنة بالكتاب الذى نزل الله ، إيماناً يحملها راضية على أن تكون من هديه وعلى هديه .

لا بد من السعى مع الإرادة : ولا يكفى فى الإسلام أن تظل مريداً للخير ، أو بتعبير أدق : راغباً فى الخير دون أن تفعله ما دامت لديك القدرة على أن تفعل . كما أن الإسلام يوجب أن يكون العمل المصاحب للإرادة موافقاً لما سنه الله لا لما رسمته الأهواء . تدبر قول الله سبحانه :(ومن أراد الآخرة أو سعى لها سعيها وهو مُؤْمِنٌ ، فأولئك كان سَعْيُهم مشكوراً) الإسراء : ١٩ الإرادة وحدها لا تكفى . بل لابد معها من سَعْيٍ ، وللآخرة سعيها الخاص بها ، ولا نجد له من بيان إلا عند رب الآخرة . ولو تأملت كلمة « سَعْيَها » لتجلى لك إشراق الهدى فى جلائه ؛ إذ يؤكد لك هذا أن ليس كل سعى يوصل إلى الآخرة فللآخرة سَعْىٌ خاص بها يجب على من يريدها أن يأتى به . فإن أتى بغيره . فليس له عند الله عَمل كريم .

العمل يصاحب الإرادة : والإسلام يبين لنا الإرادة الحقيقية فى قوله سبحانه : « ولو أرادوا الخروج لَأَعَدُّوا له عُدَّة) . التوبة : ٤٦ وهذا معناه أن الإرادة الحقيقية يصاحبها عمل يتحدث عنها ، ويكشف عن غايتها . وكل إرادة لا يصاحبها عمل ، إرادة كسيحة ، أو هى هَمٌّ يعبر بالنفس دون أن يحركها إلى غاية تعمل .

إرادة الخير والشر : والخير والشر متعلقان للإرادة الإنسانية (وأرادوا به كَيْداً فجعلناهم الأَخْسَرِين) . الأنبياء : ٧٠ هذه إرادة الشر . أما إرادة الخير (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعتُ) . هود : ٨٨ .

إرادة الدنيا والآخرة : والإسلام لا يحرم إرادة الدنيا ، بل هو يحثك على أن تريد الدنيا وعلى أن تريد الآخرة معاً ، (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حَرْثَ الدنيا نؤْتِهِ منها ، وماله فى الآخرة من نصيب) . الشورى : ٢٠ .

والله يقول معلماً لنا هذا الدعاء . (ربَّنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حَسَنَةً وقِنا عذابَ النار) البقرة : ٢٠١ .

فإرادة الدنيا ليست إرادة شَرٍّ ، وإنما هى إرادة خير إذا ارتبطت بإرادة الآخرة . وهكذا الإسلام استقامةٌ سامية حكيمة على الطريقة . على السنة الهادية وحدها إلى أكرم غاية . على أنه يجب أن تكون إرادة الآخرة هى الإرادة الغالبة . تدبر قول الله : (من كان يريد ثوابَ الدنيا ، فعندَ الله ثوابُ الدُّنْيَا والآخرة) النساء : ١٣٤ (من كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فى حَرْثِهِ ، ومن كان يريدُ حَرْثَ الدنيا نؤته منها ، وماله فى الآخرةِ من نصيب الشورى) : ٢٠ فمع إرادة الدنيا يؤتيه الله مما يريد وحرمان له مما فى الآخرة . أما مع إرادة الآخرة فزيادة له عما أراد فَضْلاً من الله ونعمة ، وتدبر قول الله سبحانه لنبيه وصحبه فى أمر خاص بهم ، وهديه عام : (تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) . الأنفال : ٦٧

ومن سنة الله أنه يحقق لكل امرىء ما يريد إذا حكمت مشيئة الله حتى لو كانت إرادة الدنيا : (من كان يريد العاجلة عَجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جَهَنَّمَ يَصْلَاها مذمومًا مَدْحُورًا) الإسراء : ١٨ ، ثم قال الله عن مريدى الدنيا وعن مريدى الآخرة : (كُلًّا نُمِدُّ هٰؤلاء وهٰؤلاء من عطاء رَبِّكَ ، وما كان عطاء ربك محظورا) الإسراء : ٢٠ ، وتدبر : (ومَنْ يرِدْ ثوابَ الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين) آل عمران : ١٤٥

وقد غفل الكثير عن سنة الله فى هذا ، فضربهم الوهن ، وأصابهم الفشل . فالذين

يريدون الدنيا لا يتبعون أسبابها ، والذين يريدون الآخرة لا يتبعون أسبابها ، نخسروا الدنيا والآخرة .

تقويم الإرادة : يقول الله سبحانه : (واصْبِرْ نَفْسَكَ معالذين يَدْعُونَ رَبَّهم بالغداةِ والْعَشِيِّ يريدون وَجْهَهُ ـ الكهف : ١٢٨) ، (ولا تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهم بالغداةِ وَالْعَشِيِّ يريدون وجْهَهُ ـ الأنعام : ٥٢) ، (وما آتيتُمْ من زكاةٍ تريدون وَجْهَ الله فأولئك هم المضعفون ـ الروم : ٣٩) .

فلا توصف الإرادة بأنها خَيِّرَةٌ إلا إذا كانت غايتها وجه الله سبحانه .

هكذا وضح النهج ، وتجلى القصد ، وأشرق السبيل ، هكذا يبدو لنا واضحاً جلياً أن العمل والإرادة متلازمان . وأن السعى المقبول عند الله هو السعى الذى تتوجه الإرادة فيه إلى وجه الله ، والذى يكون مطابقاً لما بين الله سبحانه .

ملحوظة مهمة :

ونلحظ فى إرادة وجه الله سبحانه أمراً هاماً هو فَيْصَل فى هذا الأمر يجب أن تكون الإرادة علىَ بيِّنة من صفاتِ الله وأسمائه التى وصف وسمى بها نفسه . لا يكفى أن تقول : أنا أريد وجه الله . فلهذا الاسم مفهوم فى ذهن المسلم وقلبه ، وله أيضاً مفهوم فى ذهن غير المسلم وقلبه . وما لهذا الاسم من مفهوم عند المسلم سوى ما ذكره كتاب الله سبحانه ونسب نسبة صادقة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

إن اليهودى يتوجه بإرادته إلى الله ، والصليبى يتوجه بإرادته إلى الله ، والوثنى يتوجه بإرادته إلى الله . والصوفى يتوجه بإرادته إلى الله . ولكن اليهودى يصف الله بغير ما يحب . فالله يبهت اليهودى بأنه يندم ، وتستبد به حماقة الغضب . وأنه يقول : ليتنى لم أفعل ، وأنه يلقى عباده فى الطريق ، ويكادون يقهرونه .

والصليبى يصف الله بأنه حل فى بطن مريم ، وخرج من فرجها وصُلب ، وقُبِر ، ثم

صعد ، ودخل فى أعماق جهنم ! ! والوثنى يرى الأوثان له شافعة عند الله ، وجاء الصوفى بكل ضلالة وكفر ، فزعم أن الله عين كل شىء ، وأنه ـــ جل شأنه ـــ عجل السامرى وفرعون . وإبليس . وأبو جهل . وظهرت الصوفية بعمامة ضخمة . ولحية مرسلة ، ومسبحة زنديقة رعناء ، وأسماء إسلامية الألفاظ ، وعمادة كليات تزعم أنها تربى النشء ، على الفضائل ! ! وقد حكمت هذه الصوفية على الله بأسوأ مما جاءت به اليهودية والنصرانية والبرهمية والمجوسية . فهل تصلح هذه الإرادة ؟ .

وهل توصف بأنها خير ؟ .

وهل نصدقها إذا زعمت أنها تريد وجه الله ؟ .

إن الإله الذى يعبده المسلمون غير الإله الذى يعبده اليهود ، غير الإله الذى يعبده الصليبيون ، غير الإله الذى يعبده الصوفيون.

لهذا كان الإيمان بصفات الله وأسمائه المذكورة فى القرآن ، ـــ الإيمان بمعانيها وألفاظها ـــ فيصلا بين الإيمان النبيل والكفر الدنىء .

والإرادة التى تنبعث عن إيمان منحرف عن هذا السبيل إرادة مرفوضة ، وكل عمل ينتج عنها عمل غير مقبول .

وبهذا نستطيع أن نفهم ألا تعارض مطلقاً بين مفهوم هذه الآيات التى نشرحها ، وبين قوله سبحانه : (وليس عليكم جُنَاحٌ فيما أخطأتُمْ به ، ولكن ما تعمَّدت قُلُوبُكم) الأحزاب : ٥ ، إذ يذكرنا مذكر كريم بهذه الآية وبالحديث : « إنما الأعمال بالنيات» ثم يقول . وهؤلاء الأخسرون أعمالا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فنياتهم طيبة . أو إرادتهم طيبة ، فكيف يوصفون بأنهم الأخسرون ؟

والذى يقرأ ما قدمت يتضح له أن الله يحاسب هؤلاء الأخسرين أعمالا على ما تعمدت قلوبهم ، فقد دانوا بعقيدة غير سوية ،عقيدة ضالة ، فنَتجت عنها إرادة ضالة ، وعمل ضال .

إن النية خاطئة ، والإرادة خاطئة ، والعمل خاطىء أو قل : إن الإيمان غير صادق ، وتذكر قول الله : « فمن يَعْمَلْ من الصالحات ، وهو مؤمن ، فلا كفران لسعيه » فأين إيمان الأخسرين أعمالا ؟

وأين العمل الصالح ؟

وتذكر : « فاستقم كما أمرت » فهل استقام هؤلاء على أمر الله ؟

وأسأل الله — سبحانه — أن يعين على البيان فى العدد القادم إنه سميع قريب . مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

ولينصرن الله من ينصره

ورد إلى فضيلة الأستاذ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية هذا الخطاب الكريم من الأستاذ الكبير « محمد عزيز الحبابي » عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط بالمغرب ، وهذا نصه :

* * *

فضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الرحمن الوكيل

حفظكم المولى ورعاكم :

أهدانى قريبي المرحوم الأستاذ محمد بن العربى العلوى ، نسخة من كتابكم « هذه هى الصوفية » ولكن مهامى الإدارية حرمتنى من قراءته حتى الآن ، فانتهزت عطلة الصيف وأخذته معى إلى جبال الأطلس ، وقضيت معه سويعات ممتعة .

لقد شفيتم الغليل فى الدفاع عن طهارة العقيدة ، والله تعالى كفيل بأن يجعلكم موفقين حتى النصر المبين (ولينصرن الله من ينصره) .

ويسعدنى لو تفضلتم فبعثتم إلىّ كتبكم الأخرى ، علّى أستفيد منها وأفيد بها غيرى من طلبة وزملاء ، لأنها كتب كفاح .

وأنا شخصياً غير متخصص فى ميدانكم ، ولكن بصفتى أستاذاً للفلسفة ومسلماً ، أهتم بتلك المواضيع . ولقد نشرت عدة مقالات بالفرنسية عن الإسلام ، وعن السلفية ، وعن مظاهر التقدمية فى ديننا الحنيف ، وكثيراً ما أحاضر بأوروبا فى هذه المواضيع ، وقد صدر لى ، عن باريز ، منذ ثلاثة أشهر تقريباً كتاب « الشخصانية[1] الإسلامية » سأتشرف بإرساله لكم مع بعض كتيبات أخرى ، وأكون ممنوناً لكم إذا قبلتم أن تعطونا دراسة عن الغزالى لمجلة « آفاق » سأبعث لكم بأعداد منها — لتنفتح أعين القوم على تدجيل الرجل .

---

(١) هكذا بأصل الخطاب ولعلها « الشخصية الإسلامية » الهدى

دمتم بعون الله مدافعاً عن الإسلام ، فى زمرة من قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة »[١] .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الرباط　　　　　　　　　　　　　　　محمد عزيز الحبابي

* * *

الهدى النبوى :

وقد وفى الأستاذ الكبير بما وعد ، ونحن نشكر له ما جاء فى كتابه الكريم ، ونضرع إلى الله أن يجعل منه ومن زملائه وتلاميذه أبطالاً يعملون لإعلاء كلمة الله ، وقادة كفاح فى سبيل تحقيق المثل العليا التى دعا إليها ديننا الحنيف ، وهداة يضيئون الطريق إلى وحدتنا الإسلامية الشاملة .

ولم ننشر كتاب الأستاذ الكبير « محمد عزيز الحبابي » إلا تعبيراً عن شكرنا لله سبحانه ، إذ تتجلى لنا قدرته القاهرة الغالبة ، فتصل الكتب التى تصدرها الجماعة إلى هذه الأيدى الكريمة ، فتؤتى أكلها بهذه الطريقة التى تظهر لنا عظمة القدرة الإلهية كما ننشره لنقارن بين عميد جليل لكلية كبرى فى الرباط ، يطلب دراسة عن الغزالى ؛ « لتنفتح أعين القوم على تدجيل الرجل » وبين عميد كلية كبرى فى القاهرة يلغى دراسة « زاد المعاد » لابن القيم ، ويسعى لتدريس كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالى بدلا منه ، وما فى « الإحياء » سوى صوفية عفنة ، أشرنا إليها فيما نشرت مجلتنا من مقالات ، ولكن الله غالب على أمره ولو كره المشركون . وستنشر المجلة دراسة وافية ـ بإذن الله ـ عن ضلالات الغزالى ، ليعلم أولوا الأمر أن هناك كيداً صوفياً يُدَبَّر فى هذه الكلية ضد دين الله سبحانه ، والله ناصر دينه ولو كره المبطلون .

---

(١) وفى رواية « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك »　　الهدى

الدواء .. فى تشريع السماء !!

وظيفة التشريع الإلهى وغايته هو تحرير البشرية من أسر الشهوات المردية . وانخلاعها من عبودية الهوى . وطهارتها من دنس الإثم والخطيئة ، ونزاهتها من أحقاد الأنانية والبغضاء . والسمو بها إلى الآفاق العليا ، والمثل الرفيعة . ! !

والمقصود من إبداع هذا الكون وإيجاده . وتسخير ما فيه من قوى علوية وسفلية للبشر : هو عبادته ومعرفته : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . ؟

وكيف يعبدونه ؟ أبا لهوى الجامح . باللعب والسخرية والغمزات واللمزات اللئيمة . والعدو والسطو على حقوق الغير ؟ أو التماس العون والنجدة من الأحجار والأشجار والمقبورين ؟ أم بتعطيل الحدود فى النفس والمجتمع ؟ ! !

لو وكل الخلق إلى أنفسهم بدون تشريع يهديهم . أو نظام يجمعهم ، أو قانون يرشدهم لكان لهم بعض العذر فى تخبطهم وخلاصهم ، وشرورهم عن جادة الحقيقة . .

ولكنه ـ تبارك وتعالى ـ مدَّ الناس بقانون ـ ليس من صنع فرد أو طائفة حتى تظن به الظنون . ويخشى أن يميل مع الهوى أو يلتبس بالخطأ . فيفوته تحقيق العدالة المطلقة ـ بل هو من لدن حكيم خبير ؛ لا عوج فيه ولا زيغ . ولا التباس ولا التواء . بل هو كما وصفه : « وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذَّكرون» ! !

مدَّهم بقانون جامع تتجه أوامره ونواهيه إلى البيئة التى يعيش فيها الإنسان كما تتجه إلى الإنسان نفسه . فهو يتجه إلى البيئة ليشكلها على صورة معينة ويفرغها فى قالب محدّد ويصوغها صياغة خاصة . حتى تتفق مع مراد الله تعالى ! !

ويتجه إلى الإنسان كى يخرجه من عبودية المادة . وقدسية الأوهام إلى أن لا يخضع ولا يذل إلا لله الواحد القهار . ! !

والله – فى تشريعه – لم يوقته بزمن . ولم يحده بمكان ولم يخصصه بناحية دون أخرى وجماعة دون آخرين . بل هو تشريع عام حتى قيام الساعة لجميع من خلقهم من أحمر وأصفر . وأبيض وأسود . وغنى وفقير وحاكم ومحكوم . مستوعب للأحكام الدولية . والمدنية . والتعبدية . كما قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) . وصاحب الرسالة – صلوات الله عليه – يقول : فى حجة الوداع : «أيها النَاس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم. وآدم من تراب . إن أكرمكم عندالله أتقاكم . ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

فالتكليف الإلٰهى قد اتجه إلى الناس جميعاً لاتفاقهم فى خصائص واحدة شائعة فى جنسهم كله ، سواء كانت نفسية أو عقلية . ولأنهم أهل لكل ما ضمن الله للإنسانيه من كرامة وناط بها من واجب (يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

هذا التشريع العام يقوم على مصالح العباد وإسعادهم . ويضمن لهم الأمن والسعادة وعدم الشطط والانحراف (. . . فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) .

فالنفوس الشاردة . والعقول المنحرفة ، والأفكار الهزيلة لا علاج لها ، إلا بقانون الله . كذلك الساقطون من الفضائل الإنسانية . والمرتكبون لأبشع الجرائم الأخلاقية ، والمنسلخون من قيود العبودية لله ، لا تقويم لهم إلا بإقامة حدود الله . ! !

فكل جريمة يقام لها حدها الذى حدده لها رب العالمين . فالسارق والسارقة مثلا حدهما كما قال الله تعالى : فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ؟ .

والزانية والزانى . فحدهما : (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . .)

ولا يظنن – أفاك جهول – أن هذا الحكم وحشية أو همجية ! ! فالوحشية والهمجية

فى شرعة الغاب المستقاة من وحى الذئاب البشرية الذين يلغون فى المستنقع الآسن .
ومعاذ الله أن يكون نظام يضعه الناس للناس مثل نظام وضعه لهم رب الناس ! فالعباد مهما بلغوا من قوة الإدراك . ورقى الأفكار . فهم موصوفون بالعجز . والجهل والهوى . لا يتمكن أبداً أن يخططوا لأنفسهم دستوراً . ومنهجاً وقانوناً يضمن لهم صلاح دنياهم وأخراهم . ولو كان لديهم القدرة على ذلك لما أرسل الله الرسل . وأنزل الكتب ، وشرع الشرائع ! ! ولكن الذين فسقوا عن أمر ربهم يجحدون . ! !

مهما ارتفع المستوى المعيشى . وتكاملت مطالب الحياة المادية . ولم يُعنَ بالمستوى الروحى والأخلاق ، فالأمة فى شقاء ولن تهنأ بالوداعة والاستقرار . ! !

والقانون المسنون لم يكن إلا للعمل به فى حنايا النفس وأرجاء المجتمع وأحشاء الدولة ، فبذلك يزكو القلب . ويرقى اللب . ويشيع التعاون والبر فى أكناف الأمة . ويقام العدل والحق فى أعمال الحكومة . ! !

هذا القانون يؤمن الفرد من كل اعتداء حتى من اعتداء الحاكم عليه . فالحاكم ليس له عليه من سلطان إلا فى حدود القانون الإلهى الذى يخضع له كما يخضع السلطان سواء بسواء .فهو لا يستمد من هوى الحاكم ولا هوى طبقة أو جماعة . . فالخضوع له خضوع لله ، لا لعبد من عباده، وتلك ميزة قيام الدولة على شريعة الدين وقانونه . فالحرية الكاملة من كل عبودية أرضية لن يكون إلا فى ظل هذا القانون . وما دام جماعة من البشر أيا كانوا يشرعون لجماعة من البشر . فلن تتحقق المساواة المطلقة . ولن تتحقق المصالح . فالحاكمون سيحسون أنهم أرفع لأنهم هم الذين يضعون التشريع . والقانون سيظل فى مصلحة طبقة دون طبقة ولن يحقق مصالح الجميع . هناك حالة واحدة يخضع الفرد فيها للقانون وهو شاعر بعزته كاملة وحريته ومصلحته كاملة. .تلك هى حالة استمداد التشريع كله من شريعة الله . الذى لا حاكم إلاَّ هو . ولا مسيطر سواه . وعندئذ فقط يطمئن الفرد إلى العدل . ويطامن الحاكم من كبريائه التى يستمدها من سلطة التشريع ، ويحس أنه

لا يملك شيئاً إلا أن ينفذ قانون الله الذى فرض عليه وعلى كل فرد سواه ، وهذا هو التحرير الكامل الصحيح المقبول .

ونظام الحكم فى الإسلام كفيل بإقرار العلاقات بين الراعى والرعية على أسس من السلم والعدل والطمأنينة لأن الطريقة الإسلامية فى الحكم هى الشورى (وأمرهم شورى بينهم) ، (وشاورهم فى الأمر) . . والحدود الإسلامية للحكم تنفيذ القانون الإسلامى ، وطاعة الناس للحاكم مرهونة بإقامة هذه الشريعة ، وتنفيذ ذلك القانون ، فإذا فسق عنه سقطت طاعته ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « واسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » . فوقت الطاعة بإقامة كتاب الله دون سواه ، والقرآن صريح فى الحكم بالكفر على من لا يحكمون بما أنزل الله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . والإسلام صريح كذلك فى وجوب مجاهدة الكافر ، وتحريم طاعة المسلم له على الإطلاق ، وتنفيذ هذا القانون لا يحابى أحداً ، ولا يجعل لفرد ولا لطبقة امتيازاً خاصاً ، حاكماً كان هذا الفرد أو محكوماً ، إن محمداً رسول الله وحاكم المسلمين الأكبر كان يقيد من نفسه كما روى عن عمر بن الخطاب ، وأبو بكر الخليفة الأول يقف عند انتهاء البيعة له فيقول : « أيها الناس : إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوّمونى » إلى أن قال رضى الله عنه : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » فيقر القاعدة الإسلامية الكبرى فى الحكم وحدوده ! ! . . هذا النظام الإسلامى كفيل باستقامة الرعاة ورضى الرعية ، وبإقرار السلام بينهما وتوطيده لا بالعسف والجور ، ولا بالكبت والإجبار ، ولا بالقسوة والجبروت ، ولا بالخوف والذل ، ولكن بالرضى والقبول . والطاعة المنبعثة من أعماق الضمير ، لا رياء ولا نفاقاً ، ولا تظاهر كذابا ! ! .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « أيما عامل لى ظلم أحداً وبلغتنى مظلمته

فلم أغيرها فأنا ظلمته » . . « أرأيتم لو استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علىّ ؟ قالوا : نعم ، فقال لا . حتى أنظر عمله أعمل بما أمرته أم لا » وكتب رضى الله عنه إلى أحد الولاة يقول : « افتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك . فإنما أنت رجل منهم ، غير ن الله جعلك أثقل منهم حملا » كما كتب إلى عامله أبى موسى الأشعرى يقول : « قد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون مثل البهيمة التى مرت بواد فلم يكن لها إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن للعامل مرد إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته ، وإنّ أشقى الناس من شقيت به رعيته » ! ! ولقد بلغ عمر أيضاً أن عامله على الكوفة سعد بن أبى وقاص — قد بنى لنفسه منزلاً فخماً وجعل عليه حاجباً ، فأرسل مفتشه محمد بن مسلمة ، وأمره أن يأخذ زيتاً وحطباً فيحرق قصر سعد ، وبعث معه إلى سعد بكتاب جاء فيه : « بلغنى أنك بنيت قصراً اتخذته حصناً ويسمى بيت سعد ، وجعلت بينك وبين الناس باباً ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ، لا تجعل على منزلك باباً يمنع الناس من دخوله ، وتنفيهم به عن حقوقهم » ! ! .

وكتب إلى عمرو بن العاص — والى مصر — يقول له : « بلغنى أنك تتكىء فى مجالسك ، فإذا جلست فكن كسائر الناس » ! ! .

وإن تاريخ الإسلام ليحتفظ بأمثلة ونماذج لا تحصى على العدل المطلق الذى حققه الحكم الإسلامى حتى فى الأيام التى انحرف فيها « الخلفاء » عن تعاليم الإسلام فقد بقيت ضمائر القضاة ، ويقظة الجماعة حراساً على العدالة تستمد سلطانها من خشية الله والخوف من نقمته إذا تهاونت أو غشّت أو سكتت على البغى والجور . . يذكر المؤرخون أن علياً وجد درعه عند رجل نصرانى ، فجاء به إلى شريح القاضى وقال : إنها درعى ، ولم أبع له ولم أذهب ، فسأل شريح ذلك النصرانى : ما تقول فيما يقول

أمير المؤمنين ، قال النصرانى : ما الدرع إلا درعى ، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب ، فالتفت شريح إلى على يسـأله : يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك على وقال : أصاب شريح ، ما لى بينة ! وهكذا قضى القاضى للنصرانى بالدرع فأخذها ومشى . . إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . . أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه . فيقضى عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق ، فقال على : أما إذا أسلمت فهى لك ! ! .

وجلس أبو يوسف يوماً للقضاء ، فاختصم إليه رجل مع الهادى الخليفة العباسى ، فى بستان فرأى أبو يوسف أن الحق مع الرجل ، وأن للسـلطان مع ذلك شهوده ، فقال : إن الخصم يطلب أن يحلف الهادى على أن شهوده صادقون ! وهنا نـكل الهادى عن اليمين — لما يعتقد فيها من مهانة ، فقضى أبو يوسف برد البستان إلى صاحبه ! ! .

ففى ظل الله ، وتحت قوة سلطانه وقانونه تتضاءل قوى الأرض جميعاً ، وتتساقط أغشية العظمة الـكاذبة ، والجبروت الزائف ، ويبدو الأقوياء والأغنياء ، وأصحاب الجاه والنفوذ والسلطان جميعاً أقزاماً ضئالا ضعافاً لا يملـكون لإنسان نفعاً ولا ضرًّا ! .

وحين يطمئن الأفراد فى المجتمع إلى أن القانون الذى يحاكمون به هو من صنع إلههم العادل ، وأن الحاكم الذى يدبر أمورهم ليست له حقوق زائدة عن حقوقهم ، وأنه مدين بهذا القانون دينونتهم ، وأن القاضى الذى يتولى القضـاء لا يستمد حكمه من الهوى ، ولـكن من قانون الله ، والخوف من الله . . عندئذ تطمئن نفوسهم وتستقر ، ويقوم السلام الاجتماعى على أحد أركانه السليمة ركن الضمانات العادلة فى الحـكم والقضاء .

فـكم خسرت البشرية يوم أن تنكرت لنظام الله ، وكم تعثَّرت فى تـكبُّر وتعالم تريد أن تقول : إنها تريد لنفسها خيراً مما أراد الله لها ، وأنها تملك لنفسها خيراً مما

أعطاها الله ! ! ولا بد أنها تتساقط — كما سقطت وأكثر — ما دامت معرضة عن الله وقانونه ، وستظل تطلع فى طريق كلها منحدرات وآكام ، وتلغ فى مستنقع آسِنْ من صنع الحضارة الكافرة بالله ، المغرورة الضالة عن الله ! ! .

وتاريخ الدنيا شاهد عدل على ذلك ، كيف كان مصير قوم نوح ، وعاد ، وثمود وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، والمؤتفكات جميعاً (فردُّوا أيديهم فى أفواههم) وقالوا لرسلهم : (إنا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب) . فكان تحقيق وعد الله فيهم (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) ، (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) .

والقدر الأعلى لا يحابى أحداً ، ولابد أن يطبق قوانينه العادلة على البشر قاطبة من يوم أن خلق الله السموات والأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ! ! .

والأمم البشرية ستظل تتعثر حتى يتسلم الإسلام الزمام فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام ! ! .

ويوم أن تخلص الضمائر ، ويفىء المسلمون إلى رشدهم ويرجعوا إلى قانون ربهم سيشيع العدل فى أرجاء الدنيا ويستضىء العالم بنور الله الوهاج ، والفضل أولاً وآخراً لتشريع الله الحكيم الخبير ، الذى ضمن الدواء للبشرية قاطبة ! ! .

(الملايقة) السيد عبد الحليم محمد حسين مطاوع

ظهر حديثا كتاب

صراع بين الحق والباطل

لمؤلفه الأستاذ سعد صادق محمد بين فيه خطأ الخرافات والبدع الشائعة بين الناس ، وما توارثه المجتمع الإسلامى من التقاليد والأباطيل فى بيان شيق . وثمنه ١٥ خمسة عشر قرشاً . ويطلب من مؤلفه — ٨ شارع قوله بعابدين . ومن مكتبة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام .

خرافة البخت

انتقد قارىء موقف الصحف والمجلات عندنا من خرافة البخت . وإفرادها أعمدة من صفحاتها للتنبؤات الفلكية والطوالع .

« الجمهورية يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٦٤ »

الواقع أن ما تنشره الصحف والمجلات هو نوع من الضحك على عقول السذج من الناس . بالإضافة إلى أن ما تسجله من متناقضات يثير الكثير من التعجب والدهشة ! !

فإن من يطالع هذه التنبؤات اليومية يجد بها صوراً متكررة مضحكة .. وشر البلية ما يضحك !

فالبخت يحوى من المفاجآت السارة ــ من ترقيات وأبواب رزق وغيره ــ ما يكون منصباً على آلاف من مواليد هذا اليوم بلا اختلاف .

كما أننا إذ طالعنا ماينشر من هذا القبيل فى الجرائد والمجلات الصادرة فى اليوم الواحد ، نجد أن ماتنشره (الأهرام) مثلا للشخص حسب تاريخ ميلاده يخالف ما تنشره (الأخبار) لهذا الشخص نفسه من الخبر السار ، أو الحزن . وما تنشره (الجمهورية) يخالف ما تنشره بعض المجلات الصادرة فى ذلك اليوم . . وهكذا تنشر كل صحيفة ومجلة طوالع متناقضة بعضها لبعض بصورة تدل على أن هذه الصحف والمجلات تؤمن بخرافة التنجيم هذه . وتقر هذا الادعاء الباطل بمعرفة الأسرار الغيبية التى استأثر الله تعالى وحده بعلمها (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها .. الخ ـ ٥٩ : الأنعام) .

وكان الأولى بالقائمين على أمر هذه الصحف ـ والمفروض فيهم أنهم أصحاب ثقافات عالية ـ أن يعملوا على محاربة هذه الخرافات والادعاءات الكاذبة وإزالة آثارها من عقول الناس.

بدلا من الترويج لها . وتثبيتها فى الأذهان . فإن أقل ما تحويه هذه التنبؤات الفلكية من أضرار أنها : تعلق قلوب الناس بأوهام وأمانى كاذبة لا حقيقة لها وتطلع إلى آمال سرعان ما تذوب مع الخيال . كما تكون سبباً فى صرفهم عن العمل الجاد المثمر ، وركونهم إلى الدعة والخمول وعدم السعى والإقدام .

ومن عجيب الأمر أن أحد القائمين على أمر مجلة من التى تروج لخرافة البخت كتب ضمن مقال له بمجلة آخر ساعة الصادرة فى ٢٥ / ١١/١٩٦٤ . ينتقد الصحافة على ما تنشره من خرافة « حظك اليوم » وتسأل عن الوقت الذى تكف فيه صحفنا عن نشر هذه الخرافة .

وقد كان الأصوب أن يبدأ صاحب المقال بمجلته التى يشرف على إدارة تحريرها . فلا ينشر فيها هذا البخت ثم له بعد ذلك أن يدعو بقية الصحف والمجلات للاقتداء بها ولكن يبدو أن الأمر عند هؤلاء لا يعدو أن يكون قولا بلا عمل كشأنهم فى كثير من الأمور .

* * *

معنى الإسراء والمعراج

احتفل العالم الاسلامى بذكرى الإسراء والمعراج . فأقيمت الاحتفالات الدينية لهذا الغرض . وتليت القصة النبوية . . . الخ

« صحف يوم ٢٦ رجب عام ١٣٨٤ هـ الموافق ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٤ م »

احتفل المسلمون فى العالم الاسلامى فى ذلك اليوم بذكرى الإسراء والمعراج . ومر الاحتفال كما مر غيره من الاحتفالات التى يقيمونها كل عام دون أن تترك فى النفوس أثراً من تلك الحادثة التاريخية التى تحمل فى طياتها أكثر من معنى جليل .

فإن من يتدبر ذلك الحادث الجليل بعين بصيرته يلمح فيه معانى كثيرة جديرة بألا تغيب عن الأذهان يوما .

فقد جاء حادث الإسراء ليربط بين الرسل جميعاً . ويصل مهابط الرسالات بعضها ببعض

ثم جاء حادث المعراج ليربط الأرض بالسماء برباط وثيق .. ليربط مابين الرب والعبد برباط الرحمة والتكريم والخير والهدى . فهو حادث جليل شرف الله تعالى فيه نبيه الكريم . فخلع عليه لقب العبودية ، وهو أفضل وأشرف لقب حبيب إلى الله تعالى . فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ــ الإسراء : ١) .

كما كرم الله جل شأنه فيه المسلمين حين تفضل عليهم بنعمة فريضة الصلاة ، وجعلها رباطاً بينه وبين عبده . يلتقى به فيها خلال اليوم والليلة خمس مرات . لقاء تشريف وتكريم . وبهذا الرباط الروحى كان الإنسان دائم الصلة بالله خالقه ورازقه .

فجدير بحادث الإسراء والمعراج إذن أن يكون ماثلا فى الأذهان فى كل صلاة . يسعى إليها المرء . ومرتبطا بفكره وعقله وقلبه فى تلك الأوقات .

ولكن الناس غابت عن أذهانهم هذه المعانى الجليلة : وفقدوا هذه المشاعر الانسانية النبيلة . . غابت عن أذهانهم هذه المعانى حين غلب عليهم الجهل . وتحكمت الأهواء والتقاليد فى اتجاهاتهم . فصاروا لا يعرفون حادث الإسراء والمعراج إلا فى العام مرة واحدة .. وعلى هذه الصورة المنكرة من تلاوة مايسمونه بالقصة النبوية . إلى عقد حلقات للذكر الذى يمارسه رجال الطرق الصوفية ــ أدعياء الإسلام ــ إلى مجتمعات صخب وتهريج يعقدها المارقون المفسدون ، وهذا هو شأن الناس اليوم فى كل مناسبة إسلامية فمتى يفيق المسلمون من غفلاتهم . ويرجعوا إلى هدى إسلامهم ؟ !

* * *

قبلة فى الطريق

« مبدأ جديد طريف أقرته النيابة . أباحت فيه تقبيل الخطيب لخطيبته أثناء سيرهما فى الشارع . . أمر (. . .) وكيل أول النيابة بحفظ التحقيق ضد مهندس ضبطته شرطة

الآداب متلبساً بتقبيل فتاة كانت معه . تبين أن الفتاة خطيبته فعلا . . بنى وكيل النيابة أسباب الحفظ بأنه ليس من الحكمة أن يبدأ الخطيبان حياتهما الزوجية بمحاكمة جنائية »

« الجمهورية ١١ ديسمبر عام ١٩٦٤ »

هكذا وضع السيد وكيل النيابة مبدأ لممارسة الفعل الفاضح فى الطريق العام . وعلى مشهد من الناس .وعلى أساس هذا المبدأ . وفى حمايته لا يجد أى إنسان حرجا . ولا بأساً من تقبيل أية فتاة يدعى أنها خطيبته . بل وإتيان ما هو أكثر من ذلك .

وإذا لم يكن من الحكمة أن يبدأ الخطيبان حياتهما الزوجية بجريمة — كما يقول هذا التشريع الجديد — فهل من الحكمة والرشد أن يمارس إنسان فعلا فاضحاً فى الطريق العام دون استحياء ولا أدب ؟

وإذا أخذنا بحكمة صاحب هذا « التشريع » ففى وسع أى خطيب أن يأتى مع خطيبته فى الطريق العام ماهو أكثر من القبلة : من دعارة وغيرها . ولاحرج من تبرئة ساحتهما على أساس أنه : ليس من الحكمة أن يبدأ الخطيبان حياتهما بمحاكمة جنائية .

إن منطق العدل يقضى بأن يعاقب كل مستهتر لا يراعى الآداب العامة ولا يحترم نفسه وعقله . يأتى فعلا منكراً عيانا جهاراً دون أن يتقيد بفضيلة . أو خلق حتى يرتدع ويكون عبرة لغيره .

ونحن نتساءل : هل كان الأمر حقاً إشفاقا على هذين الخطيبين من أن يستهلا حياتهما الزوجية بجريمة . أم أن الكفر بالقيم . والاستخفاف بالفضيلة . والاستهانة بالحياء والأدب وصل بالناس إلى مجاملة بعضهم البعض واستباحة كل إثم ومنكر وحرام فى الطريق العام ؟ !

الحق إن الأمر ليس إشفاقا على الناس . وإنما هو الكفر بالأخلاق ،والإيمان بالإباحية والفوضى.وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» .

سعد صادق محمد

من علم السنة

— ١ —

تعقب أحاديث وردت فى كتاب « الروح » للإمام ابن القيم

قال الإمام العلامة ابن القيم فى كتاب (الروح) ص ٣١ مطبوعات صبيح وأولاده :

« وقال بقية بن الوليد : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر الحضرمى قال : قال عمر بن الخطاب : عجبت لرؤيا الرجل يرى الشىء ولم يخطر له على بال فيكون كآخذ بيد ، ويرى الشىء فلا يكون شيئاً ؟! فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ، يقول الله عز وجل : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) ، قال : والأرواح يعرج بها فى منامها ، فما رأت وهى فى السماء فهو الحق ، فإذا ردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء فكذبتها ، فما رأت من ذلك فهو الباطل ، قال : فجعل عمر يتعجب من قول على . قال ابن منده : هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره عن أبى الدرداء » .

قلت : بقية بن الوليد ضعيف . كان مدلساً ، وقال ابن حبان : سمع من شعبة ومالك أحاديث مستقيمة ، ثم سمع من أقوام كذابين عن شعبة ومالك ، فروى عن الثقات بالتدليس ما أخذ عن الضعفاء . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال أبو مسهر : أحاديث بقية ليست نقية ، فكن منها على تقية . وقال الجوزجانى : كان بقية يروى الخرافات . (من مقدمة الإمام مسلم فى جامعه الصحيح . وميزان الاعتدال للحافظ الذهبى) .

قال ابن القيم :

« روى ابن لهيعة ، عن عثمان بن نعيم الرعينى ، عن أبى الدرداء ، قال : إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود ، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود » .

قلت : ابن لهيعة أشد ضعفاً من بقية ، وعثمان بن نعيم لم يرو عنه إلا ابن لهيعة ، وعثمان يروي المناكير .

قال الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتــدال ج ٣ ص ٥٨ ، ٥٩ ، ومن مناكيره : ابن وهب ، أخبرنا ابن لهيعة ، أخبرنا عثمان بن نعيم الرعيني ، عن المغيرة بن نَهِيك ، سمعت عقبة بن عامر مرفوعاً : من تعلم الرمى ثم تركه فقد عصانى . رواه ابن ماجه ، والحديث الذى ساقه ابن القيم من مراسيل أبى الدرداء ، ولم يرفعه كما ترى .

قال ابن القيم :

« وروى جعفر بن عون ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشام كما تشام الخيل ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قلت : أبو الأحوص وثقه الزهرى وحدث عنه . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء نقله عباس الدروى عنه . وقال يحيى بن سعيد القطان عنه : لا يعرف له حال ، ولا قضى له بالثقة قول الزهرى : سمعت أبا الأحوص يحــــدث فى مجلس سعيد ابن المسيب . قال الذهبي : وقد روى له الترمذى حديثه فى مس الحصى وما صححه ، بل قال هو حسن . وله حديث آخر ليس إلا فى الزجر عن الالتفات فى الصلاة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالمتين عندهم . وقال ابن عيينة : قال سعد بن إبراهيم للزهرى كالمُغْضَب : من أبو الأحوص ؟ فقال : أما تعرفه ! مولى بنى غفار ، كان يصلى عند الروضة ، وجعل يصفه وسعد لا يعرفه . والحديث على أى حال يضاف ضعفه كونه مرسلا لا بن مسعود .

قال ابن القيم ص ٤٦ :

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده فى « كتاب الروح والنفس » أخبرنا محمد بن يعقوب ابن يوسف ، حدثنا محمد بن إسحاق الصفار ، أنبأنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، حدثنا

عيسى بن المسيب ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلسنا وجلس كأن على أكتافنا فلق الصخر وعلى رءوسنا الطير فأرمّ قليلا (والإرمام السكوت) ، فلما رفع رأسه قال : إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر ، وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ، ثم قال: اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى رحمة الله ورضوانه فَتَنْسُلُ[1] نفسه كما تقطر القطر من السقاء ، فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والأرض إلا الثقلين ، ثم يصعد به إلى السماء الدنيا فتفتح له السماء ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش مقربو كل سماء ، فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه فى عليين ، ويقول الرب عز وجل : ردوا عبدى إلى مضجعه ، فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما فيجلسانه ، ثم يقال له : يا هذا مَن ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان : صدقت . ثم يقال له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان : صدقت ، ثم يقال له : من نبيك ؟ فيقول : محمد رسول الله ، فيقولان : صدقت ، ثم يفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول جزاك الله خيراً ؛ فوالله ما علمت إن كنت لسريعاً فى طاعة الله ، بطيئاً فى معصية الله ، فيقول : وأنت جزاك الله خيراً ؛ فمن أنت ؟ فقال : أنا عملك الصالح ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فينظر إلى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة ، وإن الكافر إذا كان فى دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت ، نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من النار وحنوط من نار ، قال : فيجلسون منه مد بصره ، وجاء ملك الموت فيجلس عند رأسه ،

---

(١) نسل : كسقط وزناً ومعنى . والإبل حان لها أن ينسل وبرها فيكون كناية عن سيلان النفس وانفصالها عن البدن ، ويرى بعضهم أنه ربما تكون العبارة (فتسيل) ، وكلتا العبارتين استعمالهما من الكناية .

ثم قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى غضب الله وسخطه ، فتفرق روحه فى جسده كراهية أن تخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من الصوف المبلول فإذا خرجت نفسه لعنه كل شىء بين السماء والأرض إلا الثقلين ، ثم يصعد به إلى السماء فتغلق دونه فيقول الرب عز وجل ردوا عبدى إلى مضجعه فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فترد روحه إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما ، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان : يا هذا من ربك ؟ فيقول : لا أدرى فينادَى من جانب القبر لادريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : جزاك الله شراً فوالله ما علمت إن كنت لبطيئاً عن طاعة الله سريعاً فى معصية الله فيقول : ومن أنت ؟ فيقول . أنا عملك الخبيث ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة » رواه الإمام أحمد ومحمود ابن غيلان وغيرهما عن أبى النضر . اه .

وأقول : محمد بن يعقوب المدنى قال الحافظ الذهبى : مجهول وله مناكير .

أما عيسى بن المسيب فإنه لا يحتج به ، ضعفه يحيى ابن معين والنسائى والدارقطنى وقال أبو حاتم وأبو زرعة : ليس بالقوى . وتكلم فيه ابن حبان وغيره وقال أبو داود : « هو قاضى الكوفة ضعيف » وأما عدى بن ثابت فإنه شيعى غال إمام مسجدهم وقاصّهم وهو ابن أخى البراء بن عازب قال ابن معين : شيعى مفرط . وقال الدارقطنى : رافضىّ غال ، وكان شعبة يقول : عدى بن ثابت من الرقاعين . وقال الجوزجانىّ : مائل عن القصد . (اه ماخصاً من ميزان الاعتدال للذهبى والتهذيب لابن حجر) .

قال الإمام ابن القيم ص ٤٧ :

« ثم ساقه ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن البراء

ابن غازب قال كنا فى جنازة رجل من الأنصار الخ الحديث ، وهو وإن اختلف فى نصه فإنه لا يختلف فى مضمونه كثيراً عن الحديث السابق أعنى حديث أبى النضر عمن ذكرنا ممن هم مناط البلاء فى الحديث . ونقول عن هذا السند : محمد بن سلمة أخو يحيى بن سلمة قال الجوزجانى : ذاهب ، واهى الحديث . وقال ابن عدى سمع أباه وعنه على بن هاشم وحسان بن هاشم بن إبراهيم ثم ساق له أحاديث منكرة . وخصيف بن عبد الرحمن الجزرى من موالى بنى أمية عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وعنه زهير ، وعتاب ابن بشير ضعفه أحمد مرة قال : ليس بالقوى . قال ابن معين : صالح . وقال مرة : ثقة . وقال أبو حاتم : تُكُلِّم فى سوء حفظه . وقال أحمد أيضاً : تكلم فى الإرجاء . وقال يحيى القطان : كنا نجتنب خصيفاً . وأما قول الإمام ابن القيم : « هذا حديث ثابت مشهور ولا نعلم أحد من أئمة الحديث طعن فيه بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول الخ ما قال ، فيه نظر ويشجبه ما أثبتناه هنا من الجرح الشديد فى أكثر رجال إسناده من روايتى ابن منده أو روايتى أحمد وابن غيلان فإن آفة أسانيدهم هم : محمد بن يعقوب وعيسى بن المسيب وعدى بن ثابت ومحمد بن سلمة وخصيف الجزرى .

وأما ما نقله عن الحافظ أبى نعيم من توفر شرط الشيخين فى رجاله فلا عبرة به إلا فيمن ذكرهم من الثقات كابن أبى ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد بن يسار من الثقات وليس البلاء من قبل هؤلاء .

يتبع : محمد نجيب المطيعى

علموا الناس السنة

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن لا تغلبوا على ثلاث : أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، وتعلموا الناس السنة » .

ذكريات

بمناسبة انقضاء العـــام السادس على وفاة فقيدنا الراحل المغفور له — بإذن الله — أستاذنا الشيخ محمد حامد الفقى ، نجدد ذكراه العطرة :

أحيوا عظيماً جميل الذكر أحياه	وأكرم الله فى الفردوس مسعاه
وأنصفوه عزيزاً إنه بطل	تضىء كالشمس فى الدنيا مزاياه
أدى رسالته من فجر نهضتها	وقام بالواجب الأسمى وأداه
قضى وعاش نصير الدين فى كنف	من التقى والهدى كانت سجاياه
قضى مهيباً وما زالت مآثره	تَروى جلائلَهاَ فى الكون أفواه
فى موقف الحق مالانت شكيمته	أمام « مَلْكٍ[1] » حماة الدين تخشاه
بقوة الدين والإيمان جادله	مبيِّناً فى جلاء بُطْل دعــواه
أدى الرسالة والأطماع ثائرة	فمــا وهت فى قراع الظلم يمناه
طواه عادى الردى ، لكنه قدرٌ	ولا مرد لمــا قد قدر الله
تخلدوا ذكر ماضيه فإن له	ذكراً تضوَّع مثل الطيب رياه
والخلد ليس بميسور لطالبه	حتى يصــير على علمٍ بمعناه
والناس إن قُضيت آجالهم سيرٌ	والمرء سيرته أعمــال دنيــاه
« وحامد » سجل التاريخ سيرته	وكرم الله أولاه وأخراه
فشيدوا وارفعوا البنيان شاهقة	فمن أتى حسناً لا بد يجزاه
ولقِّنوا الناس من تاريخه نُبذاً	عسى يكون له فى الناس أشباه
من يُحيي ذكرى عظيم أو يُوفٍّ له	حقًّا فقد رده بعثاً وأحيــــاه
بنى « الرئيس » لنا مجداً ودعَّمه	فأكملوا بمواضى العزم مبناه
أرضى الضمير وأرضى الله فازدهرت	فى جنة الخلد والفردوس عقباه

« الجيزة » نجاتى عبد الرحمن

---

(١) كانت له حادثة تاريخية مع الملك فؤاد وقف فيها الفقيد موقفاً مشهوراً ونصره الله عليه وعلى السادة العلماء الذين آزروا الملك فى ذلك الوقت وظل للشيخ حامد مركز خاص عند الملك بعدها .

لماذا يامجلة الأزهر ؟

أمجاملة على حساب الحق . . . أم تهاون فى الواجب

كتب صاحب الفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين مقالا عن وحدة الوجود ، وجدنا فيه من المغالطات ما أخذناه عليه وسردناه بمقال فندنا فيه عناصره ، ورددنا فيه على أباطيل الشعوبية ، ونادينا فيه بالرجوع إلى المورد الصافى والبلسم الشافى ، والتزام الكتاب والسنة من غير « لف ولا دوران » ومن غير تكلف فى تسويغ عقائد القرامطة والباطنية والحلولية ، من الذين وقفوا حياتهم للكيد لدين الله تحت ستار « التصوف » .

وكان المقال كما رآه قراء (الهدى النبوى) مجانباً كل المجانبة الخروج عن الموضوعية ، ناهجاً النهج العلمى الذى نطالب به كل من يخالفنا أن يلتزمه ، حتى نقرب شقة الخلاف بين أبناء هذه الأمة ونحقق الغاية التى يريدها الله من وحدة هذه الأمة ، والتفافها حول راية واحدة وكلمة واحدة ، وشعار واحد ، من غير شطط ولا شطح ولا خرف (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

إلا أن مجلة الأزهر الغراء ، ولسان حال أقدم جامعة فى البلاد كانت ولا زالت مثابة الدين ومنار المهتدين ، قد حادت عن نهجها القويم فخابت « الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين » بإحجامها عن نشر ردنا — ولا نزكى على الله أحداً إذا قلنا — الملزم المفحم .

لذلك فإن لى على هذه المجلة — أعنى مجلة الأزهر — عتاباً صافياً لا يكدره شىء ، ما دام القصد الدعوة إلى الحق والوصول إليه ، وما دام أملنا لم ينقطع فى إصلاح كل عيب

نراه ، ولسنا من القانطين من هداية كل حائد عن صراط الله المستقيم . عتاب المحب المشفق على مكانتها فى نفوس المسلمين لكونها تحمل اسماً كريماً ، لا اسماً كريهاً ، وتحمل شعاراً يوحى بالعمل لله وبالله . أشفق وأيم الله أن توصم بالمحاباة فيحق عليها قول حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » كنت أحب أن أجدها تسير على النهج المرسوم فى بقية الحديث « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

اعتبرى ما رددنا به على الدكتور من الآراء الحرة التى ينبغى أن يتسع لها صدرك الحر . أو اعتبرى ما كتباه وجهة نظر معتبرة قال بها أئمة من قبلنا لهم مكانتهم ووجاهتهم ، ولسنا بدعاً فى الرد على ضلالات القرامطة والشعوبيين . أو اعتبرى أن الرد كلاما يَرِدُ على ما كتبه الدكتور ، بغض النظر عن كل هاتيك الاعتبارات حتى تكونى منطقية مع قرائك ومحبيك يامجلة الأزهر . . .

يامجلة الأزهر : كونى شريفة من شرف الأزهر الذى تحملين اسمه العظيم . . . يامجلة الأزهر . . . رعاك الله ووفق القائمين على إصدارك إلى الحق ، وهدانا وإياهم سواء السبيل ، ولا نملك إلا هذا . فإن لنا وإياهم يوما تنداح فيه الذوات والشخصيات وتماع الدرجات والألقاب والمناصب . وتتساوى أقدام الخلائق فى القيام لله ، ويعلم كل امرىء ما قدمت يداه ، من غمط الحق ونشر الباطل ، وإعطاء الفرصة للقول الزائف أن يشيع ويذيع ، والأخذ بحجزة الرأى المناهض للباطل أن يبطش به (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) صدق الله العظيم .

وكتبه

محمد نجيب المطيعى

باب الفتاوى

أسئلة

أخى فى الله فضيلة الأستاذ محمد خليل هراس . أرجو من سيادتكم الرد على هذه الأسئلة : ـ

أولا : ـ يوجد بمنطقة السد العالى بالمستعمرة الحكومية مسجد بنى من أوله على « التوحيد » وحصل فيه بعض الخلافات . ونريد إفادتنا .

س ١ : ـ هل تصح الصلاة فى المسجد إذا كان فيه قبر . مع العلم بأن الناس تجتمع فيه لصلاتى الجمعة والجماعة وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط ؟ .

س ٢ : ـ ما الحكم فى رجل يتعمد الصلاة بالرأس عارية ، وما الحكم فى رجل يتعمد أن يصلى والرأس كاسية (مغطاة) ؟

س ٣ : ـ ما الحكم فيمن يحتفظ بصور فوتوغرافية على سبيل الذكرى ، وماالحكم الشرعى فى تعليق بعض الآيات القرآنية على جدران المساجد والمنازل ؟

محمد ياقوت أحمد أبو حمدة

موظف بالسد العالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ج ١ ـ لما كان توحيد الإلهية وهو عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين كله له هو رأس الإسلام وأساسه فقد احتاطت له الشريعة أعظم الاحتياط فحرمت كل قول أو عمل من شأنه أن يخرق سياج التوحيد ويفضى إلى الإشراك ، ومن مثل ذلك بناء المساجد على القبور .

وقد وردت أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر المعنوى فى الوعيد الشديد لمن فعل ذلك كقوله عليه السلام فيما رواه مالك فى الموطأ (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وكقوله (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) .

وكقوله (إن من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد) .

وبناء على ذلك فيجب نبش القبر وإخراج ما فيه من بقايا عظام ورفات ودفنها فى مكان آخر وتسوية القبر وإدخاله فى المسجد ، ولا يكفى عمل حائط أو حاجز إذا كان القبر داخل المسجد .

ج ٢ ـ لم يكن من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعمد للصلاة حالة من كشف الرأس أو تغطيتها ، فكان يصلى حاسر الرأس أحياناً وأحياناً كان يلبس عمامة على قلنسوة وأحياناً قلنسوة بلا عمامة، فلم يكن يتكلف للصلاة شيئاً إلا ما أمر الله به من أخذ الزينة ، وهى الثياب التى تستر العورة ومن طهارة البدن والثوب والمكان ، إلى غير ذلك من الأمور المعتبرة فى صحة الصلاة أو كمالها . ومعلوم أن هديه صلى الله عليه وسلم أكمل الهدى ، ونحن مأمورون بالاقتداء به . فيجب أن لا نتكلف للصلاة حالة بعينها تظن أنها أفضل من غيرها فإن ذلك شرع ما لم يأذن به الله .

ج ٣ ـ من الأمور التى حرمها الإسلام احتياطاً للتوحيد وسداً لذريعة الشرك ، اتخاذ الصور والتماثيل . وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا الباب بعضها مطلق وبعضها مقيد . ولهذا كثر نزاع العلماء فيما يحرم ويحل من هذه الصور ، فبعضهم حرمها مطلقاً سواء كانت ذات جرم يمكن أن تحل فيها الروح أو كانت نقشاً فى ثوب ونحوه كتلك الصور الشمسية التى تلتقط بواسطة الآلة المعدة لذلك . والصحيح أنه لا يحرم من صور الحيوان إلا ما كان على هيئة تمثال مجسم وكان بحيث تحله الروح .

وأما تلك الرقوم والنقوش والصور الظلية التى توجد فى الصحف والمجلات والتى

تستعمل للأغراض العلمية فلا بأس بها ، إن شاء الله ، إذا لم تكن ذريعة إلى محرم أو مفضية إلى تعظيم المخلوق وعبادته .

وأما كتابة الآيات القرآنية على جدران المساجد فغير جائز لأنه قد يلهى المصلى عن صلاته كما أنه من قبيل الزخرفة المنهى عنها بالنسبة للمساجد .

وأما كتابتها على جدران المنازل فلا بأس . إذا كانت لا تنالها الأيدى ولا يصيبها قذر والله أعلم .

إلى جماعة أنصار السنة المحمدية أرجو ـ أن تبينوا من الراوى لهذه الأحاديث وهل هى صحيحة أو ضعيفة ؟ ولكم مزيد الشكر

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ـ ١ ـ « أمتى لاتجتمع على الخطأ أو على الضلالة » ـ ٢ ـ وقال : « يد الله مع الجماعة »

ـ ٣ ـ وقال « ما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح »

يحي محسن الحزى اليمانى

مدينة البعوث الإسلامية ـ القاهرة

١ ـ حديث لا تجتمع أمتى [1] على خطأ أو على ضلالة حديث مشهور وقد وردت فى معناه أحاديث صحيحة كثيرة . قال بعض العلماء إنها متواترة المعنى كما شهدت له بعض الآيات مثل قوله تعالى من سورة البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) وقد ورد فى تفسير الوسط أنهم عدول مزكون بالعلم والعمل .

---

(١) ولكن لا يظن السائل أن أمته هذه الكثرة من الناس ولكن أمته المنوه عنهم هم المتبعون لسنته المهتدون بهديه . أما المشاقون له المتبعون غير طريقه فلا يدخلون فى القصد الذى قصده الحديث .

ومثل قوله سبحانه من سورة النساء (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولى ونُصله جهنم وساءت مصيرا)

وقد احتج الشافعى رحمه الله بهذه الآية على حجية الإجماع فإنهـا جعلت مخالفة الإجماع وهو سبيل المؤمنين كمخالفة النص التى هى مشاقة الرسول ، ورتب عليهما جزاء واحداً . وأما حديث (يد الله على الجماعة) فهو أيضاً حديث صحيح روى من عدة طرق كلها صحيحة. منها ما رواه زر بن حبيش عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب الناس بالشام فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قيامى فيكم فقال «من أراد بحبحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد »

ومنها ما رواه الإمام أحمد عن الحارث الأشعرى من حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام وقد جاء فى آخره « وأنا آمركم بخمس أمرنى الله عز وجل بهن : الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل الله عز وجل فمن فارق الجماعه قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع »

وأما حديث (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) فلا أعرف له سندا والله أعلم .

* * *

(١) هل يصح تقليد المذاهب كما فى الكتب الموجودة اليوم بأيدى المسلمين ، التى تتضمن أحكاماً وحدوداً ومسائل محذوفة السند اعتماداً على قول مؤلفيها ، كمذهب مالك أو الشافعى مثلا ؟

(٢) هل يصح الصوم مع عدم رؤية الهلال وصفاء السماء من السحب والرياح

لقرية بها مائة رجل ، وهل يصح اعتمادهم فى الصوم والإفطار على خبر من قاضٍ لا يحكم بكتاب الله ؟؟

(٣) لو ذهبت من السودان إلى الحجاز وأمرت بطلوع عرفة ثامن رؤيتى والنحر تاسع رؤيتى هل يصح هذا الحج أم لا ؟ ؟

بابكر موسى حمدان
درديب ــ السودان

جـ ١ : لا يجوز لأحد من المسلمين تقليد مذهب بعينه من المذاهب المعروفة بل يجب عليه أن يسأل عن حكم الله فى المسألة فإذا ذكر له دليله من الكتاب أو السنة فحسبه هذا وعليه أن يعمل بما قام عليه الدليل .

وجميع الأئمة رحمهم الله قد نهوا الناس عن تقليدهم بغير أن يعلموا من أين أخذوا .

وأما كتب المذاهب الموجودة الآن بيننا فهى وإن تضمنت بعض مذاهب الأئمة لا يجوز التعويل عليها فقد زاد فيها المتأخرون ما شاء لهم الخيال من تعديلات وتفريعات .

وبالجملة فما دامت مصادر الدين من الكتاب والسنة موجودة بيننا ويمكن أخذ الحكم منها بأسهل من الرجوع إلى كتب المذاهب ، فلا يجوز لأحد أن يعدل عنها إلى غيرها ، وإلا كان معرضاً عن حكم الله ورسوله .

جـ ٢ : يثبت هلال رمضان برؤية واحد عدل مادامت السماء صافية ليس بها علة من غيم أو قتر ، وعلى كل من علم بخبر هذه الرؤية أن يصبح صائما وأما الخروج من رمضان برؤية هلال شوال فلا بد فيه من شاهدين .

جـ ٣ : وأما من ذهب من السودان إلى الحجاز فوجد يوم عرفة موافقا لثامن رؤيته ويوم النحر موافقاً لتاسع فعليه أن يتبع جمهور المسلمين فى وقوفهم ونحرهم ولا يعتد برؤيته هو والله أعلم .

لى سؤال آمل أن تتكرموا بالإجابة عليه مشكورين ولكم من الله أحسن الجزاء على ما تقدمونه لنا من خير فى أمر هذا الدين الحنيف وهو :

(ا) هل هناك من يسمى بالعبد فى الإسلام ؟

(ب) هل فى الوقت الحاضر عبيد فى نظر الإسلام ؟

(جـ) وإذا كان هناك عبد ، فمن هو ؟

مصطفى ابراهيم أحمد
السودان ـ أبوديس ـ أمكى

جـ ١ : كان يقال للرجل المملوك الرقبة عبداً وللأمة المملوكة عبدة كما كان يقال لمالكه ربا وللمالكة ربة فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الألفاظ لما فيها من الإهانة والإذلال وتشبيه المخلوق بالخالق وأمر أن يقول السيد : فتاى وفتاتى . وأن يقول العبد سيدى وسيدتى ، وليس هناك فى الوقت الحاضر سبب للرق فإن سببه هو قتال الكفار ، فإذا أخذ بعض رجالهم أسرى أو سبى بعض نسائهم وذراريهم كان لإمام المسلمين أن يسترقهم ويقسمهم بين المحاربين والرق كان ضرورة فى الإسلام ولكن مادامت الأمم قد اتفقت على تحريم الرق فليس فى الإسلام ما يمنع من ذلك أخذاً بمبدأ المعاملة بالمثل والله أعلم

* * *

١ : وجدنا فى تفسير ابن كثير ما يؤكد نزول عيسى عليه السلام . وهذه عقيدة ، والرجاء البيان الشافى لكى نكون على بينة

٢ : كثير من الناس يستدلون على علم الغيب لغير الله ، بآية (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول) افتونا مأجورين ولكم من الله الأجر الأوفى

حسن مكى
خشم القربة : سودان

جـ ١ : وردت أحاديث صحيحة متفق عليها تفيد أن عيسى بن مريم عليهما السلام

سينزل قرب قيام الساعة فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف .

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن عيسى رفع حيا كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث وأنه سينزل إلى الأرض فى آخر الزمان فلا يصبح الإلتفات إلى أقوال المبتدعة الذين يحكمون بموت عيسى ودفنه وينكرون أحاديث نزوله وهى تكاد تكون متواتره .

جـ ٢ : لا يجوز لأحد أن يحتج بقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) على أن غير الله عز وجل يعلم الغيب ، فإن الآية مسوقة لبيان أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، وإذا اختار رسولا من البشر فإنه يطلعه من علم الغيب على ما يشاء ويوحى به إليه .

وكيف يجوز أن يظن أن غير الله يعلم الغيب بدون تعليم من الله عز وجل ، مع قوله تعالى من سورة الأعراف (قل لا أملك لنفس نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) .

ومع قوله من سورة الأنعام (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى مَلَك) وفى الحديث الصحيح : خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) .

محمد خليل هراس

الجدل بالقرآن

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى .

خطبة منبرية :

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أعد للمتقين جنة عرضها السموات ، وأخفى لهم فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وجعلها ميراث المؤمنين من أبيهم آدم فقال تعالى : (أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين ، هو الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء ، وإنها لقريبة من المحسنين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا الرحيم رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وحجة على الخلائق أجمعين ، وجعل الجنة لمن سار وراءه ، واتبع سبيله على بصيرة وإيمان واخلاص ، وسد دون الجنة الطرق كلها إلا طريقه . فالسعادة الحقة فى اتباعه ، والشقاء والعذاب الأليم فى مخالفته وعصيانه . صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى خلق أبانا آدم بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وأسجد له ملائكته ، وخلق له من نفسه زوجه ليسكن إليها ، ويأنس بها ، وأسكنه جنته ، ووعده أنه لا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، وحذره من الشيطان ، وأنه عدو له ولزوجه . ولكنه عليه السلام نسى ولم يكن له عزم فاستمع إلى إغراء الشيطان وإغوائه وعصى ربه فأخرجه هو وزوجه من الجنة وأهبطهما إلى الأرض ، وغفر لهما ذنبهما وتاب عليهما . وظل آدم نادماً على عصيانه ، ويَحِنُّ إلى الجنة التى أُخرج منها ، وأورث أبناءه هذا الحنين إلى الجنة . فكل أبناء آدم يعملون العمل الذى يرجون به أن يدخلوا الجنة ، منهم من يصيب الطريق ويهتدى إليه ، ومنهم من يخطىء الطريق ويضل عنه . ولا زال رسل الله يبعثون إليهم ليدلُّوهم إلى طريق الجنة ، حتى ختموا بسيد ولد آدم رسولنا عليه الصلاة والسلام ،

وستظل رسالته تنير الطريق للسالكين إلى الجنة ، وتضع لهم العلامات الهادية إليها حتى تقوم الساعة .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى قد حدد الطريق إلى جنته بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال سبحانه : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصانى ولو كان حراً قرشياً » ، وقال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أَبَى ، قيل : ومن أبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » ، وقال : « إنما مَثَلِي ومَثَلُ ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : ياقوم إنى رأيت الجيشَ بعينىَّ ، وإنى أنا النذير العريان ؛ فالنجاء النجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مَهَلهم ، فنجوا . وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مَثَلُ من أطاعنى فاتبع ما جئت به ، ومن عصانى وكذَّب ماجئت به من الحق » . فطريق الجنة ، أيها الأخوة ، طاعة الله ورسوله ، وهو يسيرٌ على من يَسَّرَه الله عليه ، وطريق النار – والعياذ بالله – معصية الله ورسوله ، ولا يسلكه إلا من خذله الله ، نسأل الله العافية .

أيها المسلمون . إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) نزل فى عذاب القبر . وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله كثيراً من عذاب القبر . وكان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيكم ، ثم سلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » ؛ فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ؛ فالمؤمن يرى منه منزله فى الجنة ؛ فلا يزال فى نعيم وسعادة حتى يبعث ويدخلها بسلام آمناً . والكافر يرى من قبره حفرة فى جهنم ، فلا يزال فى عذاب ونكد حتى يبعث ويلقى فيها وهو مهين .

إن الله سبحانه وتعالى قد بين فى كتابه الـكريم أن التوحيـد هو رأس الأعمال والعقائد التى يستحق العبد بها أن يدخله الله الجنة ، وأنه سبحانه قد حجب التوبة والمغفرة عمن أشرك به أحداً من خلقه فى عقيدة أو عبادة أو عمل لا يجوز التوجه بها إلا إليه وحده كالرجاء والخوف والسؤال والنذر والحلف وغير ذلك من أعمال القلوب أو ، الجوارح ، وأن يكون العمل خالصاً لا يشوبه رياء ولا نفاق ، وأن تـكون فيه متبعاً لـكتاب الله وسنة رسوله ، لا متبعاً للبدع والضـلالات التى أوحاها شياطين الجن إلى شياطين الإنس .

وأفضل الأعمال بعد التوحيد أداء ما افترضه الله عليك من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ثم تزداد بعد ذلك تقربا إلى الله بالنوافل ، واعلم ياأخى أن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجد كثيراً من النـاس يتصدق بالقليل أو الـكثير على الفقراء والمساكين ، فهل لمثل هذه الصدقة قيمة عند الله لمن عطل فريضة الله زكاة المال ؟ يجب أولا أن تؤدى الفريضة وهى ربع العشر من مالك متى تم النصاب وحال عليه الحول ، بهذا فقط يقبـل الله صدقاتك من النوافل ، ويرفعك بها الدرجات العالية فى الجنة بمنّه وفضله.

ثم يأتى بعد ذلك مداومة ذكر الله تعالى ، وأفضله ما وافق القلب فيه اللسان ،فلا فائدة بالذكر باللسان والقلب غافل ، ساه ، لاه . ولا فائدة من ذكر لا يصدقه عمل ، فالعمل الصالح خير دليل على صدق الذاكر وإخلاصه ، إن التاجر أو الزارع أو الصانع أو الموظف التى لا يتقن عمله ويؤديه خير إداء فى أمانة وصدق وإخلاص ومراقبة لله فيما يعمل يكون مرائياً فى ذكره إذا غش أو بخس أو سرق أو لم يتقن عمله . وقد بين الله سبحانه وتعالى فى كتابه ، وبين رسوله عليه الصلاة والسلام فى حديثه أن أوسع أبواب الجنة هو باب الذكر ، فقال تعالى : (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال : (وعرضنا جهنم يومئذ للـكافرين عرضاً . الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى

وكانوا لا يستطيعون سمعاً) فالذاكرون أهل الجنة جعلني الله وإياكم منهم ، والغافلون هم أهل النار لنسيانهم الله ، نعوذ بالله أن نكون منهم .

وقد فاضت الأحاديث النبوية بالأذكار التى كان يرددها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر أصحابه رضوان الله عليهم أن يرطبوا بها ألسنتهم ليكونوا محل رحمة الله ورضوانه وعفوه ومغفرته من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفرلى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم قال : من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنز الجنة » وقال : « من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة » وقال « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يامحمد ، أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وغراسها سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . وهكذا كان يعلم معالم الخير عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات أمته ويهديهم إلى أقرب طريق إلى الجنة ، وإن رحمة الله وفضله وجنته قريب جداً من أهل التقوى والإخلاص وسلامة القلب من الحقد والحسد والضغن ، وقد قال رسول الله : « إن الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعليه ، وإن النار مثل ذلك » . وروى عنه أنه كان يوما فى مجلس مع بعض أصحابه فقال ما معناه : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فظهر رجل من عامة الناس يقطر من يديه ماء الوضوء ، ثم قال مثل ذلك فى اليوم التالى فظهر نفس الرجل ، ثم قال مثل ذلك فى اليوم الثالث فظهر نفس الرجل . فقال ابن عمر رضى الله عنهما : والله لأرَيَنّ ماوراء هذا الرجل ، فتتبعه حتى دخل بيته ، فدق عليه الباب ، ففتح له ، فقال له ابن عمر : إنى قد غاضبت أبى وأود أن أبيت عندك،

فرد عليه أهلا وسهلا ومرحباً ، فبات عنده ليلته وهو يرقبه ، فوجده نام نوما عميقاً لم يوقظه إلا النداء للفجر ، وظل يفعل ذلك ثلاث ليال وهو لا يرى منه إلا مارأى فى الليلة الأولى من النوم حتى الفجر . فتعجب ابن عمر من إمره وقال له : والله ياعماه ماجئتك مغاضباً ، إنما أردت أن أعرف من حالك ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فبماذا نلت مانلت ؟ فأجاب أما حالى فما قد رأيت ، غير أنى أعلم من نفسى إننى إذا وضعت جنبى للنوم ، صفحت عن كل من أساء إلىَّ فى يومى ، وأحللته من كل مانال منى ، فأبيت ليس فى قلبى ضغن ولا حقد على أحد . فانظروا – أيها الأخوة – كيف كان سلامة صدر هذا الرجل سبباً فى دخوله الجنة ، وذلك مصداق قوله تعالى : (ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم) قد سلم قلبه من الشرك بالله ، وسلم قلبه من الإعراض عن ذكر الله ، وسلم قلبه من مجافاة رسول الله ، وسلم قلبه من الضغن والحقد لعباد الله ، فكان من الفائزين . ومما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب قوله : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا – أى أتركوا – هذين حتى يصطلحا » .

ومن أعظم أسباب المغفرة ودخول الجنة بإذن الله : الحب فى الله ، والبغض فى الله ، فتحب ما يحب الله ومن يحبه الله، وتبغض مايبغض الله ومن يبغضه الله . والله سبحانه وتعالى يحب المؤمنين ، ويحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويكره الكافرين المشركين المتمردين على دينه المعطلين لأحكامه وشرائعه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوثق عرى الإيمان الحب فى الله ، والبغض فى الله » . وقال فى الحديث القدسى : « يقول الله عز وجل يوم القيامة ، أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » وقال عليه السلام : « إن فى الجنة لعُمُداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد ، لها أبواب مفتحة تضىء كما يضىء الكوكب الدُّرِّىُّ . فقالوا : يا رسول الله ، من يسكنها ؟ قال : المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتلاقون فى الله » .

اللهم إنا نسألك حبَّك ، وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنا حبك . اللهم اجعل حبَّك أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلنا . ونسألك اللهم الهدى ، والتقى ، والعفاف والغنى . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله ومن اتبعه إلى يوم الدين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى كتب على نفسه الرحمة ، وله ماسكن فى الليل والنهار ،وهو السميع العليم ، قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . من يُصرف عنه يومئذ فقد رحمه ، وذلك الفوز العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله الفعال لما يريد ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم وجهركم ، ويعلم ما تكسبون .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وسفيره إلى عباده . خاتم النبيين ، وصفوة الخلق أجمعين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى قد أعد بفضله وكرمه ، وجوده ومَنّه ، لعباده المؤمنين المتقين جنةً أفاضت آيُ الذكر الحكيم فى وصفها وبيان ما أدخره لهم فيها من النعيم والكرامة ، وإن نفوس المؤمنين لتشتاق إليها ، وتتوق إلى دخولها ، وتزود بالتقوى والعمل الصالح لها . من ذلك قوله تعالى : إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، لايمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين) . سلام وأمن ، وأخوة لا يكدرها غِلٌّ ، وراحة ولا تعب ، ونعيم مقيم دائم ، فأى سعادة وأى سرور وأى ترف أعظم من هذا . ويقول الله تعالى وقوله الحق : (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من

ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) أى وعد أصدق من وعد الله ، وأى بشرى تدخل الطمأنينة فى القوب أجمل من هذه البشرى ، يناديهم ربهم بأحب صفاتهم إليه وهى العبودية له وحده ، ويسكن روعهم بأن لا يخافوا مما هم قادمون عليه من أهوال يوم القيامة ، فلن تزل أقدامهم وقد كانت ثابتة على دينه فى الدنيا ، وأن لا يحزنوا على ما فاتهم وقلة زادهم لهذا اليوم ، فإن إيمانهم بآياته وإسلامهم لأمره وشرعه قد نجياهم من عقوبته . فليدخلوا جنته ودار كرامته هم وأمثالهم وأشباههم من المسلمين ، وليتمتعوا بما أعد لهم فيها مما تشتهيه الأنفس من مأكل ومشرب وملبس ، وتلذ الأعين من حور وولدان .

وتمضى آيات الله فى وصف نعيم الجنة فتقول : إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ، ذلك هو الفوز العظيم) إنه لأعظم الفوز ، وأكبر الهناء ، وأتم النعيم ، وأكمل السعادة . راحة النفس ، وسرور القلب ، وفرح الروح . أطيب الحياة ، وأرغد العيش .

ويرتب القرآن نعيم الجنة على عمل الدنيا كقوله تعالى : (أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فإنكم قد استحققتموها بعملكم للصالحات ، وثباتكم على الطاعات ، لا بالوساطات والشفاعات ، ولا جزافاً ولا محاباة . وقوله تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يُسقوْن من رحيق مختوم . ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عيناً يشرب بها المقربون) هذا عاقبة الأبرار ، والبرّ كلمة جامعة لكل أعمال الخير : البر بالوالدين والإحسان إليهما ، البر بالأزواج والأبناء ، البر بكل من تربطك به صلة من الصلات ، بل إنها تشمل جميع

أعمال القلب والجوارح لقوله تعالى . (ولكن البر من آمن بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدون ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون) فكل هذه الأعمال والطاعات والقربات البدنية والمالية والقلبية هى من البر الذى يجزى الله أصحابها بالنعيم والأرائك والرحيق المختوم فهلموا فتنافسوا فى أعمال البر أيها المسلمون ، فكل سباق فى غير هذا الميدان باطل وكل عامل فى غير هذا المضمار عاطل .

ويقول ربنا تبارك وتعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا . ودانيةً عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون ، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا . وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ، وحلوا أساور من فضة ، وسقاهم ربهم شراباً طهوراً . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) إن برهم ووفاءهم بالعهد ، وخوفهم من عذاب الله ، وإطعامهم للجائع ابتغاء وجه الله ، كان سبباً فى وقايتهم من شر يوم القيامة ، ودخلوهم الجنة يتنعمون فيها بما ذكرت الآيات من أنواع النعيم ورغد العيش ، جزاء وفاقاً ، وسعياً مشكوراً .

وروِيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديثُ كثيرة فى الصِّحاح والسنن تصف ما أعد الله تعالى للمؤمنين من عباده فى دار كرامته، ومنازل رضوانه من جنات النعيم، من ذلك قوله عليه السلام فى الحديث القدسى الذى يرويه عن رب العزة سبحانه: « قال تعالى. أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال: واقرأوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وقال عليه الصلاة والسلام: « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ولا يتفلون، قالوا: فما بالُ الطعام، قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفَس » وقال « إن أهل الجنة يترآءيون ـ أى ينظرون ـ أهل الغرف من فوقهم كما يترآءيون الكوكب الدرى الغابر ـ أى البعيد ـ فى الأفق، لتفاضل مابينهم. قالوا: يا رسول الله، منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين » وقال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، ينادى منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتو أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً » وقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول تعالى: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيرُفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم. ثم قرأ: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ». هذا قليل من كثير من الأحاديث التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم فى نعيم أهل الجنة، جعلنى الله وإياكم منهم بمنِّه وكرمه.

اللهم إنا نضرع إليك أن تغفر لنا ذنوبنا. وإسرافنا فى أمرنا، وأن تسترعيوبنا، ولا تخزنا يوم القيامة، ووفقنا لطاعتك، واتباع رسولك، واجعلنا من أهل جنتك ورضوانك، ياسميع ياقريب يامجيب. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

سليمان رشاد محمد

« يهدى الله لنوره من يشاء »

أرسل إلينا الأخ الكريم الأستاذ يوسف محمد سليمان سكرتير الجماعة بأسوان الخطاب الوارد إليه من الأخ السيد الفندور المنشور بعد ، عن هداية الله لهذا الأخ إلى التوحيد الحق ، ويرجونا نشره ، ويقول « فقد فرحت جداً بهداية الله تعالى له إلى نور التوحيد والإيمان ، عن طريق أخيه الشاب المخلص بالجيش « محمد أحمد على عطيه » وأردت أن تشاركونى فى هذه الفرحة ، بنشر خطابه تشجيعاً له ولأمثاله ، و « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم » . وأرجو لو تكرمتم بإمداده ببعض الكتب السلفية ، من مكتبة الجماعة ، والله تعالى يأخذ وناصيته إلى طريق الحق والخير والفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة » .

وهذا هو الخطاب :

* * *

أخى فى الله : لقد شاءت قدرة العلى العظيم ، أن ألتقى بأحد الاخوان الموحدين على غير موعد منا . ولكنه الموعد الذى شاءته إرادة الله . هذا الذى كان سبباً فى الأخذ بيدى من الطريق الذى كنت أتخبط فيه ، بين كتب صوفية محشوة بالخرافات والترهات والأضاليل . وبين متعالمين ينسبون أنفسهم لدين الله باسم الواعظين المرشدين . وبالعكس . علمت أخيراً أنهم سبب غربة هذا الدين فى أرضه ، بإعراضهم عن الحق وعدم بيانه للناس ، ولم يخشوا سطوة الجبار ـ القائل فى وعيد أمثالهم : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) كان لقائى مع الأخ محمد أحمد على عطية بداية طريق الحق الذى شاءت لى قدرة الله أن أتخذه سبيلى ، وتفتحت عينى . على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجعلتهما ميزانا لكل ما أقرأه أو أسمعه .

نعم أنى بعد سيرى فى هذا الطريق وجدت كثيراً من الناس قد انفضوا من حولى . ووجدتنى أتكلم وكأنى غريب ، ولكن هذه الغربه قد رضيت بها وطابت نفسى وقرت عينى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) أخى إن حداثة عهدى بهذا الطريق المستقيم ، بل وإنه بعد إسلامى كما أحست نفسى أخيراً بالفرق بين التوحيد والشرك لم يتسن لى الحصول على كثير من كتب السنة فأرسلت إليك هذا طالبا من الله أن يوفقنا وإياك إلى تبليغ هذا الهدى النبوى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ففتح به أعيناً عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا .

أخى . أرفع معى أكف الضراعة إلى الله وقل : اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علماً . لقد وصلتنى هديتك (صيحة الحق) وهى أعظم هدية يهديها أخ لأخيه ذلك الكتاب الذى زادالطريق أمامى وضوحاً ولكنى فى حاجة ماسة إلى الزيادة ، فأرجو إعارتى بعض الكتب التى تعلمون أنها بمثابة السلاح الذى يشهر فى وجه المعارضين .

وأخيراً أطلب لكم من الله التوفيق فى نشر هذه الدعوة مبينين للناس ما خفى عليهم داعين لنا بالتوفيق للاعتصام بحبل الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

أخـــوك

السيد أحمد الغندور

الجهاد هو السبيل

لحل قضية فلسطين

عنوان القصيدة من شعر الأستاذ عبد المنعم محمد عبد الرحمن وجه فى مستهلها الخطاب إلى اليهود فقال :

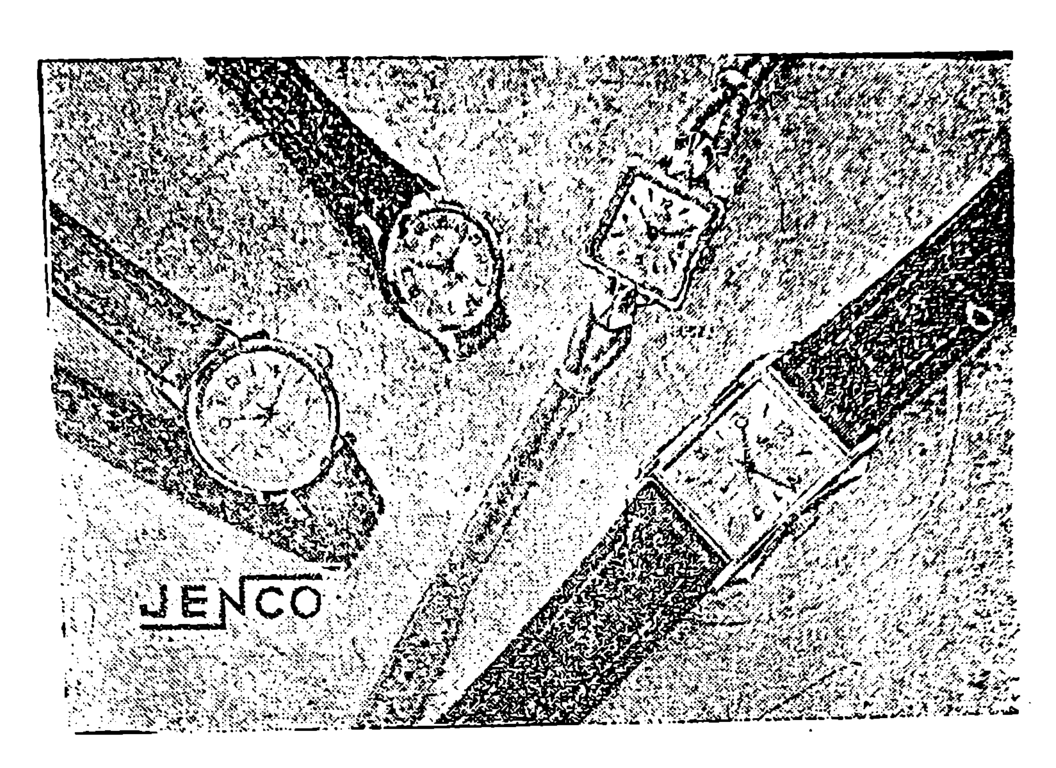
يا أمة الهود والأنجـاس والدَّخَلِ والغدر والختل والأشتات والهَمَلِ

ونحن نعتذر عن نشرها لضيق المقام .

موطن الداء فى الإنسان

لســـانه

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده ، وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانى ، ثم قال : « كُفَّ عليك هذا » قلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال « ثكلتك أمك ! وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو قال على مناخرهم — إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذى


JENCO


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الحادى عشر
ذو القعدة
المجلد ٢٩
تصدرها
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	تفسير القرآن الكريم . . .	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٤	تقدير لكتاب « البهائية »	
١٥	نظرات فى المجتمع	للأستاذ السيد رزق الطويل
٢٠	الطلاق وأحكامه	« عبد اللطيف حسين
٢٩	من علم السنة	« محمد نجيب المطيعى
٣٤	الشيوعية تعانق الصوفية	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشوان

الاشتراك السنوى
٣٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العــدد ١١ — ذو القعدة سنة ١٣٨٤ — المجـلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ؟! * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٦ .

« المعــنى[1] »

قلت فى العدد السابق ما يأتى : « فى الآية السابقة بين الله ـ سبحانه ـ مصير الذين يتخذون عباده من دونه أولياء ، وحَسْبُنا بيانا عنه قول ربنا : (إنا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ للكافرين نزلا) .

---

(١) تكلمت عن معانى المفردات فى العدد السابق .

هذه صيحة الحق تتجاوب بها الأرض والسماوات . فمن ذا الذى يجرؤ على أن يجعل له من دون الله ولياً ؟

ثم تكلمت عما يقوِّم به الإسلام العمل . وهو أن تكون الإرادة خَيِّرة ، وأن العمل موافقاً لما سنه الله سبحانه . وقلت : ليس كل مسعى يهدى إلى الآخرة ؛ إذ للآخرة سعيُها الخاص بها مهتدياً بقوله سبحانه : (وَمَنْ أراد الآخرة ، وسعى لها سَعْيَها ، وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) الإسراء : ١٩ كما بينت أن الإرادة الحقة هى التى يصاحبها عمل يتحدث عنها ، وأن الإرادة الخيرة هى التى تريد وجه الله .

ملحوظة هامة : كما بينت أن الإرادة يجب أن تكون على بينة من صفات الله وأسمائه التى وصف بها ، وسمى نفسه ، لأن لاسم « الله » مفهومات متعددة فى أذهان الناس وأصحاب النحل والملل . كما قلت : « لهذا كان الإيمان بصفات الله وأسمائه المذكورة فى القرآن فيصلا بين الإيمان النبيل والكفر الدنىء . والإرادة التى تنبعث عن إيمان منحرف عن هذا السبيل إرادة مرفوضة ، وكل عمل ينتج عنها عمل غير مقبول » ثم ختمت قولى بما يأتى :

« وبهذا نستطيع أن نفهم ألا تعارض مطلقاً بين مفهوم الآيات التى نشرحها ، وبين قوله سبحانه : (وليس عليكم جُنَاحٌ فيما أخطأتُم به ، ولكن ما تعمَّدت قُلُوبُكم) الأحزاب : ٥ . إذ يذكرنا مُذَكِّرٌ كريم بهذه الآيه وبالحديث : « إنما الأعمال بالنيات » ثم يقول . وهؤلاء الأخسرون أعمالا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فنياتهم طيبة أو إرادتهم طيبة ، فكيف يوصفون بأنهم الأخسرون ؟ .

والذى يقرأ ما قدمت يتضح له أن الله يحاسب هؤلاء الأخسرين أعمالا على ماتعمدت قلوبهم ، فقد دانوا بعقيدة غير سوية ، عقيدة ضالة ، فنتجت عنها إرادة ضالة ، وعمل ضال .

إن النية خاطئة ، والإرادة خاطئة ، والعمل خاطىء أو قل : الإيمان غير صادق .

وتذكر قول الله : « فمن يَعْمَلْ من الصالحات ، وهو مؤمن ، فلا كفران لسعيه » فأين إيمان الأخسرين أعمالا ؟ .

وأين العمل الصالح ؟ .

وتذكر : « فاستقم كما أُمرت » فهل استقام هؤلاء على أمر الله ؟ » .

وأقول : لو أن هؤلاء استقاموا على أمر الله كما أمر الله ما ضَلَّ لهم فى الحياة سعى ولا نبا بهم عن الحقيقة حكم . إن الله لم يصف هؤلاء الأخسرين أعمالا بأن لهم نوايا طيبة أو إرادات خَيِّرة ، وإنما وصفهم بأن لهم سعياً ضالاً ، وعقولاً ضالة تحكم على الشر بأنه خير ، وعلى الضلال بأنه هدى .

فقال ـ جل شأنه ـ : « ضل سعيهم فى الحيـاة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .

أين الإرادة هنا ؟ أهى هذا الحسبان ؟ أهى هذا الظن بأنفسهم أنهم يُحْسنون صُنْعاً ؟ ! . إن هذا الحسبان أو الظن لا يُعَدُّ أحدهما إرادة ، وإنما يعد كل منهما حكما . فما اكتفى هؤلاء بضلالة أعمالهم . وإنمـا أضافوا إليها ضلالة أخرى هى الحكم على الباطل بأنه حَقّ . الحكم الذى تثبت البيِّنات عكسه وضده ونقيضه . فـكانت لهم ضلالتان . ضلالة السعى ، وضلالة الحـكم .

إن الإرادة منقولة ـ فى الأصل ـ من راد يرود إذا سعى فى طلب حاجة . فهل الظن كذلك حتى نفهم فى الآية أنهـا حكمت على هؤلاء الأخسرين بأن لهم إرادات طيبة ، أو نوايا طيبة ، فـكيف يوصفون بأنهم الأخسرون أعمالا ؟ كلا ليس الظن هو الإرادة إنمـا الإرادة اسم لنزوع النفس إلى الشىء مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يُفعَل أو لا يُفعَل .

وسعى هؤلاء الأخسرين أعمالا قد صدر عن نزوع نفسى منهم إلى هذه الأشياء التى أتوها مع أحكام نفسية منهم بأنهـا ينبغى أن تفعل . هذا النزوع خطأ . وهذه

الأحكام النفسية ضالة عن القصد . والأعمال التي نتجت عن ضلالة لا تكون إلا ضلالا . ثم هم أتوا بحكم آخر أصدروه بعد أن جاءوا بهذه الضلالة في الإرادة والعمل الذي صاحبها . هو الظن بأنهم يحسنون صنعاً .

وهكذا يتجلى لنا بوضوح ناصع من الآية نفسها ـ لا من شرحي ـ أن الآية لا تناقض قوله سبحانه : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولا الحديث الذي يقول : « إنما الأعمال بالنيات » فما للأخسرين نيات طيبة . وإنما عندهم تعمد القلوب المحاسب عليه . ويعجبني هذا التقسيم الذي ذكره الراغب في مفرداته للخطأ . وإليك قوله : « الخطأ العدول عن الجهة ، وذلك أضرب :

أحدها : أن يريد غير ما تحسن إرادته ، فيفعله ، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان . يقال : خَطِئَ يَخْطَأ خِطْئاً وخطأً قال تعالى : (إنه كان خِطْئًا كبيراً) وقال : (إنْ كنا لخاطئين) .

والثاني : أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد . فقال : أخطأ ، فهو مُخْطِئٌ . وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل . وهذا المعنيُّ بقوله عليه السلام : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان[1] » « ومن قتل مؤمناً خطأ » .

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره : « روى بن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو الأوزاعي عن عطاء قال ابن ماجة في روايته عن ابن عباس ، وقال الطبراني وابن حبان عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » وقد روى من طريق آخر ، وأعله أحمد وأبو حاتم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان والاستكراه » ويقول الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله وأجزل له المثوبة ـ عند تفسير قوله تعالى (ربنا لا تؤخذانا إن =

والثالث : أن يريد مالا يحسن فعله ، ويتفق منه خلافه ، فهذا مخطىء فى الإرادة ومصيب فى الفعل ، فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله .. وجملة الأمر : أن من أراد شيئاً ، فاتفق منه غيره يقال : أخطأ . وإن وقع منه كما أراده يقال : أصاب وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن ، أو أراد إرادة لا يحمل أنه أخطأ » انتهى كلام الراغب .

وقد جاء الأخسرون أعمالا بالخطأ التام - كما يقول الراغب - إذ أرادوا مالا تحسن إرادته . وفعلوه ، فكانت المؤاخذة . ثم زادوا الضلالة سوءاً ، فحكموا على ما أتوا من قبيح الأفعال بأنه حَسَن !؟

ونستهدي بهدى الله سبحانه فى بسط معانى الآية .

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ » .

كلمة « هل[1] » تقرع السمع والقلب ، وتثير فيها الإصغاء والفهم ، فيهما إشارة وإنارة ، وعناية بذاتيات المخاطبين ، فيها حركة يتجاوب معها القلب بأشواقه ليعرف مضمون

= نسينا أو أخطأنا - . « هذا الدعاء لايدل على أن حكم الله فى النسيان والخطأ ألا يؤاخذ عليهما . بل قصارى مايؤخذ عنه أنهما مما يرجى العفو عنهما إذا وقع العبد فيهما بعد بذل جهده والاحتياط والتحرى والتفكر والتذكير وأخذ الدين بقوة وشعر بتقصيره »

ثم قال : « وقد يرد على هذا التفسير حديث ابن عباس المرفوع عن ابن ماجة وابن المنذر وابن حبان والدارقطنى والبيهقى فى السنن « إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وهو ضعيف لايسلم له إسناد ولكن لكثرة طرقه يعد عندهم من الحسن لغيره . وقد يقال : إن مخالفته لظاهر الآية تدل على وضعه لاضعفه إلا أن يؤول بأن هذه الأمور أنفسها مما يتجاوز عنها فى الآخرة، ولما يترتب عليها حكمه » وأقول لو كان الخطأ والنسيان معفواً عنهما بإطلاق ، ماوجبت الدية على من قتل مؤمناً خطأ . وما حاسب الله آدم على نسيانه « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » بل ماطلب الله أن ندعوه بقوله : ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأ .

(١) فى الاستفهام تقدير لشخصية السامع واحتفاء به ودعوة له ليسهم فى الحكم اللهم إلا حين يراد به غرض آخر .

السؤال بهل، وليعرف جواب هل . ومجىء « ننبئكم » يفيد أنها أخبار عظيمة ذات فائدة تثير فى النفس ما تثير من تطلع . والخسران نقصان مما أعطى الإنسان ، أو مما كان يأمل أن تأتيه زيادة عليه وفضل . وهؤلاء الذين يتكلم الله عنهم قد اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين . لقد كانت لهم تجارة مع الله يعرفون جيداً حقيقتها ولكنهم كانوا يحكمون عليها بغير الحق ، فظنوا أنها تجارة تنفع أو تغنى ، وكان لهم سعى فى سبيل رواج هذه التجارة . ولكنه السعى الخبيث الدنىء الذى يودى بصاحبه ، فما جاءت تجارتهم بغير الخسران ، ولا آبوا من سعيهم إلا بالخيبة .

« والأخسرون » أفعل تفضيل يدل على أن صفة الخسارة فى هؤلاء بادية ظاهرة أكثر من بدوها وظهورها فى قوم آخرين . وقد بين الله السبب وهو أنهم يقترفون السعى الضال ، ويحكمون عليه بأنه سعى حسن ، فهم ـ إذن ـ جاحدون مكابرون ، أو يقودهم عمى بصيرة وغمة عقل تختلط لديه قيم الأشياء ، فيرون الطيب خبيثاً والخبيث طيباً وتدبر قول الله سبحانه : (إن شر الدوابِّ عند الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الذين لا يعقلون) الأنفال : ٢٢ .

وهؤلاء شر من هذه الدواب ، ففى الدابة حِسٌّ يحذرها أحيانا مما يؤذيها ، فتجتنبه ، أما هؤلاء فما بقى لديهم إلا مايزين لهم الباطل حقاً ، والحق باطلا . والضار نافعاً ، والنافع ضاراً .

وقد وردت كلمة « أعمالا » نكرة لتشمل كل عمل سواء أكان عملا للدنيا أم كان عملا للآخرة ، وإن كنت أو من أن العمل الطيب مع صدق الإيمان وابتغاء وجه الله هو من أعمال الآخرة ، وإن كان فى ظاهره عملا للدنيا[1] . وأولئك قد أصابهم الخسران المبين فى كل عمل من أعمالهم .

---

(١) كصاحب التجارة أو الصناعة أو الزراعة حين يصدر فى عمله عن إيمان صالح وإرادة لوجه الله . فإن تجارته هذه تصير بهذا عملا من أعمال الآخرة .

« الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » هذا جواب الاستفهام . ويآله من جواب !!

والجواب يقوم على أمرين . الحكم عليهم بضلال السعى . والحكم عليهم بالضلال فيما يصدرونه من أحكام على ما يعملون . ولقد أشرت من قبل — فى هذا العدد والذى قبله — إلى ما أدى بهم إلى هذا .

إن سلوك الإنسان فى الحياة تعبير عن عقيدته ، فإن كان ذا عقيدة سوية جاء عمله سويا . وإن مسّه طائف من الشيطان تذكر فأبصر . وليس فى قلوب هؤلاء الضُّلَّال سوى أمشاج من كفر وضلال وإلحاد ، فصدوا فى أعمالهم عن هذه العقائد الضالة التى تعمدتها قلوبهم الحاقدة الجاحدة ، فكان هذا الضلال فى السعى ، وكان هذا الضلال فى الحكم .

إن الرجل المسلم الصادق الإسلام صادق فيما يصدره من أحكام على أفعال نفسه ، ولهذا يتذكر حين يخطىء أنه قد أخطأ . ويحس بالندامة تلفح روحه ونفسه وحسه ولبه وقلبه على ما اقترف ،لأنه يقوِّم كل شىء بالحق . ولديه الإدراك الصحيح . والفهم الدقيق والإيمان الذى ينير له سبيله فى الحياة ، ويمشى به فى الناس ، إن أتى بصالح سُرَّ قلبه واستبصر ، وإن أتى بطالح ندم واستغفر . فما خلط بين الأمرين ، ولا ساوى بين النقيضين ولا ظن أنه صنع الحسن ، وهو يقترف القبيح ؛ لأن له بصراً وبصيرة . أما أولئك فعمى، عمى القلوب عمى البصائر .

إن الرجل المسلم دائما يستشعر الخوف من الله ، ومما عمل مخافة أن يكون مما يغضب الله . أما غير المسلم ، فإنك تجد قلبه ، وقد رانت عليه ظلمات ورانات تحجب عنه كل حس وفهم ، وإدراك ، فلا يقلق من شىء : ولا يخاف من شىء ، ويعيش وكأنما ضُمِنت له الجنة يعيش وفى قلبه طمأنينة كاذبة خادعة . وفى قلبه رضوان شامل عما يفعل فى الحياة وإن كان أخسى الجرائم والرذائل .

اليهودى فى حقده وجحوده وعدوانه الباغى على الله يشعر بالطمأنينة ، ويرى الجنة

له وحده . والصليبي الذى يبهت الله بأن حل فى بطن امرأة من خلقه يشعر بمثل مايشعر به اليهودى ، والصوفى الذى يبغى على الله بغياً جائراً وهو رئيس كلية مثلا ، فيزعم أن الله عين خلقه يشعر بمثل ما يشعر به الصليبي واليهودى من اطمئنان بالغ .

بل إنك لتجد على وجه الطائف حول صنم البـدوى من إشراق البهجة والسرور والنشوة مالا تجده عليه وهو يطوف حول بيت الله ! ! .

ولئن حاولت أن تنقص له من قيمة بدعته الكافرة أبى إلا عُلوًّا واستكباراً فى الأرض .

لا يحس اليهودى بأنه غليظ البغى والجحود . ولا يشعر الصليبي بأنه كافر حقود ، ولا يشعر الصوفى بأنه ملحد كنود . كُلٌّ يرى عمله حسناً . يرى أخبث ضلالة أطيب هدى.

وكذلك المقلد الذى لا يعرف لماذا يفعل هو هذا الشيء ، فإنه لا يصدر فى عمله عن عن بينة . ولا يحكم على عمله عن بينة . لقد أعطى قلبه وفكره ولسانه لعبد مثله !!

المسلم الصادق الإسلام هو وحده الذى يصدر فى عمله عن بينة مشرقة ، وقلَّ أن يخطىء فى حكم يحكم به على عمله .

ولهذا لا يتوب صاحب بدعة لأنه يرى البدعة الكافرة سنة مؤمنة ، فكيف يتوب منها .

أما المسلم فأواب توَّاب أواه منيب ؛ لأنه يشعر بخطئه وانحرافه فيرجع إلى ربه .

إنك لترى الفرق واضحاً بيِّناً بين المسلم وبين غيره فيما يشعر به كلاهما من شعور ، وفيما يصدره كلاهما من أحكام ، وفى تقويمهما لحقائق الأشياء .

إنك ترى المسلم حين يقصر ـ مثلا ـ ركعة عما يعرف أنه أول مداها ، يشعر بقلق وخوف . وقد يحس أن صلاته غير مقبولة . هكذا يغمر قلبه مثل هذا الشعور من هذا العمل الذى يبدو تافهاً بادى الرأى .

ولكن تعال إلى صوفى يسجد على العتبات ، ويقبل النعال ، ويستصرخ بالميت ، ويستغيث به !! تأمله قليلا ، ثم اطلب منه أن يستغفر الله مما فعل ، وإنك لسوف تفاجأ بثورة عارمة عليك منه لأنه يدين بأنك طلبت منه أن يستغفر من طاعة لامن شرك!!

ولهذا لايدهشنا أن نرى رجلا يتولى وزارة مثلا ، ولديه شهادة كبرى من جامعات أوروبا أو يتولى عمادة كلية دينية كبرى ، لايدهشنا أن نرى أمثال هؤلاء عميا صما بكما ، تقود خطامهم فى الدين عماية وجهالة ، وينزعون فى دينهم عن وثنية غليظة وكفر بواح وجهل عميق أبكل أصول الدين وفروعه الواضحة الظاهرة .

ولدينا من هؤلاء كثير . ولدينا من أسمائهم كثير !!

كما أنه لايدهشنا أن نرى رجل الدين — فى مقياس البُلْه — دابّةً مسخّرة ، وسلعة تباع فى أخس الأسواق . أسواق النفاق . وعَبْدًا يُسام السياط الباغية ، وهو يراها قبلات رحمة وحنانٍ !!

فى ردغة الموالد يُمرِّغ الشيطان أولياءه وتنظر فترى من تدهشك — بادىء الأمر — رؤيتُه . تراه خاشعاً ضارعاً بين يدى « درويش » قذر لفظته السجون . وكل ماعتاز به قَمْل يسرح ، وقول يَجْرح ، ومرقعة صنعها الرياء ، ومسبحة يدمدم عليها النفاق ، ولحية فيها وكر للحشيش !! وتهز رأسك !!

إن هذا الذى يجلس بين يدى هذا « الدرويش » القذِر . قد يقدر ميزانية دولة . وهو لايقدر نفسه . قد يقيم العمائر الشاهقة ، وهو لايقيم ركعة ؟! قد يحرر أدق المعاهدات ولكنه لايعرف مع الله عهدا . ويحفظ أصول القوانين المدنية ، ولا يحفظ آية !! ولكنه لايجيد البيان عن كلمة واحدة من كلام الله .

لقد أخذوا بأسباب تلك الأشياء فنبغوا فيها . ولم يأخذوا بأسباب الدين وثقافته الصادقة فعموا وصموا وفقدوا البصيرة الواعية الناقدة ، وظنوا أنهم يحسنون فى الدين صنعا .

ولهذا ترى ألوف الألوف من مثقفينا الذين لهم فى الدنيا مناصب وجاهاتٌ شامخة أشد الناس جهالة بديننا الحق . بل فى جهالتهم أنتن سفها من غير المثقفين ، بل هم فى جهالتهم بالدين أحط من الأميين إذ فيهم نتن الغرور ، وجهالة أنهم يجهلون ! ! . .

(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) .

ذِكْرُهم قريب والإشارة إليهم بأولئك التى للبعيد ، لنعلم أن أولئك القوم بعيدون عن رحمة الله ورضوانه ، وأنهم هنالك فى هوة سحيقة عميقة تتهاوى عليها الزجوم من لعنات الله . وقد دمغهم الله بصفتين هما شر ما يتصف به الإنسان .

أولاهما : الكفر بآيات الله . آيات الله فى الكائنات ، وآيات الله فى القرآن . ولا تناقض بين آيات الله الكونية ، وآياته التى نزلها فى كتابه . فكلتاهما برهان الحق ، وحجة اليقين ، ودليل الصدق المبين . وأى امرىء أشد كفراً من إنسان يرى المخلوق أبر به من الخالق ، وأقرب إليه من الرحمن ، فيشكر العبد ، ويكفر بالرب ، بل يجحد به عن حقد دنىء ! !

وأى امرىء أشد كفراً بآيات الله ، من رجل يرى الحق جلياً مشرقا من الآيات القرآنية ، ثم يأبى إلا أن يرى هذا الإشراق والجلاء سواداً وغموضاً وإبهاماً ، ويتجه إلى كتب المذاهب والتراث الكذوب ينشد منها الهدى واليقين ؟! .

ومثل هؤلاء أولئك الذين يتعالون على ماسن الله ، وتعنو وجوههم وقلوبهم لقوانين نفثت فيها الصليبية سمومها ؛ والصهيونية أحقادها .

إن على السنة الصحيحة نور من الله ، ومعها اسم الله .

ومع كتب القانون اسم جورج ، وبنيامين وحاييم ، وناحوم .

وأسماء هؤلاء تسيطر على قلوب الملحدين بالعبودية لها والخنوع الذليل .

أما اسم الله فلا يثير فى قلوبهم إلا كراهية واشمئزازاً ونفوراً من ذكريات يحقدون كل الحقد على من يحلق معها فى سماواتها المشرقات . لأنها ذكريات انتصار كلمة الرحمن على ضلالة الشيطان .

أما الصفة الأخرى فكفرهم بلقاء الله . وهذا الكفر نتيجة للكفر الأول ، أو مسبب عنه . فمن يكفر بآيات الله يكفر بلقائه ، وإن أقر بلسانه أنه مؤمن بهذ اللقاء ! !

ولهذا لا يكون له عند الله شىء يستحق أن يوزن ، تدبر قول الله لخاتم أنبيائه (ولقد أُوحى إليك ، وإلى الذين من قبلك : لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك وَلَتَكُونَنَّ من الخاسرين) وهو لم يفعل لله شيئاً ، ولم يقدم لله شيئاً ، فكيف يقيم الله له وزناً يوم القيامة ؟ .

إن كل ماقدمه حابط ، أو كل ماأتى به لا قيمة له ؛ ولهذا لا يستحق تقييما ما .

هذا ، وقد جاء فى البخارى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة — وقال : اقرءوا إن شئتم :(فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) . ورواه مسلم بهذه الصورة : « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم ، فيوزن بحبة ، فلا يزنها . قال : وقرأ : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » .

لقد فرغ مثل هذا فما له عند الله وزن يوم القيامة . أما هذا الجسد الضخم ، فليكن للنار طعاما ووقوداً .

« ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، واتخذوا آياتى ورسلى هُزواً » يبين الله ـ سبحانه ـ جزاءهم ، وما به استحقوا هذا الجزاء . أما الجزاء فجهنم — ونعوذ بالله منها — وأما المسبب فلأنهم كفروا ، وجعلوا آيات الله ورسله مهوى استخفاف واستهزاء ، إنهم لم يقيموا للإيمان بالله ورسله وزنا ، إذ استخفوا بكل هذا ، وجعلوا منه لهم سخرية واستخفافا كافراً حتى بكل قيمة أدبية وإنسانية !! ولهذا لا يقام لهم عند الله وزن !!

أما هؤلاء فكثير اليوم !،

فما أكثر الذين يستهزئون بآيات الله ورسله ، واستهزاؤهم هذا دليل على أنهم يؤمنون بأن كتاب الله ليس فيه حق ، ولا هدى . ولا خير ، ولا يصلح أبداً اليوم لهداية البشرية ، أو قيادة الأمم ، ويؤمنون بأن رسل الله ماجاءوا بهداية تنتفع بها الإنسانية ، ولو كانوا يطوون القلب على ذرة من هذا الإيمان لرأينا أثره حتى فيما يقولون أو يكتبون : فضلا عن أثره فيما يفعلون !!

ولو أنك ابتليت الذين يكتبون فى صحفنا ـ حتى عن شئون الدين لرأيت قوماً يكتبون عن كل ضلالة ، وما للضلالة من مَسَّة رحم بالإسلام ـ لرأيت صليبية متبجحة ، ويهودية تنشر نتنها الخبيث ، وشيوعية تبغى على أقدس مقدسنا الروحية ، والضلالة كل الضلالة أن تسمى هذه الأمشاج : إسلاماً ! !

وقد راحوا يستعينون باللحى والعمائم . وما أكثر عبيد السوء من بين هؤلاء ! !
ولكن الله غالب على أمره ولو كره المشركون .

عبد الرحمن الوكيل

تقدير من السيد رئيس الجمهورية لـكتاب « البهائية »

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

مكتب الرئيس

السيد عبد الرحمن الوكيل

تحية طيبة وبعد :

فقد تلق السيد الرئيس مافاضت به رسالتك الواعية من تأييد ومودة ووفاء وأمرنى سيادته أن أبعث إليك بشكره البالغ على هذه المشاعر الصادقة التى حملتك على موافاته بكتابك « البهائية »— تاريخها وعقيدتها .

وأن السيد الرئيس ليقدر لك هذه الروح العالية التى تصفو بيقينها بالله وتسمو بالعمل بكتابه والتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم — محيياً فيك هذه الغيرة القوية التى تدفعك إلى الرد على ما يفترى به على الدين القويم من شبه وأباطيل .

مع تمنيات سيادته لـكم بالتوفيق والسداد فى ظل مجتمع فاضل متراحم وأمة عربية خالدة .

مع وافر الاحترام

إمضاء

محمود الجيار

مدير مكتب الرئيس للشئون الداخلية

٤ — نظرات فى المجتمع والشريعة :

السلبية

— ١ —

منهج البحث : معنى السلبية ـ السلبية آفة . صور من السلبية ـ الإسلام والسلبية . بين السلبية والإيجابية . السلبية فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة : بواعثها ومظاهرها . خاتمة .

مقدمة :

يقول الله تعالى : (كنتم خير أمة أُخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) . هذه الآية من كتاب الله تصف المستوى الرفيع الذى سما إليه المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى حين كان إمامه رسول الله ، ورائده كتاب الله ، وسياسته نشر دين الله الحق بما فيه من عقيدة مستقيمة ، وسلوك كريم . وعندما كان أفراد ذلك المجتمع مسلمين مخلصين كانوا أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً ، سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

ولو نظرنا نظرة موازنة بين ذاك المستوى الذى كنا عليه ، والذى تشير إليه الآية ، وبين المستوى الذى نحن عليه ، لوجدنا مسافة من الخلف شاسعة ، لا تقاس بالأشبار والأمتار ، ولكن بتسجيل الصفات والأعراف [1] ، والتقاليد ، والنظم التى انحرفت به عن ذلك المستوى المرموق . وتلك مهمة تحتاج إلى كثير من التأنى ، وحسن التأتى ، كما تستلزم تمحيصاً نزيهاً ، ودقة بالغة ، واستقراءاً شاملا [2] . والله وحده المستعان لنصل بقارتنا

---

(١) الأعراف : جمع عرف

(٢) الاستقراء : تتبع الجزئيات لإصدار حكم كلى .

إلى ما نريد من كشف مسافة الخلف بين المجتمعين حتى يكون على علم بالداء ، وعلى بصر بالدواء . وقد عاش معنا القارىء فكريا فى بعض نظرات أسلفناها فى المجتمع والشريعة هى : النفاق ، والتفرق والاختلاف ، وأخيراً الابتداع .

والآية التى ذكرتها فى صدر هذا المقال مصورة المجتمع الأول ، تكشف للناظر المدقق عن داء رابع منى به مجتمعنا ، وانحرف به عن القصد ، وهو لخطورته وتوغله ، وعظم استشرائه خليق بالبحث والدراسة ؛ لذا رأيت جعله موضوعاً لهذه الدراسة . . . إنه السلبية آفة مجتمعنا ، وآفة كل المجتمعات . فما السلبية ؟ وماذا يراد منها ؟ وما السمات التى تكشف عن حقيقتها ؟

معنى السلبية :

هى من الكلمات المبتكرة ، والتى دخلت فى قاموسنا اللغوى حديثاً مثل الوطنية ، وهى فى أساسها التصريفى : مصدر صناعى مكون من النسب إلى كلمة « سلب » مع زيادة « تاء تأنيث » ، والسلب : أخذ الشىء باحتيال أو جبر وقسر قال تعالى : (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا فله سلبه » . والسلب : ما يؤخذ من القتيل أو ما من شأنه أن يجرد منه بعد قتله . وفى نفس المعنى سلب المال أو العقل أو نحو ذلك فالمادة كلها تدور حول أخذ أو تجريد أو إبعاد شىء عن شىء .

وأما المعنى العرفى لها ، والذى على أساسه نعالجها فى هذا البحث فهو : تخلى الفرد عن واجبه الاجتماعى وعدم نهوضه بالتبعة الملقاة على عاتقه كواحد من جماعة ، أو عضو فى جهاز كبير هو المجتمع فى هذه الحالة سلب منه جزء من أجزائه ، وأخذ منه طاقة عضو من أعضائه . وفرد من أفراده ، والفرد السلبى على هذا الوضع : أنانى ، ضعيف الشخصية ،

---

(١) سورة الحج .

منحرف غرزياً[1] ، تافه الأثر ، قليل الخطر ، لم يؤد رسالته فى الحياة ، ولم يقم بمهمة الخدمة الإنسانية فى الوجود . والمجتمع المكون منه ومن أمثاله مفكك الرابطة ، واهن الصلة ، قلته ضعف ، وكثرته كزبد السيل ، مكانه بين الشعوب فى المؤخرة ، ونزلته فى الركب الحضارى ذيل القافلة .

وأبرز مظهرهنا فى ذلك المجتمع : الاتكالية بمعنى أن يحمل كل فرد غيره التبعة والمسئولية ، وتكون النتيجة : لا شيء ، لا عمل ، لا إنتاج ! ! أتذكر بهذه المناسبة قصة طريفة ترددها الألسن عبرة وعظه . ذلك الأمير الذى أراد أن تختبر مدى وفاء رعيته له ، واستجابتهم لأمره ، وتجاوبهم مع مطالب مجتمعهم ، فأمر كل فرد منهم ـ تنفيذاً لأمر يقتضيه الصالح العام ـ أن يحضر كوباً من عسل ، ويضعه ليلا فى إناء وضع لهذا الغرض فى قلب المدينة . وما دام الأمر أصبح فى الظلام فإن التبعة صارت بين الفرد ونفسه ؟ ولذا فهو يستطيع بسهولة أن يتخلص منها ، وينفذ من تبعاتها ، ولا ضير عليه . وهنا تظهر الاتكالية بصورتها البشعة ، فكل فرد منهم قال فى نفسه : لو ملأت كوبى ماء ، وألقيت به فى إناء الأمير فليس ذلك بمؤثر فى العسل الكثير الذى يضعه سائر أهل المدينة .

وفى الصباح تظهر النتيجة ، وينكشف وجه الحقيقة ، ويعرف الأمير المطوى من دخائل شعبه الاتكالى ؛ إذ ينظر فى الإناء فيراه مملوء بالماء ! ! !

السلبية آفة :

وبهذا التناول لمعنى السابية نقف على حقيقة هامة هى أن السلبية آفة ، وأنها مرض اجتماعى يصيب المجتمعات فى الصميم ، فيبدد الطاقة ، ويبعثر القوى فى كل ناحية من نواحى المجتمع ، وفى كل مظهر من مظاهر نشاطه .

فمن الناحية السياسية : تتخبط الأمة فى أمورها ، ولا تعرف ما هو أهدى فى

---

(١) نسبة إلى غريزة . ومن الغرائز الإنسانية : غريزة الاجتماع .

حياتها ؛ لأن الآراء لم تتلاق ، والأفكار لم تتلاقح ، والشورى لم تتبادل ، فتسير رهينة رأى واحد ، ليس له من معقب إن أخطأ ، ولا من رادٍّ : إن حاد وضل .

ومن الناحية الاجتماعية : تقتل السلبيةَ المعانى الإنسانية السامية من أخوة نبيلة ، ومروءة كريمة ، وبر صادق ، وإحسان خالص ، وتعاطف حميد ، وتعاون وثيق .

ومن الناحية الاقتصادية : تهدد السلبية مستقبل الأمة ، وتعوق تقدمها الحضارى . وتحد من مقدرة الأمة الصناعية . وتتحول التجارة إلى سعى وراء الربح بصرف النظر عن مصلحة المجتمع ، وتئول إلى ثراء غير منظم فى يد قلة من الأنانيين ، يستهدفون فيما يعملون مصالحهم الشخصية ، وقلما يشترك أحدهم بثروته اشتراكاً إيجابياً فيما ينفع المجتمع ، قد يخدم قضاياه . وأما من الناحية الحربية : فالسلبية فيها أشد فتكا وأقوى خطراً ، وهنا أتذكر أحداثاً ذات مغزى وردت فى القرآن الكريم ، نراها من خلال القصص القرآنى ، وفيها صورة واضحة لأثر السلبية فى المجتمعات ، وبخاصة من الناحية الحربية .

صور من السلبية :

١ - تعتبر السلبية من أشنع الآفات التى منى بها مجتمع بنى إسرائيل ، وظهرت سلبيتهم لحظة اختبار ملكهم لهم ، وقد توجه بجنوده لساحة المعركة ، ويريد أن يطمئن إلى مدى إيجابيتهم ، ومشاركتهم فى ذلك الحدث الهام الذى يتعرض له مجتمعهم ، ثم يتمخض الأمر عن جبن مزرٍ ، وعزيمة خائرة ، وقعود عنِ المشاركة فى ساحة الشرف ، إقرأ قوله تعالى : (فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى ، إلا من اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه : إلا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ! ! قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين) ! ! ثم تستمر الآيات فى الحديث عن الطائفة المؤمنة الصابرة التى حرصت على

إيجابيتها فى المجتمع فيقول تعالى : (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) .

ثم تتحدث الآيات عن الإيجابية ، وأنها سر من أسرار عمران الوجود ، فيقول تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

ب ـ قال موسى لقومه بنى إسرائيل وقد خرجوا من مصر حيارى : (ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) وذلك حتى تقوم لهم دولة مهابة ويكون لهم مجتمع له كيان . ويجىء جوابهم تعبيراً واضحاً عن سلبيتهم : (قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) .

وتتدخل العناصر الإيجابية البناءة فى المجتمع . (قال رجلان من الذين يخافون ، أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ثم تتجلى أخيراً السلبية بصورتها المزرية : (قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون) .

ولا يجد موسى عليه السلام بدا من أن يشكو إلى ربه سلبية مجتمعه ، وتفكك أوصاله : (قال : رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) .

ويكون الجزاء جزاء أى مجتمع يتخلى عن إيجابيته ، ويرضى بالمذلة والخنوع : (قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين) .

وإلى اللقاء مع صور أخرى للسلبية ، ومع بقية البحث ؟

يتبع

السيد رزق الطويل
مدرس ثانوى

الطلاق وأحكامه

فى الإسلام وما يثار حوله

نشرت الصحف والإذاعات مناقشات حول تنظيم الأسرة . وقيل فى هذا الصدد أن الأمة عندنا أكثر الأمم طلاقاً ، ولذا فهم يريدون علاج المسألة بما يتفق مع الشريعة الإسلامية الغراء وصيانة الأسرة .

والإجماع منعقد بين كل الأطراف المعنية بالموضوع على أن تكون الشريعة الإسلامية أساساً لكل تعديل أو تطوير فى القوانين التى تتصل بالأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وميراث وغير ذلك .

* * *

وهذا تلخيص فى إيجاز لنظام الطلاق فى الإسلام ، طبقاً لما ورد فى كتاب الله تعالى ، وأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حتى يتبين المسلمون موقف الإسلام من هذه المسألة .

فالإسلام وهو دين الله المنزل من خالق الناس ، العليم بما ركز فى فطرهم من الغرائز والميول ، عالج العلاقة بين الرجل والمرأة أصلح علاج .

ولنبدأ كلامنا فى حكم الإسلام فى كل ما قد يطرأ على الأسرة بعد تكوينها ، وارتباط الرجل والمرأة بميثاق الزواج . فإذا تجاوبت الأمزجة ، وساد علاقتهما الوئام ، وسارت الحياة رضية هنية ، فتلك نعمة الله يحمد عليها سبحانه وتعالى .

أما إذا تخلل حياة الزوجين ما يعكر صفوهما ويبذر بذور الشقاق والخلاف بينهما ، فعلاج الأمر قوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليماً خبيراً) .

يختار الزوج حَـكَماً من قبله ، وتختار الزوجة حكماً ، يكونان من عقلاء الأسرتين ، يوكل إليهما أمر إصلاح ما فسد واجتثاث بذور الفرقة ، وإعادة الوفاق محل الشقاق . ولا مانع من تـكرار ذلك ، فإن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما .

فإذا لم ينجح العلاج ، وحل اليأس محل الرجاء ، فهنا يشرع الطلاق بالـكيفية التى اصطلح الناس على تسميتها بالطلاق السنى ، الذى هو الموافق لشريعة الإسلام ، والمبينة فى الآيات والأحاديث الآتية :

قال الله تعالى (يا أيها النبى إذا طلّقتم النساء فطلقوهن لِعِدَّتِهن ، وأحصو العدة، واتقوا الله ربكم ، لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلاّأن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظـلم نفسه ، لا تدرى لعلَّ اللهَ يُحدث بعد ذلك أمراً) سورة الطلاق .

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه طلق امرأته وَهى حائض ، فذكر عمر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « مُرْهُ فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها ، فتلك كما أمر الله عز وجل » وفى رواية أخرى « فتلك العدة التى أمر الله عز وجل أن تطلق لها النساء » .

فهذا تنظيم الطلاق إذا تأزم الأمر فى الأسرة ، ولم تنجح مساعى الإصلاح . ومدلول هذه النصوص : أنه لا يصح طلاق إلا إذا كانت الزوجة فى طهر لم يمسها فيه زوجها . فإذا حدث أن طلقهـا مع توافر كل الشروط المطلوبة فلا يحل إخراج الزوجة من بيت الزوجية قبل تمام عدتها ، لقوله تعالى (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن) وقوله (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) وهو احتمال عودة الصفاء بين الزوجين ، بعد هدوء العاصفة بإيقاع الطلقة الأولى أو الثانية ، لأن رباط الزوجية أثناء الطلاق الرجعى يعتبر موقوفاً لا مقطوعاً ، حتى تنتهى المدة المحددة بثلاثة قروء .

ولذلك إذا مات أحد الزوجين قبل تمام العدة فللباقى منهما حقه فى ميراث المتوفى.
وإذا انقضت العدة ولم يتراجع الزوجان، فعندئذ يكون عقد الزوجية قد فقد صلاحيته، ولا يجوز أن تغادر الزوجة بيت الزوجية قبل ذلك، مادام الطلاق رجعياً.

وإذا أنتج بقاء الزوجة فى بيت الزوجية ثمرته بعد الطلقة الأولى أو الثانية، ورغب كل منهما فى رتق ما انفتق وتراجعا، كان المأمول أن يستفيدا فى قابل حياتهما من التجربة ويتجنبا أسباب الفرقة والشقاق، حتى يستقيم أمرهما، وتسود حياتهما الهناء والسعادة.

أما إذا تملكتهما الرعونة والطيش. وعاد الخلاف والشجار، ولم يستقم الأمر بينهما فيكرر العلاج مرة أخرى، ابتداء من انتداب الحكمين.

أما إذا ساد التهور وعدم المبالاة، حتى بلغا التطليقة الثالثة، فهنا لا يرجى الخير من تراجعهما، وفى ذلك يقول الله تعالى (الطلاق مرتان: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألاَّ يقيما حدود الله، فإن خفتم إلا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون. فإن طَلَّقها فلا تحل له من بعدُ حتى تنكح زوجاً غيره، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) البقرة.

فإذا عولج الخلل الذى ساد الأسرة بأسلوب الإسلام السابق بيانه، ومع ذلك لم تتحسن العلاقة بين الزوجين، حتى بلغا التطليقة الثالثة، فعندئذ يسدل الإسلام الستار الخاتم على عقد الزوجية، ويفرق بين الزوجين الذين فشلا فى تكوين أسرة سعيدة.

وفى كل هذه المراحل جعل الإسلام حق إيقاع الطلاق فى يد الرجل باعتباره الشريك الحامل للمسئولية.

* * *

والإسلام لم يسلب من يد المرأة حق قبول أو رفض الزواج من الرجل الذى يتقدم لخطبتها ، بل يمنع الإسـلام تزويج المرأة لمن لا تريده ، وليس ذلك فقط ، بل جعل الإسلام للمرأة مخرجاً ، إذا تأكد لديها أنها تسرعت وأخطأت الاختيار ، وذلك بأن تطلب الطلاق مقابل فدية يقدرها ولى الأمر . فقد روى البخارى رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جميلة بنت عبد الله بن سلول أتت النبى صلى الله عليه وسلم وقالت « يا رسول الله : إن ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ، ولكن لا أطيقه بغضاً ، وأكره الكفر فى الإسلام ، قال : أتردِّين عليه حديقته ؟ » قالت : نعم ، قال : إقبل الحديقة وطَلِّقها تطليقة » .

* * *

إننا لو ذكرنا جميع النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة فى الطلاق ، لما اتسعت لذلك صفحات المجلة . ولذا فنحن نلخص هنا القول فيما يلى :

لا يصح الطلاق فى أثناء الحيض ، ولا فى طهر مسها فيه زوجها ، ولا الطلاق فى غير وعى ، ولا بإكراه ، ولا الطلاق المعلَّق ، المقيد بشرط . والطلاق الثلاث فى مرة واحدة لا يقع إلا واحدة فقط .

أما الطلاق الذى صدر فى طهر لم يتماسا فيه الزوجان ، فيقع قطعاً طلاقاً رجعياً فى المرة الأولى والثانية ، وطلاقاً نهائياً فى المرة الثالثة .

* * *

إن جميع الأمم التى تأخذ من نظمها الاجتماعية ، تبدو من شعوبها وبعض الواعين من كتابها ، صرخات ألم عميق من حالة الفوضى الخلقية السائدة ، من فرار الرجال والنساء من البيوت إلى علب الليل ، وأندية الخلاعة والمجون فيها ، نتيجة حتمية لتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات .

وتبدو صرخات أولئك المخلصين فى كلمات تنشرحينا بعد حين فى صحفهم ومجلاتهم . ولكن يحجب تلك الحقائق المؤسفة ستار من البهجة والسعادة الزائفة . فكما تحجب المساحيق والأصباغ دمامة بعض الوجوه الكئيبة ، فإن ستار البهجة الكثيف فى تلك الأمم ، يوارى الآلام التى يحسها النفر المخلصون ، الذين يتنفسون من حين لآخر بإنذارات فى صحفهم أو تقاريرهم .

ونحمد الله تعالى على أن أمتنا الإسلامية لا تزال بمنجاة من آثار الفوضى الاجتماعية والخلقية التى تسود معظم الأمم فى هذا العصر . فإنك ترى أن المخادنة والمخاللة أمران عاديان عند الفرنجة ، لايستنكرهما العرف السائد ، ولا القانون النافذ فى تلك البلاد ، بينما تحاكم من يجرؤ على اتخاذ زوجة ثانية .

قال بعض دعاة تقييد الطلاق : « لقد طفت أقطار الدنيا جميعاً شرقا وغرباً ، وشمالا وجنوباً ، فما رأيت أمة أكثر تخلفاً منا » ! !

راعنى هذا القول وأدهشنى ، فسألت نفسى : أى مقياس ، يا ترى ، اتخذوه ليصلوا عن طريقه إلى هذا القرار العجيب ؟ وفى أى مجال من مجالات الحياة ، يا ترى ، بلغ تخلفنا هذ الدرك الوضيع ؟

اذا كانت أقدار الأمم تقاس بما هى عليه من خلق فاضل وكرامة إنسانية ، وهذا ما يجب أن يحكم على الأمم على أساسه ، فهل صحيح أننا قد بلغ تخلفنا هذا المكان السحيق ؟ لا : أبداً ، وما أظن القائلين بهذا إلا مخدوعين بمظاهر زائفة تخفى تحتها حقائق مؤلمة .

زعموا أن نسبة الطلاق فى تلك البلاد منخفضة ! وهل يصلح ذلك أساساً يبنى عليه ذلك الحكم الجائر ؟ إننا لم نطف ببلد من تلك البلاد . ولكننا نستعيذ بالله تعالى مما يفد علينا من أنباء تلك البلاد والفساد المستشرى فيها .

لقد نشرت إحدى المجلات الأمريكية منذ ثلاث سنوات إحصاءاً اجتماعياً ورد فيه أن هناك مئات الآلاف[1] من الأمهات غير المتزوجات (UNWEDDED MOTHERS)

قالت المجلة : إن بين هؤلاء الأمهات ثلاث آلاف لم يبلغن سن الخامسة عشر! !

فانظروا واعجبوا هل نحن نعتبر متخلفين بالقياس إلى هؤلاء ؟

* * *

قرأنا وقرأ الجمهور فى جرائدنا المحلية تحت عنوان (أصغر أم فى العالم) : أن طفلة فى التاسعة من العمر فى أمريكا ، قد وضعت طفلا ، إلا أنها لا تعرف أباه ! !

وفى الأهرام بتاريخ ٤ ـ ٢ ـ ١٩٦٥ النبأ التالى :

« الفتيات اللائى يمارسن العرى فى ملاهى الليل فى لندن قررن إنشاء نقابة لهن !! وذلك بعد أن فصل ملهى ثلاثة من زميلاتهن فى لندن » .

ياسلام ! أنظروا إلى ماعند هؤلاء من تقدم ، ليبدو لكم واضحاً التخلف العظيم الذى نعيش فى ظلاله ، لأننا لم نقيد الطلاق والزواج ! !

وإذا كان القارىء الكريم فى حاجة إلى مزيد من أدلة التقدم عند أمم الحضارة الأجنبية ، فليراجع تفاصيل فضيحة (برفوميو) الوزير البريطانى . مع العلم بأن بريطانيا تعتبر أكثر أمم الغرب مراعاة للتقاليد .

* * *

إن الطلاق شرعه الإسلام وحدد له حدوداً . وليس الزواج والطلاق فى نظر الإسلام من الأمور الإدارية التى تنظم بقوانين إدارية ، ولكنها علائق شرعية تنظمها الشريعة بنصوص ثابتة فى كتاب الله وأحاديث رسوله . فإذا طلق الرجل زوجته بعد استيفاء الشروط التى

---

(١) نسيت العدد وكان مكوناً من خمسة أرقام

حددها الدين ، فلا سبيل إلى القول بأن هذا الطلاق لا يقع ، لأنه بوقوع الطلاق يحرم على الزوج ما كان حلالا له من أنواع الاتصال بزوجته .

ومن أعجب ما يقوله أحد المعنيين بهذا الموضوع قوله « إذا كان من الثابت القول بعدم وقوع الطلاق الذى يصدر والمرأة حائض ، فلماذا لا نقول مثل ذلك فى الطلاق الذى يقع بعيداً عن القاضى ؟؟ » .

وهذا التساؤل مردود واضح البطلان ؛ لأن الذى يحكم بعدم تطليق المرأة أثناء الحيض ليس هو أحد العلماء ، ولا أحد الأئمة ، بل هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا يحكم فى شرع الله إلا بأمر الله . وهو يشير فى حديثه المتقدم . « فتلك هى العدة التى أمر الله عز وجل أن تطلق لها النساء » إلى النص القرآنى فى قوله تعالى (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)

وليس لأحد من الأمة مهما علا قدره ، أو اتسع علمه ، أن يضع نفسه مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى حق التشريع فى الإسلام . بهذا يظهر أن إباحة الزوجة لزوجها بعد أن يطلقها طلاقاً سُنياً ، لا يتفق مع تعاليم الإسلام وشريعته . ولا نظن أبداً أن نساءنا المسلمات يرتضين المعاشرة الحرام لرجل حَرُمَ عليه الاتصال بهن ، لانقطاع صلة الزوجية بوقوع الطلاق .

* * *

إن التذرع لإلغاء الطلاق فى غيبة القاضى بما صنع عمر بن الخطاب مع الذين تهاونوا وابتكروا الطلاق الثلاث فى مجلس واحد ، فذلك أمر لا يستقيم لأسباب ؛ منها أن صنيع عمر رضى الله عنه ، إنما هو حرمان المخالفين من بعض ما يباح لهم ، جزاء ابتداعهم ، أما إلغاء الطلاق الذى وقع شرعا بحجة أنه وقع فى غيبة القاضى ، فهو إباحة لما حرم الله ، وفرق بعيد بين الأمرين . وذلك علاوة على ما خص الإسلام به الخلفاء الراشدين فى أمثال هذه الأحكام .

فإن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» وعمر بن الخطاب هو ثانى الخلفاء الراشدين الذين أمرنا أن نتمسك بسنتهم ، وليس ذلك لأحد من بعدهم ، لا عالم ، ولا إمام ، ولا الجنة .

ومع هذا فلم يقدم عمر رضى الله عنه على تنفيذ قراره إلا بعد انعقاد إجماع الصحابة عليه ، إجماعا لم يشذ عنه أحد .

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحد وليذّكر أولوا الألباب) .

* * *

بعد كتابة ما تقدم نشرت جريدة « الأخبار » بعددها الصادر صباح يوم ١٢ / ٢ / ١٩٦٥ ما يأتى :

« الطلاق فى أمريكا فى زيادة مستمرة . حالات الطلاق سنة ١٩٦٤ بلغت ثلاثة ملايين ونصف مليون حالة ، بزيادة قدرها ٢٨ ٪ (ثمانية وعشرين بالمائة) عن عشر سنوات مضت » .

ونشرت جريدة الأهرام الصادرة صباح الخميس ٢٨ / ٢ / ١٩٦٥ النبأ التالى :

« بدأ طبيب جامعة (شيفيلد) فى صرف حبوب منع الحمل لطالبات الجامعة ، وعددهن ٧٠٠ (سبعمائة) طالبة ، بعد أن ارتفع عدد الأطفال غير الشرعيين الذين تنجبهم الطالبات ، فأصبح بمعدل ١٢ طفلا سنويا »

والعجيب ، أن ما ينشر من أمثال هذه الأنباء المخيفة ، لا يثير قلق القائمين بحملات تقييد الزواج والطلاق ، فما نحس منهم من أحد ، ولا نسمع لهم ركزاً . إنما يثير هياجهم ذلك النزر اليسير من تعدد الزواج ، وتلك النسبة الضئيلة من حوادث الطلاق .

عبد اللطيف حسين

من أخبار الجماعة :

﴿ ثقة كريمة ﴾

مسجد الصرفى ببنها يصبح مركزاً لدعوة الحق

ورد إلى فضيلة الدكتور محمد خليل هراس نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية صورة الخطاب التالى من الأخ الكريم حسن أحمد الصرفى ناظر وقف مسجد الصرفى ببنها وهذا نص الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم النبيين عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد ، حضرة صاحب الفضيلة الدكتور محمد خليل الهراس أستاذ التوحيد والمنطق والفلسفة بكلية أصول الدين .

أحييك بتحية مباركة من عند الله فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : لما عهدناه فى فضيلتكم من حرصكم على التوحيد وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثر سلفنا الصالح نرجو أن تتكرموا بإحياء الشعائر الدينية من الخطبة والأذان والإمامة ورعاية المسجد أنتم ومن توكلونه من جماعة أنصار السنة المباركة وذلك بمسجد الصرفى بمدينة بنها قليوبية .

ونرجو ملحين إجابة دعوتنا وأسأل الله أن يزيدكم علماً وإيماناً وتقى . وأن يكافئكم على مجهودكم المبارك إنه نعم المولى ونعم النصير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

تحريراً فى ٢ / ٢ / ١٩٦٥ — ناظر الوقف

حسن أحمد الصرفى

بمسجد الصرفى ببنها

وجماعة أنصار السنة إذ تشكر للأخ المفضال حسن ثقته وكريم أريحيته تعلن قبول رجائه وإجابة دعوته فتولى هذا المسجد كل عنايتها وتجعل منه مركزاً لدعوة الحق فى تلك البلدة الطيبة المباركة والله ولى التوفيق ؟

من علم السنة

تعقب أحاديث كتاب (الروح) للإمام ابن القيم (رضى الله عنه)

— ٢ —

سألنى بعض الإخوة الفضلاء لماذا لم أبدأ بما بدأ الإمام ابن القيم متتبعاً الرؤى والأحلام وغيرها وقد أتى بها مسندة إلى ذويها من « كتاب القبور » لأبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا فأتناول أسانيدها فإذا صحت تلك الأسانيد فإن لم تنفع بما فيها من العلم فقد أفدنا منها العبرة وإن لم تصح تلك الأسانيد فقد استفدنا من تراجم الرجال ومعرفتهم والإحاطة بأنواع الجرح فيهم مما يجعلنا نحكم على الأسانيد المرفوعة للنبى صلى الله عليه وسلم وفيها أحد منهم بالحكم المناسب حتى لا نتلقى الدين من غير تمحيص فأقول وبالله التوفيق : —

١ — قال ابن أبى الدنيا : (حدثنا) محمد بن[1] عون حدثنا يحيى بن[2] يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن أسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم »

الحديث الأول فى إسناده :(١) محمد بن عون قال النسائى : متروك . وقال البخارى : منكر الحديث . وقال عباس بن معين : ليس بشىء .

(٢) يحيى بن يمان (العجلى الكوفى) قال أحمد : ليس بحجة ، وقال ابن المدينى صدوق ، فلج فتغير حفظه وقال محمد بن عبد الله بن نمير : كان سريع الحفظ سريع النسيان ، وكان يحيى من العباد . ذكره أبو بكر بن عياش فقال : ذاك ذاهب وقال ابن معين : ليس بالقوى ، قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ وهو فى نفسه لايتعمد الكذب إلا أنه يخطىء ويشبه عليه .

قلت : وأحاديث أخرى مشهورة على ألسنة العوام فى الأسواق آفتها يحيى بن يمان مثال ذلك ؛ ما قال عبد الله بن الوضاح : حدثنا يحيى عن سفيان عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعاً : كاد الحسد أن يغلب القدر ، وكاد الفقر أن يكون كفراً .

٢ ـ (حدثنا) محمد بن(٣) قدامة الجوهرى حدثنا معن بن عيسى القزاز أخبرنا هشام بن(٤) سعد حدثنا زيد بن أسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إذا مر رجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه فرد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام »

٣ ـ (حدثنا)(٥) محمد بن الحسين حدثنى يحيى بن (٦) بسطام الأصغر حدثنى مسمع(٧) حدثنى رجل(٨) من آل عاصم الجحدرى قال : رأيت عاصماً الجحدرى فى منامى بعد

---

(٣) والحديث الثانى فى إسناده : محمد بن قدامة (الجوهرى البغدادى اللؤلؤى) . أحد شيوخ بغداد ، روى عن ابن عيينة وأبى معاوية وابن علية ووكيع وخلق ، وعنه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبغوى وجعفر الفريابى وآخرون . روى أحمد بن محرز عن ابن معين : محمد بن قدامة ليس بشىء . وقال أبو داود : ضعيف ، لم أكتب عنه شيئا قط . مات سنة سبع وثلاثين ومائتين . قال الحافظ الذهبى : وقدوهم الخطيب وغيره فى خلط ترجمته بترجمة محمد بن قدامة ابن أعين المصيصى الثقة الذى بقى إلى حدود سنة خمسين ومائتين .

(٤) هشام بن سعد (أبو عباد المدنى مولى بنى مخزوم) يقال له يتيم زيد بن أسلم صحبه وأكثر الرواية عنه وروى عن عمرو بن شعيب ، والمقبرى ، ونافع وعنه ابن وهب والقعنبى ، وجماعة كثيرة . قال أحمد : لم يكن بالحافظ . وكان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه . وقال أحمد أيضاً : لم يكن محكم الحديث .

أما الإسناد الثالث وفيه قول محمد بن واسع : بلغنى أن الموتى الخ فإنه معضل فليس من مراسيل الصحابة وليس مرفوعاً ولم يصرح بأنه حديث وقد شرحنا وجوه (المعضل) فى مقدمتنا لكتاب الروح الذى سيصدر قريباً إن شاء الله وأعان وفى هذا الإسناد :(٥) محمد بن الحسين أبو الشيخ البرجلانى صاحب كتاب الرقائق وعنه ابن أبى الدنيا وابن مسروق قال الحافظ الذهبى : أرجو أن يكون لا بأس به ما رأيت فيه توثيقاً ولا تجريحاً ، لكن سئل عنه إبراهيم الحربى فقال : ما علمت إلا خيراً توفى سنة ٢٣٨ هـ .

(٦) يحيى بن بسطام عن ابن لهيعة شيخ بصرى قال أبو حاتم : صدوق وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه لأنه داعية إلى القدر ولأن فى روايته مناكير وقال البخارى : ابن بسطام المصفر يذكر بالقدر .

(٧) مسمع ؛ قال الذهبى : قال العقيلى : لا يتابع على حديثه

(٨) مجهول .

موته بسنتين فقلت أليس قَدْمتُ ؟ قال : بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم . قال : قلت أجسادكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح . قال : قلت : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال : نعم نعلم بها عشية الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال : قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته » .

٤ ـ (حدثنا) محمد بن الحسين حدثنى بكر بن [٩] محمد حدثنا حسن القصاب قال :- كنت أغدو مع محمد بن [١٠] واسع فى كل غداة سبت حتى نأتى الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم : لو صيرت هذا اليوم يوم الإثنين قال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها .

٥ ـ (حدثنى) محمد [١١] حدثنا عبد العزيز بن [١٢] أبان قال حدثنا سفيان الثورى

---

(٩) الإسناد الرابع : محمد بن الحسين مر ذكره أما بكر بن محمد فقد قال الذهبى : قال الأزدى : منكر الحديث .

(١٠) الأقوال فيه متضاربة وأصحابنا يقدمون الجرح على التعديل فمحمد بن واسع (أبو بكر البصرى الزاهد) يقول الذهبى فيه :- أحد الأعلام ثقة احتج به مسلم . وقال أبو حاتم : روى حديثاً منكراً عن سالم عن ابن عمر ثم قال: وقد روى أبو قلابة عن على بن المدينى مثل يحيى القطان عن مالك بن دينار ومحمد بن واسع وحسان بن أبى سنان فقال : ما رأيت الصالحين أكذب منهم فى شىء أكذب منهم فى الحديث ، يكتبون عن كل أحد .

الإسناد الخامس :

(١١) محمد هو ابن الحسين مر ذكره .

(١٢) عبد العزيز بن أبان (أبو خالد الأموى الكوفى) . أحد المتروكين وهوعبد العزيز ابن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية القرشى السعيدى . نزل بغداد وحدث عن مسعر وفطر وطائفة وعنه الحارث بن أبى أسامة وجماعة : =

قال بلغنى عن الضحاك [١٣] أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته . فقيل له وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة .

٦ - (حدثنا) خالد بن [١٤] خِداش حدثنا جعفر بن [١٥] سليمان عن أبى التياح

= قال أحمد بن حنبل : لما حدث بحديث المواقيت تركته . . وقال يحيى : كذاب خبيث ، حدث بأحاديث موضوعة . وقال أحمد : لا يكتب حديثه . وقال البخارى : تركوه . وقال ابن سعد : ولى قضاء واسط وتوفى سنة ٢٠٧ .

(١٣) الضحاك بن مزاحم كان يهودياً وأسلم يحدث عن ابن عباس ولم يلقه وإن فى النفس منه لشيئاً وانظر إلى تخصيصه يوم السبت بالزيارة فلتتأمل بعمق واحذر الضحاك بن مزاحم .

(١٤) الإسناد السادس: خالد بن (خداش المهلبى مولاهم البصرى) نزيل بغداد روى عن مالك وحماد بن زيد ، وعدة وروى عنه مسلم ، وأحمد ، وإسحق ، وابن أبى الدنيا وخلق . قال الذهبى : وثق . وقال أبو حاتم وغيره : صدوق . وقال ابن معين : ينفرد عن حماد بأحاديث . وقال ابن المدينى ، وزكريا الساجى: ضعيف ذكر الرمادى فى تاريخه : حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن الحسن عن صخر بن قدامة رفعه قال : لا يولد مولود بعد ستمائة لله فيه حاجة . قال أيوب : فلقيت صخراً قال : لا أعرفه . قال الذهبى : وصخر تابعى والحديث منكر .

(١٥) جعفر بن سليمان (الضبعى) مولى بنى الحارث ، وقيل مولى لبنى الحريش نزل فى بنى ضبيعة وكان من العلماء الزهاد على تشيعه روى عن ثابت وأبى عمران الجونى وخلق وعنه ابن مهدى مسدد وابن خداش وخلق . قال يحيى بن معين : كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه ويستضعفه . ثم قال ابن معين : وجعفر ثقة ، وقال : لا بأس . قدم صنعاء فحملوا عنه وقال البخارى : يقال : كان أمياً وقال ابن سعد : ثقة فيه ضعف ، وكان يتشيع . وقال أحمد بن المقدام : كنا فى مجلس يزيد بن زريع فقال : من أتى جعفر بن سليمان ، وعبد الوارث فلا يقربنى وكان عبد الوارث ينسب إلى الاعتزال ، وجعفر ينسب إلى الرفض . وقال ابن حبان فى الثقات: حدثنا الحسن بن سفيان ،حدثنا اسحق بن أبى كامل ، حدثنا جرير بن يزيد بن أبى هرون بين يدى أبيه قال : بعثنى أبى إلى جعفر الضبعى ، فقلت له : بلغنى أنك تسب أبا بكر وعمر ، قال أما السب فلا ، ولكن البغض ما شئت ؛ فإذا هو رافضى مثل الحمار . وقال العقيلى : حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى سمعت عمى عمر بن على يقول : رأيت =

قال : كان مطرف يغدو فإذا كان يوم الجمعة أدلج (قال وسمعت أبا التياح) يقول : بلغنا أنه كان ينور له فى سوطه فأقبل ليلة حتى إذا كان عند مقابر القوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالساً على قبره فقالوا : هذا مطرف يأتى الجمعة . قلت : وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم ما تقول فيه الطير . قلت : وما يقولون ؟ قالوا : يقولون :سلام ، سلام .

٧ ـ (حدثنى) محمد بن الحسين حدثنى يحيى بن أبى بكير حدثنى الفضل بن (١٦) موفق ابن خال سفيان بن عيينة قال : لما مات أبى جزعت عليه جزعاً شديداً فكنت آتى قبره فى كل يوم ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله ثم إنى أتيته يوماً فبينما أنا جالس عند القبر غلبتنى عيناى فنمت فرأيت كأن قبر أبى قد انفرج وكأنه قاعد فى قبره متوشحاً أكفانه عليه سحنة الموتى ، قال فكأنى بكيت لما رأيته قال : يا بنى ما أبطأ بك عنى ؟ قلت : وإنك لتعلم بمجيئى ؟ قال : ما جئت مرة إلا علمتها ، وقد كنت تأتينى فآنس بك وأسر بك ويسر من حولى بدعائك ؛ قال : فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً .

= ابن المبارك يقول لجعفر بن سليمان : رأيت أيوب ؟ قال : نعم . ورأيت ابن عون ؟ قال : نعم . قال : فرأيت يونس ؟ قال : نعم . قال : فكيف لم تجالسهم وجالست عوفاً ؟ والله مارضى عوف ببدعة حتى كانت فيه بدعتان ، كان قدرياً شيعياً . وقال البخارى فى الضعفاء : جعفر ابن سليمان الحرشى ، ويعرف بالضبعى يخالف فى بعض حديثه . قال الحافظ الذهبي : روى أحاديث فى مناقب الشيخين وهو صدوق فى نفسه ، وينفرد بأحاديث عدت مما ينكر ، واختلف فى الاحتجاج بها ، منها :حديث أنس : إن رجلا أراد سفراً فقال: زودونى إلخ ومنها حديث : لينتهن أقوام عن رفع أبصارهم عندالدعاء فى الصلاة ، وحديث : حسر عن بدنه وقال : إنه حديث عهد بربه (أى المطر) وحديث : كان يفطر على رطبات ، وحديث : طلقت لغير لغير سنة وراجعت لغير سنة . وحديث : مم أضرب منه يتيمى ، وحديث ما يقال ليلة القدر ، وغالب ذلك فى صحيح مسلم ، وأحاديث أخرى فى مناقب على تفرد بها .

الإسناد السابع : فيه (١٦) الفضل بن موفق ، ضعفه أبو حاتم وقال : كان قرابة لابن عيينة . روى عنه فطر ، ومالك بن مغول روى عنه أحمد بن حنبل وأبو أمية الطرسوسى وجماعة .

يتبع : محمد نجيب المطيعى

الشيوعية تعانق الصوفية

نشر « المصور[1] » فى العدد رقم ٥١٠٤ الصادر بتاريخ ٥/٢/١٩٦٥ هذا المقال تحت عنوان « ركعتان فى العشق » وإليك المقال والرد عليه :

من أنضج وأمتع ما قدمته إذاعتنا فى الفترة الأخيرة برامج ثلاثة عن التصوف الإسلامى ، بقلم الأستاذ عبد الحق الحماقى البرنامج الأول : عن الحلاج ، والثانى : عن السهروردى ، والثالث : عن محيي الدين بن عربى .

والتصوف الإسلامى فى الحقيقة من أنبل التجارب الانسانية وأرقها فى تراثنا كله وهو قمة من قمم المعاناة ، والفناء والتضحية والصمود من أجل الحقيقة . وقد نختلف اليوم حول التصوف ومنهجه كطريق للحياة والمعرفة ، وقد لا يكون الزهد فى الدنيا ، والتخلى عن مباهجها ، وارتداء الصوف الخشن ، والانقطاع عن الناس ، والتغرب فى الآفاق ، من فضائل عصرنا ، إلا أنه سيبقى للتجارب الصوفية قيمتها البشرية الأصيلة ستبقى فضائلها ونقاوتها ، وستبقى بطولتها فى مواجهة غواية النفس والجسد ، وستبقى رحلتها العميقة من أجل الإنسان الكامل الإنسان الأسمى ! .

قد نختلف فى المنهج والأسلوب والهدف ، ولكن هذا الشوق العارم إلى الحق والعدل والحرية والكمال والنقاوة سيبقى تراثاً نبيلاً حياً للإنسان ، ما بقى الإنسان ، وسيبقى ينبوعاً خالداً له فى مسيرته الصاعدة أبداً .

وهناك دراسات قام بها المستشرقون فى التصوف الإسلامى ، وخاصة دراسات ماسينيون للحلاج وكوربان للسهروردى ، ولكنها دراسات على جديتها تبعد بالتصوف عن واقعه الخاص وإطاره الموضوعى . وهناك دراسات قيمة أخرى للأستاذين الدكتور

---

(١) مجلة أسبوعية مصورة تصدر بالقاهرة

محمد مصطفى حلمى والدكتور عبد الرحمن بدوى . والدراسة الأولى على موضوعيتها ينقصها الاهتمام بالجانب الاجتماعى فى تفسير ظاهرة التصوف ، أما الدراسة الثانية فهى محاولة طموح لاتخاذ التصوف الإسلامى مصدراً أساسياً لفلسفة وجودية إنسانية شاملة وهى محاولة يضعها الدكتور بدوى فى مواجهة المصادر الصوفية المسيحية للوجودية الألمانية والفرنسية ورغم ما تتسم به محاولة الدكتور بدوى من ذكاء ولمعان وتعمق . فإنها محاولة تختلف مع روح العصر . فلقد أخذت الوجودية تنقشع فى فرنسا وألمانيا وفى عالمنا العربى كذلك .

إن التصوف الإسلامى يمكن أن يصلح غذاء طيباً لتجاربنا الإنسانية الجديدة لو أحسنا دراسته دراسة وجدانية وفلسفية واجتماعية معاً .

ولعل هذه هى القيمة الحقيقية للبرامج الثلاثة التى كتبها الأستاذ عبد الحق الحماقى . لقد قدم التصوف الإسلامى فى ارتباط حى وثيق بواقعه الاجتماعى ، وبهذا استطاع أن يتبين كثيراً من جوانبه الإيجابية المشرقة .

لقد كان التصوف الإسلامى دعوة محبة وفضيلة فى مواجهة المفاسد والمكاره والأطماع والأحقاد المستشرية فى عهد الخلافة العباسية وخاصة السنوات الأخيرة من حياتها وكان التصوف الإسلامى دعوة وحدة وجود فى مواجهة التفكك والانقسام وعزلة الفرد الرهيبة وغربته القاتلة وتشرده فى الآفاق فى إطار ذلك العصر وكان التصوف الإسلامى دعوة إلى العدل والتحرر من ذل الحاجة فى مواجهة البذخ الذى كان يستمتع به الخلفاء والوزراء والأتباع والفقر المدقع الذى كان يعانيه الشعب . وكان التصوف الإسلامى صرخة احتجاج ونقد واستعلاء فى مواجهة مفاسد العصر ، وضياع القيم وظلم الحكام .

حياة الحلاج مثلاً ومأساته . . إنها ليست مجرد قصة ميتافيزيقية ، بل هى رد فعل

لعصر بلغ حداً بشعاً من الفساد والتفسخ أيام الدولة العباسية. الخليفة طفل عابث ماجن مستهتر، يسيطر عليه الأتراك، فيسيطرون على الدولة تماماً. من يتولى القضاء بين الناس؟ جارية للخليفة تدعى ثمل! تفصل فى المظالم! كانت القصور تزخر وتتكدس بالجواهر والأموال والجوارى والغلمان وأنهار الخمر، وليالى الفسق والفجور، وكان الشعب يعانى الفاقة والجوع والأمراض القاتلة، والعدوان والاغتصاب. الفلاحون مثلاً كانوا يكتبون أملاكهم صوريا للأمراء والأعيان حتى يأمنوا العسف، وحتى تخفف عنهم الضرائب. وما أكثر ما كانت تضيع أراضيهم بهذه الطريقة أو تلك.

وكانت المملكة الإسلامية منقسمة على بعضها، ممزقة إلى دويلات شتى، وكانت الثورات وأشكال التمرد تنفجر كل يوم هنا وهناك. فى هذه الفئة أو تلك الولاية..

وفى هذه الفترة قامت ثورة الزنج[1] المشهورة، التى استمرت ١٤ عاماً وأربعة أشهر، وأقامت لها شبه دولة وفى هذه الفترة نشبت المعارك الضارية بين المذاهب الفكرية المختلفة، والعصبيات المختلفة. علماء أجلاء تضوروا جوعاً. بعضهم لم يحتمل فانتحر. بعضهم حبس على نفسه. بعضهم سجن وقتل. فى سنوات المحنة هذه، كان التصوف رد فعل روحياً عنيفاً. كان وجهاً متطرفاً مقابلاً لذلك التكالب على اللذائذ والمفاسد والمظالم. وكان إدانة ورفضاً لهذا التكالب. هكذا كانت قصة الحلاج وكانت مأساته. كانت دعوته إلى وحدة الأديان والمذاهب رفضاً وإدانة للدماء التى كانت تسيل باسم

(١) قامت بقيادة رجل فارسى اسمه على بن محمد سنة ٢٥٥ هـ : ٨٦٩ م ويقول أحد المؤرخين « وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لأنه ـ وإن كان يدعى الإسلام ـ لكن فعله بأهل الإسلام أشنع مما تفعله الكفار ». وقد التف حوله الزنوج؛ إذ كان يعدهم بإصلاحات لم ينفذ منها شيئاً، هاجم البصرة سنة ٨٧١ م فى أثناء صلاة الجمعة فنهب المدينة، وأعمل السيف فى رقاب أهلها حتى قتل منهم ثلاثمائة ألف ثم أشعل النار فى مبانيها. وظل يعيث فى الأرض فساداً إلى أن قضى الخليفة (الموفق) على فتنته التى استمرت أربعة عشر عاماً. وكان القضاء عليه سنة ٨٨٣ م. عبد الرحمن

الدين . كانت دعوته . لحلول الله فى الوجود ، رؤيا لوحدة الشاملة فى مواجهة التشتت والانقسام والتمزق . وكانت دعوته للحقيقة المحمدية الأولى تعبيراً عن البحث عن معيار ثابت باق فى مواجهة القيم الضائعة والمعايير المختلة . وقد يقال : إن المعتزلة كانوا أنضج فكراً وأرقى اتجاهاً من المتصوفة . على أن الاعتزال كان تعبيراً عن الحرية فى الفكر والإرادة فى المرحلة الصاعدة النامية للحضارة الإسلامية العربية وكان المتصوفة تعبيراً عن رفض واحتجاج وترفع فى مرحلة تفكك تلك الحضارة . كانوا يمثلون ثورة جوانية على حد تعبير الدكتور عثمان أمين ، لا ثورة برانية كثورة القرامطة مثلاً . وإن كان هناك من يقول بوجود علاقات سرية بين هاتين الثورتين ! .

كان الحلاج يقول : ركعتان فى العشق لا يكون وضوءهما إلا بالدم أى إن محبة الله لا تتحقق ولا تمتحن إلا بالفناء من أجله . وكانت حياة الحلاج ، وكانت محاكمته وكان عذابه وسجنه وكان مصرعه أخيراً ، تجسيداً حياً بطولياً لهاتين الركعتين . ولقد كانت حياة كثير من المتصوفة فى الحقيقة نماذج رائعة للصمود والنقاوة والتفانى والبطولة والاستشهاد . ما أنبل هذه القيم فى حياة : رابعة والحلاج والسهروردى ومحيي الدين بن عربى وذى النون المصرى وعشرات غيرهم . وما أنبل رحلتهم الروحية من أجل الحق والعدل والمحبة والفضيلة .

ما أشد حاجتنا إلى مزيد من الدرسات والأعمال الأدبية والفنية ، التى تكشف لنا عن الجوانب المشرقة الباقية فى تراثنا القويم ، على هذا النحو الناضج الممتع حقاً الذى قدمته إذاعتنا فى براجها الثلاثة عن التصوف الإسلامى .

« محمود أمين العالم »

وإلى القارىء ردنا مع هذا المقال :

الشيوعية تعانق الصوفية

هكذا تنتهك الاستار ، وتتبرج الأسرار ! ! .

أو هكذا تتجلى الغاية من الدفاع عن الزندقة الصوفية ! ! .

والصوفية لم تعد تفتننا شاعرية سحرها ، أو سحر شاعريتها المكحولة الغواية ، فقد بصَّرنا الله بدَخَلها ودخائلها ، وهدانا إلى أن نعرف أن هـذه البسمة الخلوب التى تغازل القلب على شفتيها ، ما هى إلا غواية الشيطان افتَنَّ فى تصوير فتنها على ثغر غانية هلوك قتول ! !

ولقد بذلتُ ما ملكنى الله من جهد فى سبيل هتك الأقنعة السحرية عن وجهها الدميم المتقيِّح ، ليبدو للذين فتنهم أنه وجه لا يُقبَّل ، وإنما هو الوجه الذى يجب أن يكون هدفاً لكل بصقة ، وأن يرجم من المسلمين بكل لعنة .

ولقد جاءنا الأستاذ الكاتب « محمود أمين العالم » بحجة فوق حجج كثيرة أمدنا بها دعاة التصوف أنفسهم ، تؤكد لنا صدق ما آمنا به من قبل ، وهو أن للتصوف غواية وغاية .

أما غوايته فمهلكة ، حسبنا أنها تجرد المسلم من عقيدته وكرامته وإنسانيته ! .

وأما غايته ، فهى ألا تكون للإسلام أمة ، ولا قلب يستنشى عبيره ، ولا كتاب يشع نورَه ولا ذكرى رسول يفرض الصلاة عليه ! ! .

لا نفحة عبير ، ولا لمحة نور باد ، ولا صلاة أواب ، ولا ضراعة تواب ، ولا تهجد خاشع ، وتوبة ضارع ! ، هكذا تريد الصوفية وابنتها الشيوعية ! ! .

تريد حاضراً مقطوع الأسباب عن ماضينا العظيم ، وحياة تنزع بنسبها إلى كل مروق يناصب دين الله الكراهية والبغضاء ! ! .

تريد القضاء على كل قيمنا الإسلامية ، ومقوماتنا الروحية التى نستمدها من هدى الله ! ! .

تريد تأريث العداوات والأحقاد ضد أمة الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام ورب الإسلام ! ! .

تريد كل عدو حَشْداً وإلْبًا ضد هذا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ، وهو عليهم عمى ، ويثير فى قلوبهم الرعب ، ويذكى ضرام الحسد الدنىء ، لأنه — رغم تحالف قوى الشر ، وترامى الأحقاب والقرون بالكيد له — لم تمسسه يد بتحريف ، ولم ينل منه باطل بتأويل ، ولم تصنع حليفتها الصهيونية به ما صنعت بالتوراة والإنجيل .

أرأيتم كيف يدافع الأستاذ « محمود أمين العالم » بهذا الأسلوب الشاعرى المتوقد العاطفة عن التصوف ، وهو أبشع جريمة ارتكبت ضد الإسلام ؟ .

وهو زندقة لا يحترمها عقل فيه شعاعةٌ من فكر قويم .

وهو إلحاد لا يمكن أن يحنو عليه قلب كريم .

لقد قلنا مراراً — وكان البعض يتشكك — أن التصوف حولة مُعَبِّدَةَ المظهر للاستعمار ، وللشيوعية وللصهيونية . ولكل نحلة مارقة جاحدة ، وأنه الذى يمد كل عدو للإسلام بما يكيد به للإسلام .

ولقد حدثنى الأخ الأستاذ سليمان رشاد عن أخ مسلم هو الشيخ محمد بخارى الذى فر من وجه الشيوعية ، أن الشيوعيين كانوا يحاولون إقناعهم بالشيوعية عن طريق دعمها بما فى كتب الصوفية ، ولم لا ، والصوفية تمثل فى نظر الكثرة الغالبة النبع الأصيل لأشرف روحانية ، وسماء القدس لأرفع ربانية ؟ .

وهى فى حقيقتها نفايات زندقات ، وأمشاج ضلالات ، وباطل أساطير وخرافات ! !

الصهيونية صوفية ! ! .

والصليبية صوفية ! ! .

والباطنية الخبيثة صوفية ! ! .

وإلحاد إخوان الصفا صوفية ! ! .

والإسماعيلية والبهائية نتن من أنتن الصوفية ! ! .

ومن يَرْتَبْ فيما أقول ، فإنى أرجوه أن يكون بارًّا بالحق حَفِيًّا بمعرفة الحقيقة ، ويقرأ كتب أولئك الذين أوغلوا فى الضلالة ، ويقرأ معها كتاباً صوفياً واحداً ، وليكن « فصوص الحكم لابن عربى » وثمت يشعر أنه كان يقرأ لشيطان واحد له أسماء مختلفة فحسب ! ! .

ثم إنى أتحدى من يهفو إلى التشكيك فيما أقول كيلا يبصر الناس حقيقة الكيد الصوفى ، أتحدى من يلوى عما أقول صفحة عنق غليظ ، أتحدى أن يأتى واحد منهم بأثارة من دليل أو وهم حجة يثبت أحدهما غير ما أقول . وإنى لأرجو أن يدعونا — مشكوراً — إلى مساجلة فى العلن ، وليحدد هو لها الزمان والمكان . فهل أجد من يقبل التحدى يا كهنة الصوفية ؟ .

بالتحدى ألطم وجه كل صوفى كبير ، وكل شيوعى خطير ، سواء منهم عمداء الكليات أو كتاب المقالات . أتحداهم جميعاً فى شتى أقنعتهم ، وبعضهم لبعض ظهير ، ثم نبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ! ! .

إننى أعتقد أن الذى يؤمن بشىء إيماناً وثيقاً يهب فى حماس صادق إلى الدفاع عنه ضد عدوه . فمن الذى يهب إلى الذياد عن الصوفية بالكلمة المقنعة ، لا بالدسيسة الخرقاء ، والكيد الدنىء .

والتحدى لا ينبعث عن تعصب مقيت ، أو بينة من الحق ، وعن رسيس حمية جاهلية ، أو مسيس تخايل بعرفان ، وإنما عن إيمان بأن الإسلام هو الحق وأنه الدين الذى شهدت له التجارب الصادقة ، وأيدها التاريخ والواقع فى كل مكان وزمان أنه وحده الدين الذى يهدى البشرية إلى التى هى أقوم فى كل شىء .

ولقد أعفانا الأستاذ الناقد الكبير « محمود أمين العالم » فقد جاء بما يدان به التصوف دون حاجة ما إلى تعداده ، أو التذكير به .

جاء بأساطير التصوف ، أو حماقاته ، أو زندقاته دون مواربة أو مداهنة أو تلطف فى الزج بها أمام الأبصار والبصائر ؛ لتبدو على حقيقتها ، أما بعض كهنة الصوفية فيأتى بها وعلى وجهها أصباغ تكسبه شيةً من الجمال وعلى هيكلها الدنس شفوف رِقاقٌ قد لا تستر ما تحتها من دمامة ، ولكنها تخدع النظرة العُجلى .

ولنأت بهذه الزندقات الصوفية واحدة بعد واحدة كما ذكرنا بها الأستاذ محمود :

وحدة الوجود : وكل صوفى عفِن الضلالة متمرد الباطل يحكم على الله سبحانه بأنه عين خلقه ، يحكم عليه — سبحانه — بأنه ماله من وجود غير وجود هذا الكون المادى المحسوس . هذه هى وحدة الوجود الصوفية باختصار .

وفى هذا كان الأستاذ « محمود » نابغ الصراحة والوضوح ، فلم يلجأ إلى ما لجأ إليه الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية « أصول الدين » ؛ فقد ابتدع دفاعاً عن الصوفية ينزع فى الحقيقة إلى إدانة المتهم لا إلى تبرئته كما أحب الدكتور ، فوضع فى عين الصوفية المَلَّ ، وكان يظنه الكحل ! !

فقد زعم الدكتور عبد الحليم أن الصوفية يؤمنون بوحدة الوجود ، لا بوحدة الموجود ، وظن أنه بهذا قد رد عن عنق المجرم سيف العدالة القاطع ، على حين يتجلى مما فعل أنه مكن الحق الأبلج من مقتل الباطل اللجلج . ولقد ذكَّرناه فى صحيفتنا « الهدى النبوى » بنصوص قاطعة من كتب أئمة التصوف فى مقال كتبه الأستاذ نجيت المطيعى تثبت فى جلاء ويقين لا يدافَع أن الصوفية تؤمن بوحدة الموجود ، فما ثم من فرق بين الإيمانين الخبيثين ؛ إذ هما متلازمان تلازم الخبث والنتن .

ووحدة الوجود — كما نفثها شيطانها ابن عربى — تقرر ما يأتى :

« إن العارف من يرى الحق — أى الله — فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء »

ص ١٩٢ جـ ١ فصوص الحكم ، وكلمة (شيء) أعم كلمة فى لغة العرب وهى تطلق ـ عند ابن عربى ـ على الصور العقلية ، والأعيان الثابتة قبل تعين الوجود المطلق فيها .

وتدبر هذه النصوص تترى ، وهى من كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين ابن عربى طبع دار إحياء الكتب العربية ، بتحقيق وتعليق الدكتور أبو العلاء عفيفى (من ص ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١١٢ .

يقول : « فالحق محدود بكل حد ، وصور العالم لا تنضبط ، ولا يحاط بها ؛ ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ؛ فلذلك يجهل حد الحق ، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة ، وهذا محال حصوله ، فحد الحق محال » .

ويقول « تحققنا بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ! ! والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود . فما يحد شيء إلا وهو حدّ الحق . فهو السارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين الوجود « فهو على كل شيء حفيظ » بذاته « ولا يؤوده » حفظ شيء ، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته ، ولا يصح إلا ههنا ، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير » ! !

ويقول : « ومن أسمائه الحسنى (العلىّ) ، عَلَى من وما ثمّ إلا هو ؟ وهو العلى لذاته أو عن ماذا ، وما هو إلا هو ، فعلوّه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات . فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو » .

ويقول : « إن الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد فى الحكم عليه . فهو الأول والآخر والظاهر والباطن . فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره . وما ثم ومن يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه . وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » .

ويقول : «ولهذا الكرب تنفس ، فنسب النفس إلى الرحمن ؛ لأنه رحم به ما طلبته النِّسب الإلهية من إيجاء صور العالم التى قلنا هى ظاهر الحق ، إذ هو الظاهر وهو باطنها ، إذ هو الباطن وهو الأول ، إذ كان ولا هى وهو الآخر، إذ كان عينها عند ظهورها » .

يقول فى نصه الأول : إذا أردنا أن نضع لله تعريفاً كاملا ، وجب علينا أن نأخذ فى تعريفه تعريف كل شىء فى العالم ؛ لأنه عين هذه الأشياء . ولهذا لا يمكن عنده وضع تعريف شامل لله ؛ لأن صوَر العالم قد تتناهى ! !

وفى النص الثانى يقول : لقد حكم العقل والنقل « يعنى بالنقل القرآن والحديث » أن الله عين الأشياء ، وأنه مامن تعريف إلا ويطلق على الله . وأن هذا العالم صورة الله ، وذاته . وأنه سبحانه روح هذا العالم ، وأنه إنسان كبير .

وفى النص الثالث : صرح بأن لله عين الموجودات . وأن هذه المحدثات التى نراها ليست إلا الله . فإذا ولد إنسان قيل : لقد ولد الله . . وإذا مات كافر قيل : لقد مات الله ، وجل سبحانه . وإذا رأى الصوفى خنزيراً يأكل الخراء سجد له وقال له : سبحانك يا ألله !

وفى النص الرابع : « يقول إن الله يجمع بين الأضداد فى ذاته ، وأنه عين الأشياء حال ظهورها ، وعينها حال بطونها . ثم جاء بالصوفى أبى سعيد الخراز وقرر أنه هو الله ، ليدلل بهذا على أنه يؤمن بأن الله كلِّىٌّ ، وأن الله عين أفراد هذا الكلى ، يؤمن بأنه الكلى والجزئى ، والكل والجزء !

وفى النص الخامس : يؤكد أن الله هو عين صور العالم .

وهناك عشرات النصوص التى تجبهك فى كل صفحة من صفحات كتابه والتى تؤكد إيمان ابن عربى بأن الله سبحانه هو عين هذا الوجود المتقدم فى مادة . وأنه هو هذه المادة نفسها . وبهذا تلتقى صوفية ابن عربى وتلاميذه بالشيوعية فى عناق دائم ملهوف مشغوف ؛ فالشيوعية تكفر بوجود الله ، ولا تؤمن إلا بوجود هذا الكون المادى المحسوس . وكذلك ابن عربى ! !

كل ما بين اللامنتين الكافرتين من فرق هو أن صوفية ابن عربى فى خداعها المخنث ورياثها الداعر . تسمى هذا الكون إلهاً ، أما الشيوعية فتسميه باسمه ! !

هذا ما يؤمن به ابن عربى ، وهو عين إيمان الشيوعية . ولكنه يسميه بالله . أما الشيوعية فتسميه طبيعة ، وهذا فرق لا يحكم على الإنسان بإيمان ولا ينجيه من كفر .

غير أنى ـ دون أن أبهت بغلو ، أو أتهم بعصبية جاهلية ـ أؤكد أن دين ابن عربى أشد نكراً وأقبح كفراً وإسفافاً فى حطة المادية ، وإيغالا فى لوثة الإلحادية .

فالشيوعية لا تداهن فى كفرها ، ولا تفرض عليك تقديس هذه الماديات البادية فى صورة صنم أو عجل أو خنزير ، ثم إنها على كفرها تنزع إلى الفصل بين قيم كثيرة من الأشياء المادية أو المعنوية .

أما صوفية ابن عربى وتلاميذه ، فكفر يداهن ، ونفاق يرائى ، ووثنية غليظة تتراءى فيوضَ روحيةٍ مؤمنةٍ خالصة التوحيد ، وعدو يقتلك وهو يقبلك ! !

ثم هى ـ وقد حكمت على كل شىء بأنه هو الله ـ تفرض على مَن يدين بها أن يقدس كل شى وأن يعبد كل شىء حتى الوثن والخنزير والصليب وعجل السامرى ! !

أما الشيوعية فلا تخلع على هذه الأشياء طيلسان هذه القداسة ! ! هذا والصوفية لا تفصل مطلقاً لا بين الضدين ، ولا بين النقيضين ، فى المعنويات ، ولا بين المتباينات فى الماديات . فالكفر عندها عين الإيمان ، والباطل عين الحق ، والخطأ عين الصواب ، والرذيلة عين الفضيلة وإبليس عين آدم . والنمروذ عين إبراهيم ، وفرعون هو موسى ، وأبو جهل هو عين خاتم النبيين ! !

فوحدة الوجود تسوى بين الخالق والمخلوق فى المفهوم والحقيقة والوجود ، فكلاهما عين الآخر ذاتا ووصفا واسما . ومن الضلال البعيد عند الصوفية أن تفصل بين مفهوم الكلب الميت النتن الأجرب وبين مفهوم الإله . ومن يؤمن بهذه الصوفية يؤمن بأنه لا قيمة خاصة للخير أو للفضيلة أو للحرية ، أو للكرامة . فما ثم شىء منها إلا ويلتقى مع نقيضه ومقابله . إن الخير عين الشر ، والعبودية عين الحرية . لأن الرب عين العبد .

والصوفية تفرض علينا ألا نلوم مجرماً ، أو نعاقبه خاطئاً ، لماذا ؟ لأن المقترف لهذه الخطيئة هو عين الله ، وهكذا ذلك المجرم . ولهذا حكم ابن عربى بسمو إيمان فرعون وربوبيته ، وبسمو إيمان اليهود الذين عبدوا عجل السامرى ، والمسيحيين الذين عبدوا المسيح والجاهليين الذين عبدوا الأوثان .

كما تؤكد لنا ـ كما ذكر ابن عربى فى الفصوص ـ أنه ما ثم عذاب يوم القيامة ، أو بتعبير أصح . ما ثم من قيامة بمفهومها القرآنى ، لأن الله عين كل شىء . وليس من المعقول أن يعذب الله نفسه ! ! وما أكثر النصوص فى كتابه « الفصوص » فاى تحريض مسفر على الإيغال فى الفسوق والإبعاد فى المروق ؟

بل أى إلحاح فاجر فى الدعوة إلى المجانة والتمرد على كل فضيلة أصرح من هذا . وأشد قحة ! !

أفيريد منا الأستاذ « محمود » أن نؤمن بهذا !

وهل يجد الأستاذ الكبير عميد كلية أصول الدين فى الشر المستطير نفحة خير أو أصلا من أصول الدين ؟

قد يقال : كيف تعانق الشيوعية الصوفية فى الكفر بالله ، والصوفية تحكم على الله بأنه وجود مطلق ، والشيوعية تحكم عليه بأنه عدم مطلق ؟

وأقول : كلا الكفرين سواء فى الحقيقة متغايران فى اللفظ . فالحكم على الله بأنه وجود مطلق عين الحكم عليه بأنه عدم مطلق ، إذ أن الكلى بشرط الإطلاق لا وجود له إلا فى الأذهان فقط . فلا وجود لكلى فى الخارج اسمه الحيوانية أو الإنسانية مثلا . وإنما هما أمران كليان ينتزعهما العقل من أفراد كلى . وبهذا يتجلى لنا أن الذين يقولون بأن الله وجود مطلق . إنما يحكمون عليه بأنه صورة ذهنية فحسب ينتزعها العقل من استقرائه للموجودات . أى يحكمون عليه بأنه عدم والعدم صورة ذهنية يتخيلها العقل . فأى فرق بين الكفر الصوفى والكفر الشيوعى ؟

أقول هناك فرق ، وهو أن الكفر الشيوعى منسجم مع نفسه ، فلم يراءِ ليظهر كفره إيماناً ولم يرد أن يتوتر تناقضه فى كل كلمة . وإن كان كتابه ردغة رياء ! !

أما الصوفية ـ وقد فهمت تماماً أن القول بالوجود المطلق هو عين القول بالعدم المطلق ـ هربت إلى أسطورة أخرى ، أو تناقض حاد . ذلك هو زعمها أن هذا الوجود المطلق (١) ـ أو العماء ، أو الأحدية ـ انتقل من مرتبة الإطلاق إلى مرتبة التعين ، فكان هو هذه السماء وهذه الأرض ، وتلك الكلاب ، والخنازير والبغايا والمستعمر الخئون ، والصهيونى الدنس . ثم لجأت إلى تناقض آخر ، فزعمت أن هذا الوجود المتعين أو المقيد هو عين الوجود المطلق ! !

من ذا الذى أوحى إلى الوجود المطلق أن يتعين ؟

كيف يكون الله سبحانه عين الخنازير والكلاب ؟

هذا هو دين كل صوفى . ولا تسألنى : كيف . بل سل هؤلاء الذين حادُّوا الله ورسوله ، فسووا بين خاتم النبيين ، وبين شيخ الشياطين .

وحدة الأديان : كما مجد الأستاذ « محمود » دعوة الحلاج إلى الإيمان بوحدة الأديان ، وكل صوفى مُعَتق الصوفية فى دنان الشيطان يدعو إلى الإيمان بهذا لا الحلاج وحده . فابن عربى وابن الفارض والجيلى وغيرهم من النابحين بهذا النباح . وأبو حامد الغزالى فى بعض همساته ووسوساته . وإن كان يحاول أن يضمخ النتن بعطر من الإيمان !!

والذى يثير الدهشة ويعرك أذنيها فى قسوة أن الأستاذ « محمود » يرفض مثل هذا الإيمان إن حاولنا أن نغريه به فى أمور لا تنتسب إلى الدين ولا تصل إلى قمته الرفيعة ، أو تدنو من أفقه القدسى الوضىء .

---

(١) النابلسى فى غلو التجريد أو فى غلو المادية والتجريد يزعم أن هذا الوجود منزه حق عن الاطلاق فهو وجود بلا قيد ، أو هو وجود متعين دائماً فما مرت على الله لحظة دون أن يكون ظاهراً فى صورة من صور الخلق . إذ هو دائماً ظاهر فى المحدثات بذاته .

أتراه يستطيع أن يؤمن بأن الشيوعية عين الرأسمالية أو يهمس حتى بهذا بينه وبين نفسه ، أو بأن الرومانتيكية عين الكلاسيكية ؟ أو بأن الديموقراطية هى الارستقراطية ؟. وأن « ستالين » عين « بلدوين » ، وأن « زينون » الرواقى عين « ذى النون » المصرى . ولا أظنه يرضى بأن يسوى فى المفهوم بينه وبين أبى جهل ، ولا بين ابن عربى وبين الشيطان ! ! وإن كنت أومن بهذه التسوية بين ابن عربى وملهمه الشيطان الرجيم فى الفسوق والضلالة . أما فى دين الصوفية فهما متساويان ؛ لأن كلا منهما عين الله . غير أنا نقول : إن الصوفية ترتضى التسوية بين أبى بكر وأبى لهب وبين موسى وفرعون ، لتنسجم مع دينها فى وحدة الوجود . ولكنها تعمد إلى الكفر بهذه الوحدة إن سوينا نحن بين ابن عربى وأبى جهل .

وإذا كان الأستاذ « محمود » يرفض هذه التسوية التى عرضناها عليه ، فكيف إذن يفرض علينا أن نؤمن بأن الإسلام هو عين الصليبية ، والصهيونية والمجوسية والصابئية ؟

لقد رفض رفضاً مصراً حتى الهلكة أو عليها أن نسوى بين مفهوم « الشيوعية ومفهوم الرأسمالية » .

أما فى الدين فيطلب منا هو والصوفيون والشيوعيون أن نقدس دعوة الصوفية إلى الإيمان بوحدة الأديان ! !

إن الإيمان بوحدة الأديان هو فى الحقيقة إنكار للأديان ، وكفر بالأديان ، وجحود بالأديان .

الإيمان بوحدة الأديان هو إيمان بأنه لا وجود للأديان . وبألّا قيمة للأديان .

والدعوة إلى الإيمان بوحدة الأديان غايتها رفض الإسلام والكفر به ، والتمرد عليه ، والجحود به . وما ابتدع القول بوحدة الأديان فى عصر من العصور إلا لهذه الغاية الدنسة .

ترى هل نستطيع إقامة دولة إسلامية على شيوعية ورأسمالية معاً ؟ .

فلماذا يراد منا أن نقيم القلوب على إسلام وجاهلية وصليبية ؟ .

لماذا تريد الصوفية منا أن نؤمن بأن الصليبية حق ، وأن الصهيونية حق ، وأن المجوسية حق ، وأن البوذية حق ، وأن البرهمية حق ، وأن الإسلام هو عين هذه الأديان الوضعية التي نزت بها نزوات ، وفجّرتها شهوات ؟ بل أقول لماذا تريد الصوفية — في الحقيقة — أن نكفر بالإسلام ؟ أو أن نؤمن بأنه دين خيالات افترتها خيالات ، وبأنه فنون من تهاويل جنون .

إن الذي يمس قلبه نفحةٌ من إيمان بأن اليهودية مثلاً حق ، فإنه يؤكد بهذا أنه يكفر كفراً صريحاً بالإسلام ، والصوفية لا تحقد هي والشيوعية على دين كما يحقدان على الإسلام ، ولو أن هذه الأمة استبدلت بالإسلام الصليبية مثلاً لأندى هذا من غليل الصوفية والشيوعية ، ولخمد أوار حقدهما على أمتنا ؛ لأنها صارت غير مسلمة .

إننا في مقاييسنا الحسية الذوقية لا نسوي أبداً بين المرارة والحلاوة ، أو بين الخشونة والنعومة ، أو بين الحرارة والبرودة ! ! .

وفي مقاييسنا الخلقية لا نسوي بين الشر والخير ، أو بين الرذيلة والفضيلة ، أو بين الكذب والخيانة والصدق والأمانة .

وفي مقاييسنا الفكرية لا نسوي بين النقيضين ، أو بين الضدين ولا بين الحق والباطل ، ولا بين الصواب والخطأ ، هل نستطيع أن نحكم على الشيء بأنه موجود وغير موجود في وقت واحد ؟ وبالتساوي التام بين مفهوم الوجود ومفهوم العدم ؟ .

وفي مقاييسنا الاقتصادية لا نسوي بين الشيوعية والرأسمالية ، بل لا نسوي حتى بين الرأسمالية المستغلة والرأسمالية الوطنية ! ! .

وفي مقاييسنا الأدبية لا نسوي بين الشعر والنثر ، ولا بين أدب الخطابة وأدب الكتابة ولا بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ، ولا بين شعر شوقي وشعر حافظ .

أما في مقاييسنا الدينية ، فالصوفية تفرض علينا أن نؤمن بأن الهدى عين الضلال ،

وبأن الإيمان عين الكفر ، وبأن التوحيد الخالص عين الشرك الغليظ ، وبأن الإسلام هو الصهيونية ، والمجوسية ، والصليبية والبوذية هو عين كل هذه المتناقضات من ردغة الضلالات ، وحمأة الزندقات .

بل أن نؤمن بأنه لا دين اسمه الإسلام ، ولا كتاب اسمه القرآن ، ولا رب اسمه الله ! ! إنما الرب هذا الكون بما فيه ومن فيه ! ! .

وفى هذا تعانق الشيوعية الصوفية ، فكلاهما إلبٌ على الإسلام ، وما عنيت الشيوعية بالقضاء على دين كما عنيت بالقضاء على الإسلام ففى الأديان الوضعية عوامل كفيلة بالقضاء على هذه الأديان ، ثم هى تصالح غايات الشيوعية التى تستهدف القضاء على الإسلام .

إن الشيوعية فى حربها للأديان الوضعية تعلم أنها تحارب فتنة شيطان وشهوات إنسان ، أما فى حربها للإسلام ، فهى تعلم أنها تحارب هداية القهار الديان ولهذا تجدُّ فى حربه والكيد له ، والائتمار به بكل وسيلة ، ولهذا أيضاً منيت بالهزيمة فى كثير من المعارك التى خاضتها ضد هذا الدين القويم وما كان انتصارها فى بعض معاركها إلا نتيجة حتمية لسبب واضح هو أن الذين حاربوها باسم الإسلام لم يكونوا مسلمين ، ونحن نشهد فى هذه الأيام حفاوة كبيرة من الشيوعية بأفق الصوفية وإفكها ؛ لأن الصوفية — كما رأينا — حفية بالقضاء على القرآن ، ودين القرآن ، وأمة القرآن ، والكفر برسول القرآن والرب الذى نزل القرآن ! .

إن القرآن يلعن كل هذه الأديان الوضعية التى ابتدعتها ضلالات الذين كدوا فى سبيل استعباد البشر لأهوائهم ونزواتهم ، وسلوا التاريخ عمن افترى اليهودية أو الصهيونية ؟ وسلوه عن الصهيونى الخبيث الذى ابتدع الصليبية ، ونحن نرضى جواب التاريخ .

فما للصوفية — والقرآن يلعن كل هذه الأديان — تدعونا إلى الإيمان بها وبقداستها ، وبسموها العظيم ، وإلى التسوية التامة بينها وبين الإسلام ؟ تقترف الصوفية هذا والله

يقول : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولـكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين) ويقول : (ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وبعد التدبر نسأل كيف يكون المرء مسلماً يهودياً مشركاً فى وقت واحد ! ! .

إن الشيوعية والصوفيه تؤكدان لنا أن هذا المستحيل الذى يشهد العقـل والواقع باستحالته يتجلى كثيراً فى أفق الإمكان الرحيب !-! .

قد يكون هذا المستحيل ذا وجود فى هوى الشيوعى والصوفى ، وتصورهما لمستقبل أمتنا الإسلامية ! ! ولـكن الله غالب على أمره ولو كره المشركون .

أما المسلم فيدين بأن الله سبحانه لم ينزل على البشر ديناً غير دين الإسلام . ويؤمن بأن الله قد أرسل بهذا الدين وحده رسله تترى مبشرين ومنذرين إلى أن خُتم أنبياؤه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

لا دين سوى الإسلام ، يؤمن المسلم كما يقرر القرآن بأن نوحاً وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى كانوا رسلاً من رسل الإسلام .

ويؤمن بأن الله أرسل محمـداً بالإسلام كاملاً ، وبالنعمة تامة ، وبرسالته ختمت الرسالات ، وبنبوته ختمت النبوات ، فلا كتاب للإسلام بعد كتابه ، ولا نبى للإسلام بعد نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولا يقر المسلم أبداً بما يهدف به خَرَف الجهال ، ووثنية الجاهلين بأن هذا الشرق كان مهبط أديان سماوية متعددة ، وإنما يقر ويدين بأنه كان مهبط دين واحد ، هو دين الإسلام . وفى القرآن آيات كثيرات تؤيد هذه الحقيقة التى أفلح المستعمر فى أن يجعلها أمام أعيننا غريبة يجحد بها اللب ، أو ضلالة يتمرد عليها القلب ، فنعلِّم أبناءنا فى المدارس ما يصرفهم عن هـذه الحقيقة المشرقة ؛ إذ نؤكد لهم فى الـكتب التى يدرسونها أن الشرق هو مهبط الأديان السماوية واليهودية والمسيحية والإسلام ، وهكذا نسوى بين ما افترته شهوات البشر ، وبين ما نزل رب البشر ! ! .

وهكذا نؤكد للصهيونية إيماننا بها ، وبأن موسى كان صهيونياً — واليهودية هى هى الصهيونية — وبأن عيسى كان صليبياً ، مع قول الله سبحانه عن موسى (وقال موسى : ياقوم إن كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس : ٨٤ .

وقوله — جل شأنه — عن حواريى عيسى : (قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون) آل عمران : ٥٢ .

غير أن القرآن — قد قرر وحدة الدين الذى دعا إليه الرسل جميعاً — قرر أنه كان لكل رسول شرعة ومنهاج ، وبرَّأ أنبياء بنى إسرائيل من اليهودية والنصرانية ، وأثبت لنا أنهم جميعاً كانوا أنبياء الإسلام . تدبر قول الله سبحانه : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لما بين يديه من الكتابِ وَمُهَيْمِناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبعْ أهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) المائدة : ٤٨ .

وقوله : (وقالوا : كونوا هُودًا أو نصارى تَهْتَدُوا . قل : بل مِلَّةَ إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين) البقرة : ١٣٥ .

وقوله : (أم تقولونَ : إن إبراهيمَ وإسماعيلَ ، وإسحاقَ ويعقوب والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارى ، قل : أأنتم أعلمُ أم الله ، ومن أظلمُ مِمَّن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافلٍ عما تعملون) البقرة : ١٤٠ .

وقوله سبحانه : (إنا أنزلنا التوراةَ فيها هدًى ونورٌ يحكمُ بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحْفِظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء) المائدة : ٤٤ .

فهل تستنشى من هذا الهدى ريّاً اعتراف باليهودية والنصرانية .

إنك لتبصر لعنة الله ترجم هذه المفتريات السود الأضغان ! ! .

وترى البرهان المشرق من القرآن بأن الإسلام وحده هو الذى كان يدعو به وإليه ، كل رسول ونبى وولى وشهيد وصديق وربانى ! ! .

وترى القرآن يفرض علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه ما أنزل من يهودية ولا نصرانية ، ولا مجوسية ، ولا بوذية ، ولا برهمية ، ولا صابئية ولا غير هذا مما أفك المبطلون ! ! .

فكيف تفرض علينا الصوفية وأختها الشيوعية أن نسوى بين ما أنزل الرحمن ، وبين ما افترى الشيطان ؟ .

أما من يأتينا بأقوال تثبت غير ما يثبت القرآن ، فسنقول له : إننا لن نضرب قول الخالق بقول المخلوق ، ولن نبغى على صدق الرب الحكيم بكذب العبد الزنيم ، ولن نتجاوب أبداً مع فرية ملعونة يفتريها ملعون ! ! .

وإليك بعض النصوص من كتب أئمة الصوفية تشهد لما يثبت من دين الصوفية ، — ومن شاء سعة بيان فليقرأ كتابىَّ « هذه هى الصوفية ، ومصرع التصوف » .

يقول ابن عربى :

عقد الخلائق فى الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول فى ص ١٩٥ من الفصوص :

« والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مَجْلًى للحق يُعْبَد فيه ؛ لذلك سَمَّوْه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو كوكب ، أو ملَك » .

هكذا يصوب ابن عربى عبادة الحجر والشجر والحيوان .

هكذا يحكم بربوبية الحجر والشجر والحيوان .

هكذا يحكم بأن الله هو عين الحجر والشجر ، والحيوان ، والكوكب والملَك ، والشيطان .

فما رأى عميد كلية أصول الدين فى هذا الدين ؟ .

يقول فى ديوان شعره :

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
لقد صار قلبى قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنَّى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

ويقول : « فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، وكن فى نفسك « هيولى » لصور المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد دون عقد فالكل مصيب ، وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضى عنه » .
ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم ط ١٣٠٩ .

فى شعره الأثيم يعترف كاهن الصوفية الأكبر أنه صليبى وثنى يهودى مسلم ! ! ، وفى هذا يهلل له عشاق باطله . ولو أنه قال : أنا شيوعى رأسمالى لرجموه بكل لعنة ! !..

فشيوعية ماركس ولينين أعز عندهم من دين رب العالمين ! ! .

وفى نصه الثانى يحذرنا من أن نتخذ لنا ديناً خاصاً ، ونكفر بما سواه مما اتخذ البشر من أديان .

يحذرنا من الإيمان بالإسلام مع كفرنا بتلك الأباطيل التى اتخذت أدياناً من دون الإسلام ، فإن هذه الأباطيل ، وإن كانت من صنع البشر ووضعهم ، إلا أنها أيضاً من صنع الله ووضعه ، لأنه عين هؤلاء البشر .

وتأمل حكمه على اليهود بأنهم مصيبون ! ! .

تأمل حكمه على الصليبيين بأنهم مصيبون ! ! .

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصليبيين ! ! .

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصهيونيين ! ! .

تأمل حكمه على هؤلاء العدو الألد الخصام بأن لهم عند الله أجراً عظيما ! ! .

كلهم مؤمنون ، كلهم ناجون ، كلهم مأجورون ! ! .

غير أنا نعرض على العقل إن كان للشيوعية وللصوفية عقل — ما يأتى :

لقد قال اليهود والصليبيون عن الله ما يأتى : « فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمله » وقالوا: «وسمع وسمعا هوة الرب الإله ماشياً فى الجنة وقالوا : « فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه » وقالت : « فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض » وقالوا عن الله ويعقوب : « فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه » والانسان هنا هو الله الذى زعموا أن يعقوب كان يغلبه !! .

وقالوا عن علاقة الله ببنى إسرائيل : « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم ، لكى يمشوا نهاراً وليلا » .

وقالوا أيضاً عن موسى وهرون وناداب وابيهو[(١)] وسبعين من شيوخ إسرائيل أنهم « رأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صدفة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا » وقالوا : عن موسى أنه قال لله « ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك .. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » وقالوا عن الله : «لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك : فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم بصنعه بهم فلم يصنعه » ماهذا الإله الذى يندم . ويصارعه إنسان ؟ !

وقالت الصليبية عن الله إنه سجن فى بطن مريم . وأنه نزل من فرجها . وأنه صلب وأنه قبر ، وأنه قام » وقالت على لسان اليهودى بولس وهو يعلم كراهية إسماعيل عليه السلام وكراهية العرب جميعاً . ويدعو إلى عصبية مرذولة : « إنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما الذى من الحرة فبالموعد . وكل ذلك رمزاً لأن هاتين هما المهدان أحدهما من جبل

---

(١) ناداب وأبيهو ولدا هرون كما يؤرخ اليهود .

سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ؛ لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة ، فإنها مستعبدة مع بنيها وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة . لكن ماذا يقول الكتاب : أطرد الجارية وابنها لأنه يرث ابن الجارية مع إبن الحرة ، إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة » فماذا يقول الأستاذ محمود ؟ والدكتور عبد الحليم ، ودين الصليبية يفرض هذه الحمية المقيتة ، ويحقر من شأن العرب جميعاً ؟ !

ورمت اليهودية سليمان بعبادة الأصنام وبهتت داود بالزنا والقتل الأثيم ، ومريم بالخطيئة . ويعقوب بالخيانة . وسفحت دماء الأرامل واليتامى ظلماً وعدوانا ، فلها فى الحرب شريعة تقول : « حين تقرب من مدينة ـ لكى تحاربها ـ استدعها إلى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك ، وعملت معك حربا ، فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلٰهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكلُّ ما فى المدينة كُلُّ غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلٰهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء العرب التى يعطيك الرب إلٰهك نصيبك ، فلا تستبق منها نسمةً ما ، بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلٰهك[1] »

وبهذا الدين خربت اليهود ماخربت ، وبغت على من بغت ، وعصفت بالأمن والسكينة عصف الإعصار المدمر بالزهور الباسمة !! .

وظاهرتها الصليبية فى عدوانها الأثيم ، فهى لا تنقض حرفا واحداً من شرعة اليهود وعاثت فى الأرض فساداً وظلماً . وعدوانا . فهل تقول عن هؤلاء إنهم مصيبون ؟

(للمقال بقية)　　　　عبد الرحمن الوكيل

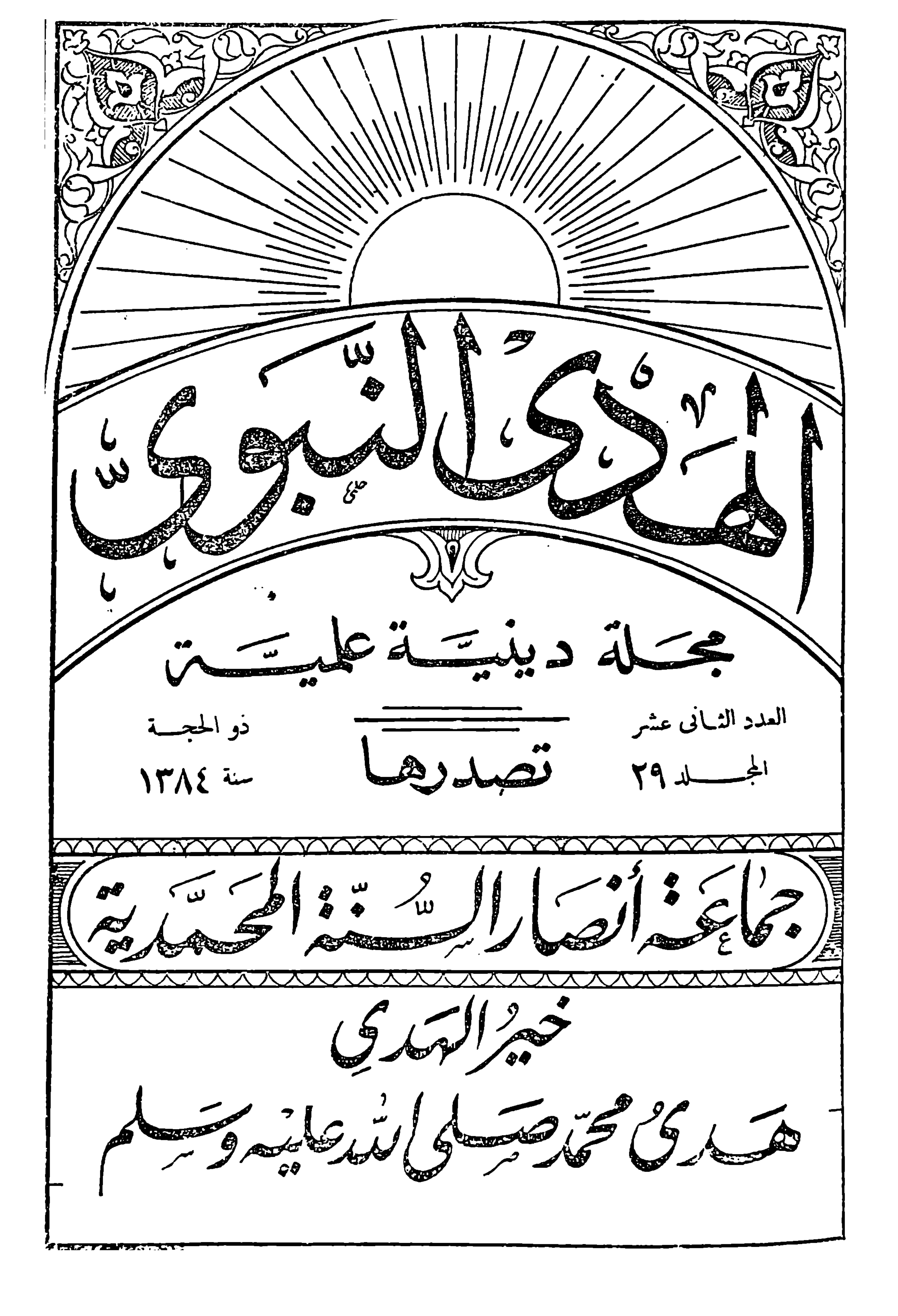
---

(١) تكوين إصحاح رقم ٢ وإصحاح رقم ٣ وإصحاح رقم ٦ وسفر التكوين إصحاح ٣٢ وسفر الخروج إصحاح ١٣ ، إصحاح ٣٢،٢٤ . وسفر يونان إصحاح ٣ ورسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ٤ . وسفر تثنية إصحاح رقم ٢٠ .



مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير — القاهرة

الثمن ٣٠ مليما


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
العدد الثانى عشر
المجلد ٢٩
تصدرها
ذو الحجة
سنة ١٣٨٤
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	تفسير القرآن الكريم . . .	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	الرحمة . .	بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا
١٨	الشيوعية تعانق الصوفية	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٢٧	نظرات فى المجتمع والشريعة	« « السيد رزق الطويل
٣٣	من علم السنة	للأستاذ محمد نجيب المطيعى
٤٣	الفتاوى	للأستاذ الدكتور محمد خليل هراس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
سليمان رشوان
الاشتراك السنوي
٣٠ قرشًا في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٩١٥٥٧٦

العـــدد ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٨٤ المجلد ٢٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – : (إِنَّ الذين آمنوا ، وَعَمِلوا الصَّالحاتِ كانت لهم جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً . خالدين فيها لا يَبْغُون عنها حِوَلاً . قُلْ : لو كان الْبَحْرُ مِدَادًا لِكلمات رَبِّي لَنَفِدَ البحرُ قَبْلَ أن تَنفَدَ كَلِماتُ رَبِّي ، ولو جِئْنا بِمِثْله مَدَدًا) .
الكهف : ١٠٧ – ١٠٩ .

« معاني المفردات »

آمنوا : قال الراغب في مفرداته : الأمن طمأنينة النفس ، وزوال الخوف .. والإيمان يستعمل تارة للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته . . وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح . . إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن .

الصالحات : الصلاح ضد الفساد ، وهما مختصان فى الاستعمال بالأفعال ، وقوبل تارة فى القرآن بالفساد . وتارة بالسيئة . ولكى نعرف مفهوم الصلاح نذكر أن الفساد هو خروج الشىء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أوكثيراً ، ويستعمل فى النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة . « الراغب »

الفردوس [1] : قال ابن الأثير فى النهاية : هو البستان الذى فيه الكرم والأشجار والجمع : فراديس . وجاء فى المعجم الوسيط عنه : البستان الجامع لكل ما يكون فى البساتين وهو مذكر ، وقد يؤنث . ويقال أيضاً على المكان الذى تكثر فيه الكروم ، وعلى الوادى الخصيب . ويقال : فَرْدَسَ الكرمَ : وسَّعه وعَرَّشه « الكرم ــ العنب » .

نُزُلا : النزل : ما يعد للنازل من الزاد . وقِرى الضيف ، وتضم زايُهُ . ويراد به ما للشهداء وغيرهم من المؤمنين عند الله من الأجر والثواب : « عن الراغب وابن الأثير بتصرف » .

يبغون : يقال : بغيت الشىء إذا طلبت أكثر ما يجب . وقد جعل ابن فارس مادة الكلمة دالة على أصلين . أحدهما : طلب الشىء ، والآخر : جنس من الفساد .

حِوَلاً : قال الراغب : أصل الحول : تغير الشىء وانفصاله عن غيره . وباعتبار التغير قيل : حال الشىء يحول ، وباعتبار الانفصال قيل : حال بينى وبينك كذا . ولا يبغون عنها حولا : تَحَوُّلا .

مدادًا : سمى ما يكتب به مدادا ؛ لأنه يُمد بالماء . يقال : مددت الدواء وأمددتها .

كلمات قال ابن فارس عن مادة الكلمة إنها تدل على أصلين . أحدهما : يدل على

---

[1] ورد فى قاموس الدكتور بوست « فردوس كلة مشتقة من الفارسية معناها بهجة أو بستان أو جنينة ويقصد بها فى الكتاب ــ يعنى كتاب المسيحيين ــ النعيم » وقد جاء ذكرها فى إصحاح ٢٢ من إنجيل لوقا وفى الإصحاح الثانى من رؤيا يوحنا .

ملقٍ مُفْهم ، والآخر : على جراح . . وقد تسمى اللفظة الواحدة المفهِمة كلمة ، والقصة
كلمة ، والقصيدة بطولها كلمة . وجمع الكلمة كلمات وكَلِماً .

تنفد : قال الراغب : النفاد الفناء وقال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على
نطاع شيء وفنائه .

مدداً : قال ابن فارس : مَدَدْتَ الشيء أمده مَدًّا ، ومَدّ النهرُ ، ومده نهرٌ آخر
، زاد فيه ، وواصله ، فأطال مدته ، وأمددت الجيش بمدد .

« المعـــنى »

بينت الآيات السابقة مصير الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ،
م يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وقد وضح المصير الذى نستعيذ بالله رب العالمين منه
إخبار الله ــ سبحانه ــ أنه لا يقيم لهم وزنا يوم القيامة ، وأنه سيجزيهم جهنم بكفرهم
اتخاذهم آيات الله هزواً .

أما هذه الآيات فتبين مصير الطرف المقابل . مصير المؤمنين الذين جمعوا بين أمرين
لازمين . الإيمان ، والعمل الصالح .

والإيمان طمأنينة النفس بعقيدة حَقّ من الله سبحانه . هو التصديق الذى يغمر النفس
كينة وأمْناً بكل ما أخبر به الله سبحانه عن نفسه ، وعن رسله ، وعن جميع خلقه ، وعن
نيب كله ، دون مَسَّةٍ من رَيْب ، أو همسة شَكّ ، أو سَعْيٍ إلى تحريف للكلم عن
اضعه ، أو إلى تأويلٍ هو شر أنواع التحريف .

وإذا بسطت هذه العقيدة سلطانها على النفس ، وسيطر الإيمان بها على نوازع
لحس ، سيطرت إرادتها على خُلُق المرء وسلوكه ، ودفعت به فى رضى ويقين إلى طاعة
ه ورسوله ، وخشية ربه وتقواه . وهذا هو لازم العقيدة الصالحة ، أو لازم الإيمان
صحيح . أى يلزم من الإيمان الصحيح العمل بكل ما أمر الله به ، والتكلم بما يرضيه ،
الإقرار الصادع بما يعتقد فى ربه سبحانه .

أما العمل الصالح ، فهو العمل الذى لا يخرج عن حد الاعتدال ويختص بإزالة النفار بين النفس والحق والخير . العمل الذى فيه استقامة النفس على أمر الله . العمل الذى ينبعث عن إرادة خَيِّرة ، ويستهدف رضوان الله ، ويتأسى بما بيّن الله وفعل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجد فى الكتاب والسنة فالعرف الحق الخيِّر الذى تعارفت عليه أمة مسلمة سيطر على دنياها ودينها هَدْىُ الله سبحانه ، وعاشت لإعلاء كلمة الله جل شأنه .

ولهذا لا يطلق العمل الصالح فى القرآن على العبادات فحسب ، وإنما يطلق على كل سلوك إنسانى فى الحياة كان وصفه كما قدمت . سواء أكان صلاة ، أم حجاً ، أم عملا تجارياً ، أم عملا زراعياً ، أم غير ذلك مما يُقوَّم بانه عمل .

ولهذا ورد مفهوم « العمل » فى القرآن مطلقاً غير مقيد بوصف إلا بوصف يحبه الله وهو أنه « صالح » .

وهذا يؤكد لنا مبلغ تعظيم الإسلام للعمل ، واحترامه له .

والذى يعمل لا بد من أن يخطىء ، إذ كل ابن آدم خَطّاء . والإسلام يكره منك أن تترك العمل مخافة أن تخطىء ، ثم تعيش عالة فى تواكل ذميم .

ولهذا وهب الله سبحانه من رحمته ما يشجعك على العمل ويحول بينك وبين السلبية المقيتة ، أو لَىّ النفس عن المشاركة فى بناء نفسك وأسرتك ومجتمعك وأمتك، فقرر أن الله يعفو عن كثير ، ثم تدبر قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً ، وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) (ومن يعمل سُوءا ، أو يظلمْ نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) (إن الحسنات يُذْهِبْن السيئات) (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات) وهذه رحمة بَيِّنة توحى إلى الإنسان بحب العمل ، وتحثه عليه دون أن يحول بينه وبين الخوف من عثرات قد يبتلى بها . فإن الله سبحانه يُقيله من عثراته ، ويعفو عن سيئاته إذا كان فى نفس الصورة المشرقة التى رسمتها الآيات .

والعمل الدينى لا يكون صالحاً إلا بشرطين متلازمين كل التلازم أحدهما أن يكون

صوابًا ، أى موافقًا لما سَنَّ الله سبحانه . وبين رسوله ـ صلى الله عليه وسلم . الأمر الآخر : أن يقصد به وجه الله وحده وسيأتى ـ إن شاء الله البيان .

العلاقة بين الإيمان والعمل وجزاؤهما : والقرآن لا يقبل إيمانًا بدون عمل ، ولا يقبل عملا بدون إيمان ، ولهذا قرن فى كثير من آياته بين الإيمان والعمل . ووضح الجزاء العظيم الأوفى عنهما .

أما إن القرآن لا يقبل عملا بدون إيمان صحيح ، فقد تبينَ فى الآية السابقة (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم) وفى آيات كثيرة غيرها .

أما ربط القرآن بين الإيمان والعمل الصالح ، فقد تكرر فى كثير من آياته مقترنا هذا الربط بالجزاء العظيم الذى أعد الله سبحانه ، ولنتدبر معًا هذه الآيات .

(وبشر الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات أن لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنها ، كلما رُزِقوا منها من ثمرة رزقًا ، قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبل ، وأُتوا به متشابهًا ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون) البقرة : ٨٢ .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاة لهم أجرُهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) البقرة : ٢٧٧ .

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، وعد الله حقا ، ومن أصدق من الله قيلا) النساء : ١٢٢ .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهمُ الأنهار . فى جنات النعيم . دَعْواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) يونس : ٩ ، ١٠ .

(وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ليستخلفَنَّهمْ فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ،

يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك ، فأولئك هم الفاسقون ﴾ النور : ٥٥ .

ومن يتدبر هذه الآيات يجد أن القرآن يتبع ذكر الإيمان بذكر العمل الصالح ، يتبع الملزوم بذكر اللازم ؛ ليؤكد لنا أنه لا قيمة لإيمان بدون عمل ، بل لا وجود لإيمان صادق بدون عمل صالح ، كما يتبين له أيضاً أن الله أعلا للإيمان والعمل الصالح جزاء فى الدنيا ، وجزاء فى الآخرة ، وجزاء للفرد ، وجزاء للأمة . أما جزاء الآخرة فالجنة بما بيّن الله . وأما جزاء الدنيا ، فالاستخلاف فى الأرض ، وتمكين الإسلام ، وهو الدين الذى ارتضاه الله ، وتبديل الأمة أمنا بعد خوفها .

فالتسمع الأمم ، ولتع وعدالله سبحانه ، ووعدُ الله حق وصدق وعدل وخيروسعادة . ولن تنال الأمة الإسلامية الاستخلاف فى الأرض وغيره مما وعد الله إلا بشروطه « يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » ولنتأمل وعد الله هنا فى هذه الآية .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) بغير الإيمان مقترنا بالعمل الصالح لا تكون جنة الفردوس . بغير الحقيقة كاملة التى باطنها الإيمان وظاهرها العمل الصالح لا يكون الثواب . والذين يفصلون بين الأمرين ، يفصلون بين الروح والجسم أو بين الشمس وضوئها .

وقد أعد الله لذوى الإيمان والعمل الصالح نزلا كريماً ، أو ضيافة كريمة . هى جنات الفردوس . وقد جاء النُّزُل مُفَصَّلا فى كثير من آيات القرآن ، وقد ذكرتك ببعضها ، فتتبع ثواب المؤمنين المذكور فى القرآن ، فهو نزل جنات الفردوس ، وإذا فعلت هذا بينت لك حقيقة الفردوس . فهى مثلا المذكورة فى الآية رقم « ٨٢ » من سورة البقرة . وقد ذكرتك بها . ولم قلت هذا ؟ قلت هذا لأن الله يقول هنا : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » ويقول فى سورة البقرة « وبشر الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » الآية . . فالجزاء هنا على

الإيمان والعمل الصالح ، وهناك على الإيمان والعمل الصالح ، وهذا يقتضى وحدة الجزاء والتساوى فى المفهوم ، فالفردوس إذن هى الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار المذكورة فى سورة البقرة ، وفى كل آية تحدثت عن جزاء الإيمان والعمل الصالح . ولم يجىء ذكر الفردوس سوى مرتين فى القرآن . مرة فى هذه السورة . والآخرى فى سورة «المؤمنون» : (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

أقوال فى الفردوس : وقد ذكر المفسرون عن الفردوس أقوالا منسوبة إلى أصحابها . وأحب أن أذكرها لك .

قالوا عنها : هى معظم الجنة ، أو ربوة الجنة ، أو أوسطها وأفضلها ، أو سُرَّة الجنة ، أو البستان باللغة الرومية أو الحبشية ، أو البستان الذى فيه الأعناب ، والذى يجمع الكرم والنخل وقد ورد فى الصحيحين : « إذا سألتم الله الجنة ، فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » .

ومن يتدبر الحديث ولا سيما آخره ، يجد فيه إشراقة من قول الله فى سورة البقرة : وحسبنا هدى الله ، وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم . (خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلا) .

والخلود هو الثبات والملازمة أو هو كما عرفه الراغب مفصلا ـ تَبرِّى الشىء عن اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التى هى عليه . وكل ما يتعاطى عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود . وهو تعريف دقيق ، ومنه يتبين لنا أن أهل الجنة يبقون فيها دون أن يصيبهم نصب أو لغوب ، أو صيرورة إلى بوارٍ ، أو فساد ، أى دون أن ينال منهم كر الأحقاب والأجيال ما ينال من أهل الدنيا . تعرف فى وجوههم دائماً نضرة النعيم . ولقد جىء فى غير هذه الآية بكلمة « أبدا » والأبد زمان ممتد لا يتجزأ كما يتجزأ زماننا ، وقيل هى الدهر . وتستعمل ظرف زمان للمستقبل مستعملا مع الإثبات والنفى ، وهنا يدل على الاستمرار . غير أن هذا الاستمرار قد يقيد بمدة مثل ما جاء فى قوله سبحانه قاصا قول بنى إسرائيل : (إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) .

وورود الكلمتين معاً ليس تكراراً ، وإنما هو لبيان أمرين : الأول بقاء أهل الجنة على حالهم من النعيم والعافية والنضرة دون صيرورة إلى شيء آخر ، وهذا هو الخلود . والأمر الآخر استمرار هذ البقاء دون انقطاع ، أو أن بقاءهم فى زمان لا نهاية له . وهذه هى الأبدية . وقد تكرر ذكر الأبدية والخلود مع نعيم أهل الجنة تسع مرات فى القرآن . وذكر مع عذاب أهل النار ثلاث مرات فقط .

« لا يبغون عنها حولا » لا يطلبون عن جنات الفردوس تَحَوُّلاً أو انفصالا .

(قل : لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا) الله سبحانه هو الأول والآخر ، وهو الرب الحق والإله الحق ، وهو الخالق القادر الذى بيده وحده ملكوت كل شيء ، وهو الذى لا تتناهى كلماته فإنه سبحانه لم يزل متكلما . أما البحر بكل أنواعه فمحدود له بداية ونهاية . ولهذا فهو لا يمكن ـ إذا جعلناه مدادا ـ إلا أن ينفد وينتهى ، قبل أن تنفد كلمات الله . فى الحقيقة لأنها لا تنفد ، وهل ينفد كلام مَنْ هو الأول والآخر الذى ليس قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا فوقه شيء ؟

ولهذا قال الله سبحانه : (ولو أَنَّ ما فى الأرض من شجرةٍ أقلامٌ ، والبحر يمده من بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ الله إن الله عزيز حكيم . ما خَلْقُكُمْ ، ولا بَعْثُكُمْ إلا كَنَفْسٍ واحدةٍ ، إن الله سميعٌ بصير) لقمان : ٢٧ ، ٢٨ وتدبر أنت هذا . تدبر أن تكون كل الأشجار أقلاماً ، وأن تكون بحار الأرض كلها ، ومثلها سبع مرات مداداً تكتب به هذه الأقلام . إنها ستنفد دون أن تنفد كلمات الله . ثم تدبر أن الله يبين لنا ـ سبحانه ـ أن خلقنا جميعاً ، وبعثنا جميعاً عنده كنفس واحدة . بكلمة كُنْ . فإذا كان كل الخلق ، وكل البعث بكلمة واحدة ، فما أعظم كلمات الله الباقيات ! ! ولن يستطيع بيانٌ ـ مهما تسامى وبلغ أفق البلاغة ـ أن يحيط بشيء ما من هذه العظمة ! !

يخلق النفس الواحدة بكلمة كن . ولا يتطلب منه الخلق كله ، ولا البعث كله

إلا هذه الكلمة نفسها تدبر (أَفَعَيِينا بالخلق الأول ؟ بل هُمْ فى لَبْسٍ من خلق جديد) ق : ١٥ وتدبر (أَوَلَمْ يَرَوْا أن الله الذى خَلَقَ السَّموات والأرضَ ، ولم يَعْىَ بخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ على أن يحيي الموتى ؟ بَلَى إنه على كل شىء قدير) الأحقاف : ٣٣ (ولقد خلقنا السموات والأرض ، وما بينهما فى ستة أيام ، وما مَسَّنَا من لُغُوبٍ) ق : ٣٨ ما مَسَّه سبحانه عَجْزٌ ، ولا مَسَّه تعب وهل يعجزه شىء ، أو يمسه تعب مَنْ يخلق كل شىء بكلمة واحدة ؟

ثم اقرأ ما تبهت به اليهودُ الله سبحانه . وذلك فيما ذكروه فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدسه ، لأنه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً » واقرأ أيضاً بهتانهم فى الإصحاح السادس . « فحزن الرب أنه عمل الإنسان ، وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقتهُ . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم ، وأما نوح ، فوجد نعمة فى عينى الرب » .

بعد هذا الغثاء من الكفر ، تدبر الآيات التى ذكرتك بها وقصة نوح فى القرآن ، لتحمد الله ــ سبحانه ــ على أنه نزَّل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا .

ونحمد الله سبحانه ، ونضرع إليه أن يهدينا سواء السبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

حكمة

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت، وإن تقصد إلى الباب تهتد

الرحمـــــة

بقلم السيدة الجليلة حرم « الدكتور محمد رضا » (١)

الرحمه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى . فهو الرحمن : الرحمة صفته وهو الرحيم: الرحمة عمله .

وهى غريزة وضعها الرحمن الرحيم فى قلوب عباده رحمة بهم، إذ تدعو المرء إلى محاولة إنقاذ غيره من ألمه أو شقوته . وإيقاظ الظالم لنفسه من غفلته . فالرحمة شعور كريم يدفع إلى عمل كريم مدحه الله تعالى ومدح الذين يتواصون به فى قوله [وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة] ولعظيم رحمة الله بعباده أرسل لهم رسلا وأنزل لهم كتبا ليهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويرحمهم من العذاب الأليم [هو الذى يُنَزِّل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم] .

فكتاب الله رحمة بالعباد وأى رحمة ، إذ يخرج الجاهل من ظلمات جهله وغفلته إلى نور الإيمان بالله فيرى آياته ويفهم عظاته ويقدر رحمته ويشكر نعمته . إنه شفاء لما فى الصدور وهدى للمؤمنين إلى خير الدارين . ورحمة من شقاء الحياتين . فلا شقاء فى الدنيا ولا فى الآخرة كالبعد عن الله ، مهما كان المرء ثرياً أو ملكا عظيما تنحنى له الرؤوس وتخضع له النفوس . وصدق تعالى فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين] . ومن واسع رحمة الله تعالى بعباده ألاّ يؤاخذ من أخطأ وهو لا يفهم ، وأن يغفر لمن أذنب وهو لا يعلم . قال تعالى [وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما] .

---

(١) سنجد فى المقال الرائع جديداً لم يطرقه كاتب من قبل ، وبصيرة مشرقة بالقرآن الكريم ، وفهما دقيقاً لمراميه ، وأسلوبا مشرق الديباجة .

عبد الرحمن

وهو يغفر لمن يعمل السوء بجهالة ثم يتوب من بعد ذلك ويصلح ، فلا عقاب لمن عمل سوءا وهو جاهل فى رعونة الشباب وذهول الطيش . على شرط أن يتوب من قريب ويصلح ، ولا يصبر على ما فعل وهو يعلم . كما بين تعالى فى قوله [كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم] .

بل إنه تعالى يغفر لكل من ندم على ما فعل من سوء وتاب إليه ، مهما كان الذنب كبيراً كما وعد سبحانه فى قوله [قل يا عبادِيَ الذينَ أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم] وفى قوله [ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما] وفى قوله [فمن تاب من بعدظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم] .

نفهم من هذه الآيات الكريمة أن الرحمن الرحيم يرحم عبده النادم التائب إذا ارعوى وعمل صالحاً فيقبل توبته .

وقال تعالى فى كتابه الكريم : (إن الحسنات يذهبن السيئات) أى أن الأعمال الصالحة والصدقات تكفر عن السيئات . ومن رحمة الله الواسعة أن يأخذ هذه الصدقات ويتكرم على عبده بقبولها وهو فى غنى عنها ليكفر بها عن سيئاته كما بين فى قوله [ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم] .

وبين تعالى لعباده أن لا يؤاخذ ولا يعاقب أحداً إلا بعد إرساله له رسولا يعلمه ويفهمه أوامر ربه ويدله على الصراط المستقيم ، ويحذره مما يغضب الله ، فقال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] .

وقال تعالى [ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون] خص تعالى بالذكر الذين يؤتون الزكاة بعد ذكره الذين يتقون . مع أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكل فرائض الله وأوامره من شروط التقوى . وهذا التخصيص بعد التعميم إشارة إلى أن إيتاء الزكاة رحمة بالمسكين والمريض واليتيم .

ومن يرحم برحمة الله ، فالجزاء من جنس العمل . وأمر تعالى الإنسان بالرحمة لمن هو جدير بالرحمة فقال [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا] .

أراد الرحمن الرحيم أن يرأف بالشيخوخة لأنها عذاب وضعف ومرض وحرمان . وأن يعرف المرء جميل من أحسن إليه ورحمه فى ضعف الطفولة فيرحمه هو فى ضعف الشيخوخة . فأمر الإنسان بأنْ يعطف على شيخوخة أبويه ويكون لهما عزاء ، ويذل لهما ويخضع لأمرهما رحمة بهما ، ويطلب لهما من الله الرحمة .

وجعل تعالى فى قلب الزوج لزوجه مودة ورحمة [ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون] .

وهذه الرحمة المتبادلة بين الزوجين ضرورة لحياة الإنسان المليئة بالمتاعب والأمراض والأحزان . فالزوج لزوجه عضو وسند يسكن إليه ويطمئن له . ولولا هذه الرحمة ماعطف الزوج على زوجه وعاونه فى متاعب الحياة ، وخدمه وحنا عليه فى مرضه ومحنته . فهذه الرحمة وهذه المودة نعمة من الله تعالى على الإنسان .

وأمر تعالى بالرحمة لكل من يستحق الرحمة فى قوله [واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجارذى والقربى والجار الجُنُبِ والصاحب بالجَنْبِ وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا] .

فمن الرحمة الواجبة على كل إنسان : الإحسان إلى كل هؤلاء فى رقة وتواضع ، لا فى اختيال وفخر بما أعطاه وما أسداه . فلا بد من إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وعلاج المريض وتعليم الجاهل وتنبيه الغافل .

ومن رحمة الله تعالى الذى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، أن لا يكلف نفساً إلا وسعها . فأمر المريض والمسافر بالإفطار فى رمضان ، وأمر من يطيق الصوم بالفدية ، وجعل التَّيمم بدلا من الوضوء والاغتسال عند عدم القدرة على استعمال الماء أو عند عدم وجوده . وشرع للمسلم أن يصلى كيفما استطاع ، فإن لم يستطع قائماً فليصل قاعداً فإن لم يستطع فمضطجعاً . وأباح للمرأة الإفطار فى رمضان ،إذا هى شعرت بالضعف أثناء الحمل والرضاع . وأمرها بالإفطار فى أيام الحيض والنفاس رحمة بها فى هذه الأوقات . وهكذا أكد تعالى رحمته بعباده وأنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر . بل إنه أكد لهم بما أنعم عليهم بأنه يريد لهم السعادة والنعيم ، إذ أوجد لهم كثير المتع والملذات ، كما أوجد لهم الضروريات والكماليات . وأنعم على الإنسان بالعقل الذى يقدِّر فينعم ويشكر ليحظى بالأجر على شكره . فإنه تعالى لم يرد للإنسان أن يكون كالحيوان لا يقدر متعة ولا يفهم لذَّة ولا يأكل إلا ليعيش فقط . بل أراد أن يستمتع الإنسان ببدنه وعقله معاً ، فخلق له من الثمار والطعام شتى الألوان ، ونوع له الألوان والألحان . كما أوجد له مختلف الأزهار والرَّيحان ، وذلك ليستمتع بعقله وكل جوارحه . إنه تعالى دلل الإنسان ، فخلق له الجميل فى مظهره والجميل فى مخبره . ونوع له المتع والآلاء . وزين له ولون الأرض والسماء ، وسخر له ما بينهما من نبات وحيوان وماء وهواء وضياء . فكل نعمة رحمة ، وكم من نعمة ظاهرة وباطنة . كما قال تعالى : [وأسبغ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنة] ولن يستطيع المرء حصر نعم الله حتى يستطيع حصر رحمته .

[الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار] .

وألهم الرحمن الرحيم قلب كل أم من إنسان وحيوان وحشرة . بغريزة الرحمة

حفظاً للنوع وصيانة للحياة . فمن تأمل بعين فكره فى مظاهر الكائنات ، وأمعن بأنوار بصيرته فيما بها من باهر الآيات ، رأى آثار رحمته وآيات قدرته . [فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يُحيي الأرض بعد موتها] فانظر إلى الطفل فى مهده والزهرة فى فى طرف غصنها . وتأمل كيف تحنو الأم على وليدها ، وكيف يكلل الندى الأزهار ، وكيف يرسل الله الرياح بشْرًا بين يدى رحمته . وينزل من السماء ماء ليحيي به الأرض بعد موتها ويسقيه أنعاماً وَأَنَاسِيّ كثيراً ، ترَ آثار رحمته وعظيم قدرته . [ومن آياته أن يرسل الرِّياح مُبَشِّرَاتٍ وليذيقكم من رحمته] . وانظر إلى البواخر كيف تمخر فى البحار وهى تحمل ماخف وثقل وزنه من صناعات وتجارات ، وما تخرج الأرض من شتى الخيرات لتنقله إلى مختلف القارات [ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما] .

وانظر إلى الطيور كيف تبنى عشها ثم تملأه بريشها الناعم لتضع فيه بيضها وكيف تلازمه وترقد فوقه لتدفئه حتى يفرخ . وكيف تجمع له القوت ثم تذقه ولا تتركه وحده حتى يشتد ويتعلم منها كيف يطير وكيف يعيش . وانظر إلى اللبؤة والكلبة والهرة ، بل إلى كل ذوات الثدى كيف تُعْنَى بصغارها وكيف تحافظ على حياتها . وانظر إلى العقرب التى تحمل بويضاتها فوق ظهرها حتى تفرغ ، ثم تتغذى صغارها منها ومن دمها حتى تجف وتموت . تر آثار رحمته تعالى [ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً] . وانظر إلى رحمة الله الواسعة بالمرأة وهى تلد . فإن ألم المخاض لا يستمر مدة طويلة . بل يبتدىء خفيفاً ثم يزداد بالتدرج حتى إذا ما وصل إلى الدرجة القصوى وصار لا يحتمل ، بدأ فى التلاشى إلى أن يزول تماماً ثم لايبتدىء ثانياً إلا بعد عدة دقائق لتستريح الوالدة وتسترجع قواها [ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً] . وانظر كيف ينزع الرحمن الرحيم عن الحيوانات ذوات الشعر الطويل كالقطط الرومية والدببة وغيرها فروتها الغزيرة فى الربيع لتحتمل حر الصيف . ثم يعيد إليها شعرها الغزير الطويل فى الخريف ليقيها قر الشتاء فهو يجردها صيفاً ويكسوها شتاء [ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً] .

نعم . فإن رحمة الله وسعت كل شى . . فهو الذى ملأ القلوب بالرحمة . وهو الذى غمر عباده بالرحمة . فالمتألم إذا زاد ألمه رحمه الله بالإغماء . والمريض إذا استفحل مرضه رحمه الله بالموت . والحزين إذا طال حزنه رحمه الله بالنسيان . والمحروم إذا استمر حرمانه رحمه الله بالاعتياد . فإن الاعتياد نعمة ورحمة لا يفطن لهما الإنسان ولا يشعر بهما إلا حكيم نبيه . فمن اعتاد مشقة العمل وجد فيه لذته . فكم من عامل كادح يعشق مهنته . وقد يسعد الفقير بكوخه كما يسعد الثرى بقصره . وقد تسعد فقيرة بصندوقها الرخيص ومصاغها الفضى كما تسعد الثرية بأثاثها الثمين ومصاغها الماسى . ومن تعود المشى حافياً لا تؤلمه وعورة الطريق . ومن أمسك بالفأس والمنشار كل يوم تعودت يداه . ومن استمر صاعداً هابطاً فى بناء بيت تعود قلبه وتعودت قدماه .

فالقلب تقوى عضلاته بالحركة والعمل كالبدن . وجلد القدمين واليدين بالاحتكاك . فكلما احتك الجلد بشىء صُلْب تألم فى البداية وتورم ، ولكنه بعد التكرار يخشوشن ويتضخم . فترى من يمشى حافياً يلبسه الرحمن الرحيم نعلاً من الجلد الصلب . ومن تحتك يداه بشىء من صلب يلبسه الرحمن الرحيم قفازاً من الجلد الضخم ، حتى المصيبة فإن المرء يعتادها ، فيتحملها ، ومع مرور الزمن تهدأ حدتها وتخبو نارها [ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما] .

بقية المقال فى العدد القادم إن شاء الله .

من لى بشبه خوارج قد كفَّروا — بالذنب تأويلا بلا إحسان

ولهم نصوص قصَّروا فى فهمها — فأتوا من التقصير فى العرفان

وخصومنا قد كَفَّرونا بالذى — هو غاية التوحيد والإيمان

من نونية ابن القيم

٢ - الشيوعية تعانق الصوفية

« كتب الأستاذ «محمود أمين العالم» فى مجلة المصور يدعو إلى أن نجعل من التصوف أساساً لتجاربنا الإنسانية الجديدة ، ومجد فيما مجد ، دعوة الصوفية إلى الإيمان بوحدة الوجود ، ووحدة الأديان ، والحقيقة المحمدية ، والإنسان الكامل . وقد رددنا عليه فى العدد السالف ، ونتابع الرد عليه فى هذا العدد . وقد عرضنا للصهيونية وللصليبية ، ولما يحكمان به على الله سبحانه ثم نقول :

فنقول عن هؤلاء - كما يقول ابن عربى - : «الكل مصب وكل مصيب مأجور ؟» أنحكم على أولئك الذين حادُّوا الله ورسوله ، وبغوا فى الأرض بأن الله راض عنهم ، وبأنهم أصابوا فيما اقترفوا من جرائم ، وبأن لهم عند الله - على بغيهم - أجراً عظيما ؟ .

ولقد افترى اليهود الكذب ، وسفحوا دماء الأطفال ، ليمزجوه بفطيرة عيد الفصح ، وقتلوا الأنبياء ورجموا المرسلين ، وباعوا أعراضهم بثمن بخس ، فهل على الله نحكم بأنه المقترف لهذه الجرائم ؟ .

أما المسلم فيقول : تعالى الله عن هذا علوا كبيراً . أما الصوفية فيزعم لهم طاغوتهم الأكبر محيي الدين بن عربى فى ص ٨٠ من كتابه « فصوص الحكم » أن الله سبحانه يوصف بالخسيس الدنئ من تلك الصفات : لأن الله « يظهر بصفات المحدثات - وأخبر بذلك عن نفسه - وبصفات النقص ، وبصفات الذم . ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هى صفات المحدثات حق للحق » صفات الله من ربوبية والوهية ، وخالقية ورازقية ، وقدرة قاهرة ، وعلم محيط بما ظهر وما بطن . كل هذه الصفات حق للمخلوق .

وصفات الأرذال الأنذال من كذب ونفاق ورياء . وغدر وخيانة وغيرها من صفات السوء والعار ، كلها من صفات الله ! ! .

وقد أكد ابن عربى فى ص ٧٩ من كتابه الفصوص أن الله سبحانه لا تفوته صفة أبداً سواء أكانت ـ كما هو نص تعبيره ـ محمودة عرفاً وعقلا وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلا وشرعاً . وزاد كفره فحشاً وقحة فعقب على هذا بقوله : « وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة » هل يرى عقل ما أن هذا أمراً ممكناً ؟ .

أو فى الذى يمكن أن يسكن إليه عقل بتصديق ما أن يكون المرء مجوسياً يهوديا صليبياً مسلماً فى وقت واحد ؟ أن يكون فى دركات الضلالة ، وموبق العصيان وفوق ذروة الهدى ، وفى منجاة الطاعة؟ أن يكون صالحاً فى كل شىء ، طالحاً فى كل شىء.

وإذا كان الله بهذه الصفات الخسيسة ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ فكيف نعبده ، أو ماذا تستفيد الإنسانية من عبادته ، وهو خئون غدور كنود ؟ وهل تلهمنا عبادته التطلع إلى المثل العليا ، والكفاح فى سبيل تحقيق القيم الزاكية ؟ وهل تصدق ـ بعد هذا ـ أن للأخلاق قيما وموازين ؟ تَصَوَّرْ حاكما يجمع بين هذه المتناقضات من الأخلاق والصفات : أمانة وخيانة ، صدق وكذب ، علم وجهل ، كرم وبخل ، شجاعة وجبانة ، قوة وضعف . أيمكن أن يتصوره الأستاذ محمود ؟ فكيف إذن تتصوره الصوفية فى الرب المعبود ؟ ؟ .

وإليك ما يقوله الصوفى الكبير عبد الكريم الجيلى مفسراً قول الله لموسى عليه السلام :(لا إله إلا أنا): «يعنى الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ، فأنا الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطبائع . وفى كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة فى تلك الآلهة كلها إلا أنا ؛ ولهذا اثبت لهم لفظة الآلهة وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية .

•• لأن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء . وتسميتها بالآلهة تسمية حقيقية .

•• أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهة فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا فى جميع ذلك إلا هو . فقال(لا إله إلا أنا)، أى ما ثم من يطلق عليه اسم الإله

إلا وهو أنا » ص ٦٩ حـ ١ الإنسان الكامل ط ١٢٩٣ . وإلى هذا ذهب ابن الفارض في تائيته الكبرى .

فهل يريد منا الأستاذ « محمود » أن نحترم هذا ، أو أن نؤمن به ، أو أن نجعله لنا في حياتنا مناراً وشعاراً ! ! .

« الله عين الأشياء ! أو : ليس الله غير هذه الأشياء ، أو ما لله من وجود غير هذه الأشياء ، أو هذه الأشياء هي عين الله » .

أي جحود موغل في المادية ، مستغرق في العمه والجاهلية ؟ !

ولكنها دين الصوفية ! ! .

« ما ثم غير هذه الأشياء » وهذه هي دين الشيوعية ! .

فانظر ، وفكر : هل ترى ثَمَّت فرقاً في هذا بين دين الصوفية ، ودين الشيوعية ، إن كان يباح لنا أن نقول عن الإلحادية الصماء إنها دين ؟

أَوَ يَشْفَعُ للصوفية أنها تحكم على الله بأنه مادة تسلح فوقها الغربان ، وتبول الكلاب ، ويبقىء الخاطئون ، ويعربد المستعمرون ؟ .

أَوَ تنتسبُ الصوفيةُ إلى الإيمان بأنها تحكم على هذه المادة بأنها هي الله ؛ أو على الله بأنه هو عين هذه المادة ؟ .

إن الكفر الصريحَ أهون شراً من كفر يضمخ نفسه بعطر الإيمان ، والذي يقتل ، وعلى فمه لعنات مدمدمات ، خير ممن يفتك وعلى شفتيه بسمات وقبلات .

الشيوعية تقتل ، وهي تتوعّد ، والصوفية تفتك وهي تتودد . الشيوعية تقتل بالخنجر ، والصوفية تخنق بحبل المسبحة ! !

ثم أقول : إذا كان الكفر عين الإيمان ، والضلال عين الهدى ، فلماذا بُعِث النبيون ، وأرسل المرسلون ، وتقام المساجد ، وتشيد المعاهد ، ويجاهد في سبيل المراشد ، وتكافح الضلالة والجاهلية ؟ .

وإذا كانت الأديان كلها سواء ، فلماذا تحاول الصوفية والشيوعية فتنتنا عما نؤمن به ؟ لماذا تجالد ناصبةً في سبيل أن نكفر بالقرآن ، ورسول القرآن ، ومنزل القرآن ؟ .

أرأيتم ! ! .

إن الأمر ليس دعوة إلى وحدة الأديان ، وإنما الأمر هو القضاء على سيد الأديان ! ! القضاء على الإسلام ، هذا وحده هو الهدف ! ! .

الحلول : ومما يمجده الأستاذ « محمود أمين العالم » من زندقة الحلاج ما افتراه من حلول الله فى الكائنات .

هذا الكون فى دين الحلاج الخبيث — خالق مخلوق ، أو إلٰه مألوه ، أو رب مربوب ! ! .

وهذا الإنسان باطن وظاهر . باطنه لاهوت ، أو الرحمن ، وظاهره ناسوت ، أو الإنسان ! ! .

حتى هذا الأفن من ضلالات الزندقات ، حتى هذه الأسطورة المأفونة التى لا يحنو عليها إلا مَدْخول ، أو ملعون .

إنها ليست من ابتداع الحلاج ! .

إنه سارق كفرٍ ، ومختلس ضلالة ! ! .

إنه ليس بين الكفرة سوى مقلد سوء ، ويد قذرة سُخرت ، لتقترن الجريمة ضد الدين الذى آواه وآساه برحمته ، وتركه يعيش بلا خوف ولا قلق فى مجتمعه الرحيب الفسيح الرحيم ، فأبى إلا أن يعمل فى سبيل أن يبيع الدولة للقرامطة ! ! .

إن كفره « الحلول » دين قديم ، أو لعنة دانت بها الوثنية الهندية والفرعونية واليونانية ، ومنه استمدت الصليبية عقيدتها ! .

وقد نجم الحلاج كالشيطان ؛ ليفسد على الإسلام أمته ودولته ناعقاً بهذا الكفر القديم ، ووراءه المؤتمرون الكائدون للإسلام فى سحر البيان ، ومكر الشيطان ، يبشرون بالحلولية الحلاجية زاعمين أنها أقدس روحانية ، بها وحدها كان الإسلام خير دين ، وأكمل دعوة ! .

ولنصغ إلى نعيقه ، وثمت لن نميز بينه وبين صهيونية « فيـلون » وصليبية « أفلوطين » ! .

« سبحان من أظهر ناسوتُه سِرَّ سنا لاهوتِه الثـاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهـرا فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينـه خَلْقُه كلحظَةِ الحـاجِبِ بالحاجب »

إنه حين يزمزم بهذه اللعنة فى خرف الذى عربد بخمرة قذرة مع أوشاب ليلة نجسة ! ! إنه بها يذكرنا بعرابيد الفتنة من قبله ، ولا سيما بأولئك الذين اختلقوا الصـليبية ؛ فمنهم سرق الحلاج ألفاظه ومعانيه ، غير أن الصليبية لم تأخذ مأخذه ، ولم تبعد فى الضلالة إبعاده ؛ لأنها دانت بحلول الله فى نبى ، أما القرمطى الشعوبى الحلاج فقد زعم أن الله يحل فى النبى وفى البغى ، وفى العبقرى والغبى ، وفى الصـالح والطالح ، وفى الطاهر والداعر ، وفى المؤمن والـكافر .

وأنه حل فى الصنم « يغوث » بالمقدار الذى حل به فى نوح ، وحـل فى « آزر » كما حل فى الخليـل إبراهيم ، وحل فى فرعون حلوله فى موسى ، وحل فى « قيافا » حلوله فى عيسى ، وحل فى أبى لهب حلوله فى خاتم النبيين . ترى أيقول الصوفية أنه حل فى « راسبوتين » كما حل فى « محيي الدين » ؟ ! .

ولئن استفتينا « محيي الدين ابن عربى » فى هذا فإننا سنجد من دينه أن ربوبية فرعون كانت أتم وأكمل من ربوبية موسى ، واقرأوا « الفصوص » ، ففيها الـكثير من النصوص ! ! .

فهل يريد منا الأستاذ « محمود أمين العالم » أن نطوى عقيدتنا على هـذا الدَّخَل اللعين ؟ وهل يهدى الإيمان بهذه الحلولية إلى خير ؟ .

إذن فليؤمن بأن طغاة الرأسمالية عين بغاة الشيوعية .

وإذا كان الأمر كما يزعم ، وتزعم الصوفية التى تمده اليوم بما يريد من تراث يناهض الإسلام ، فلماذا يلعن الاستعمار ، ويرجم الصهيونية والصليبية ؟ .

لماذا نجالد الاستعمار فى الجنوب المحتل ، ونناضل فى سبيل تطهير الأرض المقدسة من رجس الآبقين ؟ .

لماذا نحارب الجريمة ، ونلعن الرذيلة ، ونسعى إلى تحقيق أقدس القيم ؟ أليس المستعمرون ـ فى دين الحلاج وأذنابه وأوشابه ـ هم الناسوت الذى فيه حل اللاهوت ؟ فكيف نعدو على الألوهية بعدوان ، أو نبغى على الربوبية ببغى ؟ .

لا يا أستاذ ! ! .

واسمعها صاخة تدوى بها كل حاضرة وبادية ، ومفازة ومنجاة : إن دعوة الحلول ووحدة الوجود والأديان ، تجعل ممن يدينون بها ظهورا معبدة للخيانة الآثمة ، وأيديا تصنع الجريمة ، وألسنة تلوك الكلمة الخائنة الكافرة ، وأقداماً باغية تنتهك أطهر الحرم ! ! .

تجعل منهم خونة مارقين يجب أن يرجمهم باللعنة كل مؤمن ، بل كل إنسان .

كل إنسان له شرف كرامة ، أو شرف وطن ، أو شرف آدمية ، وله لمحة من عقل ، ونعمة من دين . وليدرس الأستاذ « محمود أمين العالم » هذه الأساطير دراسة جادة تستهدف الوصول إلى الحقيقة ، ولعله يجد فيما أقول صواباً ! .

إننا حين ننظر إلى ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما حولنا من الأشياء بهذه النظرة الحلاجية ـ إننا إن فعلنا هذا تردينا فى متناقضات ليس لهوة منها قرار .

إننا سنشعر نحو كل شىء بما يشعر به العبد نحو الرب ، سنرمقه خاشعين وكأنما عليه جلال الربوبية والألوهية . سنحبس ألسنتنا على الصلاة بين يديه ، وقلوبنا على الضراعة له ، والرجاء فيه .

بالنظرة الحلاجية سيرى كل امرىء فى نفسه إلها يجب أن يخشع له الكون ويهطع ، ويعنو ويخضع . سيدعو الناس إلى تقديس ما يقترف من جريمة ، واحترام ما يعربد به

من خطيئة ؛ لأنه يصدر فى كل عمل يأتى به ، أو قول يردده عن ربوبية قاهرة تحيط بالكائنات علماً وقدرة ، وتدبيراً وحكمة ! ! :

فهل يُصلح العالمَ أن يزعم كل من فيه أنه وحده الإله ؟ .

وهل يسمو بكرامة الإنسانية أن تقدس جيفة وتعبد رمة ، وتأثم بخنزير ؟ .

وهل يصدقها الأستاذ « محمود » إذا نبح بها استعمارى ؟ .

وهل يرمق بهذه النظرة « بن جوريون » ؟ .

إنى لأرجو الأستاذ « محمود » أن يتصور ـ والمستحيل قد يتصور ـ لهذه الحلولية تطبيقاً . ثم أرجوه أن يصور لى حال العالم عند هذا التطبيق إذا زعمنا أن الإمكان يجد له قيد إنملة ! ! .

الحقيقة المحمدية : ويشيد الأستاذ « العالم » بالأساطير التى نسجتها عناكب الصوفية حول ما يسمى : بالحقيقة المحمدية فما الحقيقة المحمدية عند الصوفية ؟ .

يرى كهنة الصوفية أن الله سبحانه كان وجوداً مطلقاً ، لا يعرف ، ولا يسمى ، ولا يوصف ، ثم أراد هذا الوجود أن يكون له اسم ، وأن تكون له صفة ، وأن يعرف نفسه ، فتعين ، فكان أول تعين له هو « الحقيقة المحمدية » وعن هذه تشعبت مظاهر الوجود ، وتكاثرت تعيناته ، فكانت السماء والأرض ، وكان الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، والبر والبحر ، والسهل والجبل ، وإليك بعض ما عرف به الصوفية الحقيقة المحمدية : « هى الذات مع التعين الأول ، وهى الله الأعظم » « صور الحق هو محمد لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية » .

فالحقيقة المحمدية ـ أو حقيقة محمد ـ هى ذات الله ، واسمها الأعظم ، والحقيقة المحمدية هى الأحدية ، وهى الواحدية .

ولا أقول عن هذه الحقيقة : صلى عليه الله وسلم . لأنها ليست حقيقة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما هى خسار ضلالة ، وعار جهالة ، وبوار شهوة آبقة ! ! .

ولنأت بما عرف به الصوفية هذه الثلاثة « الاسم الأعظم ، الأحدية ، الواحدية » لنعرف حقيقة دينهم فى الحقيقة المحمدية .

الاسم الأعظم هو عند الصوفية « الجامع لجميع الأسماء ، وهو اسم الذات الإلهية من حيث هى هى ـ أى المطلقة » .

والأحدية هى : « مجلى الذات الإلهية ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشىء من مؤثراتها فيه ظهور ، اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية » .

والواحدية هى : « مجلى ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات [١] » . الأحدية هى الوجود الإلهى المطلق قبل أن يتعين فى شىء أو قبل أن يسمى ، وأن يوصف .

والواحدية هى مرتبة الوجود الإلهى بعد أن صارت له صفة .

الاسم الأعظم هو اسم الحقيقة الإلهية فى تعينها الأول ومحمد هو الأحدية والواحدية والاسم الأعظم !! .

محمد الصوفية هو الله فى وجوده المطلق ، ووجوده المقَيَّد وَالمعيَّن .

محمدهاهو ذات الله وأسماؤه وصفاته !! :

محمدها هو ظاهر الله وباطنه !!

محمدها هو هذا الوجود العينى المتجسد فى هذا وذاك من الأشياء ذات الكيان المادى البحت !!

وانظر هذه القضايا الصوفية التى يراها الصوفية قضية واحدة صادقة كل الصدق : الله هو محمد ! ! ومحمد هو الله ، فالموضوع عين المحمول !! وتأمل هذه القياسات الصوفية التى تنتهى بنتيجة واحدة لا يرتاب فيها صوفى !!

الله هو محمد ، ومحمد هو الكون !!

محمد هو الله ، والله هو الكون ! !

---

(١) (جامع الأصول فى الأولياء) تحت هذه المواد و جـ١ ص٣٠ من الإنسان الكامل للجيلى

الله هو الـكون ، والـكون هو محمد

والنتائج التى هى فى حقيقتها نتيجة واحدة يؤمن بها كل صوفى ، ويراها معراجه .
وإليك هذه النتائج : الله هو الـكون ، ومحمد هو الـكون ، والـكون هو الله ، والله هو محمد ! !

ومن الـكائنات الأوثان ، والخنازير ، والـكلاب المسعورة ! ! فهل يصدق عقل أن الأوثان الصماء تلهم الحـكمة والنبوة ؟

وهل يصدق عقل أن الخنزير ينشر عبير القداسة ؟

وهل يصدق عقل أن الضبع المنتنة تبث روحانية الإيمان ؟! .

أليس الخنزير خلقاً ؟ أليس الضبع هى الذات والاسم والصفة ؟! .

تعالى الله عما يفترى الظالمون علواً كبيراً !!

اعتقد ياأستاذ ما شئت ، ولـكن برك بهذه الأمة التى تنتسب إليها . وترفل فى سماحتها يفرض عليك ألا تحمل الناس على ما تعتقد ، فلهذه الأمة كتابها الذى يهدى للتى هى أقوم ! !

خاتم النبيين — صلى الله عليه وسلم — فى القرآن : تدبر هذه الآيات المحـكمات : (قل إنما أنا بشر مثلـكم يوحَى إلىّ أنما إلٰهـكم إله واحد) وقيلت هكذا مرتين فى القرآن : ثم تدبّر أيضاً (قل : ما كنت بِدْعاً من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) أفهذه ربوبية خلاقة قاهرة لها الغنى المطلق ، وألوهية معبودة تمد بالوحى الرسل ؟ إنها بشرية مثل بشريتنا تستمد من الله القوة والحياة ، ولـكنها تمتاز بأنها من مشارق وحى الله !! فلنتل قول الله مخبتين : (جاء الحق ، وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا) .

والى العدد القادم إن شاء الله للـكلام عن « الإنسان الـكامل » .

عبد الرحمن الوكيل

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا ، وما فسد الزمان

٤ ـ نظرات فى المجتمع والشريعة :

السلبـــية

— ٢ —

نواصل القول ، ونتابع الحديث فى صور السلبية فنقول :

« حـ » وهناك مثال ثالث للسلبية : قتيل بنى إسرائيل الذى تعرض دمه للاهدار والضياع نظراً لسلبية المجتمع الإسرائيلى ، وعدم اهتمامه بتعقب الجرائم التى تقع على صعيده، كما تشير إلى محاولة كل منهم التخلى عن وزر الجريمة ومسؤليتها ، ومحاولة تحميلها لأخيه ، يقول الله في شأنهم : (وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ، والله مخرج ما كنتم تـكتمون) ، وكان من نتيجة ذلك أن كلفوا بذبح بقرة ، أى بقرة ، ولـكن جدلهم حولها إلى بقرة خاصة ، لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ، صفراء ، تثير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها . ثم تذبح البقرة ، ويُضرب القتيل ببعضها ، وتصبح القصة مثار آية كونية : (فقلنا:اضربوه ببعضها كذلك يحيي اللهالموتى،ويريكم آياته لعلـكم تعقلون)[١].

د ـ يقص الرسول عليه الصلاة والسلام نبأ قرية من بنى إسرائيل حقت عليها كلمة العذاب ، وتأتى ملائـكة العذاب لتنفذ فيهم وعيد الله ، فتجد رجلا قد خلا إلى محرابه ، وقبع فى مسجده ، يعبد الله ويسبحه ، فقالوا : يا ربنا ، ماذا نعمل بفلان هذا العابد ؟ ! فقال لهم : ابدءوا به ؟ إنه ما تمعّر[٢] وجهه فِيَّ مرة واحدة ! ! وذلك أن سلبيته كانت ضرراً على مجتمعه . فماذا استفاد القوم من صلاح عقيدته واستقامة سلوكه ؟ !

هـ ـ وهناك مظهر آخر للسلبية غير الانعزالية ، وعدم المشاركة فى شئون المجتمع

---

(١) راجع سورة البقرة الربع الرابع .

(٢) ـ ما غضب لمعصية الله قط .

وقضاياه وذلك فى حالة التقليد الذى ينعدم فيه الرأى ، وتنطمس معه البصيرة ، ويصير فيه المرء ذنباً لغيره ، وتابعاً لسواه ، إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت . وبذلك يحرم المجتمع من طاقة تفكيرية ضخمة يسعد بها لو استغلت ، وهذا هو مصير السلبيين من هذا النوع ، يحدثنا الله عنه فى القرآن الكريم فيقول تعالى .

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضل أولئك هم الغافلون) [١] .

وعن هذا الاتجاه السلبي ينهى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدعو إلى إيجابية نافعة منتجة ، فيقول عليه الصلاة والسلام : (لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) .

موقف الإسلام من السلبية :

١ ـ السلبية ضد طبيعة الإنسان : فى حديث القرآن الكريم عن السر فى خلق الجنس البشرى يقول تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إنى أعلم مالا تعلمون)! ! [٢] كأن الجنس البشرى إذن قد خلق على ظهر البسيطة ؛ ليكون إيجابياً يعمرها وينشر فيها العدل والطمأنينة والسلام ؛ ولذا قرن الله الإنشاء بالتعمير فى قوله تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) [٣] .

وقد خلق الله الإنسان بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وزوده بآلات الفهم والإدراك:

---

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة هود .

من ذاكرة ، وحافظة ومخيِّلة ، وحواس ، كلها منافذ للمعرفة ، ووسائل للسعى والعمل والإنتاج . والسلبي معطل لذلك كله ، معطِّل للوظيفة الأولى للجنس البشرى ، جاحد للنعم التى كرمه الله بها وأنعم بها عليه . قال تعالى : (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . . الآية)[1] .

٢ ـ وطبيعة الإسلام نفسه تتنافى مع السلبية : وذلك أنه تهذيب لسلوك الفرد ولسياسة المجتمع ، وتنظيم لصلة العبد بربه ، وصلة الإنسان بأخيه الإنسان ، فهو دين ودنيا ، وعقيدة وعمل . وحبات العرق المتساقطة فى ميدان الحياة ، سعياً وراء لقمة العيش ، يسد بها المسلم رمقه ورمق من يعول ، قد تكون إذا توجها الإخلاص ، بمنزلة الدماء المزاقة فى ميدان الجهاد فى سبيل الله .

والساعى على رزقه أقرب إلى الله ممن قبع فى محرابه ، ونسى فى الحياة واجبه ! ! فأى إيجابية أعمق من هذه الإيجابية ؟ ! وأى فاعلية فى المجتمع أبعد أثراً من فاعلية الإسلام فى مجتمعه ؟ . . . وإليك النصوص الكريمة من كتاب الله وسنة ورسوله :

قال تعالى : (فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه وإليه النشور)[2] .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أحب يد إلى الله يد باتت كالّة . من كثرة العمل » ويقول أيضاً : « الساعى على الأرملة والمسكين كالصائم القائم وكالمجاهد فى سبيل الله » والإسلام يمقت الرهبانية ؛ لأنها ضد طبيعته ، ولأنها من السلبية ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « لارهبانية فى الإسلام » .

ويهاجم عليه الصلاة والسلام بقوة تصرفاً اتجه إليه بعض الصحابة تحت ضغط

---

(١) وبقية الآية : (أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) سورة الحج .

(٢) سورة الملك .

الوازع الدينى والخوف من الله ، والإشفاق من أهوال القيامة ، وذلك بأن قرروا : أن يصوموا النهار ولا يفطروا ، ويقوموا الليل ولا يناموا ، ويجبوا ذكورهم ، ولا يأتوا النساء . فيكون رده صلى الله عليه وسلم أن يضرب لهم المثل بنفسه ، وبإيجابيته فى مجتمعه فيقول : « أما أنا فإنى أصوم وأفطر ، وأقوم وأرقد ، وآتى النساء . هذه سنتى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والعبادة فى الإسلام ، وهى فى جوهرها إيجابية ، لا يمكن أن تصرف المسلم عن إيجابيته وفاعليته فى مجتمعه ، يقول تعالى : (فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) (١) .

بل إن الوفاء للعبادة بحقها ، مع الوفاء للمجتمع بحقه ضرب من السمو فى العبادة ، والفهم العميق لها ، تفردت به شريعة الإسلام ؛ إذ يعلق الرسول عليه الصلاة والسلام على موقف الرجل الذى لزم مسجده ، ويأتى له أخوه برزقه ، فيقول : « أخوه أعبد منه » .

وأروع نصيحة تمثل المؤمن فى سمو ذاتيته ، وقوة فاعليته فى مجتمعه ، ما يقوله تعالى فى حديثه عن قارون : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين) (٢) .

ويمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رجل يبدو عليه الإهتمام بشئون دنياه ، ويحار الصحابة فى أمره ، ويسألون رسول الله رأيه فيه ويكون جوابه : « إن كان يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى لنفسه يعفها عن السؤال فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى رياء وسمعة فهو فى سبيل الشيطان ! ! » .

---

(١) سورة الجمعة . (٢) سورة القصص .

٣ ـ والعبادة فى الإسلام : تحتم على المسلم أن يكون إيجابياً . فنى صلاة الجماعة ، وصلاة الجمعة نوع من الإيجابية والمشاركة الاجتماعية . والصلاة نفسها تهدف أول ما تهدف إلى تقويم السلوك الاجتماعى ، يقول تعالى : (إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون)[1] .

والزكاة ـ وهى عبادة ـ لكن فيها مساهمة فعالة ، وإيجابية فى شئون المجتمع ، وتحل الكثير من مشكلاته ، وقضاياه .

وعبادة الحج تخلق فى المسلم إيجابية على مستوى المجتمع الإسلامى الكبير .

فالعبادة ـ وهى شخصية ـ نراها فى الإسلام تخلق فى المسلم إيجابية بعيدة المدى عميقة الأثر ، وهى وإن كانت مدرسة للأخلاق ، وتقويم السلوك ، وتهذيب النفس ، نراها فوق ذلك مدرسة تخلق الإيجابية الفعالة فى مجتمع المسلمين . وفى صلاة الجمع والجماعات الضخمة فى مناسك الحج ما يؤيد الغاية المثلى للعبادة .

٤ ـ وإيجابية المجتمع الإسلامى بين المجتمعات الأخرى :

منذ أن قامت دولة الإسلام فى المدينة المنورة ، ونشأت فتية فى دار الهجرة ، أخذت تشارك مشاركة إيجابية فى المجتمع الدولى ، وأقامت علاقاتها بجاراتها على أساس الحق والعدل والسلام ، ومحاربة التسلط والبغى والطغيان .

ودعوة الإسلام فى حد ذاتها رسالة عالمية جاءت لهداية الجنس البشرى كله ! ولذا آمن روادها الأوائل بهذه الحقيقة ، وحملوها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى انتهت إلى حدود الصين شرقاً ، وشاطىء المحيط الأطلسى غربا ، وجبال طوروس شمالا ، وهضبة البحيرات جنوباً . ومن هنا كانت إيجابيتها التى أثرت فى المجتمع الدولى كله ، لا فى فترة تاريخية محدودة ، ولكن فى امتداده العميق فى صدر الزمن ، تأثيراً حول مجراه نحو تحقيق المبادىء الإنسانية الخالدة .

---

(١) سورة العنكبوت .

وتظهر إيجابية هذا المجتمع فى الصدر الأولى الإسلامى مما يأتى :

ا ــ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى المدينة بعد الهجرة حتى تتحقق الوحدة العقدية ، وكلاهما من أهم العوامل فى إيجابية المجتمع . قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

ب ــ عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدات أساسها الدفاع المشترك عن الوطن الواحد ، وهذا تصرف حكيم يمليه منطق السياسة الرشيدة ؛ إذ لو وقفت الدولة الإسلامية منهم أول الأمر موقفاً سلبياً لكان وضعهم بالغ الخطر على الدولة الناشئة . وعندما تنكر اليهود ــ كعادتهم ــ لنصوص المعاهدات ، وعبثوا بمواثيقها ، ولم يرعوا حرمة هذه العهود ، اقتضت إيجابية الدولة أن يرد عليهم عذرهم ، وأن تقف الدولة منهم موقفاً حاسماً ، قال تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين) ومن قبل هذه الآية يقول تعالى : (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ، ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)[1] .

وإلى لقاء آخر لنتابع القول فى مظاهر إيجابية المجتمع الإسلامى

السيد رزق الطويل

مدرس ثانوى

---

(١) سورة الأنفال .

تحذير هـــام

يطوف محتال بفروع الجماعة مدعياً أن حافظة نقوده ورخصة السيارة قد نشلتا منه وهو فى طريقه إلى سوهاج . وقد ثبت أن هـذا الشخص كاذب يخترع فى كل فرع حيلة لاستدرار العطف، وابتزاز ما يمكن ابتزازه وهو يحمل بطاقة رقم ١٩٠٠ سوهاج باسم عبده مرسى حسن . والجماعة تحذر جميع الفروع والأعضاء من هذا المحتال .

المركز العام

من علم السنة

تعقب أحاديث وردت فى كتاب « الروح » لابن القيم رضى الله عنه

— ٣ —

وقال الإمام ابن القيم فيما نقل عن ابن أبى الدنيا :

٨ — حدثنى محمد[١٧] حدثنى يحيى[١٨] بن بسطام حدثنى عثمان[١٩] بن سودة الطفاوى قال : وكانت أمه من العابدات ، وكان يقال لها : راهبة . قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت : ياذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى لا تخذلنى عند الموت ولا توحشنى فى قبرى . قال: فماتت ، فكنت آتيها فى كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم فى منامى فقلت لها : ياأمه كيف أنت ؟ قالت : أى بنى إن للموت لكربة شديدة وإنى بحمد الله لفى برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور فقلت لها : ألك حاجة ؟ قالت : نعم . قلت : وما هى ؟ قالت : لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا ،فإنى لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك . يقال لى : ياراهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر ويسر من حولى من الأموات .

٩ — حدثنى محمد[٢٠] بن عبد العزيز بن سليمان ، حدثنا بشر[٢١] بن منصور قال : لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم وقبل حسناتكم . لا يزيد على هؤلاء الكلمات . قال : فأمسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلى ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، قال : فبينا أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءونى ، فقلت ما أنتم وما حاجتكم ؟ قالوا : نحن أهل المقابر . قلت : ما حاجتكم ؟

قالوا : إنك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك . فقلت . وما هى ؟ قالوا : الدعوات التى كنت تدعو بها . قال : قلت : فإنى أعود لذلك . قال : فما تركتها بعد .

١٠ — حدثنى محمد[٢٢] حدثنى أحمد بن سهل[٢٣] حدثنى رشدين[٢٤] بن سعد ، عن رجل عن يزيد بن أبى حبيب أن سليم بن عمير مرّ على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول ، فقال له بعض أصحابه : لو نزلت إلى هذه المقابر فبلت فى بعض حفرها فبكى ثم قال : سبحان الله ! والله إنى لأستحيي من الأموات كما أستحيي من الأحياء. « ولولا أن الميت يشعر بذلك لما استحيا منه » .

ثم قال ابن القيم : وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحى من أقاربه وإخوانه . قال عبد الله بن المبارك :

١١ — حدثنى ثور[٢٥] بن يزيد عن إبراهيم[٢٦] عن أبى أيوب[٢٧] قال : تعرض أعمال الأحياء على الموتى ، فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وإن رأوا سوءاً قالوا : اللهم راجع به . وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد[٢٨] بن أبى الحوراء قال : حدثنى محمد[٢٩] أخى قال : دخل عباد[٣٠] بن عبّاد على إبراهيم[٣١] بن صالح وهو على فلسطين فقال : عظنى . قال : بم أعظك أصلحك الله ؟ بلغنى أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك . فبكى إبراهيم حتى اخضلّت لحيته .

١٢ — قال ابن أبى الدنيا : وحدثنى محمد[٣٢] بن الحسين حدثنى خالد[٣٣] بن عمرو الأموى حدثنا صدقة بن سليمان الجعفرى قال : كانت لى شرة سمجة فمات أبى فأنبت وندمت على ما فرطت . قال : ثم زللت أيما زلة فرأيت أبى فى المنام فقال : أى بنى ؛ ما كان أشد فرحى بك ، أعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين ، فلما كانت هذه استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزنى فيمن حولى من الأموات . قال : فكنت أسمعه بعد ذلك يقول فى دعائه فى السحر — وكان جاراً لى بالكوفة — : « أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور . يا مصلح الصالحين ويا هادى المضلين ويا أرحم الراحمين » .

وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة . وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله ابن رواحة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عمل أُخْزَى به عند عبد الله بن رواحة » كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله .

قلت : الإسناد الثامن إلى الثانى عشر (١٧) محمد بن الحسين مر ذكره فى العدد الماضى فى رقم ٥ (١٨) يحيى بن بسطام مرت ترجمته فى العدد الماضى فى رقم ٦ ، وهو موصوف بالقدرية ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه . (١٩) عثمان بن سودة الطفاوى : (المقدسى) عن أبى هريرة وجماعة وعنه أخوه زياد وشبيب بن شيبة ، والأوزاعى ، وأبو سنان عيسى القَسْمَلِىّ وثور بن يزيد . وثَّقَهُ مروان الطاطرى ، وابن حبان . قال الأوزاعى :أدرك عبادة بن الصامت وكان مولاه . قال الحافظ الذهبى فى الميزان : « قلت : فى النفس شىء من الاحتجاج به ».(٢٠) صدوق . (٢١) بشر بن منصور ، شيخ للأشجّ ، مجهول له عن أبى محمد عن أبى المغيرة عن ابن عباس مرفوعاً : «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة » وهو غير بشر بن منصور السليمى الزاهد الذى روى عن الجريرى وأيوب وعاصم الأحول ، وطائفة فإنهم وثقوه . (٢٢) مر ذكره فى ٥، ١٧ . (٢٣) أحمد بن سهيل (الواسطى) قال أبو أحمد الحاكم : فى أحاديثه بعض المناكير . (٢٤) رِشْدِين بن سعد وفى بعض الطبعات الحافلة بالأخطاء كطبعة صبيح (رُشْد بن سعد) وهو خطأ وتحريف ، (المَهْرِىّ المصرى ، عن زهرة بن معبد ، ويونس بن يزيد . وعنه قتيبة وأبو كريب ، وعيسى بن مثرود ، وخلق ، قال أحمد : لا يبالى عَمَّنْ رَوَى ، وليس به بأس فى الرقاق ، وقال : أرجو أنه صالح الحديث .

وقال ابن معين : ليس بشىء . وقال أبو زُرعة : ضعيف . وقال الجوزجانى : عنده مناكير كثيرة .

قال الحافظ الذهبى : كان صالحاً عابداً سيىء الحفظ غير معتمد . وقال أبو يوسف الرقى: إذا سمعت بَقِيَّة يقول : حدثنا أبو الحجاج المِهْرِىّ فاعلم أنه رِشْدِينُ بن سعد . وعن قتيبة قال : ما وضع شىء فى يد رشدين إلا قرأه .

وقال النسائى : متروك .

قال عمرو الناقد : حدثنا عبد الله بن سليمان الرقى ، حدثنا رشدين عن عقيل عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعاً : «لكل شىء قمامة وقمامة المسجد لا والله وبلى والله » .

وروى رشدين هذا عن زَبَّانَ بن فائد عن سهل بن معاذ مرفوعاً : « الذى يتخطى الناس يوم الجمعة يتخذ جسراً إلى جهنم ».

قال احمد بن الحجاج القُهُسْتانى : حدثنا ابن المبارك ، حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث ، عن أبى السمح . عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الفاعل والمفعول به وقال : أنا منهم برىء » .

قال ابن أبى السَّرْى العسقلانى : حدثنا رشدين ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن مِشْرَح بن اعان عن عقبة بن عامر مرفوعاً : « لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر نبياً »

قال ابن عدى : قلب رشدين متنه ، إنما متنه « لو كان بعدى نبى لكان عمر »

وقال مروان الطاطرى : حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا معاوية بن صالح عن سليم ابن عامر عن أبى أمامة مرفوعا : يبعث الله الإسلام يوم القيامة على صورة الرجال عليه رداؤه ، ولا يكمل الرجل إلا بردائه ، فيأتى الرب عز وجل فيقول : يارب؛ منك خرجت وإليك أعود فشفعنى اليوم فيمن تَشَبَّثَ إلىّ . . فيقول : قد شفعتك الحديث ، رواه ابن عدىّ عن الحسن بن سفيان عن محمود بن خالد عنه .

وقال المنجنيقى : حدثنا احمد بن عيسى ، حدثنا رشدين ، عن أبى صخر ، عن قُسَيط عن أبى هريرة مرفوعاً : إن الله يبغض الشيخ الغريب . (فسره رشدين الذى يخضب بالسواد) .

قال أبو الطاهر بن السرح : حدثنا رشدين ، عن يونس ، عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : « لا تبكين الا لأحد رجلين ، فاجر مكمل فجوره أو بار مكمل بره » .

وعن رشدين عن أبى عبد الله المكى (مجهول) عن ابن جريج عن عطاء عن ابن

عباس مرفوعاً : « الأكل بأصبع أكل الملوك فلا تفعله ؛ ولا تأكل بإصبعين فإنه أكل الشيطان ، وكل بثلاث » .

وقال ابن أبي السُّرى : حدثنا رشدين ، عن جرير بن حازم ، عن قتادة عن أنس مرفوعا : « من أتى كاهناً فصدقه فقد برىء مما أنزل على محمد ومن أتاه غير مصدق لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » .

قال البخارى فى الضعفاء تعليقاً : ابن منير سمع احمد ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عبد الله بن التجيبى ، عن أبى منصور مولى الأنصار عن عمرو بن الجموح أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا يجد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله . فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله .

قال : وإن أوليائى من عبادى وأحبائى من خلقى الذين يذكرون بذكرى، وأذكر بذكرهم.

وقال يحيى بن حسان : حدثنا رشدين عن عقيل ، عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الغسل يوم الجمعة كالغسل من الجنابة .

قلت: مات سنة ثمان وثمانين ومائة .

(٢٥) ثور بن يزيد (هو الكلاعى أبو خالد الحمصى أحد الحفاظ) مارأيت رجلا تهكم العلماء والحفاظ باسمه كما تهكموا على ثور هذا وإليك ماقيل فيه .

روى عن خالد بن معدان ، وعطاء ، وابراهيم النخعى وروى عنه يحيى بن سعيد القطان وأبو عاصم وعدة . قال ابن معين : ما رأيت أحداً يشك أنه قدرى ، وهو صحيح الحديث . وقال ابن المبارك : سألت سفيان عن الأخذ عن ثور ، فقال : خذوا عنه واتقوا قرنَيْه .

وكان ضمرة يحكى عن ابن أبى دؤاد أنه كان إذا أتاه من يريد الشام قال : إن بها ثوراً فاحذر لا ينطحك بقرنيه .

قال أحمد ابن حنبل : كان ثور يرى القدر ، وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه . وقال أبو مسهر ، عن عبدالله بن سالم ، قال : أدركت أهل حمص وقد أخرجوا ثوراً وأحرقوا داره لكلامه فى القدر .

وقال الوليد : قلت للأوزاعى : حدثنا ثور بن يزيد ، فقال لى : فعلتها ! !

وقال سلمة بن العيّار : كان الأوزاعى سيء القول فى ثور ، وابن اسحاق ، وزرعة ابن ابراهيم .

وقال عيسى بن يونس : كان ثور من أثبتهم . وقال ابن المدينى : سمعت يحيى ابن سعيد يقول : ليس فى نفسى منه شيء ، أتابعه - يعنى ثور بن يزيد .

وقال وكيع : كان ثور بن يزيد من أعبد مارأيت . وقال دحيم : ثور ثبت . وقال بقية عن ثور : كتبت لخالد بن معدان : « من خالد بن معدان إلى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ».

قال ثور : وكتب عمر إلى عماله : إذا كتبتم فابدءوا بأنفسكم .

وقال أبو التقى : حدثنا بقية ، حدثنا ثور ، عن خالد ، عن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ، واذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يطروا وإذا كان عليهم لم يمطلوا ، وإذا كان لهم لم يعسروا .

قال محمد بن مصطفى أنبأنا بقية عن ثور عن خالد وعن معاذ أنه سئل عن استقراض الخمير والخبز فقال : سبحان الله ! هذا من مكارم الأخلاق ، خذ الصغير وأعطه الكبير وخذ الكبير وأعط الكبير ، خيركم أحسنكم قضاء . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

قال الهثيم بن حميد ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن الحجورى ، سمعت أنساً — وسأله الوليد بدير مُرّان أن يحدثنا حديثاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الإيمان يمان إلى هذين الحيين ، لخم وجذام ، وإن الكفر والجفاء فى هذين الحيين ، ربيعة ومضر .

قال بهلول بن مؤرق : حدثنا ثور بن يزيد ، عن هلال بن ميمون ، عن على ابن راشد ، عن شداد بن أوس ـ مرفوعاً : إن اليهود إذا صلوا خلعوا نعالهم ، فإذا صليتم فاحتذوا نعالكم .

قال ابن سعد فى طبقاته : مات ثور بن يزيد سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

(٢٦) إبراهيم النخعى أحد أئمة التابعين ثقة ثقة .

(٢٧) أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه صحابى استشهد وحده فى أرض الروم تحت أسوار القسطنطينية ودفن هناك حتى جاء الفتح العثمانى وكان الفتح فى أول عهده ملتزماً الحدود الشرعية فلم يقم أضرحة ولا مساجد على القبور ، ولذلك لا تكاد تجد فى تركيا كلها ضريحاً يزار ولا قبراً مشرفاً ولا ولياً متخصصاً فى الرمد وآخر متخصصاً فى العُقم وغيره متخصصاً فى رد الصبية الضالة ، وهذا يُنذَر له الحنيذ من البقر وذاك ينذر له الجَذَع من الضأن وتلك ينذر لها الثريد أو النابت كما هو واقع فى كثير من البلاد الإسلامية . إلا أن الأتراك استثنوا أبا أيوب فشيدوا له مسجداً يسمى إلى اليوم باسمه فى استانبول .

(٢٨) أحمد بن أبى الحوراء و (٢٩) محمد بن أبى الحوراء شقيقان لم أر لهما تجريحاً .

(٣٠) عباد بن عباد (الأرسوفى الزاهد) عن ابن عون ، وغيره . وثقه ابن معين وأما ابن حبان فقال : هو أبو عتبة الخواص ، أصله من فارس ، يروى عن إسماعيل ابن أبى خالد . روى عنه أهل الشام كان ممن غلب عليه التقشف والعبادة حتى غفل عن الحفظ والإتقان ، كان يأتى بالشيء على حسب التوهم حتى كثرت المناكير فى روايته على قلتها ، فاستحق الترك . اهـ من الميزان جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(٣١) إبراهيم بن صالح (ابن درهم الباهلى) عن أبيه ضعفه الدارقطنى ، له فى الشهداء ، قال البخارى : لا يتابع عليه .

(٣٢) محمد بن الحسين مرت ترجمته فى ٥ ، ١٧ ، ٢٢

(٣٣) خالد بن عمرو (القرشى الأموى السعيدى . من ولد سعيد بن العاص الكوفى عن مالك بن مغول وصدقة بن سليمان وهشام الدستوائى وجماعة وعنه الحسن الحلوانى والرمادى وجماعة .

قال أحمد : ليس بثقة . وقال البخارى : منكر الحديث . وقال صالح جَزَرة : يضع الحديث ، وضرب أبو زُرعة على حديثه .

قال أبو عبيد : حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبى حازم ، عن سهل أن النبى صلى الله عليه وسلم وعظ رجلاً ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » تابعه محمد بن كثير الصنعانى عن سفيان .

قال العقيلى : ليس له أصل من حديث الثورى . وقال ابن عدى : له عن الليث وغيره مناكير .

قال أبو نعيم : حدثنا خالد بن عمرو عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى قَبِيل عن عن أبى هريرة وابن عمر ، قالا : « ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعرابى قلائص إلى أجل ، فقال : أرأيت إن أتى عليك أمر الله . قال : أبو بكر يقضى دينى وينجز موعدى . قال : فإن قبض ؟ قال : عمر يحذوه ويقوم مقامه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم . قال : فإن أتى على عمر أجله ؟ قال : فإن استطعت أن تموت فمت » .

أبو نعيم ، حدثنا خالد بن عمر عن يزيد عن أبى الخير عن أبى هريرة مرفوعاً ، قال : ألا أدلك على صدقة يحبها الله ؟ قال : قلت : بلى . قال : بنتك مردودة عليك لا تجد ملاذاً غيرك .

وبه أيضاً : عن يزيد عن أبى عبد الله الصُّنابحى ، عن أبى بكر مرفوعاً : يقول الله : إن كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى .

وبه أيضاً : عن يزيد عن سالم عن أبيه مرفوعاً : يا نساء الانصار اختضبْن غمساً ، واختفضن ولا تَنْهَكْنَ ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظَى عند الزوج .

قال ابن عديّ : عندى أنه وضع هذه الأحاديث ، فإن نسخة الليث عن يزيد بن أبى حبيب عندى من رواية يحيى بن بُكير ، وقتيبة ، ويزيد بن مُوهب وزغبة ما فيها من هذا شيء : « يتبع » محمد نجيب المطيعى

هل كتاب الروح ليس لابن القيم ؟

سألنى أخى الأستاذ جميل غازى رئيس قسم الثقافة والتوجيه المعنوى بالعلاقات العامة بمحافظة الدقهلية عما إذا كان هذا الكتاب (الروح) هو لابن القيم قطعاً أم أنه منسوب إليه ؟ . وهل هذا الكتاب يتفق مع منهج ابن القيم الذى عرف بالدقة والضبط والتثبت ؟ . فأقول : إن هذا الكتاب لابن القيم يقيناً ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) إنه لم يَندّ عن منهج ابن القيم فى البحث ، وقد عرفنا فى الشيخ رحمه الله أنه عندما يورد قضية يميل إليها يستطرد فى التماس الشواهد الاستدلالية ويحشد لها كل ما يؤيد مقصوده على جميع درجات الطرق والأسانيد بعُجَرِها وبُجَرِها ، وما هب منها ودب . كما ترى ذلك واضحاً فى كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) فإنه ترخص فى إيراد أدلته وشواهده فى جيوشه التى كان منها الأعرج والأعور والأقطع والسقيم .

(٢) اقتضت أمانة الرجل العلامة أن يورد الحكايات التى ساقها عن أحوال الروح بعد انفصالها عن البدن ومظاهر أعمالها وما يُفعل بها بأسانيدها معزوة إلى رواتها ليتسنى للباحث النظر فيها والحكم عليها . وهى طريقة كثير من أهل الإسناد وأصحاب المصنفات من الرعيل الأول تاركين الحكم على طرقها لغيرهم .

(٣) الطابع الأدبى الذى يتميز به أسلوب ابن القيم بحيث لو لم يُعزَ الكتاب إليه لنم أسلوبه عليه .

(٤) ما ذكره من أن بعضهم رأى شيخ الإسلام ابن تيمية فى المنام بعد موته بقوله :

« شيخنا أبا العباس » وهو ما يدل على أن الكتاب لابن القيم فلم يعرف عن أحد من تلاميذ ابن تيمية يأتى بهذه العبارة إلا هو . وهو ما يدل على أن الكتاب ليس لابن القيم فحسب وإنما يدل على التوقيت الذى وضع فيه الكتاب ؛ أى أنه بعد وفاة شيخ الإسلام .

(٥) لم يرد فى كتب ابن القيم الأخرى ماينقض قضية من القضايا التى اشتمل عليها الكتاب : فلم يرد مثلا ما يفيد إنكاره للقراءة على الموتى وهى أظهر ما فى الكتاب مما يخالف السنة الصحيحة والعمل المستفيض عن النبى وأصحابه . والذى يشك فى نسبة الكتاب إلى الشيخ عليه أن يثبت من كتبه الأخرى ما يهدم القضايا البارزة فى كتابه هذا والله أعلم ؟

وكتبه محمد نجيب المطيعى

صلاة عيد الأضحى

ستكون صلاة عيد الأضحى - إن شاء الله - كالمعتاد بميدان الجمهورية بعابدين - وكل عام والجميع بخير .

باب الفتاوى

(١)

(س ١) ما حكم من ينسب إلى النبي صلوات الله عليه صفات تخرجه عن الطبيعة البشرية كأن يقول : إنه خلق من نور الله ، وأنه نور عرش الله ، وأن قدميه لا يظهر لهما أثر اذا وطئت الأرض الرملية . وأنه ليس له ظل . مستدلا بقول الله تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً الى الله بإذنه وسراجا منيرا) ؟ نريد أن نعرف حكم ذلك القائل ومعنى هذه الآية .

(س ٢) ما حكم الصلاة وراء من يؤول أحاديث الصفات،وآيات الصفات ويحملها على خلاف الظاهر منها ؟

(س ٣) ما حكم من يدعو الناس الى عقيدة التعطيل و نفى الصفات ويكفر القائلين بالإثبات ؟ عبدالمعطى على محفوظ بسندبسط)

الأجوبة

(ج ١) لقد كان الغلو فى تعظيم المخلوقين من الأنبياء والصالحين هو أصل ماوقع فى العالم من الشرك وعبادة الأوثان . فقد خرج هذا الغلو بكثير من الناس إلى اعتقاد أن هؤلاء ليسوا بشراً كسائر الناس ، ولـكنهم يتميزون بطبيعة إلهية فتراهم ينسبون إليهم القدرة على فعل الخوارق والمعجزات والـكشف عن الغيبيات و الأمور المستقبلةوالتأثير فى العالم الأرضى بقوة ذاتية موجودة فيهم ، فيحضرون الغائب و ينزلون الأمطار ويجرون على من يغضبون عليه المصائب والويلات الخ

ولهذا حرص الإسلام ، وهو دين التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، أن يؤكد فى كل مناسبةأن الأمر كله لله ، وأن ليس لمخلوق مهما كان قربه ومنزلته،شركة معه فى خلق شىء ولا فى تدبير أمر ، وأن كل من سواه مربوب محدث وعاجز فقير ، لا يملك لنفسه فضلا عن عابديه نفعاً ولا ضراً ، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه مما شاء أن

يطلع عليه رسله وأنبياءه . وقد جاء القرآن الـكريم يؤكد بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وورد ذلك فى صورة الأمر له أن يقول ذلك، حتى يكون شهادة منه على نفسه وحجة على كل من يغلو فيه ، مثل قوله تعالى فى سورة الأنعام(قل لا أقول لـكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لـكم إنى مَلَكٌ إن أتبع إلا ما يوحى إلى) وقوله فى سورة الأعراف (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)

وقوله من سورة الـكهف (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلٰهـكم إلٰه واحد) ومثل هذا فى القرآن كثير. ولقد جاءت السنة المطهرة بما يوافق الـكتاب الـكريم فى النهى عن الغلو ، فصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » .

وقال « إنما أنا بشر وإنـكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له على ما أسمع » الحديث

وبناء على ذلك يكون من خرج على الأصل الثابت بصريح الآيات وصحيح السنة فنسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصـفات التى تخرجه عن دائرة البشرية يكون كافراً مرتداً والعياذ بالله ، على أن هؤلاء يكذبون عليه أشنع الـكذب ، ويختلقون له من الصفات مالا أصل له فى كتاب ولا سنة صحيحة : فلم يرد عنه أنه أخبر عن نفسه بأنه خلق من نور الله ، ولا أنه أول المخلوقات، ولا أنه نور عرش الله ، الى غير ذلك مما يضاهى به غلاة هذه الأمة قول الذين كفروا من قبل . وكل ما نسب اليه مَن ذلك فهو باطل مفترى . وفيما ورد من خصائصه وصفاته فى الـكتاب والسنة ما يكفى لبيان علو درجته، وأنه من الله عز وجل بالمنزلة التى يقصر عن بلوغها كل ملك مقرب وكل نبى مرسل ، كهذه الآية التى يستدل بها هؤلاء الغلاة من سورة الأحزاب (ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا . وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا) فإن منصب الشهادة على

الناس كلهم لا يناله إلا من بلغ غاية الكمال فى تحقيق المشهود به ، فيكون خير الناس وأكملهم ، وهو المبشر لكل من أطاعه واتبعه ، والنذير لكل من عصاه وخالفه ، والداعى الى الله على هدى وبصيرة ، وهو السراج المنير الذى يخرج الناس من ظلمات الشكوك والريب والكفران الى نور العلم واليقين والعرفان .

وأما اعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم ليس له ظل وما شابهه فهو مبنى على اعتقاد أنه ليس بشراً فهو كذب بنى على كذب .

والحاصل أنه لا يجوز لأحد أن يصفه صلى الله عليه وسلم بغير ما وصفه الله به فى كتابه وما ورد فى السنة الصحيحة مما أخبر به هو عن نفسه . وكل ما وراء ذلك فهو هراء صوفية ولوثات وثنية .

(ج ٢) ورد القرآن الكريم والسنة الصحيحة بإثبات صفات لله عز وجل مثل : الاستواء على العرش والعلو على جميع الخلق ، والوجه واليدين والنزول الى السماء الدنيا ، والتكلم والنداء والمجىء والإتيان ، والدنو والقرب والفرح والضحك والرضى والغضب والمحبة والكراهية الخ : ما ورد من تلك الصفات . فأهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم فى كل عصر وزمان ، لا يردون من ذلك شيئاً ولا يتكلفون تأويله بما يخرجه عن معناه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بل يثبتون لله عز وجل كل ما أثبته لنفسه وكل ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . ويعتقدون أن كل ما ورد به الخبر الصحيح من هذه الصفات فهو ثابت لله على الحقيقة على الوجه الذى يليق بذاته والذى لا يشبه صفة المخلوق . ولا يلزم عندهم من إثبات هذه الصفات تشبيه أصلا ، فإن الصفات تتبع الذات فكما لا تشبه ذاته الذوات فكذلك لا تشبه صفاته . (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)

وبناء على ذلك فكل من أول آيات الصفات وأحاديثها وعطل ذات الرب سبحانه عن الاتصاف بها بغير دليل ولا حجة، إلا ماوقر فى عقله المريض من إفضاء اثباتها الى التشبيه فهو زائغ عن الحق ومتبع غير سبيل المؤمنين ، وداع الى بدعة شنيعة ذمها سلف هذه الأمة وحذروا منها . فمثل هذا المبتدع الضال لا تجوز الصلاة وراءه حتى ينزع عن بدعته ويعلن توبته منها .

(ج٣) وأما حكم من يدعو الناس إلى عقيدة التعطيل ونفى الصفات ويزيد فى توقحه وجرأته على الله فيكفر أهل الحق والإثبات المتمسكين بالنصوص الصريحة ، فهذا إن كان له شبهة فيما يدعو إليه فيجب إزالة شبهته ويبين له الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وفطرة العقل ، فإن تاب بعد ذلك ونزع وإلا فهو فى نظر كثير من السلف كافر ، فقد روى الحاكم فى كتاب (علوم الحديث) له عن أبى بكر بن خزيمة أنه قال : « من لم يقرَّ بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماواته وأنه بائن من خلقه فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة » .

وحكى الخلال فى كتابه (السنة) عن الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل وقد سئل عمن قال إن الله تعالى ليس على العرش، فقال : إن كلام هؤلاء كله يدور على الكفر .

وكان عبد الله بن المبارك إمام خراسان يقول « إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية » .

وروى البخارى عن شيخه نعيم ابن حماد أنه قال « من شبه الله تعالى بخلقه كفر ومن أنكر ما وصف الله تعالى به نفسه كفر » وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً .

ويطول بنا القول لو أردنا استقصاء ما قاله أئمة السنة رحمهم الله فى ذم هؤلاء الجهمية المعطلة وتحذير الناس من بدعتهم والحكم عليهم بالمروق والإلحاد ، فنسأل الله أن يعافينا مما ابتلاهم به ، وأن يثبت قلوبنا على عقيدة الحق التى نطق بها تنزيله وصرح

بها رسوله ، وأجمع عليها سلف هذه الأمة الذين هم أكملها إيمانًا وعلمًا وأبرها قلوبًا ، إنه ولى المؤمنين .

(ب)

(س ١) يقول صاحب كتاب الدين الخالص : إن من يعتقد أن الملابس تقيه الحر أو البرد بطبعها فقد كفر ، أو بقوة خلقهاالله فيها فقد فسق ، وكذا النار والماء . . الخ ، نرجو الإفادة عن ذلك وشكرا .   فتحى شكر (بالمحلة)

(ج ١) لقد جنى علم الكلام على عقيدة هذه الأمة جناية كبرى ، وأدخل فيها من عناصر الزيغ والفساد مالا يحصيه إلا الله ، لا سيما بعد ما اتصل المسلمون بالثقافات الأجنبية ونقلوا إلى لغتهم نظريات فلاسفة اليونان وغيرهم ، من عبّاد الأوثان ومزجوها بعلم الكلام . ومن أخطر تلك النظريات الفلسفية القديمة التى أثرت أبلغ التأثير فى عقائد فرقتين كبيرتين من فرق المتكلمين ، وهما الأشعرية والمعتزلة ، نظرية يقال لها (نظرية الجوهر الفرد) فهذه النظرية لعبت دوراً كبيراً جداً فى مذهب الأشعرية ، فقد جعلوها عمدتهم فى إثبات حدوث العالم ، ومن أجلها أنكروا تأثير الأسباب فى مسبباتها ، لأن هذه الجواهر عندهم متشابهة الطبيعة لا يتميز بعضها عن بعض إلا بما يخلقه الله فيها من الأعراض . فلا فرق بين الماء والنار فى الطبيعة والجوهر عندهم ، ولكن الله يخلق فى النار الإحراق ، ويخلق فى الماء الرطوبة ، فالنار عندهم لا تحرق بذاتها ، والماء كذلك لا يروى بذاته ، وليس هناك أسباب عندهم تؤثر أسبابها ، وإنما يخلق الله المسبب عند مقارنة السبب له من غير تأثير له فيه .

وهذا جهل لحكمة الله عز وجل فى الخلق واتهام له سبحانه بالعبث ، حيث يخلق أسبابًا ثم يعطلها ، وإنكار لصريح القرآن الذى يقول (وهو الذى يرسل الرياح بُشْرًا بين يدى رحمته ، حتى إذا أقلَّتْ سحابًا ثقالاً سُقْناه لبلدٍ ميتٍ ، فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) — الآية الأعراف .

فالله سبحانه هو خالق الأسباب ، وهو الذى جعلها أسباباً ، فتأثيرها إنما هو بإذنه وحكمته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية « إن محو الأسباب أن تكون أسباباً تعبير فى وجوه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع ، والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات ، وجعل هذا سبباً لهذا ، فإذا قال القائل : إن كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب وإلا لم يحصل ، فجوابه : أنه مقدور بالسبب ، وليس مقدوراً بدون السبب) والله أعلم .

(ج)

(س ١) — ماحكم الذى يصلى صلاة يجهر بها رافعاً صوته وهو يصلى منفرداً .

(س ٢) — ماحكم الذى يتجنب صلاة الجماعة وراء أناس لا يتقنون الصلاة ، أو يؤمنون بالخرافات ، أو لا يؤمنون بالعقيدة السليمة للتوحيد .

(س ٣) — ماحكم قارىء القرآن أو حافظه وهو غير متوضىء .

(س ٤) — هل من ضمن الآيات المتشابهات فى القرآن الكريم آيات المحرمات من الطعام مثل قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) . فنرجو توضيح كل ما يحل لنا وما يحرم علينا .

محمد الأمين عبد الرازق محمد
(بنها ـ كفر السرای)

الإجـــــــابة

(جـ ١) يجوز لمن كان يصلى وحده أن يجهر بالقراءة فى الصلاة الجهرية إذا كان فى مكان لا يؤذى فيه أحداً ولا يشوش فيه على غيره . أما إذا كان فى مسجد يصلى فيه الناس فلا يجوز له الجهر بالقراءة ، بل يسمع نفسه فقط . فقد روى الإمام مالك فى (الموطأ) عن البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون

وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : « إن المصلى يناجى ربه فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن » .

وقد ورد مثل هذا الحديث عند أبى داود من رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال« ألا إن كلكم يناجى ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة أو قال فى الصلاة » .

وأما ما رواه مالك عن نافع « أن عبد الله بن عمر كان إذا فاته شىء من الصلاة مع الإمام فيما جهر فيه الإمام بالقراءة أنه إذا سلم الإمام قام عبد الله بن عمر فقرأ لنفسه فيما يقضى وجهر » فمحمول على أنه لم يكن بجانبه من يتأذى بقراءته أو على الجهر الخفيف الذى لا يتعدى فيه الصوت إلى غيره . والله أعلم .

(جـ ٢) إذا كان الإمام لا يحسن الصلاة بأن كان لا يتم ركوعها ولا سجودها أو لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود أو كان لا يطمئن فى الجلسة بين السجدتين أو غير ذلك مما يعد سرقة من الصلاة ، فمثل هذا لا تجوز الصلاة وراءه فإن صلاته باطلة ، حيث إن النبى صلى الله عليه وسلم قال للرجل المسىء فى صلاته « ارجع فصل فإنك لم تصل » فنفى اسم الصلاة عن تلك الصلاة التى أساء فيها مع اشتمالها على قيام وركوع وسجود وتشهد وتسليم .

وكذلك إذا كان الإمام يدين ببعض البدع الشركية المنافية لعقيدة التوحيد مثل دعاء المشايخ أصحاب الأضرحة والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم يملكون النفع والضر ، وأنه لا بد من وساطتهم والتوسل بهم فى قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فمثل هذا لا يجوز الصلاة خلفه .

(جـ ٣) يجوز لغير المتوضىء أن يقرأ القرآن فقد روت عائشة رضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه » .

وروى مالك فى الموطأ عن أيوب السختيانى عن محمدبن سيرين «أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى جماعة وهم يقرؤن القرآن فذهب لحاجته ثم رجع وهو يقرأ القرآن. فقال له رجل يا أمير المؤمنين : أتقرأ القرآن ولست على وضوء ؟ فقال له عمر من أفتاك بهذا ، أمسيلمة ؟ » .

أما الجنب فقد وردت أحاديث ضعيفة فى نهيه عن قراءة القرآن ولـكنها لا تقوى على معارضة حديث عائشة السابق. وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما لا يرى بأساً أن يقرأ الجنب الآية أو الآيتين .

(جـ ٤) المحرمات من الأطعمة ذكرت فى القرآن مجملة ومفصلة فالأولى مثل قوله تعالى فى سورة البقرة (إنما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله) .

وقوله فى سورة الأنعام (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أودماً مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) .

والمفصلة مثل قوله تعالى من سورة المائدة وهى من آخر ما نزل من القرآن (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وما ذُبِح على النصب الآية) .

فالميتة هى التى ماتت حتف أنفها ولم تذكَّ ذكاة شرعية .

والدم هو الدم المسفوح الذى يتدفق من البهيمة عند ذبحها ، ولـكن لا بأس بمـا يخالط اللحم ، ولحم الخنزير معروف ويلحق به شحمه أيضاً فلا يجوز أكله ولا الانتفاع به .

وما أهل لغير الله به : يعنى ما رفع الصوت عند ذبحه بغير اسم الله ، والمراد به كل ذبيحة يتقرب بها إلى الله عز وجل كالذبائح التى تذبح فى موالد المشـايخ والمقبورين والتى تذبح تحت النعش أو تحت قدم زائر عظيم أو تذبح لمشايخ الطرق ، فهذا كله مما أهل لغير الله به فهو فسق وخروج عن توحيد الله عز وجل .

وأما المنخنقة : فهى التى خنقها الحبـل حتى ماتت ، والموقوذة هى التى وقذت بحديدة أو حجر فماتت ، والمتردية هى التى سقطت فى البئر أو فى هوة فلم تدرك ذكاتها فإذا أدركت حية جاز جرحها فى أى مكان من جسمها حتى يسيل منها الدم إذا لم يمكن ذبحها من العنق ، والنطيحة هى التى نطحتها بهيمة أخرى حتى قتلتهـا ، وما أكل السبع : هى البهيمة التى أكل السبع بعض أعضـائها فإذا أدركت حية وذكيت جاز أكلها لقوله تعالى (إلا ما ذكيتم) يعنى إلا ما أدركتم ذكاته قبل موته .

وما ذبح على النُّصُب : هى الصخرة التى كانوا يذبحون عليها لأصنامهم فى الجاهلية ، ويلحق بها كل ذبيحة يخصص لذبحها مكان بعينه أو زمان بعينه لم يعينه الشارع، كالتى تذبح فى ساحات الموالد ونحوها ، وقد ألحقت السنة بهذه المحرمات كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير .

ولحوم الحمر الإنسية وكل ما يستقذر وتعافه النفس لقوله تعالى (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) .

(٤)

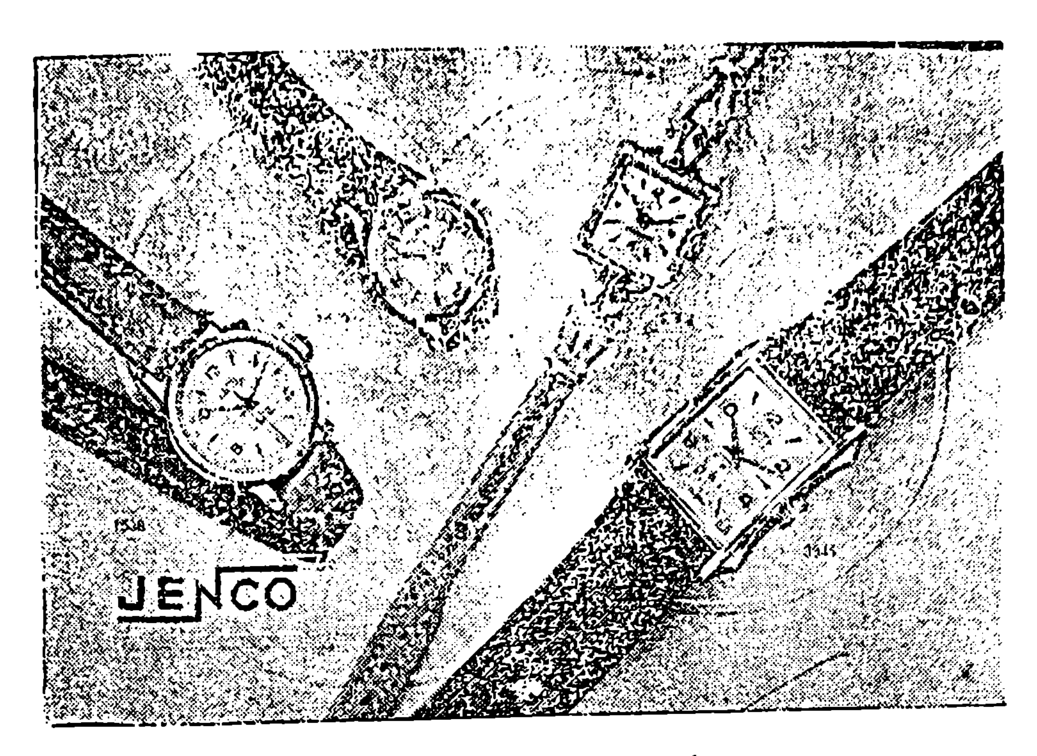
(س ١) توفى رجل كلالة وليس له إخوة أشقاء وله زوجة وأخت من أبيه وأولاد أخ من الأب ، فما نصيب كل منهم فى تركته .

خطاب إبراهيم الدسوقى (كفر أبو سيد أحمد — دقهلية)

الإجابة

(ج ١) للزوجة الربع وللأخت النصف ولأولاد الأخ الباقى ، للذكر مثل حظ الأنثيين والله أعلم .

محمد خليل هراس


JENCO